

مجموعة من المؤلفين



مراجع الشخصية

الهو، الأنا والأنا العليا

ترجمة: وجيه أسعد



مركز
الدراسات
الإنسانية
والاجتماعية

مجموعة من المؤلفين

مراجع الشخصية

الهو ، الأنا والأنا العليا

دراسة في التحليل النفسي

ترجمة

وجيه أسعد



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ٢٠٠٢

LE ÇA, LE MOI,
LE SURMOI
La Personnalité
et ses instances

مراجع الشخصية : افو ، الأنا والأنا العليا : دراسة في التحليل النفسي -
La ça, le moi, le surmoi / مجموعة من المؤلفين : ترجمة وجيه أسعد ،
- دمشق : وزارة الثقافة ، ٢٠٠٢ - ٣٥٢ ص ٢٤٩ سب . -
(دراسات فلسفية ونفسية ٤٧) .

١ - ١٥٤ أس ع م ٢ - العنوان ٣ - العنوان الموازي
٤ - أسعد ٥ - السلسلة مكتبة الأسد

لايداع القانوني : ع - ٢٠٠٢/٢/٣٢٧

دراسات فلسفية ونفسية

١٤٧١

مقدمة

تجعلنا التجربة التحليلية نواجه باستمرار ضرورة مزبوجة: إيضاح المواد المجموعة في كل علاج بفعل إعداد نظري متماسك وحي، من جهة؛ واستخدام هذه الإنشاءات لتتبع مقارنة الملاحظات من علاج إلى آخر، من جهة أخرى.

ومنذ تاريخ نشوء التحليل النفسي قبل بداية القرن العشرين (بروير وسيغموند فرويد، ١٨٩٥)، أوضح فرويد دور النزاعات النفسية في العمل الوظيفي النفسي لدى الهستيريين الذين كان قد رآهم في باريس لدى شاركو أو في نانسى لدى برنهاميم. وما أمكن عندئذ له إلا أن يهجر أوصاف العمل الوظيفي النفسي، السوي والمرضي، التي كانت رائجة حتى ذلك الزمن. فبعض هذه الأوصاف كانت ثمرة الاستبطان وكانت قد أفضت إلى دراسة ملكات الفكر، نتائج الذكاء وحياة الانفعالات. وكان بعضها الآخر، المخصصة لمقاربات الطب النفسي، يصف بعض خصائص التصرف لدى المرضى النفسيين.

١- العلم وظاهراته

والقول الحق مع ذلك أن فرّض الأفكار غير الشعورية كان على الغالب مطروحاً طوال القرن التاسع عشر، ويروي موريو دو تور (١٨٤٥)، على سبيل المثال، مفعولات الحشيش ويكتب قائلاً: «بين اليقظة والنوم، ثمة حالة وسطى تشارك، دون أن تكون هذه أو ذاك على وجه الدقة، في الاثنين على حدّ سواء وتكون حالة خليطاً بحيث يكون من المفيد جداً، في المسألة التي نعينها هنا، أن نقيمها تقييماً دقيقاً»

«كل حياة فكرية لا تتوقف بسبب النوم. إلا تكشف الأحلام، والرؤى، عن ضرب من الوجود الداخلي، عن حياة داخل الدماغ تغذيها، إذا صح القول، انطباعات تلقاها المرء سابقاً خلال حياة اليقظة، شأنها شأن الحياة الواقعية التي تتغذى بانطباعات واردة من الخارج، يرسلها العالم الخارجي؟»

«ونحن، في هذه الجالة الوسطى (التي كنا قد تكلمنا عليها للنور)، يمكننا أن نبلغ هذين الضربين من الانطباعات على حد سواء: وكوننا عاجزين عن تمييز أحد هذين الضربين من الآخر. فإتينا نخلط بعضها ببعض. بحيث تنشأ التوافق الفكرية الأكثر غرابة، وترايطات الأفكار الأكثر بعداً عن الانسجام، وبكلمة واحدة ينشأ ضرب من الهذيان الحقيقي»

وتبين هذه السطور القليلة أن مورو كان قد تصور الحلم وبنيتة جيداً أنه يكفي إنتاجات الجنون. وكان بيدر جانه أيضاً قد افترض، في نهاية القرن التاسع عشر، حالات التفكك الذهني لدى الهستيريين وتكلم على السجل المزوج للعمل الوظيفي النفسي.

وسنجد في تقرير اجتماع بونيفال عن اللاشعور (هنري إي - 1966) كثيراً من الإلماعات لأسلاف فرويد الذين عالجوا ميحد اللاشعور قبله، سواء في الأدب الرومانسي، الألماني على وجه الخصوص، أو في الطب النفسي. وحاول ل. شرتون، ر. بوسونور، أن يبيناً قرابة أصحاب المغناطيسية والمؤمنين المغناطيسيون مع رواد اللاشعور وفرويد

٢- القوس المتعكس: بدايات الفكر الفرويدي

قارب فرويد، اثرود بثقافة طبية وفلسفية متينة. علم الأمراض العصبية في المستوى الأول وقاده التأثير الذي مارسه عليه عالما الفيزيولوجيا هلمهولتز وبروت إلى أن يحاول، عندما عني بالعصابيين بفعل الضرورة والاهتمام عفاً، فهم العمل الوظيفي النفسي بدأ من نمط القوس المتعكس والمثل الأبسط المذكور غالباً معروف إذارة قائمة من قوائم الصفرة، التي نزع دماغها، بقطره عن الخل

توضع على سطحها، تسبب سحبها وتسيب، بعبارة أخرى، استجابة حركية نشد الهروب من الإثارة. فهذه التجربة التي تعبر عن مبدأ كلي، مبدأ الهروب من الألم، كان بوسعها ولا بد لها من أن تطبق على الحياة النفسية، سواء أتت الإثارات من الخارج أو الداخل ولم يكن ثمة يد من افتراض جهاز نفسي يدخل الفكرة والانفعال، والآثار التذكيرية المسجلة، ليكون بالإمكان تطبيق المبدأ الكلي ويمكننا أن نتفق مع هـ. ريكور (١٩٦٥) في الاعتقاد أن بناء الجهاز النفسي ينشد باستمرار، في رأي التحليل النفسي، أن يوضح بالبتسيكولوجيا الفرويدية، التفكير في تطبيق نظرية الفوس المنعكس.

وقراءة مراسلات فرويد وفليس (فرويد، ١٨٩٢، ولادة التحليل النفسي - ١٩٥٠) لا يمكنها إلا أن تحرز هذا التطابع. وكذلك الأمر بالنسبة للمخطط الإجمالي لسيكولوجيا علمية (فرويد، ١٨٩٧)، إنها محاولة أرسلها فرويد إلى فليس، وليست مخصصة للنشر، جديرة بأن نطلعنا على نقطة انطلاق فرويد وعلى القفزة الإبيستيمولوجية التي جعلته يبني الجهاز النفسي أول الأمر على النمط العصبيوني للعمل الوظائففي الدماغية، ليتفغل إلى النمط السيكولوجي: نمط الميتاسيكولوجيا.

٢- أسئلة النهج الفرويدي

كان فرويد، من جهة أخرى، ذا ثقافة فلسفية وأدبية غنية استخدمها استخداماً موفقاً خلال حياته كلها. وكان على أي حال قد استطاع أن يقدر أن كثيراً من الإنتاجات الفنية، لا سيما الأدبية، كانت قد أتاحت للمبدعين والشعراء أن يبيّنوا لنا أن فكر الإنسان ما كان بوسعهم أن يفهم من خلال ما كان يدركه ويلتقطه بطريقة تفكيره وعمله وأن يعبر عن نفسه بهذا الصدود كعلماء: النفس في زمنه

وكان إريك فرويد الثقافي، الذي كان يصله بالموروث اليهودي، قد أعناه كثيراً، ولكنه كان قد وضعه باستمرار في وضع نزاعي إلى حد كبير لبفسح لنفسه مكاناً في قبيتا المعادية

ووجب على عبقرية فرويد في هذا السياق، بوز شك، أن تعدّ نفسها الموضوع الأساسي لبحثها الخاص، وأن تقيم مع نفسها حواراً باسم المخاطب، إذ نظمت على هذا النحو عن السيكولوجيا المتقلّبة التي أفضى الاستيطان فيها إلى وصف باسم الشخص الغائب. والواقع أن فرويد كان قد فهم بالتدريج أن الذكريات التي كان الهستيريون قد أطلعوه عليها، تحت التثويم المغناطيسي أول الأمر، ثم بطريقة ترايبط الأفكار غير الحرّة، كان مصيرها أنها استهوت، يفعل «ارتباط مزيف» به (س. فرويد - دراسات في الهستيريا - ١٨٩٥) سمّيت التحويل فيما بعد

وإذ لجأ فرويد إلى ترايبط الأفكار الحرّ فيما يخصّ نتاجاته الطمعية، وإذ مارس أول تحليل نفسي، «تحليله الذاتي»، فإنه استطاع أن يلاحظ انعدام سمة اللياقة في الأحداث التي كان يعتقد أنه اكتشفها في طفولته. وفي التجارب الغالية من الحسنّ السليم، تجارب الفواية، التي كان يظنّ أنه كشف عنها،

واعتقد، خلال إعادة نظر راقٍ لبعضهم تسميتها معرّقة، أن عليه أن يهجر نظرية الصدمة المثيرة للمرض والإغراء، التي كان قد افترض أنها سبب النزاعات المنسيّة والمكبوتة لدى الهستيريين. وخرج من هذا العمل الطويل تفسير الأهلَام (١٩٠٠) حيث يبين التوازن الذي سيظلّ توازن التحليل النفسي: العيادة والنظرية سيؤديان فيه نصيباً متساوياً بين منساويّ النزاعات الشخصية والعمل الوظيفي للجهاز النفسي.

٤- العمل الوظيفي للجهاز النفسي

لدراسة الجهاز النفسي، جزئياً على الأقل، إنما خصّص هذا الكتاب الذي يجمع نصوص فرويد، ومعاصريه وخلفائه، وكتب مبدع التحليل النفسي على الغالب أن العمل الوظيفي النفسي يمكنه أن يعرف من خلال مقارنة ثلاثية: حدينامية، تلك التي ننشد دراسة النزاعات اللاشعورية، أي الدراسة التي تمنح إنتاجاتنا معنى:

«اقتصادية، تلك التي غرضها أن تحدّد القوى المتواجبة وقوة المعنى»

صوقعية، تلك التي تصف مراجع العمل الوظيفي النفسي.

وكان هذا المنظور الثالث أساسياً في اختبار النصوص المقترحة، إنه بالتأكيد المنظور الأكثر أصالة في الوصف الميتابسيكولوجي للعمل الوظيفي النفسي.

ومن المناسب دون شك أن نتوقف هنا عند هذا المنظور الواقعي، الذي يمكننا القول إنه طوبوغرافي، لنبرز قيمته الاستعارية، القيمة التي تحدد مكاناً نفسياً

واعتمدنا على أن نستخدم هذه الإحالة إلى مكان تجري فيه الظواهر النفسية من الناحية الزمنية: هذا التصور بواسطة تخطيطية أمر لا غنى عنه لتقديم نظرية انطلاقاً من اللحظة التي لا يكتفى فيها بما يلاحظ على مستوى السلوك وما يُكتشف على مستوى التفكير، وسيرى القارئ أن النقط الأولى، (الموقعية الأولى) موصوفة بوضوح في تفسير الأهلان (س. فرويد - ١٩٠٠). ويقارن فرويد، في الفصل السابع (٦) من هذا الكتاب، المخصص لنظرية الحلم - عرض أساسياً لفهم العمل الوظيفي للشعور، وجنور الحياة الاستيهامية ونمو الطفل - ، تلك التخطيطية التي يقترحها بالتخطيطية التي تصف نقاطاً متخيلة لشرح العمل الوظيفي للعنسات البصرية: الواقع أن ثمة افتراضاً، في النظرية الفيزيائية، مفاده وجود بؤرة وصورة مسقطه. وتلك هي المقارنة التي، في رأي فرويد، تسوّغ التفكير الواقعي في الجهاز النفسي.

ولنتذكر هنا، لتوضّح هذا الحديث توضيحاً أفضل، أن فرويد خارج الآن من مجرد وصف الظواهر اللاشعورية أو غير الشعورية. فأن تكشف الأفعال الخائبة، على سبيل المثال، عن الميول المتناقضة التي جعلنا نفكر، نكلّم أو ننصرف، تلك مسألة يتفق عليها الجميع حالياً. ولن يكون التسليم بسهولة أن أعراض المريض النفسي وأحلام كل فرد منا تعبر عن شيء يختلف عما يسمّيه

(١) فصل ثمرناه حزني في الفصل الأول من الكتاب الخالي.

الحسّ المشترك سخافات، أمراً بعيداً من الناحية الزمنية. ولكن الكلام على اللاشعور لا يكمن فقط في أن نتسجم مع واقع مقاده أننا لسنا بالضرورة نشعر بكل أفكارنا، وفي أن نلتصق سجيلاً لاشعورياً، حيث يرفع هذا اللاشعور إلى مرتبة الاسم بدلاً من الصفة^(١).

٥- إرسان الحلم

يصف التحليل النفسي منظومة لاشعورية لها أسلوبها في العمل الوظائفى المحدد الآن في كتاب تفسير الأهلَام وقيله في المخطّط الإجمالي. وسببنا فرويد أن طريقة اللاشعور ليغير عن نفسه في الحلم هي استخدام «عمل» حيث تتدخل آليات خاصة التكثيف، الإنزياح والقابلية لتمثيل بالصورة. فوصف إرسان الحلم على هذا النحو إنما هو التأكيد أن ثمة أسلوبين للعمل الوظائفى الخاص بالجهاز النفسى، النظام الأوّلى الموضع في ظلّ السجلّ الخاص بمبدأ اللذة والنظام الثانوى حيث يحلّ التفكير محلّ تفرغ الإثارة المباشر. وهكذا يتمايز الشعور واللاشعور بالتبادل.

وتقتضى العلاقات التي تعقدها هاتان المنظومتان تخطيطة شارحة، هي التخطيطة المرسومة في الفصل السابع من تفسير الأهلَام الذي عرضنا منه ملخصاً في كتابنا الحالى.

ولكن الأمور ليست بسيطة ينبغي في الواقع أن نشرح لماذا لا تسبب الإثارة الخارجية (ضجّة، نور، إلخ)، أو الداخلية (عمل الهضم، كما تقتضى الفكرة الشعبية التي تعزو الكابوس إلى وجبة ثقيلة جداً)، يقظة النائم انطلاقاً من تفرغ عضلي أو غيره، ولكنها تقود إلى بناء سيناريو الحلم.

وهنا يتدخل مصدران نظريان نذكر بهما على نحو موجز:

(١) اخترن الرضيع الصغير جداً آثار تجربة اللذة، مثل ذلك الأثر الذي

(١) Cours en psychanalyse, tome 1, page 100.

يشيرد انتقال الحليب عبر التجويف الفموي الذي يشعل الفم والجزء العلوي من البلعوم وكذلك يديه المتعلقين بأمه أَرْضَعَة وهذه المنطقة المحيطة بالتجويف الفموي مستنح له، بفعل عملها الوظيفي، إمكانيًا مفاده أن يحدث لذة ثانية الغلظة بقعله وحده. وبوسعه عندئذ أن ينشط عَجْدًا أثر هذه التجارب من اللذة وأن يعزوها إلى أم كان قد وظفها قبل أن يدركها ويعرفها. وهكذا فإن جوعه أول الأمر، ثم الرغبة في أن يُنتج تجربة الإشباع مجددًا، مما اللذان يجعلانه، يورث في حضور الأم، فغياب الثدي يسبب الكُرْب، سيكتب فرويد قائلًا في ثلاث محاولات في نظرية الجنسية.

(٢) مثل هذه الملاحظات، الأساسية، ولكنها المعروضة هنا على نحو جملي جدًا بفعل الضرورة، تشرح أن الآثار التذكورية يمكن أن تُنشط مجددًا لتتبع هلوسة اللذة وهلوسة الموضوع التي ستلتحق بإدراك هذا الموضوع الذي سيكون ممكنًا أن يكون لدى الفرد.

٦- مشتقات اللاشعور

نقول بعبارة أخرى

(١) مشتقات اللاشعور يمكنها أن «تشق» سبيلًا إلى حد تنوهم أننا ندركها، أي أن نتعرف الموضوعات الحية (وغير الحية عند الاقتضاء) في محيطنا إنها نتيج ما تسميه الإدراكات التي ستكون أكثر دقة بحسب نمو الطفل الصغير. و«شق» السبيل هذا يفترض قوة، ويفترض أيضاً درياً ينبغي سلوكه، درياً سيكون، وإن كان متخيلاً. أفضل استعارة لبيان أن مشتقات اللاشعور ينبغي لها أن تعمل للاشعور أنها ممكنة التصور على وجه الدقة

{٢} لا يمكن أن يفويتنا على هذا النحو أن نلاحظ وجود حاجز مزبوع تتجمع بين حديه المادة قبل الشعورية التي يمكنها أن تؤوي ما يتجاوز حاجز الكبت (رغبات الحلم، الرغبات الطفولية المكبوتة)، وما يمكنه أن يعزى الشعور، إذ يعزج في العادة الإدراكات، والبقايا النهارية، وعناصر الإثارة الليلية في الحلم

٣) تساهم مشتقات اللاشعور هذه، خلال حياة اليقظة، في إهدات إدراكاتنا، إن الإثارة هي التي تتيح أن يترزبن بالصور ذلك الواقع الداخلي والإدراكات حيث تتدخل بالتأكيد التجربة التاريخية للعلاقات بالمحيط، وبالأم على الوجه الأخر، بوصفها كذلك، وبوصفها أيضاً تفرز واقعاً في علاقتها مع لاشعورها.

٤ - هذه الطوبولوجيا هي دحض قوي للواقعية السيكولوجية كما كان الاستبطان يصورها. فاشعور لا يقابل اللاشعور في هذه التخطيطية، بل تقابله منظومة الإدراك الوحي، وفق الآليات التي ذكرنا بها للتو.

ذلك هو الإرهان المؤسس للموقعية الفرويدية الأولى التي هجرها فرويد بعد أن استأنفها في تعاقب من الأعمال الميتاسيكولوجية التي لم تكن قد جمعت قط، على الرغم من مشروعه، تحت عنوان اللاشعور، والتي كان فرويد قد حررها خلال الحرب العالمية الأولى. واقترح في أعقاب هذه الحرب، مع المحاولات التي كتبها، تلك الموقعية الثانية، أي نسختها، البنيوية، التي ستكون موضع البحث فيما بعد.

٧- اللاشعور وقيل الشعور

تُعنى الأعمال المعاصرة، على الرغم مما يمكن أن يوجد من المنطق في عدم استخدام النسخة الأولى من الموقعية كما يقترح فرويد، بقيل الشعور، المحل الذي تكون الامتالات والحالات الوجدانية الجاهزة للارتباط «مرتبطة» به. ودراسة ظروف هذا الارتباط ذات أهمية خلال النمو. يرى المحللون النفسيون للأطفال في هذا الارتباط أسلوب تنظيم الأعراض العصابية التي تنمى إلى تغيرات النمو. ويبين بعضهم أهميته في مجال علم الأمراض النفسية الجسمية والواقع أن وصف الموقعية الأولى ينطوي على تشابك وثيق بين الموقعية والاقتصادي. ويعزو اللاشعور من جديد، في الموقعية الثانية، صفة إلى بعض جوانب الأجهزة الموصوفة، لا سيما إلى الأنا. ولا يقلل احتياز الوحي، الذي يتجاوز قيل الشعور

ويجد تطبيقه في العلاج، من الأهمية المرضية السيكولوجية لما تقودنا الموقعية الأولى إلى أن نأخذ بالحسبان ظاهرات التقدّم والتراجع التي تجري فيه وتوضّح بالمثال تلك العلاقات بين اللاشعور وقبل الشعور.

ويظلّ تحليل المعطيات التي يجمعها التحليل النفسي والملاحظة، كما فعلنا للتوّ، إجمالاً إلى الحدّ الأقصى بالطبع.

والبناء الميتاسيكولوجي كلّ لا يتجزأ، وينبغي أن نحذر من أن نضفي الامتياز على جزء منه تحت طائلة أن يفقد تماسك المجموع توازنه. وبنظري حركة التوهّدات المبكّرة، التي سنعود إليها، على حركة دائنة من الخارج نحو الداخل ومن الداخل نحو الخارج. إننا تعلّمنا على أي حال أن رفض الإثارات المؤلمة يسهم إسهاماً واسعاً في بناء الواقع كما يدرك.

وسيكون، في الموقعية الثانية، نشوء جهاز ينبغي له أن يوفّق بين مقتضيات الداخل والخارج، موصوفاً بكل دقة: إنه الأنا. وتختلف هذه الأنا اختلافاً كبيراً عن منظومة الإدراك - الوعي التي تُشبهها بعضهم بالأنا على نحو سهل جداً.

٨ - الأنا في سيوردة

كان فرويد يذكّر أول الأمر، في الأنا والهو، أن الموقعية الأولى كانت تقابل تماماً وصف منظومة من المراجع حيث كان بوسع الجانب الاقتصادي والجانب الدينامي من العمل الوظائف النفسية أن يتصرّفاً والمستخلص من محاولة الأنا والهو، الذي سنقرأه، يبيّن القوة (وجهة النظر الاقتصادية) التي تسدّ منفذ الكامن (قبل الشعور) والمكبوت (اللاشعور). والنزاعات (وجهة النظر الدينامية) تحدّد التوظيفات المضادة التي تقوم بوصفها قوى مضادة للتعبير عن النوافع. فثمة، من وجهة النظر هذه، ضرب من التكافؤ بين الشعور وما سيصير الأنا. ولكن هذه التوظيفات المضادة، هذه التكوينات الارتكاسية حيث يتحوّل التوظيف إلى توظيف للنضال ضد الدافع، لا سبّما تحت ضغط البيئة، تعبّر عن نفسها في العلاج بواسطة مقاومات من أصل لاشعوري في معظمها.

ويمكننا أن نستنتج من هذا الوصف ضرورة تكوين مفهوم لمرجع، لجهاز صائر إلى أن يصون توازناً بين ضغط الإثارة، المنحوّلة إلى ثيبيدو، ومقتضيات الواقع الخارجي. والعلاقات بين ضغط الإثارة ومقتضى الواقع أخذناه بالصبيان. إنها ستكون المرجع الذي سيُسمى الأنا وثمة جزء منها لاشعوري كما نرى. وستتيح هذه الأنا للامتثالات الغضبية المرتبطة بامتثالات الكلمات أن تتحوّل إلى سيرورة لاشعورية من الاستنبهات أو الإدراكات.

٩- الأنا والنهر

كل ما هو مكبوت، كل ما هو إثارة غير ممثلة، كل ما هو دافعي: كل ما نعيشه، نحن الناس يتمايز في جهاز، الهو، لاشعوري بصورة كلية

وهذا اللفظ، Es بالألماني، كان قد اقترحه فرويد الذي كان يريد، وسنرى ذلك، أن يعدّ الواقع، التي تحركنا و«نعيشها» بوزن أن نعرف معناها ولا قوتها، واقعاً مطلقاً في ذاتها.

وهكذا تكون الأنا، المتمايضة انطلاقاً من الهو أو خلال الزمن الذي يتمايز فيه الهو (هذا المشكل غير محدد بوضوح في النصوص الفرويدية)، لاشعورية إلى حدٍ واسعٍ

أضف إلى ذلك أن فرويد كان قد حدّد من قبل، عام ١٩١٤، في كتابه **النرجسية** مدخل، دور، الوعي، وسيرت جز، من الأنا وسيستعيد عناصر إضفاء الصفة المثالية المنسقة على الأيوين ويكون المرجع الثالث، الأنا العليا، الذي سنعود إليه لاحقاً وهكذا تتحدّد بنية الجهاز النفسي في الواقعية الثانية. إنه تنظيم ثلاثي.

والاستعارة المكانية، حيث الزمان والمكان يتصوّران على مستوى واحد، التي تتيح أن ترسم، كما في نظرية الطم، درب الإثارات، لم تعد مناسبة، مع أن فرويد ما يزال يستخدم المقارنة مع المنظار في **موجز التحليل النفسي** (١٩٢٨). إنه يقترح الآن نهج الحويصة، الهو، التي منها تتمايز الأنا والأنا العليا، وكلناهما لاشعوريتان إلى حدٍ كبير

١٠- نظرية الدوافع

قاد وصف الهو والأنا العليا س. فرويد إلى تعديل نظريته في الدوافع وإلى أن يجعل الثاناتوس مقيلاً للإيروس وسنرى الأهمية التي فؤالها بعض المحللين النفسيين من المدرسة الانجليزية أو المدرسة الأمريكية، في منظورين مختلفين اختلافًا عميقاً، دافع الموت المرتد نحو الخارج.

ولكن المسألة الكبيرة، وتقل أول الأمر، إنما هي الأنا، خلال عدة عقود من السنين. وسندرس نشوء هذا العضو، عضو التوازن بين مقتضيات الدوافع ومقتضيات الأنا العليا، والوظيفة التكيفية للأنا بالنسبة لمقتضيات الواقع ستكون موضع إعلاء الشأن من جانب المحللين النفسيين الذين يصلون إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن غادروا ألمانيا ويستأنف فرويد بعض أفكار أبراهاام فرويد فيما يخص الدمج الافتراضي والاجتياف التمكلي ليدرس الأسس المبكرة للأنا، ولكن مجموعة الأجهزة لا تتكوّن إلا بالتوحّدات الثانوية والتمايزة التي تنتظم عند انحسار التطور الأويدي، عند مدخل مرحلة الكمون

وهذه المرحلة، مرحلة الكمون التي تصفي طابعها بقوة على الجنسية الثنائية التطور الخاصة بالإنسان، نتاج الكبت ذي الجنود في تطوّر النوع، ولكنه الذي يدوّن مفعولاته في كل فرد منا والأنا العليا، نتاج الإرث الجماعي، والتربية، ولكنها نتاج المازوخية الأساسية أيضاً المرتبطة بدافع الموت، هي العامل الأساسي في هذه المرحلة، وإذا كانت الأنا تتمايز في زمن متأخر، فإن بكورة بعض الآليات ستكون مؤكدة على الغالب، مثال ذلك أنها تسهم في إجلاء ما هو شاقّ، مؤلم، وتجعل منه الواقع الخارجي، وتلك ألبة سبسمبها الكلبينزين التوحّد الإسقاطي.

ولهذه الإرصانات التكوينية السبوية وقّع تفنّي كبير، فلنتذكّر، تحت طائلة التبسيط بعض الشيء، أن فرويد تنقّى أول الأمر أن بعضي التحليل النفسي إلى ضروب من «احتياير الوميء بالمعنى التام للعبارة مما كان لاشعورياً ينبغي أن

يصبح شعورياً. وليست مشنقات اللاشعور معروفة في الواقع إلا من خلال نقص المقاومات التي يعكس الكبت نموذجا الأكبر. وينبغي للأنثى أن توسع سلطانها وتجعله أكثر مرونة بفضل علاج التحليل النفسي. وعيارة فرويد التي كتبها بالألمانية يمكننا أن نترجمها أخيراً بالعبارة التالية: «ما كان الهويني أن يصبح الأنثى».

وهذه التعديلات التقنية أبرزت إبرازاً جديداً مفهوم الدفاع الذي استخدمه فرويد أثناء عام ١٨٩٥، في مقالاته المعنونة «أعصبة الدفاع النفسية» (١٨٩٦). وكان ورايخ قد أدرك أهمية هذه المقالات (تحليل الطبع - ١٩٢٣). ومنحتها أنثى فرويد (١٩٤٩) وصفاً منهجياً في كتابها **الأنثى واليات الدفاع**.

ووصف فرويد، بعد بضع سنين (١٩٢٦)، اليات أخرى للأنثى غير اليات الدفاع؛ وكان المقصود هو انشطار الأنثى الذي رآه عاملاً في الأعصبة، لا سيما في الانحرافات والذهانات.

ويقترح عليك هذا الكتاب، أيها القارئ، أن تقرأ أعمال معاصري فرويد وخلفائه فيما يخص الأنثى. ونحن نقترح التصنيف التالي لفهم هذه الأعمال

١- الدراسة التكوينية للأنثى

ثمة تيار كامل من التحليل النفسي منذور للدراسة التكوينية للأنثى. ويوسعنا، اعتماداً على هذا التيار، أي بإدارة أنثى فرويد، إدارتها الملهمة، ثم اعتماداً على المدرسة البنوية الأمريكية، التي يمثلها، من جهة، ههارتمان، إ. كريك، و لويشمانين، ومن جهة ثانية، يمثلها ر. سبينز، أن نزع أن التحليل النفسي شاء لنفسه أن يكون أفضل نعت لعلم النفس التكويني. على الرغم من أن هذا التعريف إجمالي ولا ينصف الأعمال المتعددة إحصاؤها لهذه الجماعة. والدعوى^(١) الرئيسية لهذه المدرسة هي التالية:

(أ) - تتعايز الأجهزة الثلاثة للنفس في وقت متأخر وخلال زمن طويل.

(١) دعوى. Thèse.

ويتدخل العالم الخارجي بقدر ما تتدخل النزاعات الداخلية. وتؤدي ظاهرات التضييق أيضاً دوراً في هذا النمو حيث تكون ملاحظة الضغل المباشرة أداة لا بد لها في المعرفة ويسهم مقال إي هاندريك، الذي سنقرأه فيما بعد، في هذا المجال، بمنظورات أصيلة، عندما يلاحظ هذا المؤلف على سبيل المثال أن دلالة استيهامات الطفل تتغير خلال نموه.

ب) - يقدم لنا هذا المؤلف نفسه، إذ يلجّ على وظيفة السيادة لدى الأنا، مثلاً على إبراز وظائفها التكيفية. وشاء بعض المؤلفين أحياناً أن يروا في إلحاح المؤلفين الأمريكيين من مدرسة هارتمان على وظيفة السيادة لدى الأنا نتيجة من نتائج تأثير الحضارة الأمريكية في هؤلاء المهاجرين القادمين من ألمانيا. إنها نظرة سطحية نوعاً لا ينبغي لها أن تعطينا من أن نقرأ فراحة مقنونة هذه الأعمال التي يقدم لنا منها مقال هانز هارتمان، الذي اخترناه لهذا الكتاب، فكرة عنها. واستمرت أنا فرويد تعمل في هذا الاتجاه عملاً صادماً موجود على وجه الخصوص في كتابها **النمو السوي والمرهني**.

ج) - نقول أخيراً إن هذه الجماعة من المحللين النفسيين يرتبط اسمهم بوصف النزاعات بين المنظومات وداخل كل منظومة منها، ويوصف الوظائف المستقلة للأنا. ويبدو أن الإحالة إلى واقع الموت غير مجدية في رأي غالبيتهم إنهم لا يتكلمون مع ذلك على التضخم العذواني للبيبدو فحسب، ولكنهم يتكلمون حتى على غرائز عدوانية. وهم يأخذون بالحسبان أيضاً، إذ يستنون إلى النظرية الفرويدية في نزاع الصفة الجنسية أو نزاع الصفة اللبيدية ليصفوا تغير الهدف، على سبيل المثال في التصعيد، نزاع الصفة العدوانية. وبالتالي، يأخذون بالحسبان قطاعات من الأنا تسهم في وظائف التكيف لديها، بوصفها في الوقت نفسه قطاعات تخلو من النزاعات، فالحاجة إلى التكامل بين التحليل النفسي وعلم النفس، التي وجد هؤلاء المؤلفون أنفسهم في مواجهتها، ربما تشرح الأوصاف التي يبدو أنها تقود إلى دراسة السيكولوجيا التحليلية النفسية للأنا أكثر مما تقود إلى دراسة ميتاسيكولوجيا الجهاز النفسي كما رسمها فرويد.

وأن كانت النظرة النقدية التي ليس بوسع المرء أن يمتنع عن أن يعارض بها هذه التصورات، فإن قيمتها التكوينية تظل كبيرة عندما يكون المقصود فهم نمو الطفل وصحوباته.

٢- أعمال فرويد

ثمة تيار معارض كل المعارضة وسم بسمته تاريخ التحليل النفسي، مع أنه ينتمي أيضاً إلى هذه الاستمرارية التكوينية. إنه ينشد أن يرسم الخطوط الكبرى على نحو أبكر كثيراً للعمل الوظيفي لجهاز نفسي يتمايز تمايزاً مبكراً جداً.

وسنرى نشوء هذا الجهاز لدى س. فرويد الذي يوضح مجدداً، في المقال المذكور في هذا الكتاب، تلك العلاقات بين الهوسية والعالم الخارجي الذي تؤثر فيه الفكرة أو التفريغات الحركية. وتكشف دراسات حديثة جداً (ج. كستنبرغ - ١٩٧٦) عن القيمة الجسدية الكبرى لهذه الفروض، عندما يبيّن هذا المؤلف الأخير أن إيقاعات الرضيع الحركية هي الشهادة الغضلي على التشابكات مع أمه. فالاجتياف التمثلي ممكن، كما يقول فرويد، إذا كان العالم الخارجي، أي الأم، يستجيب لهذه التفريغات التي تتخذ معنى لهذا السبب.

وتعترف ميلاني كلاين، فيما يخصها، بالدين الذي تدب به لفرويد ولكارل أبراهام على حد سواء.

٣- الجدل بين ميلاني كلاين وأنا فرويد

كل ما يحدث التوتر ويكون مسقطاً على الموضوع يكون الأنا في رأي كل الذين تبنا آراء ميلاني كلاين (إنه موقف يختلف جزئياً عن موقف فرويد الذي كان يرى في هذا الإسقاط أصل الواقع الخارجي). كذلك الإدراك الأول ثمرة دمج الثدي.

وتعترض هذه النظرية فكرة استمرارية تكوينية تختلف اختلافاً كبيراً عن الفكرة التي وصفتها المدرسة التي سبقتها مدرسة أنا فرويد

(١) - لأنها تستند إلى بعض الإحالات إلى النضج، ولكن استناد لا يخلو

من بعض السذاجة (وهي فكرة يستأنفها في أعماله كارل أبراهام الذي كان يرى أن التنظيم الدافعي يتعدّل جزئياً مع تقدّم النمو). كان يصف على سبيل المثال مرحلة سانية قموية تعاصر ظهور الأسنان)

(ب) - لأن التوحّدات الميكرّة تحدث مع موضوع جزئي وفق نظام الاجتياف والإسقاط الذي أشرنا إليه إنه نظام لا ينطوي على انشطار الأنا، وفق وصف فرويد، وصف إنكار الخصاء، ولكنه ينطوي على انشطار الموضوع إلى طيب وريء، وذلك ما نسميه ميلاني كلاين وضعاً زهانياً، الوضع الفصامي - الذهاني الهذائي (بارانويا)

(ج) - عندما يتعرّف الطفل، في رأي ميلاني كلاين، نوام الموضوع الأمومي، نقوده استيهاماته للموضوع الرديء، الواجبة الإسقاط إلى استيهام إصلاح الموضوع الكلي، وتلك مرحلة تسميها ميلاني كلاين الوضع الاكثنايي.

وهكذا تولد الأنا الأولى من هذه اليول المتناقضة، التي تعبّر عن صراع دافعي الحياة والموت، إلى فن ينتظم القلّو في اتجاه الأعراض العصابية.

ويندرج عمل فيربرن في منطلق هذا الوصف الذي يمنح الموضوع المكان الأولي. وفي رأيه أن مفهوم الدافع يصبح غير مجدٍ في نهاية المطاف، ولا المفهوم المرتبط به. أي آلية التكرار الذاتية. فالموضوع، جيداً كان أو رديئاً، موجود في الواقع ومستدّخل. والأنا العليا (بواقع الموت، كانت ميلاني كلاين تقول) موضوع رديء في الواقع. والأنا فتاج هذا الأيض ذي العلاقة بالموضوع، والهو هو الجزء المكبوت من الأنا. والواقع أن الكبت لا يعمل ضدّ الدوافع، بل ضدّ الموضوعات الرديئة أو الأجزاء من الأنا التي سهمت في صياغتها.

وبوسعنا أن نقول إن الهو (الذي يسميه فيربرن الأنا الليبيدية) ليس له أية فائدة في هذه النظرية، حيث لا تؤخذ بالحسبان خصائص الليبيدو.

وإذا كان المرء يحاول أن يفحص سلسلة انقراية بين هذه الدعاوى، فإن بوسعنا أن يتابع الاسنعرارية التي تمضي من فورنزي والدرسة الهنغارية إلى

بعض المؤلفين المعاصرين. ويتكلم بالآن، على سبيل المثال، على تعلق الموضوع دفعة واحدة وعلى العاطفة الإقيانوسية التي يفسح لها المجال في إعادة البناء التحليلي النفسي للعلاج. ومن هذه العاطفة - ومن عم دراسة السلوك الحيواني العفوي (الإيثولوجيا) - إنما ينطلق جون باولبي ليصف تصرفات التعلق (جون باولبي - التعلق) وسيصف إثر هيرمان، في بودابست، غريزة بقوة تتجنى بسلوك التعلق والتشبث.

فلتأكل مفهوم الدافع، كما نرى، نتيجتان متباينتان ولكنهما لا تتناقضان إلا في الظاهر: الموضوع يحتل المكان الأول لدى الكلاينيين؛ إنه موجود دفعة واحدة وهو ثمرة صراع الفرائز، أي الميل إلى الإسقاط وإلى الاجتياف. أما لدى أتباع المدرسة الهنغارية، فإن التعلق موجود دفعة واحدة ويكفل التنظيم الدافعي الذي يبني الهو والأنا

٤ - تطور الأنا العليا

سنحاول أن نيسر قراءة النصوص المنشورة الخاصة بالأنا العليا، إذ نعرض أيضاً الاتجاهات التي ترسم فيها.

١ - تطورت أفكار فرويد عن الأنا العليا كثيراً. ورأينا أننا أن فرويد، في دراسته النرجسية (فرويد - النرجسية منخل)، كان يصف إسقاط النرجسية الأولية (والثانوية) على الأبوين، وتلك حركة ستكون موضع اعتراف أنها جانب من جوانب التوحّد المبكر لسببين: من جهة، في إطار إشكالية الملك والوجود، تعبّر إشكالية «أن يكون الطفل مثلاً» عن التخلي عن الملك وتطوي مسبقاً على مفهوم أخلاقي أولي بواسطة رب إضفاء الصفة المثالية، ومن جهة ثانية، في سلسلة التوحّدات الإسقاطية. ويمكن أن يُنظر إلى إسقاط النرجسية على الموضوع من زاوية أهمية الذات والرقابة، وهما مفهومان نمرتجان بدنيان للوعي ومثال الأنا الذي لا يتصف بأنه مرجع بمعنى وظيفة منعزلة من وظائف الجهاز النفسي، ولكنه مكون لما سيصفه فيما بعد باسم الأنا العليا.

ولكن وصف الأنا العليا بشكل جزءاً من الموقعية الثانية كما سنرى في نصّ المحاولات المدروسة في هذا الكتاب ففرويد يصف في هذا النص من جهة أخرى جذور الأنا العليا ويذكر أن رقابة الضمير هي المثل على الأنا العليا. وأن للوجدان الأخلاقي يشير هو مثال الأنا الذي تُصَفى عليه الصفة الشخصية.

وتتضمن الأنا العليا، عامل الكبت، جزءاً لا شعورياً في هذا النص. إنها حامل المقتضيات التربوية وتمثل الجزء الاجتماعي من توحيدها (س. فرويد - **السيكولوجيا الجماعية وتحليل الأنا - ١٩٢١**).

وشمة تياران من الأفكار عدلاً هذا التقديم الخاص بفرويد. وبوسعنا أن نجد آثاراً لهما في نصوص سابقة.

(أ) - فمن جهة، أهمية التوحّدات الثانوية والمتمايزة في ذروة عقدة أوديب التي تتحلّ بواسطة. والأنا العليا، من وجهة النظر هذه، راسب هذه النزاعات وتعبّر كالأوديب عن الجنسية الثانية، الأوديب الإيجابي للاب من الجنس المقابل، والأوديب المعكوس للاب من الجنس نفسه. فالأنا العليا وريثة الأوديب المعكوس بالحري لتحلّ مسألة الإنتمية التي تحدّها تعنيات غشيان المحارم وهكذا تعبّر بلسان الأب عن أمر مزيج: «ستفعل مثلي - موضوعك المثالي» (أوديب المعكوس - مثال الأنا): «ليس لك الحق أن تفعل مثلي» (أوديب الإيجابي والذي يغشى المحارم - أنا عليا بالمعنى الحقيقي، أي التي تفرض القصاص).

(ب) - ومن جهة أخرى، فكرة أن نزاعات النمو هي وريثة تاريخ متوّن من ناحية تطوّر النوع في لا شعورنا. إنها دعوى الطولم والتابو (س. فرويد، ١٩١٣) حيث تنبؤ الأنا العليا ممثل الأب الذي قتله أبنائه المجتمعون ليزيلوه ويتقاسموا النساء فيما بينهم.

ولهذه النظرية نتائجها في مؤلّفين سياسيين سوسولوجيين لفرويد، مستقبليهم (١٩٢٧) و **عسر في الحضارة** (١٩٢٩). كتاب سيبتين نصّ مستخلص منه مستعار في هذا الكتاب تلك القراءة التي يصفها س. فرويد.

ويقوم فرويد، في هذا المقال، تلك الاستمرارية بين الخوف من السلطان والخوف من الأنا العليا. فالإشمية تحدد النوم في الحالة الأولى؛ وليس ثمة شيء يمكنه أن يتخطى عن الإشاعات التي تقتضيها الإثارة الدافعية.

ومن وجهة النظر هذه، وأياً كانت ضروب تقدم الحضارة، الكامنة في أنها تقودنا إلى أن نتخطى عن جزء من ملكياتنا المكتسبة بصورة عدوانية، فإن أهمية دافع الموت ونتائج ما زوخيتنا الأساسية مما ما مما عليه بحيث أن الأنا العليا تتساقط لحسابها كل العدوانية. فنكافؤ الضدين الأولي ينضمّن الثنائوس (دافع الموت) في الواقع، وذلك أمر يجعل فرويد ريبياً فيما يخص إمكاناً مفاده أن نتخطى الإثارة عن الحرب (س. فرويد - مراسلات مع أنشتاين - ١٩٢٣). ومن هنا منبت الصيغة التالية الأنا العليا هي زراعة غريزة الموت.

٥- سيكولوجيا الأنا

٢ - أكبر مناصرو المدرسة التكوينية أيضاً (سيكولوجيا الأنا) على أن يوضحوا تطور الأنا العليا التي، في رأيهم كما رأينا، تتمايز وتمارس مفعولاتها التامة عند انحسار الأوربي.

ويُسهم رونيه سببتر مع ذلك، إذ يصف المراحل الأولى للعلاقة بالموضوع، بعناصر تتيح استنتاج وجود قوى الأنا العليا، كما فعل إ. غلوفر بالنسبة لنوى الأنا. وهذان المقالان سيكوئان موضع معاينتنا فيما بعد. أما فيما يخص مقال سببتر، فإنه يستند، بين ما يستند إليه، إلى الدراسة التكوينية لأداء التفكيك، وحركة الإنكار وقد رُوي فيهما خلال زمن طويل، وعلى نحو يدل على التبسيط، ضرباً من تقليد الحركات التي تدل لدى الأم على التحريم، وهكذا تسبق مرحلة التقليد مرحلة المعارضة. وهذا الغرض، المستمد من دراسة السلوك، يمكنه أن يجد نفسه وقد حلت محله نظرية رونيه جيرار الذي ينقد أعمال التحليل النفسي التي تتناول تلك الرغبة التي تطبع علامتها على العلاقات بالموضوع، باسم فرضه المؤسس: فرض المحاكاة، أي التقليد في انتمك (ر. جيرار - هذه الأشياء الخفية منذ تأسيس العالم - ١٩٧٨)

ويمتدح هذا الكتاب الحديث مقال رونه سبينز كل مذاقه، مقالاً يبين أن هذا التقليد المزعوم ليس سوى البديل المرحد بالأم التي نحرم - أو تحبط، أو الفانية، المشوذة والمسنوومة، انطلاقاً من الفعل المنعكس العتيق، النموذج البدني والمؤقت للتنقيب. والمقصود هذا السلوك الذي به يبحث على نحو من الأتجاه، وليد الإنسان، الذي تضعه أمه - أو أي راشد آخر - بين ترابعيها، عن حلمته (منعكس الجنود). وهكذا يكون بوسع سبينز أن يتكلم على أولية الأنا العليا - أو مثال الأنا - في التبادل المادي الذي يستقر بين الأم ورضيعها منذ الولادة.

٦- الدراسة التكوينية للأنا العليا

يقترح جوزيف ساندر قراءة دقيقة لتأليف فرويد، الذي يتيح تأسيس دراسة تكوينية للأنا العليا. ولا يتكلم فرويد (١٩١٤)، في مقاله، مدخل إلى النرجسية، على «مثال الأنا» فحسب، كما يُقال غالباً، وهو أيضاً مرجع مراقبة فعال في رقابة الحلم على سبيل المثال، ولكنه يتكلم أيضاً على «الأنا المثالية» التي تختلف عنه. وهذه الدعوى كان لاغاش قد اقترحها. ويقال إن الأنا المثالية يمكن أن تُوظف توظيفاً نرجسياً. ويكتشف ج. ساندر، في الموقعية الثانية، تشابكات بين الأنا ومثال الأنا تكون شهيداً لتمايز الأنا العليا من خلال التطور الأوديبي. ويعد أن سيرورات نزع الصفة الجنسية تتيح انتشار كل ما يستوهم باسم العبدان، وبذلك تخفي الأنا العليا وتضفي عليها الاستقلال وتصبح الأنا، في الجزء الأخير من التأليف الميتاسيكولوجي لفرويد (الكف، العرض والحصر - ١٩٢٦)، الخادم الحقيقي للأنا العليا التي يعترف بأهميتها الحاسمة في مستقبلهم وفي عصر في الحضارة

٢ - تلح القراءة التكوينية للأنا العليا، كما سنخيل، على جوانبها المبكرة. ويصف المؤلف الأول، س. فورتزي، في دراسته التي احنواها هذا الكتاب، على جوانبها النموذجية الأصلية، التي اشتهرت باسم أخلاق الصارات واكتشفها في ممارسته التحليل النفسي، الفاعلة، حيث كان يضرب على سبيل المثال إلى مرضاه أن يحجموا عن القبول، وقاده الخوف الذي تثيره هذه النصيحة إلى أن

بفهم أن بعض تكوينات الطبع كانت ذات علاقة بهذا الصراع الذي دار من قبل في الطفولة وبدا له أنه يسوغ نظريته الخليل من جانبين التي كان التوظيف الحالي الشرجي بحسبها يتحول إلى الدروب التناسلية وكان ممكناً أن تجد صعوبات قدف المتى في ذلك جذورها. ومن هنا منشأ الإلحاح على أهمية ما يسمى التربية قبل التناسلية. وكان كارل أبراهام أيضاً قد بين التناقض وتعاقب اللذة الناجمة عن طرح الغائط، ثم عن إمساكه على وجه الخصوص وثمة تكوينات تكهنية أو تثبيطات على هذه الأطوار يمكنها إذن أن تدل من خلال الحياة، على وجود بشارت الأنا انعلبا. فأخلاق العسارات ما تزال نصف فيزيولوجية.

والنسخة الكلاينية للأنا العليا المبكرة أكثر رابكالية أيضاً. فالأنا العليا تختلط بالأم السيئة في سيرة انشطار الموضوع التي تصفها وصفاً جيداً في المقال المنشور في هذا الكتاب، فسيكون ثمة ضرب من التكافؤ بين واقع الموت، التوحد الإسقاطي، الأم السيئة والأنا العليا المبكرة. وتلك هي قراءة هذه الحياة الاستيهامية والمضغية للذهان حيث نرى ميلاني كلاين عاقبة الحرب بين بواقع الحياة وبواقع الموت.

وكان إ. جوتز قد ربط من قبل أهمية الإسقاطات المبكرة بدوام العنوان وتكلم على «الكف قبل المؤلم».

٧- الذات والذات المزيفة (Faux - Self, Self.Sun)

تقودنا هذه الاهتمامات، على سبيل النتيجة، أن نطرح على أنفسنا مشكل العمل الوظيفي النفسي كما يمكن أن تحديه الاهتمامات الموقعية

وأينما في أكثر من مناسبة. أن عزل منظورات الموقعية عن الاهتمامات الدينامية والاقتصادية، التي تحدد كل حالة وكل إنسان، كان صعباً أو متعزراً.

ولكن بوسعنا أن نتساءل في أيمننا هذه إن كانت النسخة الثلاثية للبنية النفسية كافية بالنسبة لنا. فالنرجسية وأسلوب العمل الوظيفي المرتبط بها

يكونان إحالة لاغنى عنها. أيتيفي أن نرى فيها مرجعاً رابعاً هذا هو ما يقترحه ب. غرايترجر (الترجسية - ١٩٧١). في نسخته ضد الواقعية لهذه الخاصية من العمل الوظيفي النفسي

ويتيفي للقراءة السريعة لنظرية التحليل النفسي أن تقودنا إلى أن نطرح على أنفسنا مشكل علاقات هذه الترجسية، كما يحددها هذا المؤلف، ب. الذات (Soi) أو ما يُسمى في الانجليزية Self. والمقصود بذلك فكرة، إن لم يكن مفهوماً مستخدماً على وجه الاحتمال مع مقاربات متجاورة، بل متشابهة، في مدارس مختلفة.

إذا ترجمنا كلمة Self الانجليزية بكلمة Soi الفرنسية، فإن علينا أن نطرح على أنفسنا السؤال حول استخدام الكلمة الفرنسية «ا» (الهو)، وهي ترجمة الكلمة الألمانية Es التي اقتبسها فرويد من غروديك، فلنذكر بهذه المناسبة أن المترجم الفرنسي كان قد ترجم «der ich und da Es» بعد «Le Moi et le Soi» (الأنا والذات وليس الأنا والهو). وهذا المشكل الدلالي غير بسيط

١ - الواقع أن مدرسة التحليل النفسي التكوينية للأنا، المتجمعة حول هـ. هارتمان، تصف حالة لامتمايزة للهو (a)، ومن هذه الحالة اللامتمايزة تنبثق المراجع الثلاثة (الهو، الأنا والأنا العليا) في الموقعية الثانية. فهل Self (الكلمة الانجليزية التي تترجمها «الذات») الموصوفة فيها ناجمة عن الهو (a) استقبلي أو عن الأنا؟ إنه مشكل يهـمب حله. إن Self تنتمي، على المستوى الفينومينولوجي، إلى الحقنة التكوينية للأنا، تسبقها مرحلة يتبعها الاعتراف فيها بين الذات والذات (Non - Soi/Son) ليلوغ الأنا الشخصية الـ.

وهذه الترجمة هي العتمدة على وجه الضبط في نظرية م. مبلر الذي يصف سيرورة التفرد - الانفصال امتلاقاً أول الأمر من دراسة الأذهان لدى الطفل (م. مبلر - ١٩٦٨).

ونضة زمن أساسي في هذه النظرية هو زمن التمايز بين امتثال الموضوع وامتثال الذات

٢ - ربط هـ. كوهوت (الذات - ١٩٧١) في وصفه العيادي بين «الذات العظيمة» وأمراض النرجسية التي من أجلها يوصي ببعض الترتيبات التقنية للعلاج النفسي

٣ - د. وينيكوت (من طب الأطفال إلى التحليل النفسي - ١٩٦٩) يعود في عدة مناسبات إلى الذات Self التي يجعلها نتاج هاجس الطفل يصده أمه في طور الاكتنائي. ويمكننا القول أن Self تعادل في رأيه عاطفة وجود مستمرة توضع موضع الاتهام في أمراض «الذات المزيفة» (Faux - Self)

هذه اتسخ المختلفة من النرجسية والذات (Self أو Soi) وعاضفة الوجود، تدلّ من خلال تباينات لا ينبغي إهمالها على اهتمام مشترك خاص بهذا الأسلوب من العمل الوظيفي الذي ليس أقل أهمية من الأسلوب الذي ينتظم تحت مظلة العلافة بالموضوع.

إننا أردنا أن نبدل بهذه الإحالات الموجزة على أن الميتاسيكولوجيا والعمل الوظيفي للمراجع النفسية لا يمكننا أن ندرسهما إلا باللجوء المستمر، المتبادل والمتقابل، إلى الوثائق العيادية والإرصانات النظرية. وبين مجموع الأعمال المأخوذة بالحسبان في هذا المؤلف، على أي حال، أن تطور النظرية الفرويدية نفسها أفسح المجال لوجهات نظر متممة، متناقضة أحياناً، لا تدعو إلى ضرب من الانتقائية والتي أن يجعل منها منظومات مغلقة، موصوفة بسداجة في علاقاتها وصراعاتها.

الأستاذ سرج نوبوفيشي

الجزء الأول
مجالات الشخصية
المقاربات الأولى

الفصل الأول

أماكن الفكر

مقدمة

تفسير الأحلام^(١)، المنشور نهاية عام ١٨٩٩ ولكنه المسوّخ عام ١٩٠٠، هو التأليف الأكثر أهمية دون ريب لفرويد باعترافه نفسه. إنه يكتب على هذا النحو، في المقدمة للطبعة الثالثة الانجليزية: «لا يقدم لنا القدر مثل هذه الرؤية إلا مرة واحدة خلال الحياة». ويضيف، بعد ظهور الكتاب، أنه «هو الذي كان، في أثناء ساعات كثيرة من الحزن، ضرباً من مؤاساة التفكير التي كان هذا الكتاب قد خلقها بعده».

ويحتوي مع ذلك هذا الكتاب، الذي مرّ من غير أن يلفت النظر، احتواءً في الحالة الجنينية، غالبية الأفكار الرئيسة التي يفتسّس عليها التحليل النفسي. ولكن فرويد - وذلك ذو علاقة مباشرة بحديثنا - يقدم فيه أيضاً، في الفصل السابع الذي يعرفه المحلّون النفسيون معرفة جيّدة، نظريته الأولى للجهاز النفسي، التي «حرّرها كما في الحلم» يقول، واقتضت منه جهوداً كبيرة وهذه النظرية الأولى تسمى أيضاً «الموقعية الأولى» والواقع أن الجهاز النفسي يتألف، في رأي فرويد، من منظومات متمايزة، تتابع في نظام محدد؛ فكل منظومة منها تتكوّن إذن «مكاناً» نفسياً (Ich) تعني «مكاناً» في اليونانية)

(١) انظر: فرويد، «تفسير الأحلام»، ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤

فثمة بالتالي «فسحة» نفسية، أماكنها هي، في المستخلص من كتاب تفسير الأحلام الذي سنكتشفه أول الأمر، اللاشعور، قبل الشعور، والشعور ويفصل اللاشعور عن قبل الشعور حاجز الرقابة. وثمة رقابة أخرى تمنع قبل الشعور من أن يصل إلى الشعور. ويرتفع حاجز الرقابة في بعض المناسبات وعلى نحو تفضيلي (على الرغم من أنه يُفتح جزئياً) خلال النوم، وبنين المحتويات اللاشعورية. كما سنرى، في الطم (الدرب الملكي للاشعور)

من خلال تحليل فرويد أحلامه الخاصة إنما يباشر تحليله الذاتي. وانطلاقاً من حلم «الطفل الذي يحترق» إنما يصوغ فرويد فروضه في «بنية الجهاز النفسي وحركة القوى، وتمفصل مختلف المنظومات (أو الأماكن) التي يتألف منها».

ويحدد فرويد أيضاً أسلوب العمل الوظيفي النفسي السيرورات الأولية المرتبطة بمبدأ اللذة والسيرورات الثانوية المرتبطة بمبدأ الواقع وسنجدها مجدداً في الجزء الثاني من هذا الكتاب فلنوضح مع ذلك أن السيرورات الأولى تنطبق على العمل الوظيفي لمنظومة اللاشعور، والثانية على العمل الوظيفي لـ قبل الشعور = الشعور. وتجري الطاقة النفسية في الأولى دون عائق، وتخضع لآليات الانزياح^(٦) والتكثيف^(٧). وكذلك للترباطات بالاقتران، ولا نعرف السيرورات الأولية نفيماً ولا تقاضاً، ولا زماناً، ولا مكاناً، ولا سببية. ونقول باختصار: لا تخضع لمبادئ المنطق.

وبالمقابل، تُسمى الطاقة في السيرورات الثانوية، مرتبطة بها تمثل لطرق غير المباشرة والتسويات الأكثر أهلاً لتأمين الإشباع مع أخذ الواقع بالحسبان أما الترباطات. فإنها تقوم على التمشاهة ويقول أخيراً إن السيرورات الأولية ومبدأ اللذة ثنائي يتعارض مع اثنتانى المكون من السيرورات لثانوية ومبدأ الواقع.

١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١

وينشر فرويد، بعد خمسة عشر عاماً من ظهور تفسير الأحلام، مقالاً عنوانه «اللاشعور»، ويطور، في الفاصل الزمني، تصوّره للكبت⁽¹⁾، والمقصود به آلية دفاع يحاول بواسطتها الفرد أن يعيد إلى اللاشعور، أو يصون في اللاشعور، امثالات، أي أفكاراً، صوراً أو ذكريات ترتبط بالدافع وتدخل هذه السيرة عندما يكون إشباع دافع من النوافع في نزاع مع مقتضيات أخرى، أخلاقية على سبيل المثال.

وعندئذ إنما تستنفر الرقابة، فمن أي شيء يتكوّن إذن، في هذا المنظور، اللاشعور الذي يشغلنا؟ إنه يتكوّن، من جهة، من هذه الامثالات المرتبطة بالنوافع التي ترفض الرقابة أن تمرّ حتى الشعور عبر قيل الشعور؛ ويتكوّن، من جهة ثانية، من الامتثال التي حدث لها، في لحظة معينة، أنها بلغت قبل الشعور، ولكنها كانت قد أرجعت إلى اللاشعور. وأخيراً، يتضمّن اللاشعور أيضاً نتائج ما يسميه فرويد الكبت الأوّلي (أو الأصلي) المؤلف من تكوينات لم تكن قط قد بلغت قبل الشعور.

وتؤلف هذه التكوينات نواة لاشعورية يمكن أن نفترض أنها فطرية. وتجذب هذه النواة إليها على غرار مغناطيس، خارج الأماكن الأخرى من الجهاز النفسي، عدداً معيناً من الامثالات، المطبوعة في اللاشعور منذئذ وهذه السيرة، الناجمة عن اللاشعور، تُضاف إلى عمل المراجع (أو البنيات) العليا (مثل تلك الرقابة المزبوجة في اتصوّر الفرويدي الأول للجهاز النفسي) التي تنبذ الامثالات غير المرغوبة. وهذا هو ما نسميه الكبت الثانوي.

وفي مقاله المخصّص لـ «اللاشعور» يجعل فرويد، بين أمور أخرى، «توظيف الكلمات» مقابلاً لـ «توظيف الأشياء» هذه التكوينات البديلة. (كالأفعال الخائبة وزلة اللسان أو القلم والنكات. على سبيل المثال)، التي ينبعث مكان المحتويات

(1) البط كبت نظام الدفاع. تصور من هذه التصورات.

المريض، هي البديل الرمزي للفعل الجنسي وتوظيف الأسماء (العلاقة بالموضوعات) مضان بالتالي. والكبت وحده يمنع الفرد من أن يفهم معنى القسر لديه والواقع أن الامتنان الشعوري يتكوّن من امثال الأشياء وامثال الكلمات المرتبط به. أما «الامتنان اللاشعوري فهو امثال الأشياء وحده».

ويعرض فرويد أيضاً في مقاله «اللاشعور»، أسباب ظاهرة خاصة بالعلاج فقد يحدث في إطار تحليل. في الواقع، أن المعالج ينقل إلى المريض معنى امتثال مكبوت، بوزن أن يحصل تغير بارز، على عكس ما يتكوّن بوسع المرء أن يتوقع: فإذا أصبح الامتنان اللاشعوري شعورياً، فذلك لا يقضي إلى أن يزول الكبت.

ولدى المريض من الآن فصاعداً امتثالان، يشكلين مختلفين، وفي مكانين من جهازه النفسي. إنه يحتاز أثراً سمعياً، الأثر الذي تركه التفسير المنقول بواسطة المطلّ، على المستوى الشعوري. ولكن الذكرى اللاشعورية تظلّ إلى جانب هذا الأثر، سليمة لم تُمس. ذلك أن «إلغاء الكبت لا يتدخل قبل أن يدخل الامتنان الشعوري في علاقة بالأثر التذكيرية اللاشعورية عندما يتغلب على المقاومات». بقول فرويد. وهذا إنما هو ما نسميه **التنوين المزنوج**.

فلنؤكد منذ الآن، أخيراً، واقعاً ذا أهمية لفهم هذا الكتاب: «الموقعية الثانية» (الهو - الأنا - الأنا العليا) للجهاز النفسي لن تلغي أبداً. بالنسبة لفرويد، موقعيته الأولى (اللاشعور - قيل الشعور - الشعور) وتستمر الموقعية الأولى دائماً بوصفها «فماشة الخلفية»، يمكننا القول فالهو، على سبيل المثال، لا ينبغي أن يختلط باللاشعور: بعض الأجزاء من الأنا والأنا العليا لاشعورية أيضاً.

النص الأول

ثمة حلم، بين الأحلام التي رواها المرضى لي، حلم يستحقّ انتباهاً خاصاً. إنه نُقل لي من مريضة سمعت بريري في محاضرة عن الحلم؛ ولا أعني عن وجه الصبغ ما صدره؛ ولكنه أحدث في هذه السيدة انطباعات بحيث أنها سأرت إلى الحلم به بتدريجها، أعني استعددت بعض العناصر منه في حلمها، لتعبّر بهذا التحويل عن موافقة معينة.

ومعطيات هذا الحلم هي التالية: سير أب ليلا وبهزار، خلال زمن طفول، قرب سرير صغله المريض ومضى يسريح، بعد موته، في غرفة إلى حجاب غرفته، ولكنه يترك الباب مفتوحاً ليكون توسعه أن ينظر، من غرفته، إلى الغرفة التي يوجد فيها حتمان ابن مسجى في الثبوت، المحاط بشموع كسرة. وكان شيخ قد عيّد إليه بالسهر على الحتمان، وهو جالس قرب الجثمان ويتمتم صدوات. ويحلم الأب، بعد بضع ساعات من النوم، أن الطفل موجود قرب سرير، ويمسكه بذراعه، فيدمدم بلهجة زاخرة باللوم: «ألا ترى إذن أسي أحرق؟». ويستيقظ الأب، وينبش نوراً قوياً صادراً من غرفة الميت، ويسرع إليها، ويحد الشيخ غافياً، وانكفن ذراعاً من ذراعي الجثمان الصغير محترقين بفعل شمعة كبيرة وقعت عندهما.

وشرح هذا الحلم بالتلمس بسسط إلى حد كاف، وأرى، وفق ما فاستهني مريضني، أن المحاضر قد أتقن تقديم هذا الشرح. وانتور القوي جداً كان قد بعد إلى غرفة الأب التاتم من الباب المفتوح وأوحى له النتيجة نفسها التي أدت إلى أنها انتزعته من نومه، أي أن سقوط شمعة كان قد أحدث حريقاً قرب الجثمان بل ربما كان الأب قد نام يوماً ما توافقه الخشبة من أن الشيخ لا يفر التيام بمهنته.

وليس لدي شيء أعترض به على هذا التفسير، إن لم يكن ما معاده أن نسبة تحديد متضاد العناصر دون شك¹⁴: ببغني ليقول الطفل أو يكون مؤلفاً من كلام قائله فعلاً في أثناء حياته. كلام يرتبط في ذهن أبيه بأحداث ذات أهمية: ربما قال الطفل: «أنتهب» (من الخمي، خلال مرضه الأخير)، وربما قال أيضاً: «ألا ترى إذن، يا أبي؟» بمناسبة حدث آخر تحبته، ولكنه لا بد من أنه كان يتبر المتأخر.

ولكننا إذا سلمنا أن الحلم، سيرورة معقولة، تكته أن يدرج اندراجاً منطقياً في سجوى التجربة النفسية، فإن توسعنا أن ندهش من إمكان وجود حلم حيث كانت بقطة سريعة تعرض نفسها وتبكتنا أن نجيب. حتى هذا الحلم بخازرعه.

¹⁴ انظر المحاضرة في علم النفس، ص 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

فالطفل الميت يسلك فيه كجنا لو أنه حي، ويخطر هو بنفسه أباه، يأتي قرب سريره ويشد من ذراعه، كما يجب عليه أن يعمل في ظرف من الظروف التي تصدر منها الكلام الذي قيل في الحلم، وأطال الأب لحظة نومه الذي يشبع رغبته إذ يظهر له ضمنه حياً. وننحده مزياً، في الفكر المستبطن، أنه أظهره أنه أنه لا يزال حياً مرة أخرى. ولو أن الأب استيقظ في الحال، لاختصر عنى هذا النحو حياة طفله خلال مدة الحلم كلها.

١ - أضواء جديدة على الفكر الإنساني

وسرى فوراً من أي جانب يعيننا هذا الحلم التصغير. ذلكم حلم لا يطرح أي مشكل من التفسير، معناه سهل المثال مباشرة، ونلاحظ مع ذلك أنه ما يزال يحتفظ بهذه السمة الأساسية التي تفصل فصلاً بارزاً أحلام الفكر المنطق وتقتضي شرحاً.

وقد لا يكون عديم النفع أن نتساءل، قبل أن ندلف في هذا الاتجاه، إن لم يكن حتى الآن قد أغفقت شيئاً عاماً. والواقع أن الجهد الذي ينتظرنا أكثر مشقة. فكل السبل التي سلكناها حتى هنا قادتنا إلى حلول واضحة ومرضية - وسنمضي الآن صوب الظلام. وينعذر علينا أن نشرح الحلم بوصفه ظاهرة نفسية، ذلك أن الشرح يعني أن ترد إلى ما هو معروف مسبقاً، والحال أن أي مفهوم سيكولوجي يمكننا أن نخرج تحته العناصر الأساسية التي تُستخلص من الفحص السيكولوجي حلم، لا وجود له حتى الآن. وسنستاق، على العكس، إلى أن ندلي بفروض جديدة فيما يخص بنية الجهاز النفسي وحركة قواه، وينبغي أن نعنى عناية كبيرة بحيث لا نوسع نكهاتنا توسعاً يتجاوز التمهيد المنطقي الأول. ذلك أنها ستصبح في هذه الحال غير واضحة كلياً. وحتى لو أننا لا نرتكب أي خطأ في نتائجنا وحتى لو أننا تأخذنا بحسبان كل الإمكانيات المنطقية، فإننا نتعرض على وجه الاحتمال إلى النقص في تركيب العناصر، وإلى العجز، في الوقت نفسه، عن أن نعبد تكويني النحوي. فدراسة الحلم، ودراسة وظيفة نفسية معزولة، عنى نحو أعم، لا يمكنها

أن تقدم بنا النتائج التي عرّبت بنية الفكر في مجموعته وعمله الوظيفي . وليس بلوغ هذا الهدف يمكننا إلا بدراسة مقارنة لمجموعة كاملة من الوظائف والتفاعلات، مجموعة يمكنها إحداها أن تتبع استخلاص العناصر الدائمة . وينجم عن ذلك أن الشروط التي سبقودنا إليها تحليل سيرويات الحلم ينبغي أن تكون مقبولة بصفة مؤقتة، إذا كان بوسعنا أن نقول على هذا النحو . إلى أن يكون بمقدورنا أن نربطها بنتائج بحوث أخرى تسمى، منطلقاً من مسائل أخرى، إلى أن نوضح المشكلات نفسها

٢ - الرغبة المسرحة والمعيشة

ينبغي للمحتم الخاص بالطفل الذي يحترق أن يدكرنا بلغز لا يزال غير محلول . والتفسير ، الذي لم توسع به في الحقيقة حتى نهايته، لم يدكرنا عسيراً . ولكننا نساءنا لماذا كان نمة حلم لا يقظة مباشرة، واعترفنا أن حافز الحلم كان الرغبة في أن يتصور الحاليم أن الطفل ما يزال حياً . وسنرى فيما بعد أن رغبة أخرى أدت أيضاً ضرباً من الدور فغية إنجاز الرغبة إذن أول الأمر إنما أصبحت فكرة اليوم حلماً .

وإذا الغينا هذا الهدف ، فإن فارقاً واحداً يبقى بين النوعين من السيرورات النفسية . ورمي كانت أفكار الحلم أرى نوراً شديداً في غرفة الميت ، ورمي سقطت واحدة من الشموع الكبيرة واحترق الطفل ! وينسخ الحلم دون أي تغيير نتيجة هذا التفكير ، ولكنه يشهد بمشهد نعمة حياً وتذكر معانيه بوصفه حدث المعيشة . ولكن في ذلك إنما تكمن منته الأعم : إن فكرة رغبة على الأغلب ، تصبح موضوعية ، تسرح ، وتعايش .

وكيف تُسرح هذه الخاصة لعمل الحلم^(١) ، أو ، على نحو أكثر تواضعاً ، كيف ندخلها في تسلسل السيرورات النفسية ؟

(١) مجموعته من الدراسات التي تحمل عنوان "الحلم المعيشة" ، لقاء من المبدأ . أفكار الخيال التي تسرح المعيشة لتصور أحد الأناصر وحدثت في نفس . معناه التحليل النفسي . السيرورات الخيالية التي تسرح

وسنعترف ، إذا أشبعنا التحليل درسا ، بسمينين مستقلتين إحداهما عن الأخرى في مظاهر الحلم . إحداهما تصوير المشهد بوصفه حاليًا ومع إعفان الزمان^(١٠٠) والأخرى تحوُّر العكزة إلى صور بصرية وإلى فزل .

٣ - زمن الحلم : الحاضر

التحوُّر ، الذي يترأ على أفكار الحلم يجعل مفاده أن التوقع الذي تعبَّر عنه يوضع في الزمن الراهن (الحاضر) ، يُدعش المرء في هذا الحلم أقلَّ مما يدعشه في الأحلام الأخرى . وذلك مصدره الدور احصاء والعرضي ، وهذا مخالف للمألوف ، الذي يودَّه فيه إنجاز الرغبة . فلنضرب مثلاً حلم آخر حيث الرغبة لا تكفَّ تلاحق في النوم فكرة العشية ، حلم حَقَّق إبراهيمًا على سبيل المثال^(١٠١) . فالفكرة التي تفلح في أن تكون مصوِّرة هي أمنية : أودَّ تمامًا لو أن أوتو كان مسؤولاً عن مرض إبراهيم . فالحلم يكتف^(١٠٢) بالأمنية ويصح مكنها تأكيداً رهنًا : إن أوتو هو المسؤول عن مرض إبراهيم . ذلك إذن هو التحوُّر الأول الذي ينحرف بالفكرة حتى الحلم الذي لا يشوِّه . وعلمنا ألا نتوقَّف عند هذا الأمر . وحسبنا أن نقارنه بالاستيهام الشعوري لحلم النهار الذي يجعل انشيء نفسه تحتواه التمثيلي . فيظل دودد ، السيد جوايوز ، الثناؤه في شوارع باريس في حين تعتقد بناته أن له مكانة وأنه في مكتبه ، يحلم كذلك أنه ، بفصل رعاية بعض الشخصيات ، يفوز بوظيفة : هذا الحلم يجري في الزمن الحاضر . ومعنى النحو نفسه وبالصفة نفسها يتم استخدام الحلم هذا الزمن الحاضر . فالحاضر هو الزمن الذي تتصوَّر فيه الأمنية منجرة

٤ - الفكر ذو المظهر

يدلي فخر العظيم - في كتابه علم النفس الفيزيائي . بعد أن يدلي ببعض الملاحظات عن الحلم ، بالمرض الذي مفاده أن المسرح الذي يتحوُّر فيه الحلم ربما

(١٠٠) انظر بر . هيرود ، تصور الأحلام الليلية ذات الخصائص العرسية . وحدث الأعلام العرب الملكي للاشعور . في المجموعة نفسها

(١٠١) انظر أن يحفظ هذه الأمانة في الأشعور ، المجموعة نفسها (٤)

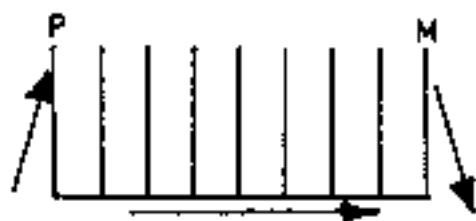
يكون مختلفاً عن مسرح التصور في حياة اليقظة ؛ فليس ثمة افتراض آخر يبيح لنا أن نذهب بخصائص الحلم

والفكرة التي يقدمها لنا هذا الفرص إذ هي فكرة مكان نفسي . فلنستبعد في الحال مفهوم نموذج تشريحي . وثيق في الحقل السيكولوجي ، ولشاول أن تصور الآلة التي تُستخدم في الإنتاجات النفسية بوصفها ضرباً من المجهر المعقد ، جهاز فوتوغرافي ، إلخ . والمكان النفسي يقابل نقطة من هذا الجهاز حيث تتكوّن الصورة . ومن المعلوم أن نقاط تكوّن الصورة ، في مجهر وأنة رصد فلنكية إذا هي نقاط مثالية لا يقابلها أي جزء محسوس في الجهاز . ويبدو لي غير مجد أن أعتذر عن ما في هذه المقارنة من نقص . فأن لا أستخدمها إلا لأفهم تنسيق الآلية النفسية إذ أفككها وأحدد وظيفة كل جزء . ولا أعتقد أن شخصاً حاول أيضاً على الإطلاق أن يعيد تكوين الجهاز النفسي على هذا النحو . فليس ثمة أي خطر في المحاولة . وأقصد أن بوسعنا أن نطلق العنان لفروضنا ، شريطة أن نحتفظ بحكمنا النقدي وأن لا نحسب السقاية هي البناء نفسه . وتسا بحاجة إلا إلى تصورات مساعدة حتى نقرب من واقع معروف ، فأكثر هذه التصورات بساطة وحيّة ستكون الأفضل .

٥ - تخطيطية أولى للجهاز النفسي

فلنتصورَ الجهازَ النفسيَ إذن كأنه سُمِّيَ الأجزاء التي تتألف منها : «مرجع» أو «منظومات» في سبيل وضوح أكبر . ثم فلنتخيل أن لهذه المنظومات توجه مكاني ثابت بعضها بالنسبة لبعضها الآخر ، كما عُدِّمات آلة الرصد الفلكية على وجه التقريب . وليس علينا مع ذلك حتى أن نتخيل ترتيباً مكانياً حقيقياً . وحسن أن يستقر ضرب من التعاقب بفضل واقع مفاده أن الإشارة تجوب المنظومات النفسية خلال بعض السيرورات النفسية وقد ترتب رسمي معين . ونحتفظ بإمكان واحد : هذا التعاقب يمكنه أن يتعدك وفق السيرورة . فلنسمه أجزاء الجهاز المختلفة ، في سبيل إيجاز أكبر . «المنظومات»^{١٧} .

ويدهنت ألرب الأمر واقع مفاده ان لجهاز المؤلف من هذه المنظومات الألتجاهاً . ونحل ذاعيننا النفسية نصلن من منبهات (داخلية أو خارجية) ونفسي إلى مجموعة من الأعصاب . فلنجهاز إذن عنرف حسني وطرف حركي ؛ ويوجد في الطرف الحسي نظام يستقل الإدراكات ؛ وفي الطرف الحركي نظام آخر ينتج ألربا حركية . ونفسي السيرة النفسية على وجه العموم من الطرف الإدراكي إلى الطرف الحركي . فلنخطيطة الأعم لجهاز النفسي ستكون إذن على وجه التقريب هي نخطيطة الشكل (١) .

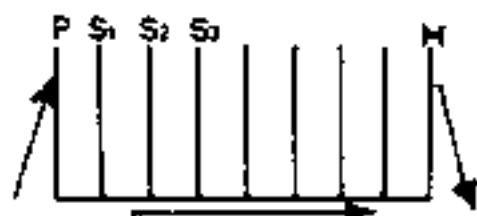


ولكن ذلك فقط إنما هو تحقيق منفضي معروف منذ زمن طويل ، مفاده أن الجهاز النفسي يتكون كجهاز الفعل المنعكس . وبظن الفعل المنعكس فقط كن إنتاج نفسي .

٦ - كيف تتبنت وتجدد الانطباعات الآتية من الخواص ؟

عندنا الآن أن نُدخل تقابراً أول في الطرف الحسي . فإدراكاتنا تترك في جهازنا النفسي أثراً يمكننا تسميته الأثر التذكري (S) . وسمي ذاكرة تلك الوظيفة ذات العلاقة به . وإذا شئنا أن نربط السيرورات النفسية في الحقيقة بنظمنا ، فإن الأثر التذكري لا يمكن أن يكمن إلا في تغيرات دائمة لعناصرها . والحال من الصعوبة مكان ، كما أننا نعلم ، أن نظاماً واحداً ووحيداً يحتفظ احتفاظاً أميناً بتحويلات عناصره ويقدم في الوقت نفسه إمكانات جديدة لتغير في الاستجابة مفعمة بالنشاط دائماً . فينبغي ك إذن ، بغض الجذا الذي يود محاولتنا ، أن نوزع عاملين العمليتين بين نظم محتاجة . وسنترض أن نظام (خارجي) من الجهاز يلقى انبهات الإثارة ، ولكنه لا يحتفظ منها شيء . وليس نه إذن ذاكرة ، وأن خلف هذا النظام

يوجد نظام آخر، يحرك الإشارة المرفقة للنظام الأول إلى آثار دائمة. فنأخذ تخطيطية الجهاز النفسي صورة الشكل (٢).



ومن المعلوم أننا نحفظ، من إدراكنا التي تؤثر في النظام P (الإدراكات)، شيء آخر أيضاً غير المحتوى. فإدراكنا ترتبط بعضها ببعض في ذاكرتنا وذلك أول الأمر بحسب التتابعات الأولى في زمن واحد (المعينة). وتسمي ذلك واقع الترابط. والحال، من الواضح، أن نظام P لا يمكنه أيضاً، إذا كان لا يمتلك أي ضروب من الذاكرة، أن يحفظ بالآثار بنية ترابطها؛ وشتى عناصر P يمكنها صعوبة أن تؤدي وظائفها، إذا كانت بنية من ترابط سابق ينبغي له أن يعوق الإدراك الجديد. فلا بد لنا إذن من أن نبحث عن أساس الترابط في نظم الذكريات باحري. وواقع الترابط يكمن عندئذ في ما يلي: الإشارة تنقل بالبحري، جراء ضروب النقص في المقاومة وافتتاح سبيل أمام أحد عناصر S، إلى عنصر ثانٍ من عناصر S لا إلى عنصر ثالث.

٧ - نظامان يستبعد أحدهما الآخر: الإدراك والذاكرة

تكشف دراسة أكثر انتباهاً عن الضرورة التي مفادها أن لا سلّم بوجود نظام واحد فقط، بل بوجود عدة من هذه النظم S التي تثبت الإشارة نفسها، على نحو مختلف. فالأول من هذا النظم S يثبت الربط بالمعينة؛ وفي النظم الأكثر بعداً، ستكون هذه المادة نفسها من الإشارة مرتبة وفق أساليب مختلفة من البناء، بحيث على سبيل المثال، تش هذه النظم التلاحفة علاقات نشأة أو غيرها. وسيكون غير مجرب بالتأكيد أن يريد الإشارة بالكلام إلى الدلالة التسمية مثل هذا النظام. وستكون خاصته ضيق علاقاته بنوات الأولى للذكرى، أي، إدراكنا أن تذكر نظرية أعمق. ضروب الحفاظ المقاومة في اتجاه هذه العناصر.

وثمة ملاحظة، من طبيعة أعم يمكنها أن تكون ذات نتائج هامة، نغرض
 نفسها هنا فالنظام P، الذي ليست لديه القدرة على الاحتفاظ بالتفسيرات وهو
 محروم من الذاكرة بالنائي، يسمح وعينا كل تعددية الصفات الحسية. أما ذكرياتنا،
 بما فيها المحفوظة وسا على نحو أكثر عمقا، فإنها لا شعورية بالطبيعة ويمكنها أن
 تصبح شعورية. ولكننا لا يمكننا أن نشك في أنها تعرض كل معمولاتها في الحالة
 اللاشعورية. وما نسميه طبيعنا يرتكز على الآثار التذكيرية لانطباعاتنا: وهذه
 الانطباعات هي التي، على وجه الدقة، تؤثر عليها التأثير الأقوى، انطباعات
 طفولتنا الأولى، التي لا تصبح شعورية أبداً على وجه التحديد. ولكن إذا أصبحت
 مجدداً بعض الذكريات شعورية، فإنها لا تُبدي أي صفة حسية أو تبدي صفة حسية
 ضعيفة جداً إذا ما قورنت بالإدراكات. وإذا كنا نجد تأكيداً لهذا الواقع الذي مفاده
 أن الذاكرة والصفة التي تميز الوعي يستبعد أحدهما الآخر في نظم P، فإنه
 ستكون لدينا أفكار راجعة بالوعود فيما يخص شروط إثارة العصبونات^(١٢).

٨ - الأماكن النفسية: اللاشعور - قبل الشعور والشعور

في ما سلّمنا به حتى الآن في موضوع تركيب الجهاز النفسي في طرفه
 الحسي، لم ندخل الحلم، ولا الشروح السيكولوجية التي يمكن أن نستجها منه.
 ولكن الحلم يصبح بالنسبة لنا مصدر أدلة فيما يخص معرفة قسم آخر من الجهاز
 النفسي. ويتعدر علينا في الواقع أن شرح تكوين الحلم إذا لم نشأ أن نسلّم تصدأ
 بمرجعين نفسيين، أحدهما يُخضع فاعلية الآخر لنقده، ولذلك نتيجة مقادها أنه
 يصح من أن يبلغ الوعي.

والمرجع النفسي الذي يتقد بقييم علاقة، كما رأينا، أكثر وثافة مع الوعي من
 المرجع النفسي موضع النقد. إنه يضرب ستارة بين هذا المرجع النفسي وبين الوعي.
 وبوسعنا أن نجد بعض نقاط التصوي التي تتيح لنا أن نجعل المرجع الذي نقده عمالداً
 للمبدأ الذي يوجه حياة اليقظة لدينا، المبدأ نفسه الذي يقرر أعمالنا الإرادية

(١٢) أُرجمت منذ أن أوعي يظهر مكان الأثر التذكيري (G.W.)، الجزء ١٧، ص ١٢٢٨.

والشعورية. وإذا أحللتنا منظومات محلّ المراجع في اتجاه فروضنا، فإن المنظومة التي يُعهد إليها أمر التقدر تأتي في الطرف الأخرى. فنُدخل الآن منظومتنا في تخطيطنا ولنعرّف باسميهما اللذين نطلقهما عليهما عن العلاقات مع الوعي (انظر الشكل ٣)



وسنسمّي قبل الشعور أخصر المنظومتين في الطرف الأخرى لتدلّ على أن ظاهرات الإثارة يمكنها من هنا أن تتوصل إلى الوعي مباشرة، إذا توافرت بعض الشروط الأخرى، مثل ذلك درجة معينة من الشدة وضرب من التوزيع للموظيفة التي نسمّيها الانتباه. وقبل الشعور هو، في الوقت نفسه، المنظومة التي تحثوي مفاتيح الحركة الإرادية.

ونطلق اسم اللاشعور على المنظومة الموضوعة إلى الوراء كثيراً؛ إنه لا يمكنه أن يبلغ الوعي، إلا إذا مرّ بقيل الشعور، وينبغي تسيرورة الإثارة أن تمتثل خلال مرورها إلى بعض التعديلات^(١٣).

٩ - الجريان والاتجاه الممنوع داخل الجهاز النفسي

في أي من هاتين المنظومتين ينبغي لنا أن نحدد موقع الاندفاع إلى تكوين حلم؟ فنقل بغية التبسيط: في منظومة اللاشعور. وليس قسوك. إن تكوين الحلم مرغم على أن يرتبط بأفكار من الحلم تنتمي إلى منظومة قبل الشعور، قولاً دقيقاً كل الثقة. ونكتة نحلم أن القوة الدافعية للحلم يقدمها اللاشعور، وأثناء بسبب هذا

(١٣) اسم الألاحق لهذا التخفيف المعروفه حطّ يسمى أنه أن يأخذنا حساباً افتراضاً أن المنظومة التي من قبل الشعور هي التي يجب أن نعزو إليها الوعي ويكون $C - P$ على هذا النحو

العنصر الأخير (القوة الدافعية)، نسلم أن منظومة اللاشعور هي نقطة الانطلاق لتكوين الحلم. ومن هنا، قيل الإثارة، شأنها شأن كل وقائع الفكر، إلى أن نستطيع في قبل الشعور وأن توصل، بواسطة هذا الفرغل، إلى الوعي.

وتعلمنا التجربة أن هذا الذرب، الذي يقود إلى الوعي من خلال قبل الشعور، ممنوع سلوكه عن أفكار الحلم خلال النهار بفعل الرقابة الصادرة عن المقاومة. وهذه الأفكار نسلك هذا الذرب خلال الليل، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه يكمن في أن نعرف بأي درج وبواسطة أي التحولات. وإذا كان المقصود بذلك ضرباً من ضعف المقاومة التي تسهر على حدود اللاشعور وقيل الشعور، فإنه سيكون لدينا أحلام مصنوعة من أمثالنا ولن يكون لها السمة الهنوسية التي تعيننا في هذه اللحظة.

وتخفاض درجة الرقابة بين المنظومتين اللاشعور وقبل الشعور لا يمكنه إذن أن يشرح لنا أحلاماً كحلم الطفل الذي يحترق، حلم كنا قد طرحناه بوصفه مشكلاً في بداية هذه الدراسة.

وليس بوسعنا أن نصف سير الحلم الهنوسي إلا بقولنا: الإثارة تتبع درجاً تراجعياً. إنها تنتقل نحو الطرف الحسي وتصل في نهاية المطاف إلى منظومة الإدراكات، بدلاً من أن تنتقل نحو الطرف الحركي من الجهاز النفسي. فإذا سمينا الانجذاب الذي تنتشر فيه السيرورة السيكولوجية عند خروجها من اللاشعور في حالة اليقظة بأنه الانجذاب «التقدمي»، فإن لنا الحق في أن نقول عن الحلم إنه ذو سمة تراجعية^(١١).

(١١) أول دقة نقدية انكسر هذه ملاحظة ألفا لدى البروت الكبير. فالجنان، بقول، يسي الحلم بصور احتفظ به من الأشياء المحسوسة. وتوسط السيرورة في اتجاه عكس اتجاه الحياة في لحظة (ص. ١١٤) ويقول هوزر في كتابه الجبن - الخلاصة أن أحلامه هي عكس خيالنا في حالة اليقظة. فحركة بدءاً عندنا تكون مستعطفين، من طرف، ومن طرف آخر عندما نحلم (جمعية إيبيس).

١٠ - سرور لا تنمي إلا إلى الحلم

هذا النكوص^(١١١) خاصة بالتأكيد من انحصار نص السيكلوجية لسرور الحلم، ولكن علينا ألا ننسى أنه ليس فقط على الحلم - فالذكري القصدية، والفكر، وسرورات خاصة أخرى من فكرها السوي، ذات علاقة أيضاً بالنسب إلى الوراء، في جهازنا النفسي، لفعل معتمد من أفعال التصور نحو المادة الأولى من الآثار التذكيرية الموجودة في قاعدته. ولكن هذه العودة إلى الوراء، في أثناء البهظة، لا نقضي أبداً بحيث نتجاوز الصور التذكيرية؛ فليس لديها القدرة على أن تبعث الحياة مرة ثانية على نحو هلوسي في صور الإدراك. فلماذا يكون الأمر مختلفاً في الحلم؟ يتصوي عمل التكثيف في الحلم^(١١٢) على فرض مفاده أن درجات الشدة الملازمة للامتثالات تتحوّل خلال عمل الحلم من امتثال على آخر نحو كلاً كلياً. وهذا التعديل في السرورة النفسية المألوفة هو الذي، ربما، يتيح توظيف نظام الإدراك حتى الأخيرة الخبية التامة، إذ يتبع سيراً عكياً، انطلاقاً من بعض الأفكار.

وما يزال بعيدين جداً عن أن نشير إلى أهمية هذه الملاحظات. ولم نفعّل سوى أننا أطلقنا اسماً على ظاهرة بتعدّد شرحها. ونسُمّي نكوصاً ذلك الواقع الذي معناه أن الامتثال يردّ في الحلم إلى الصورة التي خرج منها يوم من الأيام. ولكن هذا الاتجاه يقتضي تسويماً. فما فائدة إطلاق أسماء إذا لم نتعمّم شيئاً جديداً؟ السبب، في رأيي، أن اسم «النكوص» مفيد لنا بمعنى أنه يربط الواقع المعروف بتخطيطية جهاز نفسي وهيت انجماً. وهذا إنما ينبغي لتخطيطيتها أن تقدم خدمة.

ذلك أنها ستشرح لنا خاصة أخرى لتكون الحلم - فإذا حسنا الحلم نكوصاً داخل الجهاز النفسي كما نتصوره، فإن بوسعنا أن نفهم بذلك نفسه أن كل سرورة علاقة في أفكار الحلم نفسية خلال عمل الحلم أو لا تظهر إلا بصعوبة. فسرورات

(١١١) نفس. عما يحصر النكوص، كتاب الكبت. نسط الدفاعات. هي مجموعة منها الملاحظة
لحة الشرا

(١١٢) جميع نكتيف. من حلم كما هي مختلف كبريات التصور الأخرى. عدة محاسن رابطه من
امتثال واحد الملاحظة لحة الشرا.

العلاقة ليست محتواة في النظم الأولى S. بل هي نظم أخرى أكثر تقدماً، وهي تتحرك في النكوص من تعبيرها: لا يبقى إلا صور الإدراك إن نجتمع أفكار الخلق بتفكك خلال النكوص ويعود إلى مدته الألفية».

١١ - قعة ضرورية: أخذ النكوصات الأخرى بالحسبان

ولكن هل أي تغيير سيسمح بنكوص منعقد خلال النهار؟ هنا، سنتد إلى فروض. ولا بد أن يكون الأمر ذا علاقة بتغيرات في توظيف انطاقة داخل النظم المختلفة، التي تصبح عندئذ سالكة قليلاً أو كثيراً المير الإثارة؛ ولكن المقصود نفسه يمكن بنوعه مطرق شتى في كل جهاز من هذه الأجهزة. ونحن نفكر فوراً بصورة طبيعية في حالة النوم والتغيرات في التوظيف التي تسببها في الطرف الحسي من الجهاز النفسي. وثمة، خلال النهار، تيار مستمر من نظام Ψ للإدراك نحو الحركية؛ ويتوقف هذا التيار خلال الليل ولا يمكنه أن يضع أي مانع لتيار نكوصي خاص بالإثارة. وسيكون ذلك «انقطعية مع العالم الخارجي» التي ينبغي لها أن تشرح سمات الخلق الميكولوجية. والواقع أن علينا، لشرح النكوص في الخلق، أن تأخذ بالحسبان نكوصات أخرى: النكوصات التي تحدث في الحالات المرضية لبسطة. والرأي الذي قلناه عن هذه الأشكال للتوليس له بانطبع أي سند لدينا. فالنكوص يحدث على الرغم من تيار حسبي مستمر في الاتجاه «التقدمي».

سيغموند فرويد

الفصل الثاني في قراءة نفس الإنسان



جورج هورنر كان يؤمن بأن الإنسان

مقدمة

كان جبرج غروديث، طبيب، اقرب من اوساط التحليل النفسي، تلميد
أرنت شوينجر، له معاونه وكان أوست، طبيب المشرب بمارك، بنح
بمعالجة فعالة إلى أخذ الأخصى تعبد على الخسة والتدليك. واحتفظ غروديث بهذه
المعالجة دائما، إذ طفقها في مصحفه بيادن-بادن، وسرى أن يظلمه تشير إلى ذلك

ويشر غروديث، عام ١٩٢١، كتابه الباحث في النفس الذي أثاره فحاجه
احتجاجات في كنف رابطة التحليل النفسي السويسرية. ويشتم فرويد، من جهته،
هذا الكتاب: «إني ادفع بقوة من غروديث ضد أهليتكم للاحترام». يكتب إلى
الرعي فيشر: «ماذا كنتم متفولون لو أنكم كنتم من معاصري راينه؟».

ويظهر كتاب الهو (رسائل تحليل نفسي إلى صديقة) لغروديث بعد سنتين في
دار النشر العامة للتحليل النفسي. ويتابع فرويد مخطوطة غروديث من بدايتها إلى
نهايتها، لأن غروديث كان يظلمه عليها تباعاً بحسب تأليفها. ويقتبس غروديث
كلمة «الهو» من نيته؛ ويستخدمها فرويد بدوره عندما يعدك في السنوات من
١٩٢٠ إلى ١٩٢٣ تصوره لـ«الهو» ليجهز نفسي. ويتمجج «الهو» في موقعه الثانية عام
١٩٢٣. عندما ينشر محاولته «الأنا والهو» بعد بضعة أسابيع من ظهور كتاب الهو.

ولا يسجماوز غروديث مع ذلك نظرية فرويد الأري في النفس في كتاب
الهو: وفي رأيه أن الهو هو «الكبير الحي الذي نرس الانشعور» يشتم
بالكبت - سوى أسنوب من أساليبه - إن الهو والانشعور لا يتطابقا بالمعنى كذاً
بالسببة لفرويد في موقعه الثانية.

وإذا كان كتاب الهو موضع اهتمام فرويد، فالحقيقة أنه بذلي ببعض
التحفظات مع ذلك: إنها ستكون مترجمة في المخطوطة بوصفها «مترجمة إلى
«صديقة» مجهولة الاسم. وفي حين أن فرويد يترجمه إلى رجل، مستخدماً حيلة
ترسانل المتبذلة المترجمة ليشير أفكاره، يكتب غروديث نفسه إلى الرعي حين
أن التحزير الأسموي (أي أن تتراجع عنى المعالج حالات وجدانية، والتعدلات،

ورغبات، كانت الأم فيما مضى موضوعها) معطى بدهي ومباشر في رأي غرووديك، يعمل فرويد بصورة أساسية على التحويل الأبوي، ويندو عنده بعض التردد في أن يتصور، لدى مرضاه، بدليل الأم...

ولا يكمن في ذلك انفراق الوحيد بينهما، فغرووديك يكشف غالباً عن رغبات في الحمل لدى الرجل، والحسد الذكوري للمرأة عنى قدراتها. أما فرويد، فإنه يربط هذه الأمور، عندما يضرب عندها أمثلة عبادية (انظر حالة «الرئيس شربير» أو حالة «الرجل ذو الذئب»^(١١)، بالنواة الدهنية الذكورية).

ويقرأ كتاب «الهرم، الخي والتروحى»، شيعرة المعنى الرمزي للشجارب اليومية بوصفها الأمراض الأكثر خطورة. وإذا كان مؤلفه يتكلم هنا على قصص شعبية أو أغنيات أطفال، فليس ذلك على سبيل المصادفة: إنه يضطلع بصورته اصطلاحاً لا يخلو من التائق، صورة «عفريت التحليل النفسي». ألم يكن يظله من جهة أخرى يُسمى باتريك تروول (أي «عفريت»؟) وعلى هذا النحو إنما كتب إلى من يوجه إليها الرسائل، «صديقتي العزيزة جداً»: «فيما يخص رسائلي، علي أن أفضي إليك بمفتاحها: كل ما سيبدو لك معقولاً أو فقط غير مألوف قليلاً يصدر مباشرة عن الأستاذ فرويد بقيتنا، وعن تلاميذه؛ وما سيبدو لك غير معقول تماماً، فإني آخذه على عاتقي».

فهل هو مع ذلك محلل نفسي؟ إنه يفرض على أي حسان وصح المحلل النفسي، مع أن فرويد يسمى جاهداً إلى أن يبرهن له العكس: «الاحظ أنك تروجني باستمرار أن أوكدك إدارياً أنك لست محللاً نفسياً، وأنت لا تنتمي إلى فرقة المناصرين، ولكن ثبت الحق أن تجعل الناس يعدونك شيئاً خاصاً، مستقلاً. وأقدم إليك موضح خدمة كبيرة إذا نذرتك بعيداً عني، حيث يوجد الأدلريون والبيونغيون وآخرون. وتكثني عاجز عن أن أفعل ذلك، ويسفي تي أن أطالب بك،

(١١) بر حسن حالات من التحليل النفسي (شكوت، جامعة القروية).

وعليّ أن أؤكد أنك محلل نفسي رائع أدرك ماهية الأمور دون أن يكون بوسعه أن يفقدها (رسالة ٥ جوان [حزيران] ١٩١٧).

وبعلاج غروديك مع ذلك الأمراض الجسمية كما لو كان المقصود هستيريا التحرك. فالهستيريا يعبر عن نفسه باخسب؛ أما المرض الجسمي فإنه يحدث ضرراً في الجسم. فهل المقصود سيرورة واحدة في الحالين؟ وهل ثمة لغة، تعبير رمزي مشترك؟ والحال أن هذا هو عليّ وجه الدقة ما يضعه فرويد موضع الاتهام في هذه الرسالة نفسها: «لماذا تتعجّل، منذ أن أرسيت قاعدتك الرائعة في انصوفيه، أنلغي العارق بين الروحي والجسمي؟» ثم بلغت النظر إلى أن من المؤكد أن للعامل النفسي أهمية كبرى ليست موضع شك في تكوين الأمراض العضوية. ولكنه هل يسبب هذه الأمراض وحده؟... يبدو لي أن من الجرأة أن يريد الإنسان إرادة مطلقة أن يضيء صفة الحياة على الطبيعة بقدر ما هو من الجرأة أن يريد بصورة جذرية أن ينزع الصفة الروحية (عن العامل النفسي). وخلاصة القول إنه يلوم غروديك على أنه يقتل من شأن ما يسميه هو نفسه «الفروق الرائعة».

ونألف غروديك عقوي وأسرع بعق، دون شك. ألا ينجم عليّ وجه الدقة جزء من الإغراء، الذي يمارسه، عن القوة الكلية للهو الذي يريد غروديك أن يكون الناطق بلسانه؟ ألا يكون تأكيد هذه القوة الكلية تأسيس هيمنة الفكر على الجسم وعلى كل المظاهر الإنسانية عليّ نحو من الأنحاء؟ ويغدّي نهج غروديك، في هذا المنظور، استيهام الرغبة الكلية التي معادها أن تجتّب الموت، كما أخصه، فد يصبح ممكناً ذلك أنه قد يكفي المرء، إذا كان الفكر وحده يحدث الأمراض ويسبب دمار الجسم، أن يمتلك الفئاح القادر عليّ أن يلغي مفعولاتها المضارة ليصبح في بداية الأمر خالداً.

النص

وهكذا هزني نبيّكي واضحا، ورسالتني مهيسة، إنك تريد أن يكون كل شيء منطوقاً عليّ أحسن ما يرام، لا سيما أن يكون موضوع الكلام وفدع قام

البرهان عليها حسب الأصول، مفيدة، علمية، وليس أفكارى العويصة التي يبدو لك بعضها مجنوناً كلياً.

ولكن على رسلك، أيتها الصديقة العزيزة جداً، إذا شئت حقاً أن تتعلمي، فلنني أتصحتك أن تحصلي على هذه الكتب الرائجة في الجامعات. أما ما يخص رسائلي، فإني أقضي لك بمناقحتها كل ما يبدو لك معقولاً، أو فقط غير مأتوف قبلاً، صادر مباشرة عن الأستاذ فرويد، من فيينا، وتلاميذه وما سيبدو لك غير معقول كلياً، فلنني أضطلع بأبوتيه.

١ - الإنسان الذي يعيش بالهيو

أعتقد أن الإنسان يعيش بشيء مجهول. فيه هوة، ضرب من الظاهرة التي تسود كل ما يفعله وكل ما يحدث له. وجملة «أعيش...» ليست صحيحة إلا بصورة شرطية؛ ولا نعتبر إلا عن جزء من هذه الحقيقة الأساسية: الموجود الإنساني يعيش بالهيو. فرسائلي إنما تتعالج هذا الهيو.

وننقل كلمة أخرى. إننا لا نعرف من هذا الهيو إلا ما يوجد منه في شعورنا. وأجزء الأكبر - بما لا يقاس - مجال يتعدى مناله مبدئياً. ولكن من الممكن لنا أن نوسّع حدود شعورنا بالعلم والعمل وأن نقذف بعيننا إلى لاشعورنا عندما نصمم على أن «نتخيل»، لا أن «نعرف». إنك جريء، يا دكتورى الرائع فوست! فالخجاف يوشك على أن يظير! في طريقه للافاة اللاشعور ..

أليس من المدهش أننا لم نعد نتذكر شيئاً من السنين الثلاث الأولى من حياتنا؟ فالواحد، والأخر، من يللم من هنا وهناك ذكرى ضعيفة من وجه، من باب، من ورق جدران، يعشقه أنه رأى في طفولته الأولى. وتكنني من أزال لم أصادف شخصاً يتذكر خطواته الأولى، وطريقة تعلمه الكلام، والأكل، والرؤية والسمع. وهي مع ذلك أحداث حقيقية. وسأعتقد عن ضيق خاطر أن النطل الذي ينطلق لسرة الأولى عبر غرفته يشعر بانطباعات أكثر عمقاً من راشد خلال سفر في إيطاليا. وأنصور دون عنه أن النطل الذي يتعرف أمه فجأة في هذا الموجود الذي

بينهم نه بحتان بحسب بانمعالات أكثر عمقاً من المبالات رمل يرى مملوبته الغلبه
نمبر للسهرة الأولى عنة باب بته . فلماذا نللى كل ذلك ؟

٢ - هذه التجارب «منسبة» وهى حلوبه مع ذلك ...

فبما بخصر هذا الأمر ، ثمة كشر بقائل . ولكن فنشبداء ، قبل أن لملب ، بأن
نستبعر اعترافاً أول : السؤال مطروح طرحاً سبئاً . إننا لا نللى هذه السبلن الثلاث
الأولى ؛ فالذكرى ، ذكرها ، تغادر الشعور . وتستمّر حبلاتها فى اللاشعور ، وتظنر
فبه ببلل أن كل ما نملعه نالم عن هذا الكثر من الذكربات الماضبة اللاشعوربه :
إننا نمللى كما نمللنا أن نمللى فى ذلك العصر ، ونأكل ، ونكلم ، ونحس بالطرفه
الللى مشبنا بها فبه ونكلمنا وأحسنا . فثمة إذن ذكربات طرفدها الشعور ، مع أنها
ذات أهمبه حلوبه وحفظت ، لأنها لا غللى عنها ، فى مناطق من وجودنا مسبلت
باسم اللاشعور . ولكن لماذا بلى الشعور تجارب لم بكن بمقدور الوجود الإنسانى
أن بلمر فى حبلاته لولاها ؟

أمبكننى أن أترك هذا السؤال دون جواب ؟ سأكون أيضاً مرغماً فى الغالب
على العوده إليه . ونكبنى أحرص فى الوقت الراهن حرصاً أكبر . وبما أنك امرأة ،
على أن نعلمببى لماذا تكون معلومات الأمهات عن أطفالهن قليلة بهذا القدر ، ولماذا
بلسن ، هن أيضاً ، ذلك الأساسى من هذه السنوات الثلاث ؟ ربما بظواهرن بذلك
فقط . إلا إذا كان الأساسى ، لديهن أيضاً ، لا بملغ شعورهن ...

٣ - اللاشعور : ملك مطلق

ببر الأساسى ، فببما بخصر الطب الإنسانى ، خارج الشعور ؛ والذكاء
الاستدلالى هو الذى بختار الطبلب الذى ترصى المرأة أمامه أن ترقد ، وبراقب
الشبب اداخلبه وبقدر أنها جمبله إلى حد كاف . وبلجا إلى المنظهرة والصابون ؟
ولكن القصد الشعورى ، بحسب الطرفه الللى تتمدد بها الآن ، بتنازل عن مكانه
واللاشعور هو الللى بتصرف ؛ وهو الذى بتصرف فى اخبببب المرض نفسه وفى
رعبه المرء أن بكون مرطباً . ذلك إما حر شأن النهو على سبل الحصر . ذلك أن النهو

اللاشعوري. وليس العقل الواعي، هو الذي يسبب الأمراض. فمصدرها ليس الخرج، كما عدها، إنها تكويبات ملائمة لكونها الصغير، الهو لدينا، عقلانية شأنها شأن بنية الأنف والعيون، بنية هي نفسها أيضاً نتاج الهو. أو هل نجدون غير مقبول أن يكون بومع موجود، يصنع بخيوط دقيقة من النبي وبوبضة إنساناً له دماغ، لإنسان وقلب إنسان، أن يسبب مرضاً، ذات رئة أو نزولاً من الرحم؟

فنتقل عابرين وعلى سبيل الشرح، لا أتخيل خفة أن امرأة تتعرض إلى إنذات بطنية خبيثاً أو مكرراً. وليس هذا ما أريد قوله. ولكن الهو، اللاشعور، يفرض عليها هذا المرض ضد إرادتها الواعية، لأن الهو مارك، والهو خبيث ويطالب بحقه. فذكريني إذن بهذه المناسبة حتى أقول لك شيئاً فيما يخص الأسلوب الذي به يتخذ حقه في الاستمتاع في الخير كما في الشر.

وقناعتي، فيما يخص سلطة اللاشعور وعجز الإرادة الواعية، هي من القوة بحيث أنني أمضي إلى حد أحسب الأمراض المصطنعة مطاهر اللاشعور؛ وأن بعدد المرء نفسه مريضاً هو، بالنسبة لي، فناع محتجب خلفه مجالات واسعة من أسرار الحياة التي تتعدّد تصور مداها. وبهذا المعنى، سيان بالنسبة للطبيب أن يكذب المريض عليه أو يقول الحقيقة، شريطة أن يزن تصريحات المريض بهذوء وموضوعية، وأن يفحص لسانه، وسنوكه، وأعراضه، ويعكف على أن يحلّ المشكل بطريقة حلاً شريفاً ...

٤ - الكلام بلسان الهو:

ما أصعب مشروع الكلام على الهو! بئس وتر عود بالمصادفة، فتصدر معه، بدلاً من صوت واحد، عدة أصوات رينها يحلظ تم تصدّت إلى أن أخذت بلسنة غريبة حيث نضيق فيها همهمة الكلام صدقيني، لا يمكننا أن نتكلم على اللاشعور. ولا يمكن إلا أن نهميم، أو، باخري. أن نبدل بصوت حميص على هذا أو ذاك حتى لا سمعت المرعاع الجهنميون لكون اللاشعوري من الأعماق وهو يفتقون صرير من الصراخ السار

ويعكّر فهو، الملائعور - بالرسوم وبينها يوجد رمز يستخدم فهو وفقه بالمعنى نفسه الأعضاء اجنسية وتطفل فالأعضاء الجنسية الأنثوية هي، بالنسبة له، هذا الشيء، الصغير، البنت الصغيرة، البنية، الأخت الصغيرة، الصديقة الصغيرة، والأعضاء الجنسية المذكورة هي الرجل الصغير - الصبي الصغير، التوند، الأخ الصغير. وقد يبدو ذلك غريباً، ولكن الأمور هي على هذا النحو. والآن، نعضلي وافهمي دون تكلف أحقق للحسنة ولا خجل كاذب، كم يجب أن وجود الإنساني أعضاءه الجنسية، وينبغي أنه أن يحبها، لأنه منها إنما يتلقى في نهاية المطاف كل منعة، كل حياته. وليس بوسع هذا الحب أن يبدو لك أبداً كبيراً جداً وهذا الحب الكبير هو الذي يحركه فهو - التحويل إحدى خاصياته أيضاً - على الطفل ...

كنت لك أن الكلام عنى فهو كان صعباً. وعندما يكون الكلام عليه، تصح كل الكلمات وكل المفاهيم غير ثابتة، غير واضحة المعالم، لأن من طبيعته أن يدخل في كل تسمية وكل فعل مجموعة من الرموز يربطها بهما ويقرب بهما أفكاراً من سؤ آخر، بحيث أن ما يبدو للمعقل بسيطاً كل البساطة يكون معقداً جداً بالنسبة للهو فلنفس شمة مفهوم محدد في ذاته بالنسبة له؛ إنه يعمل على أنساق من المفاهيم، مع عقد تحدث بواسطة دروب الهوس في الترميز والترابط ...

٥ - سبل الترابط اللفظي

الأكثر برباطاً هي دروب التفكير العلمي. وقد مرز من طويل، في النطب، نتكلم خلاله على أعمال وحركات ترابط ويعكف علم النفس على تعليم هذا الشيء - أو ذلك فيما يخص الترابط - وتتعلم في كل أيلدان صرخات من الحقد عندما انكب فرويد جداً ومن يحيطون به، وكثرتوا يحيطون - على ملاحظة الترابطات وجعلوها مشتقة من اجبهه النفسية الفريزية وبرهنا على أن للدوافع والترابطات ظهرات أصابة، أحجار الزوايا في كل معرفة وكل تشكيل، وكل علم، ونصرف بعضهم كما لو ان أخذ، كان بريد تدبير بناء العلم حين اكتشف لثرية التي يرتكز عليها - نك أنفس خائفة! فأسس العلم أكثر دراماً من الغرائب؛ فاختران،

والصالات، والسلام المبنية منه تُبنى منه مجدداً عندما تنهار، هنا وهناك، بعض أعمال البناء المبنية على نحو صيباني.

أتريدن أن يحدث «ترابط» بيني وبينك؟ صادفت اليوم بنتاً صغيرة تعتمر حُرطوراً أحمر. وبظرت إليّ بدهشة؛ لم تكن نظرتها عداثية، ولكنها نظرة دهشة، ذلك أنني، بسبب البرد، كنت أعتمر قلنسوة سوداء تغوص بعمق على أذني. ولا بد لي من أن يكون قد أثر فيّ عند رؤية هذه الطفلة؛ كنت أرى نفسي فجأة في السادسة أو السابعة من عمري أعتمر وشاحاً صوفياً ذا شرائبات صغيرة. وعليه، خطر بيالي القُبُع الأحمر، وفجأة كنت أتذكر بيتاً من الشعر من أغنية طفلية: ثمة رجل صغير في الغابة وحده يقف على ساق واحدة، إلخ. ومن هناك انتقلت إلى القمر وطرطوره، ثم إلى الراهب الكبوشي، وأخيراً فهمت أنني كنت، خلال زمن ليس بالقصير، أسير في شارع الرهبان الكبوشيين. فالترابطات رجعت إذن أدراجها كحلقة. وتكون لم يكن ذلك ولماذا عُرُضت في هذا التعاقب؟ كان عني أن أمر في شارع الرهبان الكبوشيين، وذلك كان مفهوماً. وصادفت الطفلة؛ ولكن كيف شرح أبي تجنيهاً وأن رؤيتها أبقظت في نفسي سلسلة من الأفكار؟

٦ - من الذكرى إلى اكتشاف عقدة

خلال اللحظة التي كنت أخرج فيها من بيتي، غاص بعمق قرمان مؤثنان في قلنسوة الغراء التي كنت أعتمرها غائصة حتى أذني، فقال فم امرأة: «الجيد، أيها الملك الوحيد، لن تُصاب بالبرد وأنت تعتمر هذه القنسوة». وكانت أمي تعقد فيما مضى وشاح الصوف ذا الشرائبات الصغيرة على رأسي وهي تنطق هذه الكلمات. إن أمي أيضاً هي التي قصت عليّ قصة القُبُع الأحمر الصغير، وكنت أراه هناك، أعني نفسه. والناس كلهم يعرفون قصة القُبُع الأحمر. ويخرج الرأس الأحمر الصغير من حجاب الغلظة، فضوليّاً، كأنها يبول صاحبه ويمارس الحب، والرأس الأحمر نفسه يتبدد نحو أزهار المروج، ويتصب مستقيماً على ساق واحدة كالنظر، كالرجل الصغير في الغابة مع طرطوره، والذئب الذي يدخل فيه ليخرج من بطنه

المفتوح بعد تسعة أشهر هو رمز نظريات الطفولة في الحمل والولادة تذكري أنك اعتقدت، أنت، بهذا الانفتاح لبطن ولكنك ما عدت تتذكرين دون شك، أنت أيضاً، أنك كنت تفتنرين افتناعاً جازماً أن الموجودات الإنسانية كلها، بما فيها النساء، كانت مزودة بشيء صغير مثل ذلك، مع قُبْح أحمر، وأنه كان قد انتزع منك وكان لا بد لك من أن تأكله، على نحو من الاحياء، تُسخر جي منه الأطفال. ولدينا، نحن أراس الترابضات، تُصنّف هذه النظرية باسم عقدة الخصاء، وسمعت أنت الناس يتكلمون عليها كثيراً. فمن القُبْح والفطر لها مبرر ذلك، نستقل بسهولة إلى القزم وطرطوره، ومن هناك، ليس ثمة بعد عن الراهب والطرطور الصغير. وبين الفكرتين، ثمة رجوع لعقدة الخصاء: ذلك أن القزم الشيخ جداً ولحيته الطويلة يمثلان الشبخوخة العاجزة المشغصنة والراهب بوضع التحلي الإرادي الإرادي بصورة رمزية. وكل شيء واضح حتى هنا؛ ولكن كيف نخطر على بالي أفكار الخصاء هذه؟ نقطة الانطلاق لكل ذلك، تذكري، كانت مشهداً بذكري بأمي والحلقة النهائية كانت شارع الرهبان الكبوشيين. وفي هذا الشارع، شارع الرهبان الكبوشيين، كنت قد عولجت، منذ ستين، من مرض الكليتين؛ وكنت على وشك الموت، وعندما أتقّب في أعماق لاشعوري، اعتقد أن هذا المرض البيولي كان ناشئاً من شبح حصر الاستمنا الذي يرتبط، في نهاية المطاف، لا أعلم بأي دافع ذي علاقة بأمي عندما كانت تُخرج القزم الصغير بعناية من كهفها حتى يتمكن أن يجعل البيون ينبعث. إنني أفترض ذلك، ولا أعلم. ولكن الفطر المعزول مع الطرطور الأحمر الصغير يجعلني أفكر بالاستمنا والوشاح الأحمر ذا الشرببات الصغيرة بالرغبة في غشيان المحارم.

٧ - الألاعار الكبيرة للحياة

أتم نصيبك الدهشة من السبيل المتعرجة حيث يجرتني موسى في تفسير

(٢) - هو ذلك. مؤلف موسيقي أفني في جينة القرن التاسع عشر، تلميذ واغر ومبعدة خلال من قصر (ديون) له حريقاً تاريخي المسمى Parsifal). أنت نضغيب هائل وعروبل نضغيب موسفة واعة عن فسه من فصل الحيات مخنز كل اضطراب من الأغمي اشعة نظضية الأتانية.



الجسد مصدر لا يشاء من غيره
أضغ لأشهر من نفس الأعداء كثيرة

الترايباطات من الأفكار؟ ليس ما قلته سوى البداية، ذلك أنني أحرق حاليًا على التأكيد أنه القصص موروثة، ولا بد لها من أن تكون موروثة من وسواس الترابط والترميز، لأن نغز التزاوج، والحمل، والولادة، والبتولية، عدت النفس الإنسانية بفعل حالات وجدانية إلى أن اتخذ شكلًا شعريًا، وذلك أمر يتعدى تحيله؛ وأجروا على النزاع أن الأغنية الطفلية والشعبية ذات الرجل الصغير في الغابة وحده مستمدة في تفاصيلها من ظاهرة شعرية العنات والانتصاب بالترايباطات الملاحمورية، وأن الاعتقاد بالأرقام ينبغي أن يكون مصدره الترابط غابة - شعر العنات، الترحل - قزم مشغص، وأن حياة الرهبة وثياب الرهبان عاقبة لاشعورية للتراجع أمام غشيان المحارم مع الأم. واعتقادي بالترايباطات والرموز يمضي إلى هذا الحد وحتى إلى أبعد كثيرًا.

٨ - الكبت وضروب انظام النهو

والآن، الكبت: بعد أن صرحت كتابة أن إحدى صديقاتك الصايات كانت لها ندبة فوق عينها اليسرى «كأختي سوز على وجه الدقة»، أضفت: «الواقع أنني لا أعرف إن كانت ندبة أختي إلى اليمين أو إلى اليسار». عجبًا، ماذا لا تعرفين ذلك، في حين أن المقصود أحد كان قريبًا جدًا منك، رأيتك كل يوم خلال عشرين سنة وكنت أنت المسؤولة عن هذه الندبة؟ ألم تسبني لها هذه الندبة «مصادفة» بالفص وأنت تعلمين؟ وفي رأيي أن ذلك لم يحدث «بالمصادفة» على سبيل الحصر. أتذكرين أننا تحدثنا عن ذلك سابقًا واعرفت أن ذلك كان يتضمن ضربًا من القصد؛ نعمة عمّة كانت قد أظهرت عيني سوز وشبهت عيني، على سبيل الإغاطة، بعيني هر المنزل. وكونك تجهلين أين توجد الندبة فوق العين اليسرى أو اليمين أمر ناجم عن تأثير الكبت. وكان هذا الاعتداء على عيني أختك الجميلتين مقببًا، عندما لم يكن إلا بسبب ذعر والدتك وضروب لومها. فحاولت محو ذكرى الحادثة، وكبتها، ولم تخلصي إلا جزئيًا: إنك لم تضدي من شعورك إذا ذكرى المكان الذي كانت الندبة توجد فيه. ولكن توسعي أن أقول لك إن الندبة كانت على اليسار في

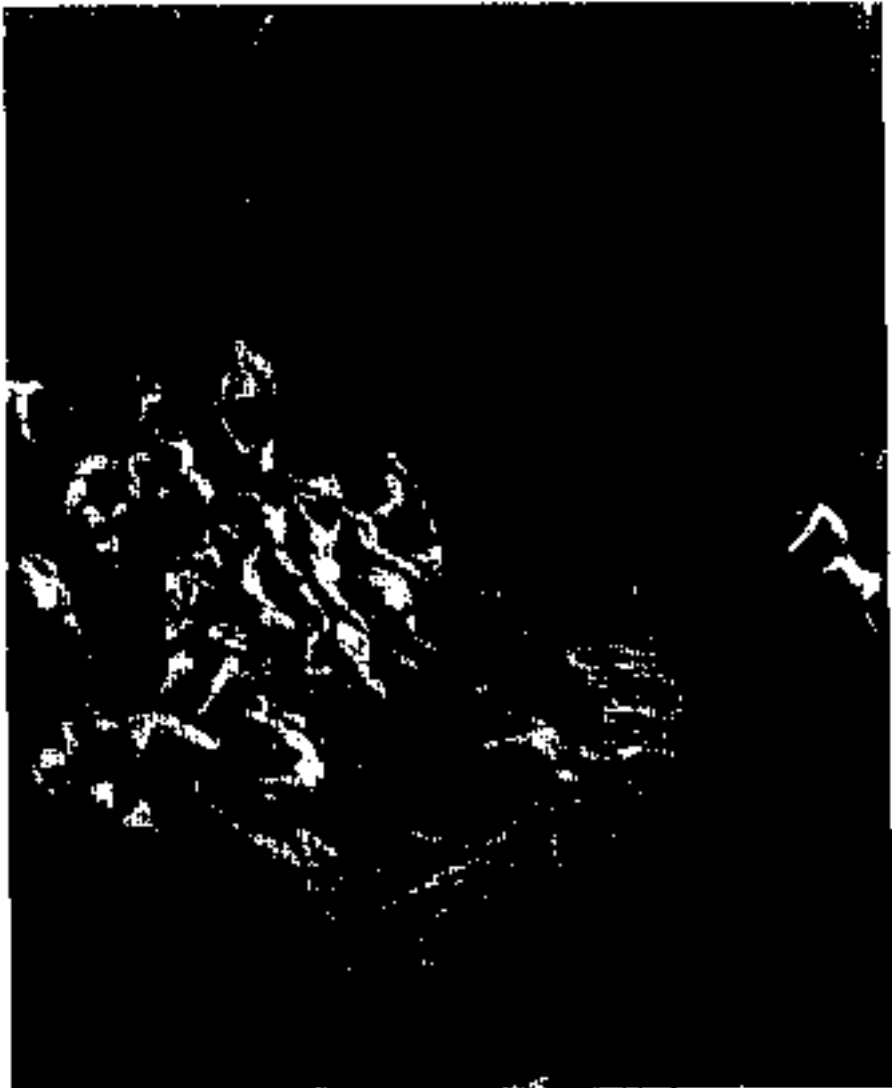
الواقع . فكيف أعرف ذلك؟ لأنك أفضبت إلي أنك تعالجين ، منذ موت أختك ، ومثلها تماماً ، إلا ما في الرأس تقع إلى الجهة اليسرى وانطلاقاً من العين ، وأن عينك اليسرى ، فضلاً عن ذلك ، تبعد من وقت إلى آخر عن الخط المستقيم قليلاً - وذلك يربحك ولكنه حقيقي مع ذلك - ابتعاداً كما لو أنه بحث عن الحون ، وتحرك نحو الخارج إنك في زمن الخادنة حاولت - باختراع كلمة «مصادفة» - وضع الحق إلي جانبك ، وقلت باختيال جرح التوضيحة من الجهة الخبيثة إلى الجهة المحيية إلي النفس ، إلى الجهة اليمنى المناسبة . ولكن الهو لا يستسلم للخديعة : إنه أضعف ، يبين لك أنك كنت قد أسأت التصرف ، عصباً من أعصاب عضلات العين ، إذ حذرك أن لا تبعدني عن الصراط المستقيم . وعندما ماتت أختك ، ورثت آلام الرأس هذه من الجهة اليسرى - التي كانت دائم فاسية جداً . وفي الزمن البعيد ، زمن الحادث ، لم تتعرضي إلي عقوبة ، ربما لأنك ارتجفت كثيراً ، خوفاً من ضربات العصا ، فأشفقت عليك أمك؟ ولكن انهر يقتضي أن يعاقب على فعلتك وعندما يُصاب بالإحباط بفعل الشعور بالسعادة في الألم ، يثار يوماً من الأيام من نفسه؟ عاجلاً أو آجلاً ، ولكنه يثار من نفسه ، وبعض الأمراض الخفية تكشف عن أسرارها عندما يستجوب «هو» الطفولة عن ضربات على الإيتين متجئة ...

٩ - حوادث ، أمراض ، ابتكارات الهو

تو لم أكن أخشى عليك من التعب ، لغزوت الآن عن طيب خاطر غزوة في مجال علم الخطوط ولأخبرتك بعض النوادر الصغيرة التي تدور حول الأحرف (أحرف ألفباء) . ولا أعبت مع ذلك أنني لزم أعود إلى هذه المسألة . وأود اليوم فقط أن أطلب إليك أن تتذكري أننا جميعنا ، في طفولتنا ، قدر سمنا خلال ساعات أحرف a ، o ، u ، مرات كثيرة وأنا كنا مرغمين ، نستعمل ذلك . على أن نضع لورني في هذه العلامات كل ضرب من الأشكال والرموز . حاولني أن تصحني طفلاً من جديد ، وربما سبعت فيك ميلاً من الأفكار عن ولادة الكتابة وسنطرح

سأله مفادها أن تعرف إن كنت أكثر غيباء من علمائنا. ولم يبلغ العلم وحده أيضاً مستوى الهوى، و... ولكن الحقيقة أن رأيي في العلم ليس ملائماً!

وخطر بيالي بعض المغامرات ذات العلاقة بالإشباع الذاتي. وحدث لي مرة أن تخاصمت مع واحدة من صديقتي النظيفات - إنك لا تعرفينها، ولكنها ليست من تشكيلة الغيبات - لأنها كانت تصر أنها لا تعتقد أن الأمراض ابتكارات الهوى، أرادها الهوى وأثرها. «الحالة العصبية أو الهستيريا كما نشاء. أما الأمراض العضوية...!» - ورددت، «والأمراض العضوية أيضاً». ثم في اللحظة التي أنني خلالها لأن أجعلها تتمتع بخطابي المفضل وأشرح لها أن التفريق بين «عصبي» و«عضوي» لم يكن سوى اتهام ذاتي من جانب الأطباء وأنهم كانوا يريدون أن يعبروا بذلك عن «أنهم يجهلون كثيراً السيرورات الكيمائية، والفيزيولوجية للحالة العصبية» وأنهم يعلمون فقط أنها موجودة وأنها تقاوم كل بحوثنا؛ وهم يستخدمون بالتالي كلمة «عصبي» لجعل الجمهور يلمح جهلهم، وليبعدوا عنهم هذه الشهادة المقيمة على عجزهم. «وتابعت عندئذ، حينما كنت سأقول لها ذلك. «والحوادث أيضاً؟» - نعم، الحوادث أيضاً». - «سأكون فضولية لأن أصرّف»، قالت لي عندئذ، «الهدف الذي يلاحقه الهوى لدي عندما جعل ذراعي اليمنى تنكسر! - أما زلت تتذكرين على أي نحو حدث الحادث؟ - بالتأكيد. كان ذلك في برلين، في شارع لاينغ. كنت أريد أن أدخل وكان مستجاب من المستعمرات، ترحلت وكسرت ذراعي. - أتذكرين ما استطعت رؤيته في هذه اللحظة؟ - نعم، كان ثمة أمام المخزن سلة من الهليون». وفجأة، أصبحت خصمي مفكرة. «ربما تكون محقاً!» قالت ونصت عليّ بحكمة لا أريد أن أطيل الكلام فيها، ولكنها كانت تدور حول التشابه بين الهليون وعضو الذكر وأمية المصابة بالحوادث. فكان كسر الذراع محاولة ناجحة لتجدة أخلاقية متداعية. فأطره لا يفكر أبداً، وذراعي مكسورة، ببعض الترحيبات.



تعمیراتی کاموں کے لیے پانچ سو روپے کی رقم کی ضرورت ہے۔

١٠ - الحافظان اللاشعوريان لكسر الذراع

ثمة حادثة أحر كان يبدو أن الأمر أنه يتعدد كثيراً عن عقدة الاستثناء . هناك امرأة تنزلني على قارعة الطريق المغفظة بطبقة رقيقة من الجليد وتنكسر ذراعها ايمنى . ورعمت أنها رأته حطة قبل سقوطها رؤيا . ورتما رأته شبح ميده ترندي لباس المدينة الذي كانت قد رأتها غالباً ترديه ؛ وكان رأس ميت تحت النضعة بدلاً من وجه . وتم يكن أمراً صعباً أن يُكتشف أن هذه الرؤيا كانت تحتوي رغبة . كانت هذه السيدة صديقتها الأكثر صميمية ، ولكن هذه الصدفة كانت قد تحولت إلى كره قوي كان قد تلقى اندفاعاً جديداً حين وقوع الحادث . وتأكد فرض عقوبة ذاتية ، وبخاصة أن المريضة قصت علي أنها رأته رؤيا مشابهة ؛ والكلام علي امرأة أخرى ماتت حين حدثت هذه الرؤيا . فكان كسر الذراع يبدو إذن مبرراً علي نحو كافٍ ، حتى بالنسبة لمثقب عن الأنفس مثلي . ولكن التوضيح اللاحق بان لي أفضل ذريعة . فكسر الذراع شكلي بصورة طبيعية ؛ وظهرت بعد ثلاث سنين مع ذلك ، بغواصل زمنية غير منتظمة ، آلام نسوتها تسويغاً جزئياً تغيرات الطقس والإرهاق . وبدأ بانسريج وجود عقدة عمادة سرية برزة جداً ، أخذت استيهامات اشغل مكانها فيها ؛ كانت هذه العقدة كرهية لدى المرأة المريضة إلى حد كانت تفضل أن تمنح رؤياها المرعبة أو ترويه وأن تكسب علي هذا النحو تحريراً الدوافعها ، دون فع الإشباع الذاتي ، دون أن يصبح الاستثناء شعورياً مع ذلك .

١١ - تاريخ عقوبة فرضها الهو

إليك تريدين ، بوصفك تلميذة متحمسة ، أن تعرفي ماذا أقص عليك ، بدلاً من أن أستسرف في أن أعرض عليك أفكارى بصدد اللعب بسلسلة الساعة^(١٣) ، حكايات لا علاقة لها بذلك . ويوسمي أن أقدم إليك سرخاً مريباً لذلك . كتبت إليك ، منذ بضعة أيام ، بما أنني كنت قد بدأت هذا التحليل الذاتي الصغير^(١٤) أمسك

(١٣) في رسالة سابقة ، كتب لي تريت ترزا^(١٥) قد أخذت عائلتي يوم صارت من صديقات هوسيه . نعم كنت أعده ، ولكن في أسعد وأعز من ذلك حفظه حبه (الإشباع)

باليهد اليسني ريشة كتبة ؛ وألعب باليسري بسلسلة الساعة : « وكنت مستمراً في التصريح أن كليهما كانا عقدتي اسمناه . ثم تابعت : « نظرتي متوجهة نحو احاطط المواجه ، على نسخة هولندية من لوحة رامبرانت المعنونة « ختان يسوع المسيح » . وتم يكن ذلك صحيحاً على الإطلاق : النسخة كانت مصنوعة وفق رسم زيتي من عرض يسوع المسيح في المعبد بحضور جيمهور . ولم يكن ثمة بد من أن أعرف ذلك ؛ والواقع أنني كنت أعرفه ، ذلك أنني نظرت إلى هذه النسخة آلاف المرات . وأرغمني الهوم مع ذلك على أن أنسى ما كنت أعرفه وعني أن أحسب هذا العرض إلى ختان . فلماذا؟ لأنني كنت قريسة عقدة العادة السرية ، لأن العادة السرية مدانة ، لأنها تُعاقب بالخصاء ولأن الختان خصاء رمزي ؛ وبالمقابل ، نهد الهونيداً سنظويًا فكرة أن الطفل يسوع كان معروضاً في المعبد لكل العيود ؛ ذلك أن هذا الصبي الصغير ، شأنه شأن الصبيان الصغار كلهم ، رمز عضو الرجولة ، والمعبد رمز أمومي . وإذا كان موضوع النسخة قد نفذ إلى شعوري ، بفعل ضرب من تقارب مع اللعب بسلسلة الساعة وريشة الكتابة ، فذلك كان يعني : « إنك تلعب باللعب الصغير الرمزي بمعرفة الجميع وعلى مرأى منهم وأنت خائى لأن هذا اللعب الاستثنائي يتوجه ، في نهاية المطاف ، إلى صورة الأم كما رمز إليها رامبرانت على شكل معبد يسوع في ضوء خافت تكتنفه الأسرار » . وكان ذلك غير محتمل بالنسبة للهو بسبب التحريم المزوج للاستمناء وغشيان المحارم ، وفصل اللجوء في الحال إلى العقاب الرمزي

١٢ - من القصة إلى الأسطورة

أعتقد بطيب خاطر بالبحري أن ثمة علاقات بين طقسي الختان والخصاء ، طقسي يريثظ بأسمه إبراهيم . ونحن نعرف من حياة إبراهيم تلك القصة العربية لتضحية ابنه : كان الرب قد أمره أن يذبح ابنه ؛ وكان إبراهيم قد حضر نفسه لتضحية الأمر ، ولكن ساكناً معه عن ذلك في اللحظة الأخيرة وضحى بكبش بدلاً من ابنه . وبوسعك أن تستنحي ، مع قليل من الإرادة القصة ، عن هذه القصة

أن التضحية بالابن تمثل استئصال عضو الذكر، الذي يشخصه الابن تشخيصاً رمزياً. وتعتبر هذه القصة دون شك عن أن التضحيات بالحيوانات حلت، في مرحلة زمنية معينة، محل الخصاص الذاتي لخدوم الله، لخصاء ذاتي نجد مجدداً أثره في أمنية العفة لدى كهنة الكاثوليك^١، والكبير يصلح لهذا التفسير لرمز لا سيما أن الخصاص كان، دائماً، متبعاً في تربية الخراف. فواقعة صك الختان المعقود بين يهوه وإبراهيم نبست، إذا نظرنا إليها من هذه الزوايا، سوى تكرار على شكل آخر للتضحية الرمزية، نسخة من هذه النسخ الأصلية المتواترة في التوراة وغير التوراة. وسيكون اختان إذن ما يفتي رمزياً من الخصاص المغنضي من حدم الرب. ومهما يكن من أمر، فالختان والخصاء هما، بالنسبة للاحشوري، وذلك هو وحده الذي يؤخذ باحسان في هذا الالتباس بين الختان والعرض -، قريبان، بل متماثلان، ذلك أنني فهمت شيئاً، شأني شأن آخرين كثيرين، فهماً متأخراً أن مخصياً، طوائياً، كان مختلفاً عن مختون...

١٢ - كيف أصبح نرول - غوديك تلميذ فرويد

حالياً، تلكم الطريقة التي أصبحت بها تلميذ فرويد. بعد أن رفعتني السيدة ج^(١) إلى مرتبة الطبيب -الأم، أصبحت أكثر اطعماًناً. ورضيت أن تخضع لكل ضرب من ضروب المشاغل، كما كان نسمي فاعلياني، فاعليات المذلل، ولكن صعوبات المحادثة ظلت قائمة. واعتدت بالتدريج - على سبيل الشعب، كنت أقول لنفسي - على موارباتها وكتاباتنها عن موصوف أو صفة. ولاحظت، مع ذهني الكبيرة، بعد بعض من انزمن، أنني كنت أرى أموراً تم تكن أراها فيما مضى. وكنت قد اصطلحت على الرموز. ولا بد لذلك أن يكون قد جرى على نحو غير محسوس ذلك أنني لا أتذكر بأي مناسبة أدركت للمرة الأولى أن الكرمي لم يكن فقط كرمياً، ولكنه يمكنه أن يكون عالماً، وأن إبهام الأب موجود، وأن يرسه

(١) كان القاص قد كتب سابقاً إلى تلميذه أن هذه النسبة، ذات انزمن الخطير، كانت قد أرغمت على أن يصح محلاً فقط. تتجربها عليه، عرف فيما بعد، كانت قد جرى بسهولة إليها، كانت ترى فيه الآوة، وكانت تستخدم أحسن. بدلاً من بسوية الأشياء، بحية شائعة، كيات عن موصوف أو صفة، تالذ، على سبيل المثال، النفسي، الانزمن، لأمر ومرابه، تلاحظه حية الإشراف.

أن تتعلم جزءاً من مقاييس مختلفه نم أنه يصبح علمي شكل إصمح بإشارة (السبابة) ممتدة، رموز الانصباب، وأن نربطاً حامياً امرأة ملتجة وأن فصل الموقف هو الرجل، وأن اللون الأسود لهذا الغسطل بسبب ضروباً من الرعب بتعدّد التعبير عنها، لأنه لون الموت، لأن هذا الموقف المريء يمثل العلاقات الجنسية بين رجل ميت وامرأة حية.

ولكن لماذا أكثر من القول عن ذلك؟ إن نسوة استولت عليّ، ثم أكن قد خبرتها قط من قبل ولن أجدها مجدداً فيما بعد. فالرمز كان ما تعلمته أول الأمر من علم التحليل النفسي ولم يتركني قطاً. وانقضت خمس عشرة سنة منذ ذلك الزمن، وعندما أتقي نظرة إلى الخلف، أراها زاخرة بالكشوف المثيرة للاهتمام في الرمزيّة؛ سنين طافحة، مؤثرة، متنوعة على محاور رابع وتتلألأ بالألوان. فانقوة التي بها حولتني هذه الغزوة في عالم الرموز لا ينبغي أن تكون ذات مثيل، ذلك أنها كانت، منذ الأسابيع الأولى لتعلمي، تدفعني مسبقاً إلى أن أطارده الرموز في التحولات العضوية من المظهر الإنساني، التي قادها ما أتفق على تسميته المرض العضوي الخسيمي. فأن تكون الحياة النفسية ترميزاً مستمراً أمر كان من الموضوع في نظري بحيث أنني أفصيت بنفاد صبر تلك الكتلة المرعجة من الأفكار والمواقف الجديدة - فيما كان يخصني على الأقل - حتى أنطلق بسرعة جامحة في أثر المفعول، الذي يحدثه الكلف عن الرموز، على الأعضاء المريضة. وهذا المفعول كان، فيما يخصني، يتمي إلى السحر.

١٤ - مفعولات المقاومة - الحيات الأولى

تخيلوا أن ورثي كان ثمة عشرون عاماً من الممارسة الفنية المخصصة بحاجة حالات مزمنة ميؤوس منها، إرث من شوبنجر. وكتب أعلم على وجه الدقة الكبيرة ما كان ممكناً أن يحصل بفعل النهج القديم ولم أكن أتردد في أن أصيب صرير الشفاء الإضافية إلى رصيد عبرتني بالرموز - التي كنت أضلقها كإحصار على المرضى وكان زمناً رائعاً.

وعلمتني مريضتي - كما علمتني الرموز في الوقت نفسه - أن أتألف من الناحية العملية مع غير آخر لفكر الإنساني وسواس التواطؤ. ومن المحتمل أن تكون عوامل أخرى قد أدت دورها أيضاً في ذلك: مجلات، تقارير شفهية، ثرثرات، إنج. ولكن الأساس كان قد أتى من الأنسة ج. وجعلت زبني في الخان يفيدون من التواطؤ. واستمر ذلك إلى حد كافي في عاداتي الطبية ليجمعني ارتكاب بعض الأخطاء، ولكنه كان يبدو لي في هذا الزمن ممتازاً

وهذا دام ذلك. ولكن سرعان ما تبعثت صدمات مرتدة. فثمة قوى خفية انتصبت نعارضني. أمور تعلمت أن أسميها، بتأثير فرويد، باسم المقاومة فيما بعد. وسقطت مجدداً خلال بعض من الزمن في طريقة الأمر، وعوقبت بإضافات وانتهيت بمسقة إلى أن أتخلص من الورطة. وبجحت الأمور في نهاية المطاف، إذ تجاوز النجاح ترقمي وكنت، عندما اندلعت الحرب، قد أعددت أسلوباً يناسب في الحالات جميعها مقتضيات زبني. وجرئت، خلال بعض الأشهر من عملي في المشفى الخري، طريقتي في التحليل، الفظة قليلاً والمشوبة بالهوية - واحتفظت بها مع ذلك - على الجرحى وعانيت أن جرحاً، أو كسراً، كان يستجيب لتحليل الهو بالنقدر الذي كان يستجيب التهاب كلوي، قلب مريض أو العصاب.

٩٥ - انتصار التحليل النفسي على المرض

تمني العرور زمناً طويلاً من أن أعنى بالتحليل النفسي العلمي. وحاوت فيما بعد أن أصلح هذا الخطأ؛ وأمل أن ألتج فيه جيداً، على الرغم من أعشاب خيبة يتعدّر استئصالها ظنّت في فكري وفي المعاينة التحليلية النفسية. ولكن هذا العناد المشتمل في رفض الرعية في التعلّم كان له فوائده أيضاً. فوتمت بانصدفة، في محاولاتي العمياء التي لم تكن مزدهمة بالمعارف، على فكرة مفادها أن ثمة بالإضافة إلى لاشعور الفكر الدماغي، ضرورياً من اللاشعور المسائلة في الأعضاء الأخرى، هي اخلايا، والأسجة، إلخ. وأتتحصل، بفضل الاتحاد التوسمي بين هذه الضروريات من اللاشعور والمعضوية، على تأثير شعائني في كل سائر نحن تحليل اللاشعور الدماغي.

لا تخشى في الاعتقاد أنني مرناح وأن أكتب هذه الجمل . فلدي ما يشبه الانطباع أنها لن تقوم حتى نقدر الودود . فكيف نقاوم فحماً جدياً يجريه العلماء الاختصاصيون . وبما أن التأكيد أصبح ندي أسهل كثيراً من الرهان ، فإنني سأجأ هنا أيضاً إلى التأكيد وسأصرح : ليس نمة مرض يصيب العضوية ، أكان جسمياً أم نفسياً ، يقاوم تأثير التحفيز . فأن نباشر العلاج ، في حانة معينة ، بالتحليل النفسي ، بالجراحة ، وعلى المستوى الجسمي ، بالحمية أو العقاقير ، أمر ليس إلا مسألة ملاءمة . فليس نمة مجال من انطب في ذاته لا يكون لاكتشاف فروبذ فيه جدوى .

جورج غروديك

الفصل الثالث

حراس القانون

مقدمة

قدّم فرويد وصفه الأول للفكر الإنساني - وقد رأينا ذلك - في بداية القرن العشرين تماماً. وعندما يؤلف وصفه الواقعي الثاني لهذا الفكر عام ١٩٢٣، يدخل الأنا العليا، في عداد ما يدخل من المفاهيم، وهي (الأنا العليا) تكوين معاصر لانحسار عقدة أوديب^(١)، انطلاقاً من ممنوعات أبوية جعلها الطفل خاصة به^(٢).

كيف فرض مفهوم الأنا العليا نفسه إن؟ تحليل الأعلام، والعصاب الوسواسي، والسوداوية أو الهذيان، التي سيتكلم عليها فرويد، تحليل يحسّ فيه المريض أن أفعاله وحركاته التي يرصدها الآخر تكشف له وجود «مراقبين» في النفس. وهؤلاء «الحراس»، حراس القانون (أي تحريم غشيان المحارم على وجه الخصوص)، تعقيلات مسبقة نظرية للأنا العليا. ويسمّيها فرويد تسميات مختلفة عبر عدد معين من النصوص السابقة على الواقعية الثانية. وهكذا يعزّو، على سبيل المثال، عام ١٨٩٥، أصل «العواطف الأخلاقية» إلى سيروزة النضج قبل الأوان للموجود الإنساني، العضوية الإنسانية قادرة، في مراحلها المبكرة، على أن تسبّب هذا العمل النوعي^(٣) الذي لا يمكن أن يُنجز إلا بعون خارجي وخلال

(١) النظر الأوديب: عقدة كلية، في المعرفة مسبقاً

(٢) من ذلك، إلى ذلك بالتصديق من الجزء الثاني

(٣) المفصولة هو العيون، والتي من الحجاج والتفكير غير أن يحمض لإثبات الداخلية مثل ذلك من الإلهام في الأنا - ينمو ليس تجربة يشاع في شعور دون شعور (ملاحظة حدة أو شرف)

برهة يكون فيها انتباه أحد الأشخاص من نوي الاطلاع الجيد يتجه إلى حالة الطفل. وهذا الطفل أذره. جرأ. تفريغ يحدث على درب التفتيرات الداخلية (بصراح الطفل على سبيل المثال). ويكتسب درب التفريغ على هذا النحو وظيفة ثانوية ذات أهمية قصوى: وظيفة الفهم المتبادل. وهكذا يصبح العجز الأصلي للموجود الإنساني هو المصدر الأول لكل العواطف الأخلاقية» (المخطط الإجمالي لسيكولوجيا علمية). وسيحتفظ فرويد، من جهة أخرى، بالفكرة نفسها، فكرة عجز أول للطفل، في البرهة الزمنية التي سيتبني خلالها مفهوم الأنا العليا.

ونحن نعلم من الآن فصاعداً أن ثمة رقابتين في كُف جهاز النفسي. ذلك هو ما علمنا تفسير الأحلام في فصله الأول. وسنكتشف أول الأمر مفعولاتهما، ومفعولات المواضع الأخلاقية أيضاً، على النسيان وعلى تكوين الحلم، في مستخلص ثان من تفسير الأحلام. ويمالج فيه فرويد، بمناسبة الحديث على الهذيان، تلك الرقابة التي، تمحو بقسوة كل ما لا يروق لها، بحيث أن ما يبقى يصبح غير متماسك. والصورة التي يستخدمها حتى يتصور تأثيرها هي صورة الرقابة الروسية، التي «تراقب» الصحف الأجنبية. ويكتب في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٧ إلى ولهم قليس: «أستحت لك الفرصة قط أن ترى صحيفة أجنبية راقبها الروس عند المرور في الحدود؟ ثمة كلمات تجعل، وفقرات كاملة محنوقة، بحيث أن الباقي يصبح غير مفهوم. إنه ضرب من الرقابة الروسية، التي تظهر في الذمات وتفسح المجال لهذيان خالية من المعنى في الظاهر».

إن بحث «الحاجز ضد غشيان المحارم» هو الذي يعرضه فرويد، بعد بضع سنين. مستبقاً الأنا العليا ثم يأخذ فرويد بالحسيان، في مقال عنوانه «من أجل إدخال النرجسية» عام ١٩١٤، مرجعاً نفسياً وظيفته تكمن في أن يراقب، بلا توقف، الأنا الواقعية، إذ يقبسها على المثال. وفي رأيه أن هذا المرجع ليس سوى الوجدان الأخلاقي. ولكن إذا كان فرويد يتكلم أيضاً على «مرجع رقابة»، فإن هذه البشارة بالأنا العليا تمثل في رأيه محرّكات داخلية، ولا تمثل ضرورياً من

القسر الاجتماعي الخارجي. وهذا الواقع واضح على وجه الخصوص عندما يبيّن فرويد، في النص نفسه، أن النكوص يعود، داخل هذيانات الملاحظة، إلى ضروب من الإسقاط الجديد - إسقاط إلى الخارج - لأصوات يستدخلها الفرد. أصوات الأبوين، المرين، الرأي العام، إلخ. أضف أن العجز الأول للطفل يعرّز أيضاً الجانب الداخلي للمنعوات، ذلك أن البيولوجي، المرتبط بالوضع الإنساني، إذا كان لا يتجذّر في السوسيوبيولوجي، فإنه يعرّز تأثيره «العامل البيولوجي هو حالة الضيق والتعبية المدبدة جداً لدى الإنسان الصغير. فوجود الإنسان داخل الرحم، قياساً على وجود غالبية الحيوانات، مختصر نسبياً، والطفل الإنساني أقل اكتمالاً من طفل الحيوانات عندما يلقي هذا الطفل الإنساني في العالم فيتعذّر لهذا السبب تأثير العالم الخارجي الواقعي. وتمايز الأنا من الهو يكتسب مبكراً، وأخطار العالم الخارجي تتخذ أهمية أكبر، وقيمة الموضوع الذي يمكنه وحده أن يحمي الطفل من هذه الأخطار ويحلّ محل الحياة المفقودة داخل الرحم. تزداد ازدياداً هائلاً وهكذا إذن يكون العامل البيولوجي موجوداً في أصل أوضاع الخطر الأولى. ويكون الحاجة إلى أن يكون الطفل محبوباً. حاجة لن تغارق الموجود الإنساني أبداً» (الكفّ، العرض، الحصر، ١٩٢٦).

ويستأنف فرويد عام ١٩١٧، في المدخل إلى التحليل النفسي، عرضه الخاص بالرقابة، إذ يعيدها بصورة أساسية إلى الأحلام: إن تأثير الرقابة في الأحلام ظاهر على وجه الخصوص. فالنوم، الذي يُطلق على المضمّنات اللاشعورية سبيل الحركية، يتيح ضرباً من التراخي لهذه المحتويات، ولكن الرقابة، بما أن الغزوة العفيفة للربغات في الحلم قد تفضي إلى البقطة، تستعزّ في عملها داخل الحلم.

ولنشر أخيراً إلى أن الأنا العليا والأنا تجبوان أنهما تتداخلان في بعض وظائفهما ولهذا السبب يجعل فرويد، في نهاية حياته، رقابة الأحلام متعلقة بالأنا^(٤١).

(٤١) في مبحث التحليل النفسي (١٩٢٣).

ولكن إلى دراسة فرويد المعنونة «الحداد والسوداوية» (١٩١٧) إنما يرجع بعضهم على نحو أكثر دقة إدخال الأنا العليا. ذلك أن التقابل المطلق بين جزء من «الأنا الإجمالية» وجزء آخر في السوداوية، والعناد الذي يظهره المريض إزاء نفسه - عناد يدفعه إلى الانتحار - يقودان فرويد إلى أن يعزل من «الأنا الإجمالية» مرجعاً سيصبح الأنا العليا. وهنا أيضاً إنما يصف فرويد «الكره الأخلاقي» لدى المريض لأناه الخاصة: «نرى لدى (السوداوي) كيف يتعارض جزء من الأنا مع جزء آخر، ويصب عليه تقييماً نقدياً، ويتخذ موضوعاً إذا صح القول. ونحن نظن أن المرجع النقدي، المنفصل هنا عن الأنا بالانشطار، يمكنه في ظروف أخرى أيضاً، أن يبرهن على استقلاله، وستؤكد كل ملاحظتنا الملتحفة هذه الفرضية. وسنجد فعلاً بواحد مناسبات لفصل هذا المرجع من باقي الأنا وهذا المرجع هو الذي نتعرفه هنا، وهو الذي سيُسمى عادة الوجدان الأخلاقي».

النص الأول

ثمة حوار لن يهمها المرء إلا عندما يعرف بحوثي الخاصة، حوار جعلتني أعماله معالجة منعصلة تلك المسألة التي مفادها أن نعرف ما إذا كانت استعداداتنا الأخلاقية وعواطفنا الأخلاقية خلال اليقظة تنفذ إلى الحلم وإلى أي حد. ويجد في هذه النقطة تناقضاً بين المؤلفين - فبعضهم يؤكد أن الحلم يجهل مقتضيات أخلاقنا جهلاً بارزاً بقدر ما يؤكد الآخرون فيه دوام الضيعة الأخلاقية لدى الإنسان.

ورداً لجأنا إلى تجربة المياني كلها، فإنها تبدو أنها لا تصح موضع الشك صحة التأكيد الأول. يقول جسر: «لسنا أحسن ولا أكثر فضيلة خلال النوم. بل يبدو شاماً بالخبري أن وجدنا الأخلاقي بسكت خلال الحلم: إننا لا نعاني أية شفقة وسر تكتب أسوأ الجرائم بلامبالاة نامة! ودون أي ندم: سرقة، قتل، اغتيال».

ويقول زادنوتوك أيضاً: «من المناسب أن نلاحظ أن الترابطات في الحلم تجري والامتثال لتربط دون تدخل التفكير، والعمل، والتدوؤ الجسالي والحكم الأخلاقي؛ فالحكم ضعيف جداً ويسوء صعب كمثل من اللامبالاة الأخلاقية».

ويلاحظ فولكلت : «كل فرد يعلم أن ندين، في الحلم، ضرباً خاصاً من نقص الحشمة النسبة لكل ما هو حسي . فإحاثم، الذي ليس نديه هو نفسه على الإطلاق أي جعل، وأي عاضفة، وأي حكم أخلاقي، يرى أيضاً كل الآخرين . بين فهم الأشخاص الأكثر جدارة بالاحترام، بتصرفون على نحو نبحرؤ حتى أن يتخيل في أثناء اليقظة» .

١ - تأكيدات متناقضة خاصة بالأخلاقية في الأحلام

مجسوعة من التأكيدات متعارض متعارضة بارزة هذه الدعوى . فكل يعمل ويتكلم في أثناء الحلم، كما يقول شوبنهاور، بانسجام كامل مع طبعه ويقول ر . في فخر إن العواطف الذاتية، والمبول، والحالات الوجدانية، والأهواء، تظهر ظهوراً حراً في الحلم، بحيث تعكس فيها خصائص الفرد الأخلاقية ويكتب هافتر : «الإنسان القاضل فاضل في الحلم أيضاً، إلا في بعض الاستثناءات الشاذة . . . إنه يقاوم الغوايات، ويحرم على نفسه الحق، والحسد، والغضب، وكل الرذائل : ورجل الخطيئة سيجد في الحلم تلك الصور التي تروق له خلال اليقظة» . ويؤكد شولز : «تظهر الحقيقة في الحلم؛ وعلى الرغم من كل ضرور التفتع، في الأفضل أو الأسوأ، فإننا نتحرف أننا الحقيقية ... وليس يوسع الإنسان الشريف أن يرتكب، حتى في الحلم، جريمة تجرته من الشرف، أو أنه، إذا حدث ذلك، يرتعب منها بوصفها أمراً غريباً عن طبيعته . فالإمبراطور الروماني الذي نفذ حكم الإعدام بأحد أتباعه لأن هذا الفرد كان قد رأى في منامه أنه أمر بقطع رأس المعاهل، لم يكن مخطئاً، إذ كان يعتقد أن من يرى مثل هذه الأحلام يمكنه . خلال اليقظة، أن يعدني أفكاراً مماثلة . ولهذا السبب نقول عن شيء لا يمكنه أن يحدث مكاناً في حياتنا؛ لن نتخذه حتى في الحلم» .

وبعد أفلاطون بالمقابل أن الأفضل منا لا يعرفون إلا في الحلم ما يفعله الآخرون وهم في اليقظة النائمة

يقول بفاف، إذ يحور مثل أساترة معروفًا جيدًا: «قل لي بماذا نحلّم، أقلّ لك من أنت».

٢ - الأحلام الأثمة. أصل نفسي خاص

لغة مؤلف هيلندوراند، وهو أكمل وأغنى إسهام عرفته في مشكل اننام، يُعنى على وجه الدقة عناية أساسية بأخلاقية الحلم. ويطرح هيلندوراند أيضًا من الناحية البدينية أن الحياة كلما كانت طاهرة فإن الحلم طاهرًا، والعكس بالعكس.

ويحتفظ الإنسان في الحلم بطبيعة أخلاقية: «في حين أننا نقبل خطأ فاحشًا في الحساب، ومغالاة علمية، ومفارقة تاريخية مضحكة، نستمر مع ذلك في تمييز الخير من الشر، والعدل من الظلم، والرغبة من التفضيلة، ومهما يكن مقدار ما نفقد خلال النوم من معرفة النهار ندينًا، فإن الأمر المطلق يظل قينا، إنه مرتبط بنا ولا يمكننا أن نتخلص منه ولو في النوم... وذلك لا يمكن أن يفسر إلا لأن الأخلاقية مرتبطة بالطبيعة الإنسانية ارتباطًا هو من المتانة بحيث يمكننا أن ندخل في حركة المشكال^{١٥} التي يعكف عليها الخيال، والذكاء، والذاكرة، والقدرات الأخرى من هذا المستوى في أثناء الحلم».

وكلما تقدمت المناقشة، نحابن تغييرات غريبة وصعوبًا غريبة من عدم التماسك في الجهتين. فكل أولئك الذين يعتقدون أن الشخصية الأخلاقية تضمحل في الحلم ينبغي لهم، من الناحية المنطقية، أن يكفوا عن الاهتمام بالأحلام الأخلاقية. ولا ينبغي لهم أيضًا أن يجعلوا الحلم مسؤولاً عن أحلامه، ولا أن يستنجروا من فساد الأخلاق في أحلامه إلى فساد طبيعته. ولا أن يستنجروا، خلال اليقظة، من بطلان أحلامهم بطلان التمكرو. وعلى الآخرين، أولئك الذين يعتقدون أن الأمر المطلق الأخلاقي^{١٦} يمتد إلى الحلم نفسه، أن يقلوا مسؤولية أحلامهم الأخلاقية قولاً تامًا؛ وينبغي فقط أن نتمنى لهم أحلاماً بحيث لا يكون عليهم أبدًا أن يشكروا في فضيلتهم الخاصة.

ويبدو جيدًا مع ذلك أن أي شخص لا يمكنه أن يعرف على وجه الثقة الكبيرة إلى أي حد هو جيد أو سيئ، وأن أي شخص لا يمكنه أن ينبغي أنه يحلم ببعض

الأحلام غير الأخلاقية. ويبدل المؤلفون من الطرفين جهداً في الواقع. على الرغم من الأحكام المتناقضة في أخلاقية الحلم، نيسر حواصل الأحلام الأخلاقية. ويبرز عندئذ تقابل جديده بين أولئك الذين يبحثون عنها في وظائف الحياة النفسية، وأولئك الذين يبحثون عنها في التأثيرات الجسمانية. وهكذا فإن الوقائع نزع المدافعين عن المسؤولية في أثناء الحلم، كما المدافعين عن عدم المسؤولية، إلى الاعتراف أن لأخلاقية الحلم لها مصدر نفسي خاص.

٣- من يكره أخاه قاتل.

أولئك الذين يعتقدون بدوام الأخلاقية يتحاشون مع ذلك أن يشبهوا المسؤولية الكاملة عن أحلامهم الخاصة. يقول هانتر: «لنا مسؤولين عن أحلامنا، لأن فكرنا وإرادتنا تعوزهما في هذه البرهة الزمنية أساساً لا يمكن لحياتنا بدونها أن تكون ذات واقع ولا حقيقة... ولهذا السبب، لا يمكن أن تشبه إرادة الحلم أو عمله وذيلة أو فضيلة». والإنسان مسؤول مع ذلك عن أحلامه الأتمة من حيث أنه هو الذي أحدثها بصورة غير مباشرة. إن عليه، قبل أن ينام، أن يظهر نفسه كما في اليقظة. وعلى نحو خاص.

وتحليل هذا الخليط من القبول والرفض للمسؤولية بصدد المحتوى الأخلاقي للحلم يتوسع فيه هيلدوبراند كثيراً. فبعد أن ذكر أن الطريقة الدرامية التي يصف الحلم بها الوقائع، وتكدس الملاحظات الأكثر تعقيداً في الفسحة الزمنية القصيرة، وفقدان الخس والسياس الصور، ينبغي أن تؤخذ بالحسبان عندما نتكلم على لأخلاقية الحلم، بصرح مع ذلك أن من المناسب أن نغكر طويلاً قبل أن نرفض كل مسؤولية عن خطيئات الحلم وأخطائه.

و«عندما نريد أن نزيد نبدأ حاسماً اتهاماً غير مسوغ، اتهاماً يصب على وجه الخصوص على مشروعاتنا ونوايانا، نقول: «أما كان يمكنني أن أفكر في ذلك أبداً حتى في الحلم!» ونقصد بذلك دون شك، من جهة، أن مجال الأحلام هو مجال الأخير الذي يمكن أن نطلب حسانات أفكارنا، لأنها منفصلة فيها عن وجودنا العيني إلى حد لا تكاد نحسبها أفكارنا أيضاً؛ ونكس من جهة أخرى نلصق، حين

ننفي صراحة وجود هذه الأفكار في هذا المحل، إنى ان نسويها ليس كاملاً إلا إذا كان يحمي إلى هذا الحد. وأعتقد أننا نتكلم وفق الحقيقة، مع أننا نكلم بصورة لا شعورية. «ولا يمكننا أن نتخيل عملاً من أعمال الحلم لا يكون حافزه قد عبر الفكر في أثناء اليقظة على صورة أمنية، رغبة أو اندفاع». وببغني أن نتعرف أن هذا الاندفاع الأخير لم يتكرر الحلم، ولم يفعل سوى أنه أنتج مجسداً، وصحته، وعمل على القليل من المواد التي كنا قد فرتناها له ومنحه شكلاً درامياً؛ إنه حقق قول الجوزي من يكره أخاه قاتل. وإذا كان الخالم يضحك بعد اليقظة، شاعراً بقوة الأخلاقية، من لوحات هذا الحلم الأتم، فإنه لا يمكنه أن يضحك من المادة الأصلية التي استخدمت في تكوينه. فهو يشعر أنه مسؤول عن نسبة معينة من صلاتات الحلم وليس عن مجموعها كله. و«نقول بإيجاز، إذا فهمنا بهذا المعنى، القطعي، كلام المسيح: الأفكار السيئة تنبعث من القلب، ويشوق على المرء ألا يعتقد أن كل خطأ مرتكب في أثناء الحلم يجر معه حداً أدنى غامضاً من الإثابة على الأقل».

٤ - هل اللاأخلاقية غواية خفية؟

يرى هيلدوبراند إذن أن مصدر اللاأخلاقية في الأحلام يكمن في رثيسات الاندفاعات السيئة ومؤثراتها، التي تمتاز كل يوم وعياً على صورة غوايات، ولا يتروك في أن يحصي هذه العناصر اللاأخلاقية في تقييمه القيمة الأخلاقية للشخصية. وهذه الأفكار نفسها والتقييم نفسه يعتمد عليهما، كل عنصر، في القول عن الأتقاء، والقديسين إنهم كانوا أكبر الحافظين^(١٥).

وإدانة السيكولوجية لهذه الأفكار - المتعارضة - يوضحها هيلدوبراند، الذي يلاحظ أن الحلم يفتح لنا أحياناً أعماق وجودنا وحياته العالمة بالنسبة لنا في أثناء اليقظة. ويذكر كانت على نحو مماثل، في مقطع من كتاب الأنتروبولوجيا، أن

(١٥) من المفيد لنا أن نعرف أي موقف كانت معالكم التفتيش تفضيه من هذا الشكل. وبعد المقطع الذي في أحد كتب جوديس كازو، نيويورك، ١٩٥٩، إذا نظر أحد في أحد كلماته من طريقه، من سنسلي محكمة التفتيش شخصاً منكم، ذات أن من شغفهم أنهم يظهر حديثاً في أسئلة عادة ١٩٥٠، ص ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

وطيفة الحلم دون شك تكمن في أن يكشف لنا استعداداتنا الخفية ولا يبين لنا ما نحن عليه، بل ما أصبحت عليه إذا كنا قد بنينا تربية أخرى. ويعتقد رادستوك أيضاً أن الحلم يقتصر على أن يكشف لنا ما لا نريد أن نعرف به ونخطئه في اتهامه بالكذب والخداع. ويصرح ج. إ. إيردمان: «لم يأتني الحلم قط ما كان ينبغي أن يكون رأيي في إنسان» بل بالخطي ما كان رأيي فيه وكيف كنت أنصرف تجاهه، وذلك ما يسبب لي دهشة كبيرة». ويقول ج. هـ. فحتة أيضاً: «انحناسمة أحلامنا انعكاساً أميناً لجموع استعداداتنا أكثر كثيراً مما يمكننا أن نعرفها ونحن نلاحظ أنفسنا طويلاً في أثناء اليقظة».

٥ - الإنسان برفته مكشوف لذاته

يمكننا أن نسمي «امتثالات لا إرادية» هذه الكتلة من الصور التي يدهشنا ظهورها كثيراً في الأحلام اللاأخلاقية كما في الأحلام المنافية للعقل. وثمة مع ذلك فارق كبير بين هذه وتلك. فالامتثالات غير الإرادية التي نسمي بالي المجال الأخلاقي تتناقض مع طريقة إحساننا العادية؛ أما الامتثالات الأخرى، فإنها تبدو لما غريبة ببساطة. ولم يكن أي جهد قد بذل حتى الآن لتقديم شرح علمي لهذا الفارق.

فما دلالة ظهور هذه الامتثالات غير الإرادية في الحلم؟ وما النتائج التي يمكن أن نستخلصها، من صلحة سيكولوجيا اليقظة والحلم، من هذا الظهور التليي ليون أخلاقية مفارقة؟ المؤلفون مختلفون أيضاً في الرأي بهذه المسألة. فذا تبعنا فكر هيندويراث والمدافعين عن دعواه الأساسية، فإنه ينبغي لنا، دون أي شك، أن نعتقد أن الادفاعات غير الأخلاقية، حتى في أثناء اليقظة، قوة معينة لا يمكنها، بوصفها مكسوفة، أن تنتقل إلى الأفعال، ولكن الشيء الذي كان قد تصرف بوصفه كفاً، ومنعنا من أن نسيب هذه الادفاعات، أنمي خلال النوم. وهكذا يكشف الحلم، إن لم يكن كل ماهية الإنسان، فعلى الأقل يكشف الواقع الأعمق من هذا الإنسان، وسكون إحدى الوسائل الموجودة تحت تصرفنا نعرف لمحتوى الخمي من نفسنا.

وإذا اعتقدنا أن الحلم يكثف الخجائب عن استعداد غير أخلاقي لدى الحائم، موجود في الحقيقة ولكنه مقبوع أو خفي، فإننا لا يمكننا أن نعيّر عنه إلا بهذه الكلمات التي قالها مور: «الإنسان في الحلم يبين إذن رمته لذاته في عريه ويؤسه الأصلي». ومنذ أن يعلن ممارسة إرادته، يصبح لعبة لكل الأهواء التي يحميها الوعي، وعاطفة الشرف، والخوف، منها خلال اليقظة». وتوجد في غير مكان هذه الكلمات الجلية: «الإنسان الغربي هو الذي يبين في الحلم... فالإنسان يرجع إذا صح القول إلى حالة الطبيعة عندما يعلم؛ ولكن عندما قل نفوذ الأفكار المكتسبة إلى فكره، تحتفظ الجوارح الحياوية معها بتأثير عني أيضاً في الحلم».

٦ - نظرية الحلم ووظيفته

تسمى نظرية الحلم تحليلاً يعني أنني أن بشرح من وجهة نظر معينة أكبر عدد ممكن من السمات الملاحظة، والتي أن يلاحظ مكان الحلم في مجموع أوسع. فنظريات الحلم المختلفة يتميز بعضها من بعض بواقع مفاده أنها تعد هذه السمة أو تلك أساسية، وترتب حول هذه الصفة شروحيها.

ولا تتضمن نظرية الحلم بالضرورة فكرة وظيفة، أعني فكرة فائدة أو فعالية للحلم، ولكن عاداتها الغائية تخفي بصورة طبيعية لللاقة النظريات التي تعزو وظيفة إلى الحلم.

وتجربة التحليل النفسي تبرهن لنا على نحو مختلف أيضاً أن النسيان في الحلم ذو علاقة بالمقدومة أكثر من تبعيته للفواصل الزمنية بين اليقظة والنوم، فاصل يذكره المؤلفون. وحدث لي عنى الغائب، وكذلك للمحللين النفسيين الآخرين ولرؤى وفق علاج تحليلي نفسي، أنني إذا جاز القول استيقظت بعمل حلم وبدأت بتعبيره حالاً بعد اليقظة، بعكر يقظ وصاح عامساً. ورفضت غالباً أن أعود إلى النوم حتى أفهم الحلم فهماً كاملاً. وكنت أسى في بعض الأحيان مع ذلك عمل التفسير ومحتواه معه، عندما استيقظ، شيئاً تاماً، عارفاً في الوقت نفسه أنني كنت قد

حلمت وفسرت حلمي فالحلم هو الذي يحرمه على الأغلب نتائج التفسير إلى التسياب، ويحرمه على نحو أقل غدياً تلك التفاعلية الفكرية التي تفلح في أن تحافظ على الحلم في الذاكرة. ولا يوجد مع ذلك، بين التفسير والفكر اليقظ، تلك الهوية النفسية التي يريد المؤلفون أن بشرح حوا بها نسيان الحلم. ويعترض سارتون براس على نظريتي في نسيان الحلم أن ليس ثمة في ذلك سوى حالة خاصة من فقدان الذاكرة لحالات المفككة. وليس ممكناً مدّ شرحي لفقدان الذاكرة الخاص هذا على نماذج أخرى، بحيث أنه يفقد كل قيمة. إنه بذلك يذكر القارئ أنه لم يحاول قط، في هذه الأوصاف لحالات المفككة، تفسيراً دينامياً ولو فعل ذلك لاكتشف أن التكب (أو المقاومة التي يسببها) سبب هذه الضروب من التفتك وسبب فقدان الذاكرة، بالقدر نفسه، الذي يصيب محتواها النفسي

٧ - أحلام لا نساها

بوسعي أن أؤكد أن الأحلام أقل تعرضاً للنسيان من الأفعال التسمية الأخرى وتعادل، فيما يخص احتجازها في الذاكرة، تلك الوظائف التسمية الأخرى. وتلك تجربة أجريتها خلال تحرير هذا الكتاب برهنت لي على ذلك. وكنت قد احتفظت في بطاناتي بعدد كبير من أحلامي الخاصة التي لم أفسرها، لسبب من الأسباب، إلا تفسيراً غير كامل أو لم أفسرها على الإطلاق. وحاولت، بعد سنة أو سنتين، أن أفسرها لأوضح نظرياتي. وأقنحت في أن أفسرها كلها دون استثناء. وبوسعي حتى أن أقول إن التفسير كان أيسر كثيراً مما لو حدثت عندما كانت الأحلام لا تزال حديثة، وذلك أمر لا يمكنني أن أشرحه إلا بأن افتراض أنني، منذ ذلك الزمن، انتصرت كثيراً على المقاومات الداخلية. وقارنت، خلال هذه لتفسيرات المزعجة، أفكار الحلم التي اكتشفتها عدتها بالأفكار التي وجدتها حديثاً، الأغنى في الأعمق، ودائماً وجدت التمدية تحت الحديثة، وكانت لم تتغير. وذلك أمر لم يدعني كثيراً، لأنني كنت قد اعتدت منذ زمن طويل أن أجعل مرضاي يعزرون

أحلام سنينهم الأولى، التي كانوا يقصونها عني بالكسبة ويقدر من النجاح كما لو أنهم حلموا بهذه الأحلام في الليلة السابقة. وعندما حاولت هذا التفسير في وقت متأخر للمرة الأولى، فذلك لأنني كنت أتوقع، واتخاذت بحكم لمصلحتي، أن بسلك الحلم سلوك عرض من أعراض مرض عصبي. وعندما أعانج بانتحليل نفسي مصاباً بمرض عصبي، أو هستيرياً على سبيل المثال، ينزمني بيانات خاصة بالأعراض الأولى لهذا المرض، الذي يتجاوزه المريض الآن، كذلك بالأعراض التي لا تزال باقية الآن وقادت المريض إلي. فالأولى أسهل اكتشافاً في العادة. واستطعت، منذ عام ١٨٩٥، في دراساتي في الهستيريا، أن أنقل شرح أول أزمة من الحصر الهستيرى التي كان مريض عمره أربعون عاماً قد عاها في السنة الخامسة عشرة من عمره^(١).

٨ - مقاومة تضعف

ينبغي أن نقول تماماً إن الأحلام كلها لا يمكنها أن تُفسَّر ولا ينبغي أن ننسى أن القوى النفسية التي شوّعت الحلم تعارض عمل التفسير فالمسألة تابعة لعلاقة قوى: فالغضوب الفكري، والسبادة على الذات، والمعارف السيكلوجية وتجربة المنسّر، من جهة، والمقاومات الداخلية من جهة ثانية. وبوسعنا كلنا أن نتغلب على بعضها غلبة تكفي على الأقل لتقتنعا أن للحلم معنى، وليكشف أيضاً عن هذا المعنى قليلاً. ويتيح على الغالب حلم ثان أن يوضع دلالة الحلم الأول وأن يجعل تفسيره يتقدم. ولجموعة كاملة من الأحلام التي حدثت خلال أسابيع وحتى أشهر، خلفية مشتركة على الغائب وينبغي عندئذ أن نخضعها لتفسير مجموعها. وعندما يروني حلمان، يتكئنا على الغائب أن نلاحظ أن مركز أحدهما هو ما أشدّ إليه الآخر إشارة سطحية والعكس بالعكس، بحيث أنهما يتكاملان بالنسبة للتفسير. ويبرهن لنا بعض الأمثلة أن أحلام ليل واحد ينبغي أن تُفسَّر بوصفها كلاً.

(١) أحلام السنوات الأولى من الطفولة. ليس ظلاً عالياً في البداية، تساعد دائماً من وجه التعريب في نية طفل الخادم وعصابه. وعندي بحث عظيم ملك الأحمدة، وفرضت النفس التي يتكئها. في عدد عام آخرى، أن تخلصه في سنة من حياته

وتحتفظ الأحلام الأفعال تفسيراً بنقطة عاصمة؛ وبلا حظ وجود عقدة من الأفكار لا يمكن حلها، ولكنها لا تسهم بإضافة إلى محتوى الحلم. إنها مسرعة الحلم، النقطة التي بها يرتبط بالجهول. ففكر الحلم التي تصادفها خلال التفسير ليس لها على وجه العموم نتيجة، فهي تشعب بكل الاتهامات في الشبكة الشبكية لأفكارها، وتبعث رغبة الحلم من نقطة من هذا التسبيح تكون أكثر كثافة، كظهور الفطر من مسيجه.

فنتعد إلى نسيان الحلم. إننا نعلمنا أن نستخلص نتيجة هامة. فإذا كان واضحاً أن اليقظة تقتضي نسيان الحلم، إما دفعة واحدة عند اليقظة، وإما جزءاً جزءاً في أثناء النهار، وأن العامل الرئيسي لهذا النسيان هو المقاومة النفسية التي فعلت كل شيء آنفاً، خلال الليل. ما كان بوسعها أن تفعله ضد الحلم، فكيف نشرح أن الحلم استطاع أن يتكون عنى الرغم من المقاومة؟ فنضرب مثل الحانة الأكثر وضوحاً، الحانة التي تمحو اليقظة فيها الحلم، حيث يبدو وكأنه لم يوجد، ونلاحظ حركة القوى النفسية. ويتبقى لنا أن نقول تماماً إن الحلم لن يحدث لو أن المقاومة كانت في الليل ما تكون في النهار. فلنستنتج إذن أن المقاومة تضعف في الليل؟ ونحن نعلم أنها لا تلغى، لأننا استطعنا أن نبين دورها خلال تكون الحلم في الشبه. ويتيح نقصها للحلم أن يتكون، ولكنها تستعيد قواها عند اليقظة، ونسعد عندئذ ما يجب عليها أن تتحمل سابقاً. وعلمتنا السيكولوجيا الوصفية أن الشرط الأساسي لتكون الحلم هو نوم الفكر؟ وبوسعنا أن نضيف إلى ذلك: النوم يتيح تكون الأحلام لأنه يضعف الرقابة ذات المنشأ النفسي الداخلي.

٩ - رابط خفي بين عناصر الحلم النفسية

الأطباء النفسيون فقدوا الأمر مبكراً جداً من حيث نبتنا النفسي، وأعلم أن النمستوريا لا تعرض، ولا الذهان النهائي (بارنويا)، شأنهما شأن الحلم، سياتا من الأفكار مضطرباً ودون استنالات - هدف. وذلك ربما لا يحدث حتى في الأمراض النفسية ذات منشأ داخلي؟ وحتى إهدبات المتوسمين معي، وحتى ملاحظته نوره

الدقيقة، وهي غير مفهومة بسبب تغيراتيا فقط. وأمكنني أن أبدي هذه الملاحظة كلف سنحت لي فرصة رؤيتها. فالهذيانات عسل رقابة لا تجهد نفسها في إخفاء تأثيرها وتمحو بحرف، بدلاً من أن تنصرف لتعدد محاولات تكون أقل اتصافاً بأنها صادمة، كي ما لا يروق لها، بحيث أن كل ما يبقى يصح غير متعاسك. إنها تنصرف كما كانت الرقابة الروسية للمصحف تنهج على الحدود، رقابة كانت تظلي بالأسود كل ما لا يروق لها في المصحف الأجنبية قبل أن توضع بين أيدي القراء الذين كان عليها أن تحميمهم.

فأن يكون بوسعنا أن نلاحظ، في جروح الدماغ العضوية، تلك الحركة الحرة للامتنعالات التي ترتبط بالمصادفة، ذلك أمر لا ينطوي على أي شيء من المتعذر؛ ولكن ما فسره بعضهم بوصفه كذلك في التفاسات^(١٤) يُسرح دائماً بتأثير الرقابة على تعاقب من الأفكار تدفعه إلى المستوى الأول امتنعالات - هدف تظل محجوبة^(١٥). وعند بعضهم برهاناً لا يُدحض على وجود الترابطات الحرة من الامتنعالات - الهدف ذلك التوقع الذي مفاده أن امتنعالات أو صوراً كان بوسعها أن ترتبط ارتباطاً سطحياً، أي أن ترتبط بفعل التجانس الصوتي، والمعنى المزوج لكلمة، والانتقاء في الزمن دون علاقة عميقة من الدلالة، وكل الأساليب التي تستخدمها التكات والتلاعب بالكلمات. وهذه المعلومات صحيحة فيما يخص ارتباطات الأفكار التي تفرد من عناصر محتوى الحلم إلى الأفكار الوسيطة ومنها إلى أفكار الحلم نفسها؛ وقد وجدنا منها، خلال تحليلاتنا، أمثلة غريبة. ولم يكن ثمة رباط مهما كان رخواً ولا مزحة مهما كانت جارحة لا يمكنهما أن يُستخدما للانتقال من فكرة إلى أخرى. ونكتة ترمي بسهولة مصدر هذا التسامح. فتحة، كلما ارتبط عنصر نفسي بأخر تربط صادم أو سطحي. رباط طبيعي بين الاتين وعميق خاضع لمقاومة الرقابة.

(١٤) Psychones rose. نظر المعجم الموسوعي لعلم النفس، ترجمة رجب أحمد، وزارة الثقافة، دمشق، عام ١٩٧٧ (القدس أو بيروت - مصر).

(١٥) نجد أنفسنا هنا الاندماج بذلك - برقع فيما يخص تحليل السكر (بيكولوجيا الخليل - بيتر، ١٩٥٧).

١٠ - الوصول إلى الوعي بطرق ملتوية

تسود الترابطات السطحية بسبب ضغط الرقابة وليس لأن الامتثالات - الهدف غائبة . والترابطات السطحية ، في التمثيل بالصورة ، تحل محل الترابطات العميقة عندما تجعل الرقابة هذه الدروب الطبيعية غير سالكة . وذلك يشبه وضع الطرق الجيدة في الجليل عندما يجعلها ضرب من الظروف متعذرة الاستخدام : قسمة استمرار في حركة المرور ، ولكن بواسطة السحاب الشديدة الانحدار ، والعسيرة التي يسكنها الصيادون وحدهم عادة .

ويوسعنا أن نُمَيِّز حالتين ، لا نكوّنان في الحقيقة إلا حالة واحدة . فلما أن الرقابة لا تهاجم إلا الرباط بين فكرتين تفتنان منها بوصفهما منعزلتين . وتبدو الفكرتان في هذه الحالة متعاقبتين في الوعي ؛ ويظل تسلسلهما خفياً ؛ وندرج بالمقابل ، بين الفكرتين ، ترابطاً سطحياً لم تكن قط قد فكرنا فيه . وينطلق عنى وجه العموم من نقطة من العقدة المعقدة مختلفة كل الاختلاف عن النقطة التي بها يتعلّق الارتباط الأساسي الموضوع . وإنما أن الفكرتين خاصعتان للرقابة بسبب محتويهما ؛ وفي هذه الحالة لا تظهران ، بصورتيهما الحقيقيتين ، بل بصورتين معدلتين تحلان محلّهما ، وتكون الفكرتان اللتان تحلان محلّ الفكرتين السابقتين مختارتين على نحو يعبّر الترابط السطحي بينهما عن الارتباط الأساسي بين الفكرتين اللتين فتلايهما . فحدث في الحالتين ، تحت ضغط الرقابة ، انزياح ، انتقال من ترابط طبيعي وجددي إلى ترابط سطحي ذي مظهر منافي للعقل .

سيموند فرويد

النص الثاني

١ - احاجز عند غشيان الحارم

إذا كان حنان الأوبس يسجع في عدم إيغاط الدافع الجنسي لدى انفصال قبل الأوان ، أعني إذا كان يتجنب أن يسج هذا الدافع ، فيل أن تكون الشروط الجنسية

تلبوع متوافرة، شدة بحيث تنصب الإثارة العسية على النظام التناسلي بصورة لاشك فيها، فإن هذا الختان يمكنه عندئذ أن يحفز المهمة التي تقع على عاتقه، مهمة تكمن في أن تفود الطفل الذي أصبح راسداً في اختيار الموضوع الجنسي. ومن المؤكد أن الطفل يميل إلى اختيار الأشخاص الذين أحبه منذ طفولته، حباً ليده¹⁸ وهي على نحو من الأنحاء. ولكن، بالنظر إلى أن الفصح الجنسي كان مؤجلاً، أفدنا من الزمن انضروي لبناء حاجز ضدّ عشيان المحارم إلى جانب ضروب أخرى من الكف. فالطفل استطاع أن يستدخل تعاليم أخلاقية تستبعد صراحة، في اختيار الموضوع الجنسي، أولئك الأشخاص المحبوبين خلال الطفولة، الذين يشعرون إلى الدم الذي ينتمي إليه الطفل. ومثل هذا الكف يأمر به المجتمع، المرغم على أن يمنع الأسرة من أن تقتصر كل القوي التي ينبغي له أن يستخدمها لتكوين التنظيمات الاجتماعية العليا: فلنجتمع يستخدمه عندئذ كل الوسائل بغية أن تترسخ الروابط الأسرية، التي كانت موجودة وحدها خلال الطفولة، لدى كل عضو من أعضائه، ولدى المراقبين على وجه خاص

٢ - حب الأرواد والحب الجنسي أهل واحد

ولكن اختيار الموضوع الجنسي يتم أول الأمر على صورة تصورات، والحياة الجنسية لدى المراهق لا يمكنها، في زمن المراهقة، إلا أن تستسلم للاستيهامات، أي تصورات مصيرها عدم التحقق. وتكتشف في هذه الاستيهامات، لدى كل الناس، ميول الطفل ونزعاته، يعززها النمو الجسمي عندئذ؛ وأحد هذه الميول الأكبر شأنًا بالأهمية والتواتر هو الميل الجنسي الذي اكتسب في معظم الأوقات، بفضل الأجداب الجنسي للطفل نحو أويه، سمة متميزة: الابن نحو أمه والفتى نحو أبيها. ويتحقق، في الوقت الذي يند خلاله الطفل ويتجاوز هذه الاستيهامات ذات العلاقة بغضن المحارم، عمل ميكلوجي خاص في مرحلة البلوغ، عمل من

181 - ع. غ. نيبيو، ذات مراحل اللبوع: من الطفل إلى المراهق، هي انجوسا عبادا: مجلة علم الاجتماع.

أكثر الأعمال أهمية ولكنه الأكثر ما يسبب الألم، أي الجهد الذي يبذنه الطفل ليتخلص من سلطة الأبوين، جهد يُنتج وحده التقابل، ذا الأهمية الكبيرة في التقدم، بين الجينين اجنيد والقديم. وفي كل طور من هذه الأطوار التي لا بد لكل موجود سوي من أن يعرفها، يمكن أن يتوقف بعض الأفراد؛ وهكذا نجد أشخاصاً لم يتخلصوا قط من السلطة الأبوية، ولم يتقنوا أن يفصلوا عواطف الحنان لديهم عن آباءهم، أو أنهم على الأقل لم يتمكنوا من فعل ذلك إلا على نحو غير كامل. والمقصود عنى وجه الخصوص فتيات يبقين مشغولات، بقاء يرافقه سرور الآباء تكبير، يحب هؤلاء الآباء انقياض التكامل؛ ومن المثير للاهتمام أن يعاين المرء أن هؤلاء الفتيات لسن، عندما يقدمن على الزواج، قدرات على أن يمنحن الزوج كل ما ينبغي أن يُمنح. وستكون هؤلاء الفتيات زوجات باردات جنسياً، ويبقن غير حساسات من الناحية الجنسية. ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن حب الأولاد آباءهم غير الجنسي، عنى ما يظهر، والحب الجنسي يتغلبان من مصدر واحدة، وذلك يعني أن حب الأولاد آباءهم ليس سرى ضرب من تثبيت طفالي لنبيدو.

٣ - ما يكشف عنه مقال بالأبوين

كلما فحصنا الاضطرابات العميقة في التطور النفسي الجنسي فحسب عن كُتب، ازدادنا وعياً بالأهمية التي مفادها أن نعتصر غشيان المحارم علاقة باختيار الموضوع. وتظل الفاعلية النفسية الجنسية، الباحثة عن الموضوع في حالات القساسات، في اللاشعور، معظمها أو كلها، جراء ضرب من إنكار الجنسية. فالفتيات اللواتي يعانين حاجة إلى الخنثى المفرط، ويعاين في الوقت نفسه وعياً أمام مقتضيات الحياة الجنسية مفرطاً أيضاً، هن عرضة لغواية لا تقاوم، تقودهن، من جهة، إلى البحث في الحياة عن المثال لحب جنسي، وتقودهن، من جهة ثانية، إلى أن يقنعن لبيبنهن بحنان يمكنهن إظهاره دون أن يوجهن لأنفسهن ضروب اللوم، إذ يحتفظن طوق حباتهن بعواطف المحبة لطفالية لآبائهن، وأخواتهن وأخواتهن، وتلك عواطف جدها البنوع، فالتحصيل العمسي، الذي يبحث من خلال الأعراض

المرضية عن أفكارها اللاشعورية، ويفوده في الوقت نفسه إلى الوعي، سيكون
 ممكناً له دون صعوبة أن يبرهن لهؤلاء الأفراد من هذا النموذج على أنهم عاشقو
 آباتهم بالمعنى العادي الذي نطلقه على كلمة عاشق. والأمر نفسه ينطبق على حالة
 فرد يظهر، بعد أن بدأ في أن يكون سوياً، سمات مرضية في أعقاب حب تعس.
 وبوسعنا أن نبرهن، برهان اليقين، على أن آتية المرض تكمن في عودة النييدو إلى
 الأشخاص المحبوبين في أثناء الطفولة.

سيغموند فرويد

النص الثالث

١ - صوت الوجدان الأخلاقي

نن يكون مدهشاً أن نجد مرجعاً نفسياً يحقق مهمة السهر على تأمين الإشباع
 الترجسي المصادر من مثال الأنا، ويراقب الأنا الخالية لهذا الغرض وبقيتها بالمثل
 ومن المتعذر، إذا كان هذا المرجع موجوداً، أن يكون موضوع اكتشاف غير متوقع؛
 وليس بوسعنا إلا أن نتعرفه بوصفه كذلك، ويمكننا أن نقول إن ما نسعيه وجدانا
 الأخلاقي له هذه الخاصة. ويتيح لنا الاعتراف بهذا المرجع أن نفهم الأفكار الهاذية
 حيث يعتقد الفرد أنه مركز اهتمام الآخرين أو، بالحرى، هذيان الملاحظة^(٤) الذي

(٤) Das Verständnis des sogenannten Beachtungs - derrichtigter Bewertungswah-

nes؛ والترجمة الحرفية هي فهم ما لك فيه أنه عدلان الانتباه أو، بمعنى نحو أميخ، هذيان الملاحظة
 المسومة لترجمة هذا المصطلح صعوبة كبيرة، فوسن فرويد إلى ما يبدى عليه لأطباء النفسون الألمان، Be-
 achtungswahres، وليس لهذا المصطلح مقدر دقيق في أدب الطب النفسي الغربي، ونعصب
 ترجمته بالأحد من عدة كلمات، ونعبر تيممه Beachting، لأنشبهه الذي يوحى به المرء
 وتكلمني Beachting وBeachtung أصل واحد، ولكن الكلمة الشاب تعريب نازلاً وفقاً لموضوع
 لانتباه مطروح موضوعه الملاحظة (ملاحظة الملاحظة) نفسياً.

يطوي عنى مثل هذا البروز في مسحت الأعراض الخاص بعوظف الحنان بغير اندهابية الهدائية (بارانويا) ، ولكنه يمكنه أن يحدث بوصفه عاطفة منعزلة ، أو من وقت إلى آخر ، في عصابات التحويل . ويشكو المرضى عندئذ من أن الآخرين يعرفون كل أفكارهم ويلاحظون أعمالهم ويراقبونهم ؛ وهم عنى علم بالعمل . نوظف نفي النساء لهذا المرجع بواسطة الأصوات التي تتكلم إليهم ، عنى نحر متميز ، كلام الشخص الثالث (٤) «الآن يفكر أيضاً بهذا» ، «الآن يمضي» . ولهذه الشكوى ما يسوغها ، فهي تصف الخفية ؛ وثمة بالفعل ، وذلك موجود لدينا جميعاً في الحياة العادية ، قوة من هذا النوع تلاحظ ، تعرف ، وتنفذ كل بوادي . ويعرضها هذيان الملاحظة على شكل تكوسي ، إذ يكشف على هذا النحو نشوءها والسبب الذي ينفخ المريض إلى أن يتعد عليها .

وما كان بعض أفراد على أن يكون الأنا المثالية التي تموض حراستها إلى الوجدان الأخلاقي إنما هو على وجه الضبط تأثير الأويرن القسدي كما يتنقل بصونيهما . وانصم إليهما ، في مجرى الأزيمة ، المرون ، والأساندة ، والمركب الذي لا يحصى عدده وغير المحدد من الأشخاص الآخرين كلهم ، أشخاص الوسط المحيط (الآخرون ، الرأي العام) .

٢ - ما يشرف على النقد الذاتي والملاحظة الذاتية

كانت كميات كبيرة من الليبيدو الثاني الجنسية بصورة أساسية قد اجتمعت لتكوين مثال الأنا الترحيبي . ونجد ما يدعوها إلى الانحراف والإشباع وهي تصون هذا المثال وكانت مؤسسة الوجدان الأخلاقي في الخفية هي التجسيد خلال مرحلة أولى لنقد الأويرن ، ونفقد المجتمع فيما بعد ؛ وتتكرر السيورة بعها عندما يحده مثل إلى التكت أصفه في ضرب من الدفاع أو في عائق كأننا خارجيين أولي الأمر . ونأتي الأصوات الآن ، وكذلك هذا الجمهور المشترك غير متعين ، إلى المستوى الأول ، من حراء المرض . بحيث أن تاريخ نمو الوجدان الأخلاقي يحدث بصورة تكوسيه . أما العصابات على هذا المرجع من الرقابة ، فإنه ينجم عن هذا

المواقع، المطابق لسمة المرض الأساسية، وافع مفده أن الشخص يريد أن يتحرر من هذه التأثيرات كنهها، بدءاً من تأثير الأيوين، وأن يسترجع منها ليبسده الجنسي الثنائي. وعندئذ يعود إليه وجدانه الأخلاقي، في ظل شكل نكوصي، بوصفه عملاً يعادي. خارج

وتبين شكاوى المذهبان الهذائي (المبارانوي) أيضاً أن النقد الذاتي للوجدان الأخلاقي يتزامن في الحقيقة مع الملاحظة الدتية التي تُبنى على النقد الذاتي. والفاعلية النفسية نفسها التي تكملت بوظيفة الوجدان الأخلاقي وتُصعد أيضاً في خدمة الاستبطان الذي يكشف للفلسفة عن المادة لعملياتها الفكرية. وربما لا يكون ذلك دون علاقة بجبل المذهانيين الهذائيين إلى بناء منظوماتهم الثامنة^(١١).

سيغموند فرويد

النص الرابع

٩ - جاذية الثمرة الهرمة

المبول التي تتوجه ضدها رقابة الأحلام ينبغي أن توصف أول الأمر حين تثبت وجهة نظر المرجع نفسه الذي تمثله الرقابة. وبوسعنا أن نقول عندئذ إن هذه المبول هي مبول تستحق اللوم، غير محشومة من وجهة النظر الأخلاقية، الجمالية والاجتماعية، وإنها أشباه لا تجوز على التفكير فيها، أو لا تفكر فيها إلا مع الرعب. وهذه الرغبات، المراقبة وتتلقى في الأحلام تعبيراً مشوقاً، هي قبل كل شيء مظاهر أنانية دون حدود ولا تبكيت ضمير. وليس ثمة من جهة أخرى حلم لا تؤدي الأنا فيه الدور الأساسي، مع أنها تثمن إنساناً جيداً جداً أن تحتجب في المحتوى الظاهر. وهذه الأنانية المقدسة في الحلم ليست بالتأكيد دون علاقة باستعدادنا للوم الذي يكمن على وجه الدقة في أن نفصل عن كل اهتمام بالعالم الخارجي.

(١١) أصعب هذا الافتراض السبب الذي حدث أن تكبر هذا المرجع الذي يراقب ويعجزه بمكبهما أن يتفلسف، فأعترفتنا قوة الذات والوحش التي لا يطق على الظواهر الثلاثية.

فالأنثى تخلصت من كل عائق أخلاقي تستسلم لكل مقتضيات الغريزة الجنسية، تستسلم لمقتضيات انثى أدامتها منذ زمن طويل تربيته الجمالية، وتلك مقتضيات انثى تتعارض مع كل قواعد القيود الأخلاقية. ولا يختار البحث عن التلذذ، وذلك ما نسميه الميبدو، زوجة الغير فحسب، ولكنه يختار أيضاً أشياءها انثى تضفي عليها انماق الإنسانية الإجتماعي سمة مقدّسة؛ بوجه الرجل اختياره إلى أمه وأخته، وإلى زوجة أبيه وأخيه. رثمة لشهوات نعتقد أنها غريبة عن الطبيعة تبيّن أنها قوية إلى حدّ يكفي لإثارة حلم. وانكره يطلق العنان لنفسه دون قيد. ورغبات الانتقام، وتمنّيات الموت للأشخاص الذين تعيهم الحب الأكبر في الحياة، أماء، أخسرة، أخسوات، أزواج وروجات، أطفال، ليست على الإطلاق مظاهر استثنائية في الأحلام. وهذه الرغبات، التي تخضع للرقابة، تبدو أنها تستمد قوتها من جحيم حقيقي؛ ويبين التفسير الذي يحدث في حالة اليقظة أن الأفراد لا يتوقفون أمام أي مراقبة لقمعها.

٢ - حارس، اللاشعور

التصور الأبسط للجهاز النفسي لللاشعور، هو الأيسر لنا: إنه التصور المكاني. فنحن نشبهه إذن جهاز اللاشعور بغرفة انتظار واسعة تتراحم فيها الميول النفسية، شأنها شأن الموجودات الحية. وتتأخم غرفة الانتظار هذه غرفة أخرى، أخسيق، ضرب من الصالة، يسكنها الوعي. ولكن ثمة، في مدخل غرفة الانتظار إلى الصالة، حارس ساهر يقف كل ميل نفسي، ويفرض عليه الرقابة، وينعه من الدخول إلى الصالة إذا كان لا يروق له. فأن يعيد الحارس ميلاً معيناً منذ العتبة أو أن يجعله يتجاوز العتبة بعد أن يكون قد دخل الصالة، فارق ليس كبيراً جداً والنتيجة واحدة. ويأط كل شيء بدرجة يثقله وفطنته. ولهذه الصورة قائدة لما مفادها أنها تتيج تنعية قائمة مصطلحائنا. فالميول الموجودة في غرفة الانتظار، المحجوزة لللاشعور، تفلت من نظر اللاشعور الذي يسكن الغرفة المحاوره. إنها كنهها لاشعورية إذن أرن الأمر. وعندما يعيد هذا الحارس، بعد أن تكون قد وصلت إلى العتبة، ذلك بعني أنها عاجزة عن أن تصبح شعورية. ونقول عندئذ إنها

مكتوبة . ولكن المسول التي سمح لها الحارس أن تعبر العتبة ليست لهذا السبب شعورية بالضرورة ؛ ويمكنها أن تصبح شعورية إذا أفلحت في أن تجذب نظر الوعي . ومنسَمَى إذن هذه الغرفة الثالثة منظومة قبل الوعي . ويكون سيرورة من السيرورات تصبح شعورية أمر يحتفظ على هذا النحو بمعناه محض الرصفي . وتكمن ماهية الكبت في أن الحارس يمنع ميلاً معيناً من أن ينفذ من اللاشعور إلى قبل الشعور . فالحارس هو الذي يظهر على صورة مقاومة ، عندما نحاول ، بواسطة العلاج التحليلي ، أن نضع نهاية للكبت .

قد تقولون لي ، دون شك ، إن هذه التصورات ، البسيطة ومن صنع المخيلة معاً ، لا يمكنها أن تجد مكاناً في عرض علمي . وأنتم على صواب ، وأعلم أنا نفسي جيداً جداً أنها ، بالإضافة إلى ذلك ، غير صحيحة وسيكون لدينا عني وجه السرعة ، إذ لم يكن مخطئاً ، شيء أكثر إثارة للاهتمام نضعه مكانها . وأجهل إذا كانت ستبدو لكم ، بعد نصحيحها وإكمالها ، أقل حيائية . واعلموا ، وأنتم تظنون ، أن هذه التصورات المساعدة ، التي لدينا مثل عليها في التوجه الإنساني لأمبر ، أتسابع في دائرة كهربائية ، ليست موضع احتقار ، ذلك أنها تساعد ، على الرغم من كل شيء ، على فهم بعض الملاحظات . ويوسعي أن يؤكد لكم أن هذا العرض الختام تحليلي ، مع الحارس الواقف على العتبة بين الغرفتين ومع الوعي الذي يؤدي دور الشاهد في طرف الغرفة الثانية ، يقدم فكرة قريبة جداً من الحالة الواقعية للأمور . وأرد أيضاً أن أسميكم تواقفون على أن تسمياتنا : لا شعور (incoincident) ، قبل الشعور (préconscient) ، شعور (conscient) ، ذات حكم مسبق أقل كثيراً ولها ما يسوغها أكثر من كثير من التسميات الأخرى انفتحة أو المستخدمة : subconscient (تحت الشعور) ، para - conscient (تظير الشعور) ، inter - conscient (داخل الشعور) ، إلخ .

٣ - قوة داخلية : الضمير

يوسعنا أن نكتب ، بغض التحليل النفسي ، مصارف خاصة بتركيب الأنا ، والعناصر التي تدخل في بنيتها . ونحن نعتمد ، من تحليل غوايه الملاحظة ، أن

بوسعنا أن نستنتج أن في الأنا مرحلًا يانفص بالاحظ، ويتفقد ويقارن دون كلل ويعترض الجزء الآخر من الأنا على هذا النحو. ولهذا السبب أعتقد أن المريض يكشف لنا عن حقيقة لا تأخذها على وجه العموم بالحسبان دائماً كما تستحق، عندما يشكو أن كل خطوة من خطواته مرصودة ومراقبة، وكل فكرة من أفكاره مكشوفة ومشفذة. ويكمن خطأ الوحيد في أنه يحدد موقع هذه القوة غير المريحة جداً في الخارج كما لو أنها خارجية بالنسبة له. إنه يحس في نفسه بسطة مرجع بقيس أنها الراهنة وكل مظهر من مظاهرها بـ «أنا مثالية» أبدعها هو نفسه خلال ثوبه. بل أعتقد أن هذا الخلق كان قد جرى تنفيذه بنية أن يستعيد هذا الرضي بذاته، الذي كان ملازمًا لتلرجسية الأونية الطفولية، والذي عانى كثيراً من الاضطرابات في المعاملات المذمومة منذ ذلك الحين. وهذا المرجع الذي يراقب، نحن نعرفه؛ إنه مراقب الأنا، إنه التضمير؛ إنه هو نفسه الذي يمارس رقابة الأحلام خلال الليل، ومنه إذا تطلن ضروب كبت الرغبات غير المقبولة. وإذا يتفكك تحت تأثير غواية الملاحظة، فلنا يكشف لنا عن أصوله: التأثير الذي يمارسه الآباء، والمربون، والوسط الاجتماعي؛ والتوحيد^(١٢) ببعض الأشخاص الذين عانى المرء تأثيرهم معاناة أكبر.

سيغموند فرويد

(١٢) نغفر - عن التوحيد - لتوحيد الآخر هو ما. كتب في المجموعة معها.

الجزء الثاني
الموقعية الثانية

الفصل الأول

الأنا، الهو، والأنا العليا؛

الإمبراطوريات الثلاث

يبدأ من عام ١٩٢٠ إذن إنما يشرع فرويد في أن يصوغ تصوّره الجهاز النفسي صياغة جديدة بعد أن أدخل مفهوم الموت^(١). وهذه المقاربة «البنوية» الجديدة للشخصية تُسمى «الموقعية الثانية» على الغالب (الهو، الأنا، الأنا العليا). واقترح بعض المؤلفين كثيراً من الفروض لشرح نشوئها.

ويعتقد على هذا النحو أن دراسته المعنونة «الحداء والسوداوية» تقود فرويد إلى أن يتصوّر، داخل النفس، وجود جزء يمكنه أن يعارض الجزء الأخر معارضة عنيفة، إلى حدّ يدمّره بالانتحار. وذلك ما كشفنا عنه ونحن نقدّم الفصل السابق. ولكن هذه الملاحظة، التي يمكنها أن تتبرّر ظهور دافع الموت في التحليل النفسي، تساعدنا أيضاً على أن نفهم الأهمية المتنامية التي يتخذها المرجع الأخلاقي الذي يلاحق الأنا. ذلك أن فرويد يجعل هذا المرجع من الآن فصاعداً أحد ثلاث «منظومات» أماكن، كمقاطعات أو إمبراطوريات: - وفق مصطلحاته الخاصة - تكون مجموع الشخصية. وذلك من وجهة النظر الموقعية والدينامية على حدّ سواء. لأن فرويد، بفعل ذلك نفسه، يبرز النزاعات التي تقع بين مختلف مراجع الفكر الإنساني أو منظوماته. أضف أن فرويد يصف التوحيد بالموضوع المفقود^(٢) والتعديلات الناجمة عنه في الأنا. في هذا العمل المكرّس للسيوريات

(١) انظر كتاب التدرّج «الحب والجنون» الحياة والموت. في مجموعته.

(٢) انظر كتاب مراحل اللبوس «من الطفل إلى الراشد» في مجموعته.

السوداوية. وتتطور الأنا بفضل التوحدات الثانية^(٢) وتتكون بدمج الموضوعات
النموي. فإطلاقاً من هذا المقال إذن نُعلنُ أننا الموقعية الثانية

والواقع أن مفهوم الأنا إنما يبرز بصورة تدريجية جداً، لأننا نكتشف
أثره عام ١٨٩٥، في الدراسات في الهستيريا، حيث يرى هذا المفهوم أنه مرجع
كابت. فلنذكر فقط، في سبيل وضوح العرض، أن النرجسية^(٣)، التي حدد مقال
«من أجل إدخال النرجسية» إدخالها في النظرية عام ١٩١٤، تؤثر في نظرية
تطور الأنا.

وثمة فرض ثانٍ يشرح أيضاً هذا التعديل المتحقق في الموقعية الثانية.
وتفسح المادة العيادية المجموعة من المرضى في التحليل مكاناً واسعاً للدفاعات
والمقاومات^(٤) التي لا ينبغي، على الرغم من سمعتها اللاشعورية، أن تختلط
بالواقع وممثلاتها اللاشعورية (المكبوتة). وهذان الصنفان من السيرورات،
المختلفان بفعالتهما، يدخلان في نزاع داخل النفس.

ونقول، أخيراً، إن المكان المتعاطف الذي مُنحته التوحدات^(٥) في تكوين
الشخصية أدى دوراً حاسماً في تأسيس الموقعية الفرويدية الثانية.

فلنوضح أولاً، لترسم صورة سريعة للمراجع الثلاثة (الأنا، الهو، الأنا
العليا)، أن الهو «خزان الطاقة الدفاعية الكبيرة» وإذا استثنينا غروديك، الذي نعلم
من الآن فصاعداً أن فرويد اقتبس مصطلح الهو منه. فإن المؤلفين لم يتوسعوا في
وصف هذا الهو؛ والواقع أن ثمة قليلاً من الأمور تُقال عنه.

أما الأنا، فإنها تمثل ضرباً من التمايز من الهو بفضل التأثير التدريجي
للعالم الخارجي. إنها تعمل عملها الوظيفي بوصفها مرجعاً رئيساً يؤمن مصطلح

١٣١ انظر الفرقة الأخرى ١٣١ هو أننا مصدر مذكور سابقاً.

١٤١ انظر الترجمة حب القاب، كتاب في المجموعة عسبا

١٥١ انظر لكنت: نطق الدفاعات، مصدر مذكور سابقاً

١٦٦ أي الأنا، التي نتج عنها أن يحور صفات من فرويد وأن يحدد به بالذات في نظر الفرقة. مصدر
مذكور سابقاً

الشخص في كليته، إذ يوفق بين المقتضيات المختلفة للهو، والأنا العليا، والعالم الخارجي. ولهذا السبب يكتب فرويد فيما بعد قائلاً إن «الأنا مرغمة على خدمة ثلاثة أسياد في وقت واحد». والأنا، التابعة جداً لمبادئها، تشبه فارساً ينبغي له، حتى لا يكون معرضاً للوقوع في الأرشياك، أن يتبع مطيئته، الهو والعال هذه، وهي تخضع، من جهة أخرى، للأمر المطلق^(٧) الصادر من الأنا العليا. فصورة المهرج في سيرك، مهرج سحنته من الألوان الفاقعة وإبائه مضحك، التي يستخدمها فرويد في مكان آخر تناسب إذن الفارس تماماً. فالمهرج هذا يحاول في الواقع أن يجعل المشاهد يعتقد أنه ينسق وينظم وقائع المشهد، في حين أنه ليس سوى دميته المضحكة.

وتتكوّن الأنا العليا، كما قلنا في فصل سابق، انطلاقاً من ممنوعات أبوية استدخلها الطفل، وانطلاقاً على وجه الخصوص مما يصدر عن الوالد ذي جنس الطفل نفسه. وتخصّ هذه المنوعات عندئذ الرغبة في غشيان المحارم، الموجّهة إلى الوالد من الجنس المقابل والرغبة، معاً، في قتل الوالد من جنس الطفل نفسه. والمخاوف من الخصاء في ذروة العقدة الأوديبية، تحمل الطفل على أن يهجر أمنيته الأوديبية، بغية الحفاظ على عضو الذكر؛ عندئذ إنما تتأسس الأنا العليا التي تكون إذن، في النظرية الفرويدية، وريثة العقدة الأوديبية. ويعزو إليها فرويد أيضاً، مع ذلك، جذراً بيولوجياً، نعرفه الآن، العجز الأول للطفل الصغير، اليوس الذي يرافقه والتبعية، التي يسببها، لموضوعات العالم الخارجي وللأبوين.

وتظلم بعض وظائف الأنا، كالدفاعات على سبيل المثال، لاشعورية، كذلك تظلّ أهداف كاملة من الأنا العليا لاشعورية فالهو واثلاشعور من جهة، والأنا وقبل الشعور - الشعور من جهة ثانية لا يمكنها بالتالي أن تكون متطابقة، وذلك ما حاول بعضهم أن يعتقدوه.

(٧) تصدق دانت وفرد قعادة سترك حديث تمكك أن يردد بحسب تصح هذه الفعاده فنوناً قلباً أي يوقن غسه الكفا، فانصودها ومهيبه ان بعمه أخلاقه يهت الفكر نفسه.

وسنرى أن فرويد يستخدم هنا «الأنا المثالية» و«الأنا العليا» استخداماً
دون تمييز. والواقع أن المصطلحين، الأنا المثالية والأنا العليا، مترادفان في نصه
«الأنا والهوى» (١٩٢٣) الذي استخلصنا منه هذا الفصل (١٨).

وليست هذه النظرية الجديدة لفرويد مجردة على الإطلاق. فالمراجع
المختلفة للشخصية تُعاش، إذ تنطوي على استدخال العلاقات بالموضوعات،
بوصفها أشخاصاً، وتوصف بوصفها كذلك. وتعبّر صور كصورني الفارس
والمطية، أو صورة مهرج السيرك، وكذلك تعبيرات مثل: «حب الأنا العليا للأنا»
أو «كره الأنا دوافع الهوى، تُعبراً حياً عن هذا العنصر الدينامي بين الكل:
الفكر الإنساني.

النص

قصة النفسي إلى نفسي شعوري ونفسي لاشعوري يكون المقدمة الأساسية
لتحليل النفسي. وبدونها سيكون عاجزاً عن أن يفهم السيرورات المرضية،
المواترة بقدر ما هي خفية، سيرورات الحياة النفسية، وعاجزاً عن أن يدخلها في
إطار العلم. ونقول، مرة أخرى وبعبارة أخرى، إن التحليل النفسي يرفض أن
يحسب الوعي مكوناً ماهية الحياة النفسية، ماهيتها نفسها، ولكنه يرى في الوعي
مجرد صفة من صفات الحياة النفسية، إذ يمكنه أن يوجد في وقت واحد مع صفات
أخرى أو يغيب عنها.

فلو كان بوسعي أن أتوهم أن نذير يبصتون بعلم النفس يقرأون كلهم
هذه المحاولة، فإني أتوقع بالتأكيد أن يتخلى عن رفضي منذ الصفحة الأولى
أكثر من قارئ ويرفض أن يتبع القراءة، إذ يصدده تلك المواضيع التي أمسحه
الوعي. وحس في الواقع أمام أول مترلق لتحليل النفسي. فعالية الناس ذوي
الشفافة الفلسفية عاجزون على الإحلاق عن أن يتصور أن حامله نسب يمكنه أن يكون

١٨١. لا أعرفه. لتقبل في كتاب الترجمة ح. م. م.

غير شعوري، وينبذون هذه الفكرة بوصفها عبثاً ومناقضة مع المطلق السليم البسيط. ومرد ذلك، في رأبي، أن هؤلاء الناس لم يدرسوا فقط ظاهرات النوم المغناطيسي والحلم التي تفرض علينا، بغض النظر عما يمكنها أن تنصف به من مرضي، طريقة التردية التي صنعتها للتو. وسيكون توجيهم، بالقابل، الفاتمة على الحضور الكني النوعي عاجزة عن أن تحل المشكلات ذات العلاقة بالنوم المغناطيسي والأحلام.

١ - ثلاثة معطيات رئيسة: اللاشعور، النكبت، المقاومة

تكون الأحداث النفسية شعورياً تعبير محض وصفي قبل كل شيء وذو علاقة بالإدراك الأكثر مباشرة ووثوقاً. ولكن التجربة تبين لنا أن عنصراً نفسياً، كالامتثال على سبيل المثال، غير شعوري عنى نحو دائم. وما يميز العناصر النفسية بالبحري إنما هو اختفاء حائتها الشعورية السريع. إن امتثالاً، شعورياً في لحظة معينة، ثم يعد شعورياً في اللحظة التالية، ولكنه يمكنه أن يصبح مجدداً شعورياً في بعض الظروف، التي يسهل تحقيقها. ونجهل في الفاصل الزمني بين اللحظتين ماهيته؛ وبوسعنا القول إنه كامن. إذ نفهم من ذلك أنه قادر على أن يصبح شعورياً في أي سرهة. ونحن نقول إن امتثالاً بقل، في الفاصل الزمني، لاشعورياً، فإننا نصريح أيضاً تعريفياً صحيحاً، إذ تتطابق هذه الحالة اللاشعورية مع الحالة الكامنة والاستعداد للرجوع إلى الوعي. وسببنا لنا الفلاسفة هنا الاعتراض التالي: لفظة لاشعوري لا تطبق في الحالة الخاصة، ذلك أن امتثالاً لا يمثل شيئاً نفسياً حاناً كان في حالة الكمون. ونحن نحرض تماماً على أن نجيب عن هذا الاعتراض بأي شيء كان، لأن ذلك قد يجرتنا إلى ضرب من الجدال محض اللفظي ليس لدينا شيء نرجحه منه.

ولكننا حصلنا على مصطلح اللاشعور أو مفهومه ونعر نسلك درياً آخر، وبخاصة عندما استحدثنا تجارب تدخل الدينامية النفسية فيها. ونعلمنا أو، داخري، كنا ملزمين بأن نسم أن ثمة سيرورات نفسية قوية، أو امتتالات (نحن نحدث بالحسبان على وجه الخصوص ذلك لعامل الكني، أي الاقتصادي) قادر

على أن تظهر بواسطة مفعولات شبيهة بالمفعولات التي تحدثها امثالات أخرى، أي بواسطة مفعولات قادرة، إذ تأخذ شكل امثالات بدورها، على أن تصبح شعورية، دون أن تصبح السيرورات التي أنتجتها هي نفسها لاشعورية. ومن غير المجدي أن نكرر هنا ما قيل مراراً كثيرة. وحبسنا أن نذكر أن نظرية التحليل النفسي إنما تتدخل في هذه النقطة لتعني أن السبب في عجز بعض الامثالات عن أن تصبح شعورية إنما هو ضرب من القوة التي تعارضها ٢ وأن بوسعها أن تصبح شعورية لولا هذه القوة، وذلك أمر يتيح لنا أن نعاين الحدود الضيقة التي تختلف فيها الامثالات عن عناصر نفسية أخرى معترف بها رسمياً أنها كذلك. فما يجعل هذه النظرية غير قابلة للدخول إنما هو أنها وجدت في تقنية التحليل النفسي وسيلة تتيج التقلب على القوة المعارضة وتتيح أن تقود إلى الوعي هذه الامثالات اللاشعورية. ونحن أطلقنا اسم الكبت على الحالة التي توجد فيها هذه الامثالات قبل أن تكون قد أعيدت إلى الوعي؛ أما القوة التي تُنتج الكبت وتصونه، فتعني نقول إننا نستشعرها، خلال العمل التحليلي، على صورة مقاومة.

٢ - المعنى المزدوج للاشعور

مفهوم اللاشعور لدينا مستنتج على هذا النحو من نظرية الكبت. فما هو مكبوت هو النموذج الأصلي للاشعور بالنسبة إلينا. ونحن نعلم مع ذلك أن ثمة ضربين من اللاشعوري: الحوادث اللاشعورية الكامنة، ولكنها التي يمكنها أن تصبح شعورية، والحوادث النفسية المكبوتة التي ليست قادرة على أن تصل إلى الوعي، بوصفها مكبوتة ومهجورة. وطريقتنا في تصور الدينامية النفسية لا يمكنها أن تغفل دون تأثير على المصطلحات والتوصيف. ولهذا السبب نقول إن الحوادث النفسية الكامنة، أي اللاشعورية بالمعنى الوصفي للكلمة، وليست بالمعنى الدينامي، هي حوادث قبل شعورية، ونحتفظ للحوادث النفسية المكبوتة بصفة لاشعورية. أي أنها لاشعورية من الذحية الدينامية. ولدينا على هذا النحو ثلاثة مصطلحات: شعور، قبل الشعور، لاشعور، دلالتها تم تعد دلالة محض وصفية. والحال أن مصطلحات الثلاثة: شعور، قبل الشعور، لاشعور، يسعمل

استعمالها، وتتيح لنا حرية كبيرة في اختراقة شريطة ألا نسي أن وجهة نظر دينامية واحدة موجودة، وإن كان ثمة وجهتنا نظر من الناحية الوصفية. وبوسعنا، في بعض الحالات، أن نعرض تصماً نهمل فيه هذا التمييز، ولكنه تمييز لا غنى عنه في حالات أخرى. ومنهما يكن من أمر، فقد تعودنا بما يكفي على هذا المعنى المزوج للشعور ولم نشعر قط بأي حرج كبير. ويبدو لي أنه أمر لا يمكن أن نتجته. أما التمييز، أخيراً، بين الشعور واللاشعور، فإنه يرتد إلى مجرد سؤال عن الإدراك يتضمن اجواب نعم أو لا. إذ أن الإدراك نفسه لا يقدم لنا أوهى معلومة عن اليواعت التي يكون شيء وقصها مدركاً أم غير مدرك. وترتكب خطأ حين نتدبر من أن الدينامية النفسية تظهر دائماً بمظهر مزدوج (الشعور واللاشعور).

٣ - وجود عناصر لاشعورية في الأنا

ولكن البحوث اللاحقة في التحليل النفسي بينت أن هذه التسييرات كانت، هي أيضاً، غير كافية وغير مرضية. ومن الأوضاح التي يظهر فيها هذا الواقع بارزاً على وجه الخصوص، سنذكر الوضع التالي الذي يبدو لنا حاسماً. فنحن تصور التسييرورات النفسية لدى شخص بوصفها تكون تنظيماً متماسكاً ونقول إن هذا التنظيم المتماسك يكون أنا الشخص. ونزعم أن بهذه الأنا إنما يرتبط الوعي، وأنها هي التي تراقب وتسهل على الدروب نحو احركية، أي إاضفاه الحارحية على الإشارات. ونحن نرى في الأنا ذلك المرجع النفسي الذي يمارس رقابة على كل السيرورات الجرتية، وترقد ليلاً وندرس وهي ترقد حتى الرقابة على الأحلام. ومن هذه الأنا إنما تتفنى أيضاً ضروب الكبت، وبواسطتها لا يكون بعض اليول النفسية مستهدفاً من الوعي فحسب، ولكنها توضع في وضع يتعدر عليها أن تظهر أو تعبر عن نفسها على نحو من الأنحاء. وهذه اليول، التي يستبعدها الكبت، تتصب ضد الأنا خلال التحليل، وتكمن مهمة التحليل في إلغاء المقاوامات التي تعارضنا بها الأنا في محاولتنا الاقتراب من اليول المكمونة. والحد أننا نعين خلال التحليل أن المريض يحدد نفسه مرتبكا حين يفرض عليه بعض انصبات، وأن ترابطاته بين الأفكار قصورة كما انصبات من صاهو مكمون. ونقول به عندئذ إنه يعاني تأثير



مرفد الأمان قبلا بدارس ومي ناشمة حتى الرقابة على الأعلام

مقاومة، ولكنه لا يعلم عنها شيئاً هو نفسه؛ فانعواطف المرهقة التي يكادها ترغبه عندئذ على الاعتراف أن مقاومة تسبظر عليه، وأنه عاجز عن أن يقول ما قوامها وما مصدرها. ولكن، بما أن هذه المقاومة تصدر بالتأكيد عن أناه وهي جزء منها، فإننا نجد أنفسنا أمام وضع لم يكن ترفعه. إننا وحدها في الأمان نفسها شيئاً لا شعورياً بقدر ما تكون الفيول المكبوتة لا شعورية، ويسلك سلوكها، أي ينتج مفعولات باذرة جداً، دون أن يصبح شعورياً، ولا يمكنها أن تصبح شعورياً إلا في أعقاب عمل خاص. ولهذا السبب نستخدم، في عملنا التحليلي، بصعوبات وظلمات لا تُحصى عندما نريد أن نتمسك بتعريفنا المألوفة، إذ نجد انعطاب، على سبيل المثال، إلى نزاع بين الشعور واللاشعور. فعلمنا بالنظر إلى النحو الذي تتصور عليه البنية النفسية، أن نجعل نقاباً آخر ينوب مناب هذا التقابل المتقابل بين الأنا التباسكة والعنصر المنفصلة عن الأنا والمكبوتة.

٤ - اللاشعور لا يتكون إلا من انطباعات مكبوتة

ولكن الواقع الذي أشرنا إليه للتو متخمة أيضاً بالنتائج فيما يخص تصورنا اللاشعور. فوجهة النظر البنيوية كانت قدمت لنا تصحيحاً أول. نحن نساق إلى الاعتراف أن اللاشعور لا يتطابق مع العناصر المكبوتة. وبفضل حقيقتنا أن كل ما هو مكبوت لا شعوري، ولكن ثمة عناصر لا شعورية دون أن تكون مكبوتة. فجزء من الأنا، والله بعلم أي جزء ذي أهمية، يمكنه أيضاً أن يكون لا شعورياً وهو لا شعوري بالتأكيد. وليس هذا الجزء اللاشعوري من الأنا كامناً، مستوى كمون قبل الشعور، ذلك أنه لو كان كذلك لما كان ممكناً أن يصبح نشيطاً دون أن يصبح شعورياً. ولما اصطدمت بصعوبات ضخمة كلما أردنا أن نجعله شعورياً. ونجد أنفسنا على هذا النحو أمام الضرورة التي مفادها أن نعلم بوجود لا شعور ثالث، غير مكبوت، ونكتنا نعرفه، لهذا السبب، أن سمة اللاشعور تفقد بانسبة لنا كل دلالة واضحة. وعسبب اللاشعور صفة ذات دلالات متعددة لا تسرع التعميمات والاستنتاجات التصارمة التي من أحنها سنستخدمه عن طيب خاطر. ونكتنا سترتكب خطأ إذا:

أهملناه، ذلك أن معنى «شعوري» أو «لاشعوري» يكون الضوء الوحيد القادر على أن يقدنا عبر ظلمات الأعماق النفسية.

٥ - نقطة انطلاق: سطح الجهاز النفسي

وجّهت السحوت المرصبة، على نحو حصري جداً، انتباهنا نحو ما هو مكبوت. ونود أن نفهم الآن فهماً أفضل منذ أن علمنا أنها يمكنها أن تكون لاشعورية، بالمعنى الحقيقي للكلمة. ولدينا حتى الآن معلّم وحيد، في بحوثنا، صفة شعوري أو لاشعوري للعناصر النفسية. وكنتنا نتهيب إلى أن نأخذ بالحسبان أن هذه الصفة إنما هي صفة ذات دلالات متعددة.

والحال أن كل معرفتنا مرتبطة بالوعي دائماً. ولعلنا نوسعنا أن نعرف اللاشعوري نفسه إلا إذا جمعناه شعورياً. ولكن، فلنتوقف هنا: كيف يمكن أن يكون ذلك ممكناً؟ ما معنى: «جعل شيء من الأشياء شعورياً؟ كيف يتصرف لبلوغ هذه النتيجة؟

ونحن نعلم الآن بأي نقطة انطلاق نتعلق للإجابة عن هذه الأسئلة. فلنا إن الوعي يكون سطح الجهاز النفسي؛ ونقول، بعبارة أخرى، إننا نرى في الوعي وظيفة نعزوها إلى منظومة هي الأقرب، من الناحية التكوينية، إلى العالم الخارجي. وينبغي لهذا القرب التكويني أن لا نفهم بالمعنى الموضوعي فحسب، ولكن بالمعنى التشريحي أيضاً^(١). ولهذا السبب، ينبغي لسحوتنا، بدورها، أن تأخذ هذا السطح ذا العلاقة بالإدراك نقطة انطلاقها.

فكل الإدراكات التي تأتي من الخارج (إدراكات حسية) هي شعورية سدياً؛ وما سميه الإحساسات والعواطف التي تصدر من الداخل هي شعورية أيضاً. ولكن ماذا نقول عن هذه السيرورات الداخلية التي نجدها في ظل الاسم الرجم وغير الدقيق لـ «السيرورات الفكرية»^(٢) ينبغي لنا أن ننصّر عما هو صحتها انتقالاً

(١) انظر ماورد، ص ١٤٤.

العلاقة التلية التي تبلغ الطغ الذي يتكون فيه الوعي ، بوصفها تحدث في داخل
 الجهاز العصبي وتلك مميزات تفرده إلى العمل ؟ أو أن الوعي هو الذي يتوجه
 صوبها ، ليقترب بها ويتحد بها؟ ولست أنظر إلى أنه نجد أنفسنا أمام إحدى
 الصعوبات التي نخطئ بها عندما نحمل كثيراً على محمل الخد تصور الكندي ،
 أي موقعية أحداث النفسية . والاحتمال لأن يصعب تصورهما أيضاً ، ولا بد من
 وجود احتمال ثالث .

٦ - التدريب الذي يقود إلى اللا شعور

كنت قد صغت في مكان آخر ذلك الرأي الذي مفاده أن الفارق الواقعي
 بين امتثال لاشعوري وامتثال قبل شعوري (فكرة) يكمن في أن الأول ذو علاقة
 بمواد نظير مجهولة ، في حين أن الثاني يقتصر بامتثال لفظي . وتلك محاولة
 أولى نوصف سمات اللا شعور وقبل الشعور بعير علاقتهما بالوعي . ويمكننا أن
 نتيب مناب السؤال : كيف يصبح شيئاً من الأشياء شعورياً؟ إنابة مفيدة . كيف
 يصبح شيء من الأشياء قبل شعوري^٥ ، والجواب : بفضل الترابط بين الامتثالات
 النظرية ذات العلاقة .

وهذه الامتثالات اللغوية هي آثار تذكرية : إنها كانت فيما مضى إدراكات
 حسية ويمكنها ، شأنها شأن الآثار التذكرية كلها ، أن تصبح شعورية مجدداً . وثمة ،
 قبل أن نقارب تحليل طبيعتها ، فرض يفرض نفسه على فكرنا : لا يمكن أن
 يصبح شعورياً إلا ما كان فيما مضى في حانة الإدراك الشعوري - فكل ما ينضوي ،
 فيما عدا العواطف ، بوصفه صادراً من الداخل ، أن يصبح شعورياً ، ينبغي له أن
 يبحث عن أن يتحرك إلى إدراك خارجي ، وذلك تحرك متعدي الإبطار الآثار
 التذكرية . وتنترب الفكرة القرية من البيرويات اللا شعورية أكثر من الفكرة
 اللغوية ، وهي أقدم من تفكرة اللغوية من وجهة نظر تطور النوع ونظور الفرد على
 حد سواء .

وبد كان ، شعور إلى موضوعنا . هذا هو التدريب الذي يقود من اللا شعور إلى
 قبل الشعور ، حين السؤال السوي - كيف يمكننا أن نعيد إلى قبل الشعور عناصر

مكبونة ١٩ يلفت الإجابة لتالية. «أن بعيد هذه العناصر البنيوية الوسيطة، قبل الشعورية، أي الذكريات اللفظية، إلى ما كانت عليه».

والتمييز بين الشعورية وقبل الشعورية لا يطرح فيما يخص الإحساسات فأني إحساس بكون شعورياً أو لاشعورياً، ولكنه لا يكون قبل شعوري على الإطلاق. وحينما يصبح لإحساس الذي يقترن بامتنالات لفظية شعورياً، فإنه يصبح كذلك بصورة مباشرة لا بفضل هذه الامتنالات.

فيما نحن نرسو رسوماً كاملاً عنى دور الامتنالات اللفظية. وتصبح السيرورات الفكرية الداخلية إدراكات، بواسطة هذه الامتنالات. ويقال إنها ليست موجودة إلا لتقوم مقام اندليل عنى العبارة التالية: كل معرفة صادرة عن العالم الخارجي. وعندما يكون الفكر في حالة من الإرهاق، تُدرك الأفكار بالفعل وكأنها صادرة عن الخارج وتُعد، لهذا السبب، حقيقية.

٧ - الهم مجهول وعميق

بوسعنا حينئذ أن نحاول منح تصورنا الأنا شكلاً أكثر كمالاً. إننا نراها تتكون انطلاقاً من منظومة P (الإدراك)، الذي يكون نواتها، ونفهم أول الأمر قبل الشعور الذي يستند إلى الآثار التذكيرية. ونحن نعلم مع ذلك أن الأنا لاشعورية أيضاً.

واعتقد أننا نحني كل الفائدة إذا أتبعنا مقترحات مؤلف بود، لدواع شخصية، أن يقتنعنا، دون أن ينجح، أن ما قلناه عن الأنا غير ذي علاقة بالتعلم الضارم الرفع. وليس هذا المؤلف سوى غرودنيك، الذي لا يتعبه أن يكرر أن ما نسميه الأنا تسلك في الحياة سلوكاً سليماً. وأنا يعيش، حتى نستخدم تعبيره، بفعل قوى محبولة تحت من سيطرتنا. إن جميعنا خبرنا انطباعات من هذا النوع، على الرغم من أننا نؤمن تأثيرها إلى درجة تصبح متعذرة إنزال على كل انطباعات أخرى، ولا نردد في أن تمنح طريفة الرواية لدى غرودنيك ذلك المكان الذي نستحقه في

مصدراً يمكن أن تصدر عنه معاً إدراكات خارجية وإدراكات داخلية . إنه بعداً شيئاً خارجياً ، ولكنه يقدم خاصية اللمس صديراً من الإحساسات ، أحدهما يمكنه أن يمثل إدراكاً داخلياً . وبين علم النفس الفيزيولوجي بياناً كافياً من جهة أخرى كيف يتحوّل حسب الخاص من عالم الإدراكات . ويبدو أن الأتم يؤدي دوراً كبيراً في هذه السببورة ، والطريقة التي نكتسب بها ، في الأمراض المؤتمة . معرفة جديدة بأعضائنا ربما تكون من طبيعة تمنحنا فكرة عن الطريقة التي به نسمو إلى امتثال جسمنا بصورة عامة .

ويسهل أن نرى أن الأنا جزء من انهو طوائت عليه تعديلات تحت التأثير المباشر للعالم الخارجي ، وبوساطة نوعي الإدراك إنها تثنى ، ضمن نطاق معين ضريباً من استطاعة التمايز السطحي . وهي تسعى أيضاً جاهدة لتملأ تأثير العالم الخارجي على الهو ومقاصده ، وتثبيت مبدأ الواقع مناب مبدأ اللذة الذي يوحّد وحده سلطته على الهو . فالإدراك بالنسبة للأنا يكون كالغريزة أو الابدفاع الغريزي بالنسبة للهو . وتثل الأنا ما نسميه العقل والحكمة ، والهو ، على العكس ، تسوده الأهواء . وكل ذلك يتفق مع التميزات المشائعة والمشهورة ، ولكنها لا ينبغي أن نوحّد إلا على نحو عام جداً ونعدّ ذات صحة محض الفراضية

٩ - الهو - حصان متدفع تموده الأنا التي تفوده

لا تكمن الأهمية الوظيفية للأنا في أنها هي التي ، بصورة عامة ، تراقب دروب القدرة على الحركة . ويمكننا ، في علاقتهما بالهو ، أن نقارنها بفارس عهّد إليه السيطرة على قوة احصان العبد ، مع فارق واحد على وجه التقريب مفاده أن الفارس يبصر على الحصان بقواد خاصة ، في حين أن الأنا تسيطر على الهو بقوى مستعرة . وهذه القدرة تمكّن أن تدفعها إلى مدى بُعد . وكما أن الفارس ، إذا أراد أن لا ينمصل عن الحصان ، لا ينبغي له على الغالب إلا أن يفوده حيث يشاء . هذا الحصان أن يمضي ، كذلك ، إلا تترجم على وجه العموم إرادة الهو إلى عمل ، كما نرى أنها إرادتها الخاصة فالأنا تبيان جسمي قبل كل شيء .

والعلاقات بين الأنا والوعي كانت قد وصفت على الغالب، ولكن نعمة بعض الوقائع ذات الأهمية نستحق أن يُلغى النظر إليها مجدداً. وبوصفها متوقّبين على أن تُدخل وحينه نظر القيمة الاجتماعية أو الأخلاقية في كل مكان، فدن يدعش أن نسمع ما يُدعى إن لالأهواء الدنيا ميدان هو اللاشعور، ونحن مقتنعون أن الوظائف النفسية تنضج إلى الوعي على نحو أسهل ومؤكّد بقدر ما تكون فيمتها الاجتماعية أو الأخلاقية أكبر. وتكن تجربة التحليل النفسي تبين لنا أن هذا النحو من الرؤية تستند إلى خطأ أو وهم.

١٠ - ليس اللاشعور محل الأهواء الأكثر احتفاظاً

نلاحظ خلال تحيلاتنا أن نعمة أشخاصاً يظهر الموقع التقدي لديهم من الذات ووساوس الضمير، أي الوظائف النفسية التي ترتبط بهما بالتكيد قيمة اجتماعية وأخلاقية كبيرة جداً، وكأنها مظاهر لاشعورية وهي، بوصفها كذلك، تبدو ذات فعالية كبيرة؛ فالسمة اللاشعورية للمقاومة، التي يعارض المرضي خلال التحليل، لا تكون إذن المنظر الوحيد من هذا النوع. وتكن هذا الواقع الجديد، الذي يلزمنا، على الرغم من إرهاف حسنا القدي، بأن نتكلم على ضرب من عاطفة لاشعورية للإثنية، هو طبيعة تعاقم الارتباك الذي نكابه الآن جراء المقاومة اللاشعورية، ونضعنا أمام ألتغاز جديدة، لا سيما عندما نتوصل إلى أن نتأكد بالتدريج أن هذه العاطفة اللاشعورية من الإثنية تؤدي، في عدد كبير من الأعصبة، دوراً حاسماً من وجهة النظر الاقتصادية وتعارض انشعاً بأكثر المراتع؛ فليس ما هو الأعسق فينا يمكنه أن يكون وحده لاشعورياً، وتكن يمكن أن يكون لاشعورياً ما هو أكثر رفعة. ولدينا بما قناه فيما تقدم عن موضوع الأنا الشعورية برهاناً جديداً، أي أن هذه الأنا لا تمثل إلا جسماً.

١١ - نصائح ومحرمات صادرة من الأنا العليا

تبين الأنا العنيد مع ذلك مجرد راسب الاحتيازات الأولى لموضوع

بواسطة النهج؛ إن لها أيضاً دلالة تكوين مصيرها أن ترتكس بصورة ضده هذه الاختيارات. وعلاقتها بالأنثى لا تقتصر على أن توجه إليها النصيحة؛ «فأعلى هذا النحو» (كأبيك)، ولكنها تتطوي أيضاً على التحريم: «لا تفعل كل ما يفعله؛ ثمة أمور كثيرة تكون موقوفة عليه وحده». وهذا المظهر المزوج للأنثى المثالية ينجم عن واقع معناه أنها بذلت كل جهودها لكبت عقدة أوديب، وأنها لم تولد إلا في أعقاب هذه الضروب من الكبت. ومن الواضح أن كبت عقدة أوديب لا ينبغي أن يكون مهمة سهلة جداً. فأنا الطفل، بوصفها تأخذ بالحسبان أن الوالد، لا سيما الأب، كانا يكونان منعاً لتحقيق رغباتها ذات العلاقة بعقدة أوديب، تقيم في نفسها هذا المانع المصني، حتى تسهل هذا الجهد، جهذ الكبت، وحتى تزيد وسائلها وقدرتها على العمل بغية تسهيل هذا الجهد. ومن الأب، إنما اقتنست القوة الضرورية، إلى حد معين، لهذا الغرض، ويكون هذا الاقتباس فعلاً منفصلاً بالنتائج. ومثبذل الأنثى انغلياً جهدها لتعيد إنتاج السمة الأبوية، وكلما كانت عقدة أوديب قوية، سيجري الكبت بسرعة أكبر (تحت تأثير التعليم الديني، والسنتة، والثقافة، والنقراوات)، وستكون أقوى أيضاً تلك القسوة التي بها الأنثى العليا ستحكم الأنثى، بوصف الأنثى العليا تجسيدا لوساوس التفسير وربما للمعاطفة اللاشعورية للإسمية أيضاً. وستحاول أن تصوغ فيما بعد بعض القروض الاجتماعية ذات العلاقة بالمصدر الذي منه تنهل الأنثى العليا معاً تلك القوة التي تتيح لها أن تمارس هذه السيطرة، وهذه السمة من انفسر التي تنجلي على صورة أمر مطلق.

١٢ - الانفصال بين الأنثى والأنثى العليا: محصلة التطور الإنساني

نلاحظ، فيما يخص نمط ظهور الأنثى العليا، أنه يكون محصنة عامنين بيولوجيين هامين جداً: حالة العجز وتبعية الطفل اللذين يعانينهما الإنسان خلال ديرة طفولة إلى حد كاف، وعقدته الأوديبية التي ربطها بالانقطاع الذي يطرأ على نمو الفليبيدو جراً، مرحلة الكمن، أي باستعدادات المزوجة خبيته الجنسية. وفيه، يخص هذه الخاصية الأخيرة التي تبدو أنها إنسانية بصورة نوعية، ثمة موضع

تحليلي نفسي يمثلها بوصفها بقية وراثية من التطور نحو الشقاعذ، التي كانت قد انطلقت بتأثير دفعة الشروط الحيوانية الملازمة لمرحلة الحليدية. وعلى هذا النحو إنما يكون الانفصال السري يجري بين الأنا العليا والأنا نهاية طبيعية لسنوات الفريد والتنوع. ولا يمثل على الإطلاق حادثاً عرضياً، فهو يتخص هذا الانفصال إذا صح القول خصائصه الأكثر أهمية، كذلك يخلد، مع أنه يبدو في الوقت نفسه أنه التعبير الدائم عن التأثير الذي يمارسه الأبوان، وجود عوامل بدنية نهائية لادته.

١٣ - الأنا العليا: وريثة عقدة أوديب

أما وقد قاربنا تحليل الأنا، فإن نوسعا أن نجيب عن أسئلة كل أولئك الذين كانوا، بالنظر إلى أن الاضطراب أصاب وجدانهم الأخلاقي، يعترضون علينا قائلين إنه لا بد أن يكون في الإنسان ماهية عليا: ومن المؤكد أن هذه الماهية العليا ليست سوى الأنا المثالية^(١٢)، الأنا العليا، التي تتخصص فيها علاقاتنا بالأبوين. وقد عرفنا، ونحن صغار، هذه الموجودات العليا التي كانت بالنسبة لنا أيامنا، وأعجبنا بها، وخشيناها، وقلناها فيما بعد ودمجناها بأنفسنا.

ونقل الأنا المثالية على هذا النحو إرث عقدة أوديب، وبالتالي التعبير عن الميول الأكثر قوة، وعن المصائر الأكثر أهمية للهو. فالأنا أصبحت بوساطتها سيدة عقدة أوديب وخضعت إلى النهو في الوقت نفسه. وفي حين أن الأنا تثق بصورة أساسية العالم الخارجي، الواقع، فإن الأنا العليا تعارضها، بوصفها عهد إليها سنظمت العنالم الداخلي. الهو. وعلينا أن نتوقع أن تعكس النزاعات بين الأنا والمثال، في نهاية المطاف، ذلك التعارض بين العنالم الخارجي والعنالم النفسي.

ونفهم، بالنظر إلى كلف تكون الأنا العليا، أن النزاعات التي حدثت بين الأنا وموضوعات التركيز التليبيدي للهو تستظل في نزاعات تحري هذه مرة من الأنا وورثته الهو. أي الأنا العليا. وعندما لم يعلج الأنا في أن تتجاوز العقدة الأوديبية على نحو مرفس، يظهر التركيز الإضافي الذي كانت قد استمدته من الهو ظهورا

(١٢) انظر، من الأنا، للمرحمة كلف النزاعات، من المجموعه حسب الاستمارة من الأنا، ص ١٠٢.

جديداً في الشكون الارثوذكسي الذي تمثله الآن المثالية . وكون الأنا انشائية تتصل اتصالاً واسعاً بالاندفاعات العريضة اللاشعورية . فذلك أمر من شأنه أن يشرح لنا هذه الظاهرة اللغزية في الطاهر التي معادها أن الأنا المثالية تظل لاشعورية هي نفسها في جزء كبير منها، منبعية على الأنا . فالصرخ ، الذي كانت تأثيرته تنور في المواقف العميقة ، دون أن يكون بقدره أن ينتهي إلى تصعيد سريع وتوحد ، يتلاحق من الآن فصاعداً في منطقة عليا ، شأنه شأن المعركة ضد الهائز في لوحة كولباخ .

سيغموند فرويد

الفصل الثاني

مراجع الشخصية

مقدمة:

بعد عشر سنوات من محاولة الأنا والهو، يعكف فرويد مجدداً على مراجع الشخصية في الثالثة من المحاضرات الجديدة في التحليل النفسي. وكانت محاضراته الأولى قد أقيمت بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٧، وعرضنا مستخلصاً منها في نهاية الجزء الأول، لأنها سابقة على إدخال الموقعية الثانية.

وتختلف هذه المحاضرات الجديدة عن السابقة في أنها لم تكن قد قرئت أمام جمهور من المستمعين؛ ولم تكن لهذا السبب قد كُتبت من ناحية أخرى.

ولهذا الخيال، لهذا «الاستيهام» يكتب فرويد في توطئته، هدف مقاده «ألا تنسى أن نأخذ الفارئ بالحسبان». إنه يتوصل إلى ذلك دون أدنى شك؛ فهذه العروض، الحية الواضحة، تقدم مقياس موهبته الأدبية والبيداغوجية.

ويلاحظ فرويد، إذ يستعيد مبحث الأنا العليا، أن نورها لا يقتصر على العقوبة، ولكنه يمتد إلى تزويد الأنا بالحب، الأنا التي تطيعها؛ إنه أيضاً، من جهة أخرى، نور الأبيوين إزاء أطفالهما. ماعداً، مع ذلك، هذا الفارق الكبير الأهمية:

قسوة الأنا العليا ليست مرتبطة بقسوة الآباء الواقعيين. والأنا العليا لا تُصاغ، بوصفها ناقل الموروث، على صورة الأبيوين، بل على صورة أناها العليا الخاصة.

أما الأنا، فإن فرويد يحدد الواجب الشاق الذي مقاده خدمة سادة ثلاثة معاً. الهو، الأنا العليا، العالم الخارجي، ونحن نعلم ذلك من قديم. إنها تعارض



الآن العليا الصدمه جدا يمكنها ان تعرض على الانا عثرناك سديدو.
 ذلك ما يمكن ان يحسنه بلرمز هذه المحمورة التي صنعها أ. دور. السيطا

رغبات الهو الذي يتطلّب إشباعاً مباشراً، لأن الهو، الذي تسوده السيرورات الأولية، لا يعرف التناقض، ولا النفي، ولا الزمان، ولا المكان. فالأنا تُدخل بين الحاجة والعمل أجلاً ضرورياً لإعداد الفكرة، إذ تحول مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع. والسيرورات الأولية إلى سيرورات ثانوية وإلى الأنا، تؤول وظيفة اختبار الواقع التي يعرض فرويد أليتها عام ١٩١١ في مقال مخصّص لـ «صياغة مبدئي العمل الوظيفي الذهني». ويتيح اختبار الواقع للفرد أن يميّز الإثارات الصادرة عن العالم الخارجي من تلك التي تصدر عن العالم الداخلي. وعلى هذا النحو، يفرّق بين إدراكات واستيهاماته. وعندما ينكسر الجهاز النفسي إلى ما قبل العتبة التي يعمل فيها اختبار الواقع، يحدث الخلط بين الاستيهام والإدراك ما نسميه الهلوسة.

وكانت هذه المحاضرات الجديدة، وقد قلنا ذلك، قد نُشرت عام ١٩٢٢، بعد عشر سنوات من نشر الأنا والهو، وربما ينبغي أن ننسب إلى هذا العصر المضطرب، الذي يسعه بعمق صعود النازية (هتلر سُمّي فيه مستشار الرايخ)، أصل هذه المعاينة المرّة التي سيدلي بها فرويد وهو يتكلم على الأنا العليا: «عندما خلق الله الوجدان الأخلاقي، لم ينجز سوى عمل غير متساو جداً بين الناس ومهمل جداً، ذلك أن غالبية الناس لا يملكون سوى جرعة ضعيفة من الوجدان الأخلاقي، جرعة هي من الضعف بحيث لا يكاد المرء يمكنه في بعض الأحيان أن يتكلم عليها...»

النص

أتم تعلمون، أفضل مما يعلمه الآخرون، أننا أكدنا منذ البدء أن الإنسان يعاني سراعاً بين مقتضيات الحياة السنافعية والمقاومة التي تعارض داخله هذه التنتزيات

والتوضيح الذي نجد أنفسنا فيه منذ بداية دراستنا يعرض علينا هو نفسه الدرب

الذي سنكته . فإنا هي التي مشرحتها ، أنك الأكثر صميمية . ولكن هل الأمر ممكن؟ الآن ، بوصفها المسند إليه بالمعنى الصحيح للكلمة ، هل يمكنها أن تصبح المسند (الموضوع)؟ حسن ، ليس ثمة في ذلك ما يدعو إلى انشك ، فالأنا يمكن أن نعدّ موضوعاً ، وأن تنك إزاء نفسها سلكها إزاء موضوعات أخرى ، وتراقب نفسها ونقدّها ، إنح ويعارض جزء من الأنا في الوقت نفسه جزءاً آخر منها . فالأنا يمكنها إذن أن تشطر وهي تشطر بالفعل ، مؤقّتاً على الأقل . والأجزاء المنشطرة يمكنها ، من ثم ، أن تتجمع مجدداً . وليس ثمة في ذلك شيء غير معروف من قبل . والمقصود فقط أن نلفت النظر إلى وقائع يادية للمعيان . ونحن نعلم من جهة أخرى أن علم الأمراض قادر ، إذ يضخم المظاهر ، وإذ يجعلها إذ صبح القول واضحة إلى حدكاف ، على أن يجذب انتباهنا إلى الشروط الطبيعية التي مستر غير منركة لولا ذلك . وحيث بيّن لنا علم الأمراض أن ثمة ثغرة أو صدعاً ، فقد يوجد على نحو طبيعي انشطار . فإذا أنقينا على الأرض قطعة من الكريستال ، فإنها ستتحطم تحطماً وفق خطوط انشطاره ، لا كبغما اتفق ، إلى قطع تحدبها كان مع ذلك ، مع أنه غير مرئي ، معيّن من قبل نفعلة سنة الكريستال .

١ - هذا المراقب غير المرئي الذي نحمله في أنفسنا

هذه البنية المتصدعة هي أيضاً بنية المرضى النفسيين . ونحن نحفظ إراء الصابرين بالخيل بقليل من الخشبة المجيونة بالاحترام التي كانوا يوحون بها للشعوب انقدية هؤلاء المرضى انصرفوا عن الواقع الخارجي ، ونهذ السبب على وجه الصبط يعلمون أكثر منا عن الواقع الداخلي ويمكنهم أن يكشفوا لنا عن بعض الأمور التي سنكون ، لولاهم ، قد فلتت عصبية على قهنا . ونقول عن فئة من هؤلاء المرضى أنهم يعانون جنون المراقبة . إنهم يشكون من أن قوى مجبولة تراقبهم باسمهراز . قوى ليست دون شك ، بعد قل شيء . سرى الشخص ؛ ويتخبّون أنهم يسمعون هؤلاء الأشخاص بعنوان ما يراقبون . إنه يقول ذلك الآن ، حامو يرتدي

ثيابه ليخرج . إلخ . ومع أن هذه المراقبة من نوازل مختلفة عن الاضطهاد ، فهي تقرب منه كثيراً ، ويعتقد المرضى المراقبون على هذا النحو أن الناس يحذرونهم ، وأن هؤلاء الناس يترقبون أن يفاجئوهم بتركبهم عملاً من الأعمال السيئة . عملاً لا بد لهم من التعرض إلى الخصاص من أجله . وماذا سيحدث إذا كان هؤلاء انهادون عنى صواب ، إذا كان كل منا في أنه مرجعاً مشابهاً ليراقبه ويهدده ؟ مرجعاً سيكون منفصلاً بوضوح عن الأنا ويكون قد انتقل ، بفعل الخطأ ، نحو مواقع الخارجى ؟

٢ - الأنا العليا أكثر استقلالاً من الوجدان الأخلاقى

أجهل أن الأمر سيكون بالنسبة لكم كما هو بالنسبة لى . وإذا تأثرت بالمرض الذي وصفته للتوت ، فإن الفكرة خطرت ببالي أن انفصال مرجع مراقب عن باقى الأنا ربما يكون خاصة مألوفة في بنية الأنا . ومنذ ذلك الحين لم تسرح الفكرة نفسى وحضنتى على البحث عن السمات الأخرى ، والعلاقات الأخرى ، للمرجع المتعول على هذا النحو . ولست المتابعة عميرة ، ومحتوى جيون المراقبة ينكنا وحده ، على أن هذه المراقبة ليست سوى نهينة للحكم والمقاصر ونحن نتكهن أن وظيفة أخرى من وظائف هذا المرجع نفسه ينمى لها أن تمارس مهمتها هنا ، وظيفة ما تسميه وجداننا . والوجدان هو الذي ، على وجه الضبط ، نغزله في الأغلب عن الأنا ويجعله معارضاً لها على النحو الأسهل . إننى أرغب في أن أجز هذا الفعل الذي من شأنه أن يشيع رغبتى ، ولكننى أتخلى عنه جرأه تعارضه مع وجدانى . أو أنني استسلمت أيضاً لرغبة كبيرة واركتبت ، لأشعر سرور معين ، فعلاً يستهجنه وجدانى : وما إن يتجز الفعل حتى يثير وجدانى التندم بفعل ضرور لومه . فالمرجع الخاص ، الذي أبدأ في أن أصيره في الأنا ، بوسعى أن أقول فقط إنه هو الوجدان . ولكن الأكثر فطنة أن نعتقد أن هذا المرجع مستقل وأن نسلّم أن الوجدان ليس سوى وظيفة من وظائف الأنا . وتكون المراقبة الذاتية ، التي لا عنى عنها لها عملية الوجدان التنفيذية ، وظيفة أخرى عتندت . وبما أن من المناسب ، عندما نريد أن نسير إلى شيء ، أنه موجود في ذاته . أن نطلق عليه اسماً خاصاً ، فإننى سأسعى هذا المرجع في الأنا من الآن فصاعداً : « الأنا العليا » .

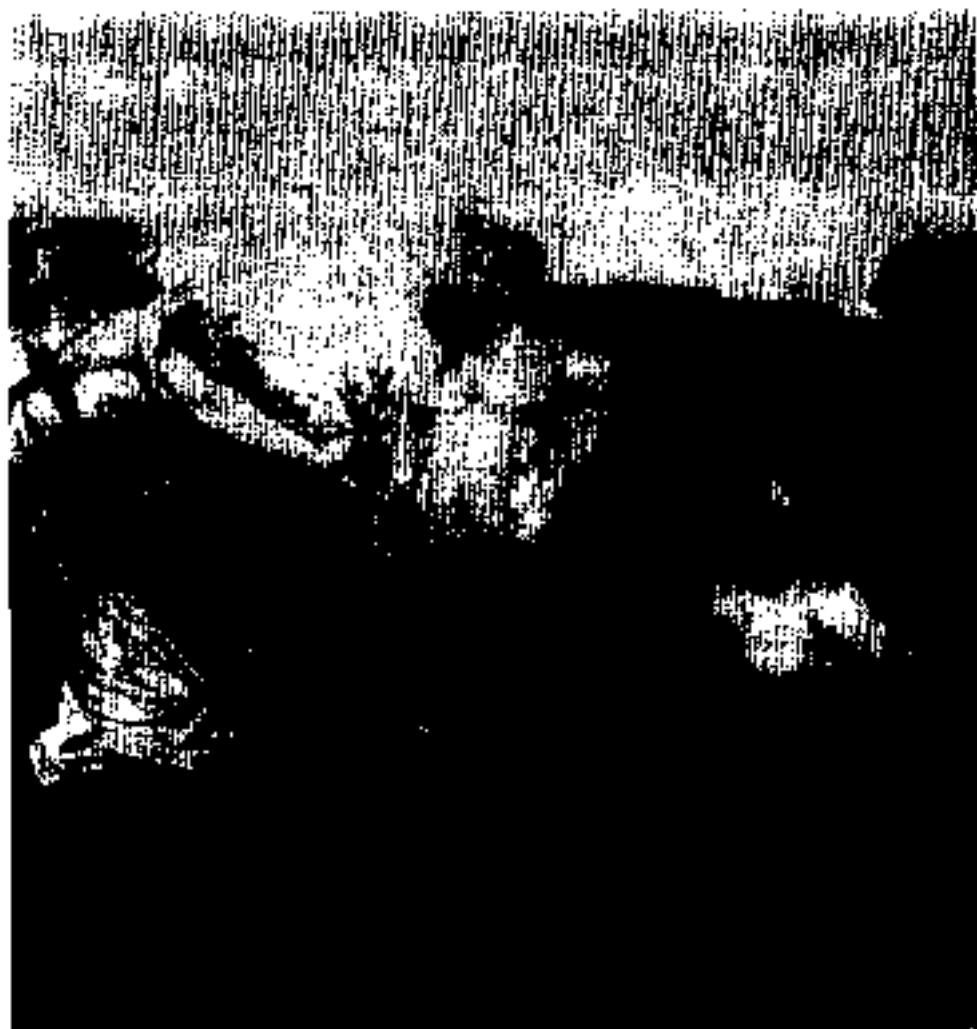
٣- الأنا العليا لدى السوداوي تحكم بالإدانة حكماً قطعياً:

لا يمكن تأنيب فكرة هذه الأنا العليا التي تتمتع باستقلال ذاتي معين ، وتلاحق هدفها الخاص ، وتظل ، في دائرة عملها ، مستقلة عن الأنا ، حتى تفرض نفسها على فكرنا فكرة مرض من شأنه أن يفهم بوضوح قسوة هذا المرجع وتغييرات علاقاته بالأنا : أود أن أتكلّم عن السوداوية التي سمعتم كلكم كلاماً عليها ، ونو لم تكونوا أطباء نفسيين . ونحن لا نعرف معرفة جيدة دافعية هذا الاضطراب وألبته ، ولكن ما يصد منا فيه على وجه اخصوص إنما هو الطريقة التي تعامل الأنا العليا ، وقد تعقدون أنها الوجدان ، بها الأنا . ففي المرحلة الطبيعية ، يكون السوداوي ، شأنه شأن كل شخص آخر ، قاسياً على نفسه قليلاً أو كثيراً ، في حين أنّ الأنا العليا ، التي أصبحت صارمة بفغاله ، تحذّر الأنا الفقيرة ، خلال النبوة السوداوية ، وتذللها ، ونسيء معاملتها ، وتجعلها تتوقع أقسى العقوبات ، وتلومها على أفعال ارتكبتها فيما مضى بقلب طائش . ويبدو أنّ الأنا العليا راكمت الأعباء في غضون ذلك ، ولتها انتظرت أن تكون قوية على نحو كاف لتستخدمها ولتلفظ الإدانة . وبقنضي الأنا العليا أن ترغم الأنا دون دفاع على أن تمثل للعواعد الأكثر قسوة . إنها تجعل من نفسها ، بالإجمال ، المدافع عن الأخلاقية وترى بلمحة البصر الأولى أن المعاطة الأخلاقية للإثمية ، عاطفتنا ، هي نتيجة توتر بين الأنا والأنا العليا . والأمر الغريب أن الأخلاقية ، التي يُقال إنها حضور الله وهي الراسخة فيما بعين ، تكون في السوداوية ظاهرة دورية إذن . والواقع أن كل هذا الهيباح الأخلاقي ينتهي بعد عدة أشهر ، ويصمت نقد الأنا العليا ، وتجد الأنا ، التي ردت مكانتها ، نفسها مجدداً تمتلك كل حقوقها . وثمة ما هو أفضل أيضاً : إن سنو كما معكوساً تلاحظه في بعض أشكال المرض خلال المراحل الوسيطة : تجهد الأنا نفسها في حالة لذيدة من المشوة ، لها تتعبر ، كما لو أنّ الأنا العليا كانت قد فقدت كل قوتها أو كما لو أنها كانت قد لصهرت مع الأنا . وهذه الأنا المنحررة ، النهومية ، تعكف عندئذ ،

دون أي إكراه، على إشباع رغباتها كلها. فكم مشكلات يثيرها هذا الوضع
وينبغي حلها!

٤ - الأنا العليا محل السلطة الأبوية

عندما قلت لكم إننا نعلمنا كثيراً من الأمور عن تكوين الأنا العليا ونمو
الوجدان، فأنتم مستظلمون مني أكثر من مجردة برهان على أقوالى. إن انغلبسوف
كانت أدلى. كما نعلم، يترأى الذي مفاده أن لاشيء يبرهن على عظمة المد أفضل
من السماء المرسعة بالنجوم ووجدان الأخلاقي. فالنجوم رائعة بالتأكيد، ولكن
الله لم يقم، عندما خلق الوجدان الأخلاقي، إلا بعمل غير منسأو جداً ومهمل
جداً، ذلك أن غالبية الناس لا يملكون سوى جرعة ضعيفة، جرعة هي من الضعف
بحيث لا يكاد يكون بوسع المرء أن يتكلم عليها في بعض الأحيان. فإن يكون في
القضية التأكيدية للأصل الإلهي، أصل الوجدان، جزء من حقيقة، ذلك أمر
لا نبحث عن نفيه. ولكن نعمة مجالاً لتفسير هذه القضية. وإذا كان فينا وجدان،
فإنه غير فطري، يمكن الجسمية التي توجد منذ البدء وليست شيئاً مضافاً بصورة
بعديّة. وكل منا يعلم أن الطفل الصغير غير سوي؛ فليس لديه كفاً داخلي يعارض
الاندفاعات التي تميل نحو الشر. فالدور الذي مثله الأنا العليا فيما بعد ينشط
أول الأمر بقوة خازحية، بسلطة الأنا. ويمارس التأثير الأبوي دوره بواسطة
دلائل الحنان والشهيد بالعموية. وتعادل العقوبات بالنسبة للطفل تراجع الحب
وهي مرهوبة في ذاتها. وهذا الخوف الواقعي هو المنسب بخصيصة الوجدان
الأخلاقي المستقبلية وليس نمة مجال. ما دام سائداً، أن نتكلم على (عدو ومحقق
أيهما أفضح قبل أن نغيرها) أن علينا ووجدان أخلاقي. وستأسس الوضع الثانوي
فيما بعد فقط، وضع تميل سلاً قوياً إلى علة سرياً؛ فما إن يُستدخل المانع الخارجي
حتى تحتل الأنا العليا مكان تراجع الأبوي. هذه الأنا العليا التي ترقب، وتوجه
وتهدد كما كان الأباة فيما مضى يرقبون الطفل، ويوجهونه ويهددونه.



الإسماعيل بن البرديلة والحفصية. - تشكيل ماذح لثقوبات الشخصية في أصل الحضر
(مراجعة ربيبة، ابن، برودجر، 1989).

٥ - قسوة التربية لا تصنع قسوة الأنا العليا

يسبب الأنا العليا، إذ تسكنني على الثورة وعلى المعالية اللتين كانتا من خصائص المرجع الأبوي، وإذا تسنخدم حتى أساليبه، خلف هذا المرجع فحسب، ونكها في الحقيقة أيضاً وريثه الشرعي، الطبيعي، ونجم عنه بصورة مباشرة وسري حالاً بأي سرورة. ومن المهم مع ذلك أن يرد فرقاً: يبدو أن الأنا العليا، بفعل اختيار وحيد الجانب، لم تتبن سوى صلاية الآباء وفسوتهم، ودورهم الشرطي، الضمني، وليس عنايتهم الخنونة. ونحن مبالغون إلى الاعتقاد أن الأنا العليا ستصبح أكثر صرامة بمقدار ما يكون الطفل قد تلقى تربية أشد قسوة، والحال أن التجربة تبين لنا، عكس كل توقع، أن الأنا العليا تيكها أن تكون ذات قسوة لا تدين، حتى عندما يبدو المربون لطيفين وطيبين وأنهم يحبوا، بقدر الإمكان، تهنيدات وعقوبات.

٦ - الأنا العليا لدى الأطفال تتكررت على صورة الأنا العليا للآباء

ظهور مرجع في الأنا أكثر قوة يرتبط ارتباطاً حميمياً بقدر العقدة الأوديبية، بحيث أن الأنا العليا تبدو وريثة هذه المجموعة من العواطف ذات الأهمية الكبيرة لتلطفولة. ويفهم أن الطفل يرى نفسه، إذ يهجر عقدة أوديب، مكروهاً على أن يتخلى عن توظيفات لبيدية كثيفة كان أبواه موضوعها. وتحويلاً عن هذه الخسارة التي عانها، إنما تجد نفسها التوحيدات القديمة بأبويه وقد تعززت على هذا النحو في أثناء. وستشكّر مثل هذه التوحيدات، على الأغلب، واسب توظيفات قديمة للموضوعات، في حياة الطفل فيما بعد. ولكن لهذه الحالة الأولى من التحوك، دون أي شك، أهمية خاصة ومحتل مكاناً خاصاً في الأنا، حراً قيمتها العاطفية الكبرى. ويبين لنا أيضاً بحث أعمق أن الأنا العليا تضعف وتضمحل عندما لا يمكن أن يتجاوز الطفل عقدة أوديب ولا تتكون لأن العنسا لدى الأطفال على صورة آباءهم، بل على صورة الأنا العليا لهؤلاء الآباء. إنها تثنى

بالمحتوى نفسه، وتصصح بمثل الثوروت، ويمثل لكل أحكامه المميز التي تبقى على هذا النحو عبر الأجيال.

٧ - الكتب عمل الأنا العليا

لكن تمة مهمة أخرى تبقى علينا أن نجزها على الطرف المقابل من الأنا (إذا كان مسموحاً أن نعبر على هذا النحو). وهذه الدراسات أظهرت لنا ملاحظة حدثت خلال العمل التحليلي، ملاحظة قديمة الآن جداً في حقيقة الأمر. وكما يحدث على العكس، فقد انقضى زمن طويل قبل أن نقرر أخذ الواقع المعنى باختمان. فكل نظرية التحليل النفسي مبنية، وأنتم تعلمون ذلك، على إدراك المقاومة التي يعارضنا بها المريض عندما نحاول أن نجعل لاشعوره شعوراً. وتظهر المقاومة لدى المريض إما موضوعياً بنقص الأفكار، أو بالطور انفاجي للأفكار دون علاقة بالموضوع الذي يُعالج، وإما ذاتياً، بظهور عواطف مزلة منذ أن يبدأ من الموضوع. ولكن هذه القوية الأخيرة يمكنها أيضاً أن تكون غائبة. فنقول عندئذ للمريض إن سلوكه يحضنا على أن نستتج أن ثمة مقاومة. ويعجب أنه يجهل ذلك كلياً، وذلك يبين أننا كنا على صواب ولكن المقاومة، هي نفسها، كانت لاشعورية، كالمكبوت الذي نحاول إغائه. فمن أي جزء من الحياة الروحية تنجم هذه المقاومة اللاشعورية إذن؟ كان من الواجب أن نطرح هذا السؤال منذ زمن طويل ومن يبدأ لأول مرة عمله في التحليل النفسي لن يفوته أن يجيب أن المقصود على وجه الضبط مقاومة اللاشعور. إنه جواب مبهم ويتعدى استخدامه ما ينبغي لنا أن نسيه من ذلك أن المقاومة ناشئة عن المكبوت؟ كلا، بالتأكيد. ونحن نعزو إلى المكبوت توتراً قريباً يدفعه إلى أن يعود إلى الشعور. إن الأنا هي التي تظهر في المقاومة، وتلك الأنا التي قادت الكتب بنجاح لا توافق أبداً على أن يسفى. ذلك كان دائماً محسوراً. ومما أن قلنا وجود مرجع خاص في الأنا، المرجع الذي يقيد وحده، أي الأنا العليا، نحن على حق في أن نقول إن الكتب عملها. وهذه الأنا

العليا بتكثها أن تعمس هي نفسها أو تعيد إلى الأنا الطبيعة إنجاز أوامرها . وقد يحدث أن المريض ليس لديه ، خلال التحليل ، فكرة المقاومة التي تمارس عندها ، إما لأن الأنا العلب والأنا تحملان ، في بعض الظروف الخطيرة ، دون أن يكون واعياً بذلك ، وإم . وهو أمر أكثر أهمية أيضاً ، لأن بعض الأجزاء من الأنا والأنا العلب تظل لاشعورية . ونعني ، في الحالتين ، معاية يرافقتها الانزعاج أن الأنا العلب والشعور من جهة ، والمكبوت واللاشعور من جهة ثانية ، فتتأن لا تتطابقان على الإطلاق .

٨ - الأنا ، الهو ، الأنا العلب : قسمة النفس

نحن نعرف من ثم ، والارتباك قد أصابنا أول الأمر ونحن نكتشف أن بعض أجزاء من الأنا والأنا العلب لاشعورية بالمعنى الدينامي ، أن هذا الاكتشاف سهل الأمور كثيراً ، وأنه يتبع نجب ضرب من التعقيد . ونحن نلاحظ أننا لا نملك الحق في أن نصف المجال الروحي الغريب عن الأنا أنه لاشعوري لأن انعدام النوعي ليس سمته الحصرية . وهكذا فإننا لن نستخدم كلمة لاشعور بالمعنى المنهجي ، وسنطلق على ما كان يسمى على هذا النحو اسماً مناسباً على نحو أفضل يمكنه أن يشير ضرورياً من سوء الفهم أقل ، ومنسبته بالاعتماد على نيتسه ، وفي أعقاب ملاحظة أيداهاغ ، غروديك ، الهو من الآن فصاعداً ، هذا التعبير غير الشخصي الذي يبدو صالحاً على نحو خاص للتعبير عن السمة التي تسود هذا المجال الروحي الغريب عن الأنا . فالأنا العلب ، والأنا ، والهو ، تفكم هي الامبراطوريات ، الأقاليم ، المناطق ، التي تقسم الجهاز النفسي للفرد بينها . ومنهم الآن بالعلاقات المتبادلة بينها .

٩ - الهو . ما وراء الخير والشر

تسيرورات لني تحري في الهو لا تخضع لقوانين المعك المنطقية ؛ فمبدأ عدم التناقض ، بالنسبة لها ، لا وجود له . إن التفاعلات متدفقة تستمر فيه دون أن يعارض . دور أن يتخلص أحدها من الآخر ؛ وتمكنها على الأكثر ، تحت الضغط

الاقتصادي السائد، أن تُسهم في تحويل الطاقة نحو تكوين النسوية. فليس ثمة في
 أي شيء، يمكن أن يُقارن بالنسوي؛ وبلا حظ قرء، ملاحظة لا يخلو من الدهشة أن
 نسوية، الغاية عنى الفلاسفة، التي يكون الزمان والمكان وفقاً لها شكلين إرمايين
 لأفعالنا النفسية، غائبة هنا. ولا شيء، يقابل مفهوم الزمان، ولا وجود لقربنة جريان
 الزمان. وليس ثمة تعديل في السيرورة النفسية خلال الزمان، وهو أمر مدهش إلى
 الحد الأقصى ويطلب دراسة من وجهة النظر النفسية فالرغبات التي تم تبعث
 قط خارج الهوى، كذلك الانطباعات، التي ظلت فيه مضمورة جراء الكبت، لا تفضي
 من الناحية الافتراضية وتوجد محدثاً، كما كانت، بعد سنين طويلة. والعمل
 التحليلي وحده، إذ يعيدها إلى الشعور، يمكنه أن يفلح في أن يحدد موقعها في
 الماضي وأن يحرمها من شحنتها الطاقية، وبهذه النتيجة على وجه الضبط، إنما
 يناط، جزئياً، مفعول المعالجة التحليلية العلاجي.

وغني عن البيان أن الهوى يجهل أحكام القيم، الخير والشر، والأخلاق.
 وتعامل الاقتصادي أو الكمي، إذا شئتم، المرتبط ارتباطاً صميمياً بمبدأ اللذة،
 يسيطر على كل السيرورات. والشحنات الغريزية التي تميل إلى التفريغ موجودة
 كلها، في اعتقادنا، في الهوى. ويبدو أن حالة الطاقة الخاصة بهذه الدوافع الغريزية
 تكون مختلفة عن حالة الطاقة في المحركات النفسية الأخرى، أي أنها غير ثابتة
 وهي أيسر تحويلاً.

١٠ - الأنا: هو بعدله العالم الخارجي

أعتقد حاجة إلى أن نشرح أن الأنا هي الجزء المعدل من الهوى بفعل قرب
 العالم الخارجي وتأثيره، المنظم ليندرك الإثارات ويحتمي منها، التشبه على هذا
 النحو بالراق القشري الذي يتغلف بها الجزء الصغير من المادة الحية؟ العلاقة بالعالم
 الخارجي أصبحت بالأسفة لأن ذات أعيرة رئيسة، ورسالة الأنا أن تكون تمثل هذا
 العالم الخارجي في نظر الهوى ولحجبه الأكبر. والواقع أن الهوى، الطامع على غير

هدى إلى الإشباعات الغريزية، سيُفهم دور تصرف، لولا الأنا، على أن يتحطم مصطلحاً بهذه القوة الخارجية الأقوى منه. وعلى الأنا، بسبب وظيفتها، أن تلاحظ العالم الخارجي، وتصنع لنفسها صورة صحيحة له وتودعها بين بعض ذكرياتها من الإدراك وينبغي لها أيضاً، بفضل تجربة الاتصال بالواقع، أن تبعد كل ما يمكنه، في هذه الصورة للعالم الخارجي، أن يضحّم المصادر الداخلية للإنارة. والأنا، بأمر من الهو، لها اليد العليا في الوصول إلى قدرة التحرك، ولكنها أدخلت المهلة الزمنية، الضرورية لإعداد التفكير، بين الحاجة والعمل، مهلة تغيد الأنا خلالها من الذكريات الراسية التي تركزها التجربة لها. وهكذا نتخنع عن عرشه مبدأ اللذة الذي يسود، في الهو، سيادة مطلقة، كل السيرورة. وأحلت محله مبدأ الواقع الأصح لتأمين الأمن والنجاح.

١١ - حياة شاقة: حياة الأنا، خادم السادة الثلاثة

ثمة قول مأثور ينهانا عن خدمة سيدين معاً. والأمر أسوأ بالنسبة للأنا البائسة؛ إن عليها أن تخدم ثلاثة سادة فساء ونسعى جهدها لتضع الانسجام بين متطلباتهم. وهذه المتطلبات متناقضة دائماً ويبدو على الغالب أن التوفيق بينها متعذر؛ فليس ثمة منذ ما يدهش أن الأنا تخفق في مهمتها غالباً. والطفاعة الثلاث هم العالم الخارجي، والأنا العليا، والهو. وعندما نلاحظ الجهد التي تبذلها الأنا لتبندو منصفة إزاء الثلاثة معاً، أو بالتحري لتطبعها، لم يعد المرء بأسف على تشخيص الأنا، ومنعها وجوداً خاصاً. إنها تشعر أنها مضغوطة من جهات ثلاث، تهددها مخاطر ثلاث مختلفة تستجيب لها، في حال الشدة، بإنتاج الحصر. وإذا تسعد الأنا أصلها من تجارب الإدراك، فإن مصيرها أن تثقل مفتضيات العالم الخارجي، ولكنها حريصة مع ذلك على أن تظل الحدم الوفي ليهو. وأن تلبث معه على صعيد تعاهم جيد، وأن يعدها موضوعاً وأن تجذب إليها لبيده. والأنا العليا القاسية، من جهة أخرى، لا تسهر عنها وتفرض عليها، غير مبالية

بالصعوبات التي يعارضها اليوم والعالم الخارجي بما الآن . قواعد سلوكها المحددة .
 فإذا حدث لها أن عصت الأنا العليا، فعقوبتها ستكون العاقبتين المؤتتين، عاقفتي
 الذنوبية والإثمية . وهكذا فإن الأنا العليا التي يرفعها اليوم، وتضبطها الأنا العليا،
 وينبذها الواقع، تناضل لتنجز مهمتها الاقتصادية، وتعيد الانسجام بين مختلف
 القوى والتأثيرات التي تعمل فيها وعندها: ونحن نعهم على هذا النحو لئلا
 نكون على الغائب مكرهين على أن نصرخ: «آه، الحياة ليست سهلة!» وعندما
 تكون الأنا مرعومة على الاعتراف بضعفها الخاص، يستولي عليها الذعر: خوف
 واقعي أمام العالم الخارجي، مخاوف الوجدان أمام الأنا العليا، وحصر عصابي
 أمام قوة الأهواء في اليوم.

سيلموند فرويد

الفصل الثالث

من الخوف من الدركي

إلى حب السيد

مقدمة

يلخص كتاب *عسر في الحضارة*، المنشور عام ١٩٢٠، أفكار فرويد عن علم الاجتماع، «مجال لا يمكنه، كما يقول في مكان آخر، أن يكون سوى علم النفس التطبيقي»، يلاحظ أرنست جونز في سيرة فرويد الذاتية^(١) ويضيف جونز من جهة أخرى أن «التمتع بقراءة هذا الكتاب أسير من تلخيصه، وإذا يكتبه فرويد بأسلوب الحادثة، فإنه يتبع فيه أفكاره في اتجاهات شتى، نائراً على أطول امتداده لآلي الحكمة». وحتى نستأنف كلمة فرويد حين تكلم عن كتابه بعد وضع سنين: «كان قصده أن يعرض علي وجه الضبط عاطفة الإثمية بوصفها المشكل الرئيس في نمو الحضارة، وأن يري بالإضافة إلى ذلك لماذا ينبغي أن يكون لتقدم هذه الحضارة مقابل مفاده ضياع السعادة الناجم عن تعزيز هذه العاطفة».

ولمست عاصفة الإثمية على الأغلب، في رأي فرويد، صنع الأنا العليا، مرجع مستدخل، مستقل وغير شخصي؛ وينبغي لنا بالحري أن نمررها إلى الحصر الذي يسببه فقدان الحب الذي يسعفه فرويد «الحصر الاجتماعي» ويتيح غياب استدخال المحرمات لدى بعض الراشدين، الذين يتبنون فلسفة

(١) حياة فرويد، ومزلفاته، المجلد ٣، منشورات جامعة باريس.

«من لا يرى، لا يُقيض عليه»، أن يرتكبوا الشر إذا كانوا واثقين أن السلطة لن تعرف شيئاً عنهم. وربما يشرح غياب استبدال المحرمات تلك الجرائم الجماعية منذ أن تفلت السلطة المسؤولة عنها أو أنها تحضر على ارتكابها .

ويبين هنا فرويد أيضاً منطق هذه المغارقة الظاهرة: الأنا العليا لا ترحم بقدر ما يكون الفرد فاضلاً. وليس العكس، كما يعتقد بعضهم عن طيب خاطر. إنه يشرح بالتفصيل مفعولات التربية، إذ يلفت النظر إلى التأثير الضار الذي تعارسه طرائق بيداغوجية شديدة الصرامة أو، على العكس، شديدة التسامح، على قسوة الأنا العليا.

وقد نرتكب مع ذلك خطأ حين لا نرى في الأنا العليا سوى مرجع يعاقب: وقد كشفنا سابقاً عن هذا الواقع في الفصل السابق. ويلجّ فرويد على انظهِر الثاني من الأنا العليا في علاقتها بالأنا، في مستخلص من كتاب موسى والتوحيد، أحد كتبه الأخيرة (١٩٣٩). وتكمن مهمة الأنا العليا أيضاً، في الواقع، في تزويد الأنا الطيبة المستحقة بالحب، فالفخر، وعاطفة الصماية والإشباع النرجسي هي، بالتالي، مكافآت الأنا الطيبة، القادم الجيد لسانته الثلاثة.

النص

إلى أي الوسائل تلجأ الحضارة لتكف العدوان، ولتجعلن هذا العدو غير مؤذ وربما تسببعده؟ إننا نجدنا من قبل معالم بعض من هذه الطرائق، ونكتنا ما نزال لا نعلم على ما يبدو الطريقة الأكثر أهمية.

وبوسعنا أن ندرسها في تاريخ نمو الفرد. ماذا يحدث في نمسه فيجعل رغبته في العدوان غير مؤذية؟ إنه شيء متميز جداً. ونحن لم نشككته وليس شمة حاجة مع ذلك إلى أن نبحث بعيداً من أجل اكتشافه. فالعدوان «يُحضاف»، «يُستدخل»، ولكنه في حقيقته الأمر أيضاً يعاد إلى النقطة التي كان قد انطلق منها. وبعبارة أخرى، يرتد ضد الأد الحاصلة. وهناك، مستأنفه جزء من الأنا يعارض،

يوصفه «الأنا العليا»، مع الجزء «الأخر من أنا» وعندئذ يظهر، بصفته «الوجدان الأخلاقي»، ذلك العدوان الصارم إزاء الأنا، عدواناً أحببت الأنا إنساعه ضد الأفراد الغرباء. واثور المولود بين الأنا العليا القامية والأنا التي استكانت، نسيته «العاطفة الشعورية للإثمة»؛ ويظهر هذا الثور عنى صورة «حاجة إلى العفاب» فالخضارة إذن نسود الشدة العدوانية الحطرة لبذى الفرد، إذ تضعفه وتجرده من سلاحه، وتجعله تحت المراقب بواسطة مرجع في نفسه، كحامية وضعت في مدينة محتلة.

١ - ما يجعلنا نميز الخير من الشر: الأنا العليا

يصنع المحلل لنفسه من نشوء عاقبة الإثمة رأياً مختلفاً عن الرأي الذي يتناه علماء النفس؛ ولكنه، هو نفسه، لا يمكنه بسهولة أن يشرح هذا النشوء. وإذا تسامنا، أول الأمر، كيف يتوصل المرء إلى أن يكابد هذه العاطفة، فإنه يتلقى جواباً يتعذر دحضه: يشعر المرء أنه أثم (رجال الذين يتولون: ارتكبت الخطيئة) إذا اقترف شيئاً يعترف به أنه «شر». ويلاحظ عندئذ كم يكون «سهام» هذا الجواب هزيلاً، وربما يضيف المرء، بعد بعض من التردد: من لم يرتكب الشر، ولكنه يعترف أن إثمة فقط كانت موجودة لديه، يمكن أن يعد أيضاً أثماً. وسطرح عندئذ هذا السؤال: لماذا نعد إثمة والتنفيذ، في هذه الحالة، متكافئان؟ إننا نعترف في الحالتين افتراضاً مسبقاً أننا حكمنا من قبل بإدانة الشر، وحكمنا أن إجاره ينبغي أن يكون مستبعداً. فكيف نتوصل إلى هذا القرار؟ لنا الحق في أن نستبعد ملكة أصلية، طبيعية إذا صح القول، لتعريف الخير من الشر. ولا يكمن الشر مطلقاً على الغالب، في أنه مضر وحظر عنى الأنا، بل يكمن على العكس في أنه مستحب لها ويؤمّن ثمة. وهنا إذن يظهر تأثير عريب يرسم ما ينبغي لنا أن نسميه الخير والشر. وبما أن الإنسان لم يكن متوجهاً نحو هذا التمييز بفعل عاطفته، فإنه ينبغي أن يكون له عمل حتى يخضع إلى هذا التأثير الغريب. ويسهل اكتشافه في يؤسه وتبعيته المطلقة لتغيره. ولا يمكننا أن نعرفه على نحو أفضل إلا أنه حصر أمام مراجع الحب. وإذا حدث للإنسان أنه فقد حب الشخص الذي يتعلق به، فإنه يفتقد، في الوقت نفسه

حمايته من كل الضروب من الأخطار والأمر الزئير الذي يتعرض له مفاده أن هذا الشخص العكسي القوة يرهق له على تفوقه على صورة عقاب . ولهذا السبب يكون الشر في الأصل هذا التساؤل ماذا هو مهدد بالحرمان من الحب ؛ وخوف من التعرض إلى هذا الحرمان إذا ينبغي له أن يتجنب ارتكابه . وهكذا إذن يكون قليل الأهمية جداً أن يرتكبه أو أن تكون لديه نية ارتكابه ؛ والخطر ، في حالة كما في الأخرى ، لا ينبعث إلا منذ أن تكشف السلطة الأمر ، وفي الحالتين قد يسلك سلوكاً مشابهاً

٢ - نية الإيذاء والخطيئة المرتكبة: خطآن متساويان القيمة بالنسبة للأنا العليا

نسعى هذه الحالة الوجدان المسيء ، ولكنها لا نستحوذ بالمعنى الدقيق لتعبارة هذه التسمية ، ذلك أن عاطفة الإنتمية في هذه المرحلة ليست بالتأكيد سوى حصر أمام فقدان الحب ، حصر اجتماعي . ولا يمكن أن يكون الأمر أبداً غير ذلك ، ولكن الأمر لا يتغير لدى كثير من الراشدين . باستثناء الواقع الذي مفاده أن المجتمع الإنساني التكبير يحتل مكان الأب أو الأبوين . ولهذا السبب لا يتبع هؤلاء الراشدين لأنفسهم ، على وجه العموم ، أن يرتكبوا شراً يمكنه أن يؤمن لئلا إذا كانوا على ثقة أن السلطة لن تعلم عنه شيئاً أو لا تستطيع أن تفعل لهم شيئاً ؛ والخطيئة من أن يكتشفوا تحدّد حصرهم^(٢٢) . فالمجتمع الراهن ينبغي له ، بالإجمال ، أن يأخذ بالحسبان هذه الحالة من الأمور .

ويبدو أن تغير كبير منذ أن تُستدخل السلطة ، بفضل تأسيس أنا علينا . وعندئذ نجد ظاهرات الوجدان الأخلاقي نفسها وقد ارتفعت إلى مستوى آخر ، ولا ينبغي لنا أن نتكلم على الوجدان وعاطفة الإنتمية إلا عندما يحدث هذا التغير^(٢٣) .

(٢٢) تدعى العاطفة الشهير تروسر

(٢٣) أن يكون ظاهرات تحقق في الواقع . إذ أخذ حصراً مسيطرة متتالية ، مسببة ضربة في هذا التعرض الموجوب . وأن يكون الأمر ليس ذا علاقة فقط بحد الأنا العليا ، ولكن بقوتها نسبة دائرة تأثيرها أيضاً . ذلك لأن مفاهيمهم قد فكر حصر وسيأخذ فيما بالخاصة بكل ما فيه حتى الوقت الراهن عن الوجدان الأخلاقي والإنتمية معروف جيداً ، وليس موضع شارة على وجه التقريب .

ومنفذ يفظ الحصر من أن يكتشف المرء أيضاً ، والفارق بين فعل الشر وإزادة فعل الشر ينحى كلياً ، ذلك أن أي شيء لا يمكنه أن يظل خفياً على الأنا العليا ، حتى ولا الأفكار . ومع ذلك اخضعت خطورة توضع أوضاعاً جرمية كونه السلطة ، الأنا العذب ، ليس لها داع ، عند قوننا ، نسبي ، معاملة الأنا التي ترتبط ارتباطاً صميمياً بها . ولكن تأثير نشوئها الذي يتيح نغمة للماضي ، والحاضر والمستقبل ، أن يظل حياً ، يظهر في أن كل شيء في الحقيقة يبقى كما كان من قبل ، في الحالة الابدئية . فالأنا العليا تعذب الأنا الحاضرة بواسطة إحسانات الحصر نفسها ، وترصد المناسبات لإيقاع العقاب عليها بواسطة العالم الخارجي .

٣ - النتائج الاجتماعية لأنا عليا مغالية في القسوة

للووجدان الأخلاقي ، في هذه المرحلة الثانية من النمو ، خاصية كانت ما تزال غريبة في المرحلة الأولى . وليست أسير على الشرح . إنه ، في الواقع ، يسلك فيها بقسوة كبيرة ويظهر حدراً أكبر بمقدار ما يكون الفرد قاضلاً ؛ بحيث يتهم الفضلاء أنفسهم ، في نهاية المطاف ، أنهم الخاطئون الكبار بمقدار ما يتقدم هذا الوجدان في درب المقداسة تقدماً أبعد . وبذلك ترى التفضيلة نفسها مصابة بالإحباط من جانب المكافآت التي وعُدت بها ، ذلك أن الأنا الطيبة المتشقة لا تستمتع بشقة مرشدها وتسمى جهدها عبثاً ، على ما يبدو ، لتحصرون عليها . ولكن نعمة الاعتراض التالي الذي سيوجه إلينا عن طيب خاطر : هذه الصعوبات ، ألا تخلقها أنت بعمل ضرب مغال من الاصطناع ؟ الواقع أن الوجدان الأكثر تشدداً والأكثر تيقظاً سيكون على وجه الضبط هو النسبة المميّزة للإنسان الأخلاقي ، وإذا كان القديسون يدعون أنهم خاطئون . فإنهم لا يفعلون ذلك أبداً دون داعٍ إذا أخذنا بأخسب غوايات وشجع دوافعهم الغريزية ، غواياتهم معروضون إليها في نطاق واسع جداً . ذلك أن الغوايات . ونحن نعظم ذلك ، لا ننفك نندم في حال التخلي المستمر عنها ، في حين أنها بتواخي ، لومن على الأقل ، إذا استسلمت لها الإنسان بانفسانية وشمة واقع آخر ، ذو علاقة بهذا المجال من الأخلاق الغريبة جداً بالمشكلات ، مفاده أن

اختصومة، أي «رفض» العالم الخارجي، يرفع قوة الوجدان الأخلاقي في الأنا العليا إلى مثل هذه الدرجة: ما دام القدر يتسم للإنسان، يظل الوجدان الأخلاقي متمسكاً وينقل إلى الأنا كثيراً من الأمور؛ ولكنه ما إن يقض عليه شر، حتى ينطوي على ذاته عندئذ، ويعترف بخطيئته، ويؤطد مقتضيات الوجدان مجدداً. وبقرص عنى نفسه ضرورياً من الخرمان ويعاقب نفسه إذ يعرض عنها الكفارات⁽¹⁾. ونمة شعوب بكاملها سلكت على النحو نفسه تماماً وتسلت دائماً على هذا النحو. وذلك أمر يُشرح بسهولة إذا عندما إلى المرحلة الطفولية البديية لئوجدان، وتلك مرحلة ثم تُهجر إذن بعد اجتفاف السلف في الأنا العليا، ولكنها تدوم على العكس إلى جانب هذه السنطة ووراها. والقدر يُعدّ بدلاً عن المرجع الأبوي؛ وإذا أصابنا الضرر، فإن ذلك يعني أن السلطة ذات القوة الكلية توقفت عن حيناً فنحن نخضع مرة أخرى، إذا هُذنا بسحب هذا الحب، إلى الأبرين الذين تمثلهما الأنا العليا، في حين أننا نهملهما في حالة السعادة. وذلك أمر يصعب واضحاً على وجه الخصوص عندما لا نرى في القدر، بالمعنى الديني الدقيق، إلا التعبير عن الإرادة الإلهية. فالشعب اليهودي كان بعداً نفسه الطفل انفصل لدى الإله. وعندما أنزل الأب الكلي انقوة على شعبه المختار مصائب تنو مصائب، لم يضع هذا الشعب قط هذا التفضيل موضع الشك مع ذلك كما أنه لم يشك لحظة بالقوة والعدالة الإلهية. ولكنه ولد من جهة أخرى الأنبياء، الذين كانوا يلومونه باستمرار على خطيئته؛ وسنمذ من عاطفة الإثمية لديه قواعد صارمة بمخالاة لدينه، دين الكهنة. فلنلاحظ ذلك أن الأمر غريب، إلى أي حد يسلك الدائم على نحو مختلف أنه لا يتحمل مسؤولية الخطأ عندما تنزل به مصيبة؛ إنه يضع مسؤوليتها، بالعكس، على التسيمة، التي لم تقم بواجباتها بالتأكيد؛ وبوسعها ضرباً بدلاً من أن يعاقب نفسه

(1) هذا التعبير للأخلاق بالخص هو الذي يراه مارك توين في حكاية صغيرة منحة عنوانها: هذه الطبخة العفراء، الأولى التي لم تكن واضحة بالصدفة وأصبح لي أن أسمع مارك توين باسمه بنفس هذه الحكاية الصغيرة. وبعد أن أعين عنوانها، توقفت عند ذلك كما نوهت مرتين في ذلك أكانت الأولى؟ وكان ذلك كل ما قيل!

٤ - عاطفة الإنمبية: هذا البؤس الدائم

نحن نعرف بدأً أصلين لعاطفة الإنمبية: أحدهما هو الحصر أمام السلطة، والآخر، اللاحق، هو الحصر أمام الأنا العليا. فالأول برغم الإنسان على أن يتخلى عن إشباع دوافعه. والثاني يدفع الفرد، بالإضافة إلى ذلك، إلى أنه يعاقب نفسه. بالنظر إلى تعبير أن يحمي عن الأنا العليا طوال رغبته المحرمة. ورأينا أيضاً كيف يمكن أن يفهم المرء قسوة الأنا العليا، أي أوامر الوجدان. إنه يمدد فقط قسوة السلطة الخارجية التي أقامها من وطائنها وحل محلها جزئياً. ونحن نميز الآن تلك العلاقة القائمة بين «التخلي عن الدوافع» وعاطفة الإنمبية. والتخلي، في الأصل، هو نتيجة الحصر الذي توعد به السلطة الخارجية؛ ويتخلى المرء عن بعض الإشباع حتى لا يفقد حبها. وما إن يتحقق هذا التخلي حتى يكون المرء بريئاً أمام هذه السلطة الخارجية؛ ولا ينبغي عندئذ أن تستمر أي عاطفة للإنمبية. ونحن الأمر مختلف فيما يخص الحصر أمام الأنا العليا. فالتخلي لا يحمل، في هذه الحالة، أي عون كاف، ذلك أن الرغبة تبقى ولا يمكنها أن تخفى على الأنا العليا. وستفجع بالتالي عاطفة خطيئة في أن تولد على الرغم من التخلي المنجز؛ وذلك أمر يكون محدوداً اقتصادياً خطيراً لتدخل الأنا العليا، أو، كما يمكن أن نقول أيضاً، لتدخل نغمة التكون للوجدان الأخلاقي. فالتخلي عن الدوافع لا يمارس عندئذ أي عمل محرر تماماً، والامتناع لا يكافئ بضمان الاحتفاظ بالحب، واستبدال المرء تعاسة داخلية مستمرة. أي هذه الحالة من التوتر الخاص بعاطفة الإنمبية، بتعاسة خارجية مهددة - فقدان حب السلطة الخارجية وعقوبتها له.

• - العدوان بواسطة الوجدان يخلد العدوان بواسطة السلطة

هذه العلاقات هي من التعمد والأهمية بحيث أود أن أستأنفها من وجهة نظر أخرى، على الرغم من مخاطرة كل تكرار. وسيكون تعاقب هذه العلاقات في الرمان كما يلي: أولاً، التخلي عن الدافع، الناتج عن الحصر أمام عدوان السلطة

الخارجية - حصر يرتكز في الحقيقة على الخوف من فقدان الحب، ذلك أن الحب يحمي من هذا العدوان الذي يتألف من العنوية - ثانياً، تأسيس السلطة انداخية، الناجم عن الحصر أمام هذه السلطة، حصر أخلاقي. ففي الحالة الثانية، ثمة مساواة العمل السيء بالنية الحسنة، ومن هنا منشأ عاصفة الإثمة والحاجة إلى العقوبة. إن عدوان بواسطة الوجدان الأخلاقي يخل العدوان بواسطة السلطة. والوضوح الحاصل حتى هنا واقعي، ونحن كيف ندخل في هذه اللوحة تعزير الوجدان الأخلاقي بانصراف (هذا التحليل المفروض من الخارج)، أو انصرافه القرينة جداً للوجدان الأخلاقي لدى الموجود الإنساني الأفضل والأكثر طاعة؟ إننا شرحنا آنفاً هاتين الخاصيتين الأخلاقيتين، ونحن الانطباع، الذي مفاده أن هذه الشروح لم تلق عليها ضوءاً ملاماً وتركت في الظل بعض الوقائع الأساسية، يظل قائماً على ما يبدو. إنه انجان لأن ندخل أخيراً تصوراً خاصاً بالتحليل النفسي برمتة وغريباً عن الفكر الإنساني التقليدي كلياً. إن من شأن هذا التصور أن يجعلنا نفهم لماذا ينسب لهذا الموضوع أن يبدو لنا متشابكاً جداً ومبهماً جداً، ذلك أنه يعني (التصور): الوجدان الأخلاقي (أو على نحو أصح الحصر الذي سيصبح الوجدان الأخلاقي) هو: في الأصل، سبب التحلي، في الواقع، عن الدافع، ولكن العلاقة تنعكس لاحقاً. فكل نحل واقعي يصبح عندئذ مصدراً للطاقة بالنسبة للوجدان، ثم يكتف كل نحل جديد بدوره فسوة هذا الوجدان وعدم تسامحه؛ ولو أنه كان يوسعها أن يجعل هذه الأفكار متوافقة على نحو أفضل مع تاريخ نمو الوجدان الأخلاقي، كما نعرفه الآن، لسررت لنا أنفسنا أن ننضم إلى الأضروحة المعارفة التالية: الوجدان الأخلاقي نتيجة التحلي عن الدوافع. أو: إن هذا التحلي، المفروض علينا من الخارج، وقد الوجدان الأخلاقي الذي يقتضي عندئذ تحليات دافعية جديدة.

٦ - لماذا يشق الوجدان من عدوانية قديمة؟

نقول، بالإجماع، إن التناقض بين هذه الأطروحة واقتراحت السبق لسره الوجدان الأخلاقي ليس بديراً جداً ونحن نرى وسيلة لتقليصه أيضاً. فلنصير،

حتى نسهل هذا العرض، مثل غريزة العدوان، ونستسلم لحظة أن المقصود دائماً والحائن هذه تخلياً عن العدوان ويتسنى بالطبع أن نعد هذا الافتراض مؤقتاً. فالتأثير الذي يمارسه التخلي عن الوجدان الأخلاقي هو ما هو عليه بحيث أن كل جزء من العدوانية تمتنع عن امتناعه تستأنفه الأنا العليا ويقوّي عدوانيتها الخاصة (صد الأنا). وهذا الاقتراح لا يتفق جيداً مع هذا الاقتراح الآخر الذي ينص على أن عدوانية الوجدان البدئية أثر يافق من فسوة السلطة الخارجية، وبالتالي ليس له أي شيء مشترك مع ظاهرة التخلي. ولكن بوسعنا أن نلغي هذه التقيضة إذ يجعل هذه البنية العدوانية للأنا مشتقة من مصدر آخر، مسلمين أن عدوانية كبيرة كان لا بد لها من أن تنمو لدى الطفل ضد السلطة التي كانت تحرم الإشباع الأولي، بل الأكثر أهمية؛ وللبلى الأهمية من جهة أخرى نوع الدوافع التي كانت هذه السلطة تمنع صراحة أن يُطلق لها العنان. وكان الطفل مرغماً على أن يتخلى عن إشباع هذه العدوانية المتبقية. ولربما ساعد نفسه على أن يتصر على وضع صعب جداً من الناحية الاقتصادية إنما يلجأ إلى آليات التوحيد المعروفة، ويتخذ أو يؤسس هذه السلطة المصونة في نفسه، التي تصبح الأنا العليا عندئذ. ونحتار هذه الأنا العليا عندئذ كل العدوانية التي أحب الإنسان كثيراً وهو طفل أن يكون قادراً على أن يمارسها ضد السلطة نفسها. أم أن الطفل، فإن عليها أن ترضى بدور السلطة الكئيبة - سلطة الأب. والوضع يتقلب كما يحدث على الغالب: «لو كنت أنا البيا وأنت الطفل، كم كنت سأسيء معاملةك!» فالعلاقة بين الأنا العليا والأنا هي إعادة إنتاج، ولكنها معكوسة بفعل هذه الرغبة، للعلاقة التي وجدت فعلاً في الزمن الغابر بين الأنا التي كانت ما تزال غير منقسمة وبين موضوع خارجي. وتلك حالة تعبية جداً. ويكمن الفرق الأساسي مع ذلك في أن صرامة الأنا العليا، تلك الصرامة الأصلية، ليست أبداً، أو ليست تماماً، هذه الصرامة التي خبرها المرء منها، والتي تُعزى إليها بوصفها نصفها على نحو خاص، بل هي عدوانيتها الخاصة الموجهة ضد هذه الأنا العليا. وإذا كانت هذه المعركة مطابقة لمواقف. فإن لنا الحق فعلاً أن نزع أن الوجدان بنجم في الأصل عن قمع عدوان، وأنه يتعزز من ثم بضروب جديدة مشابهة من القمع.

٧ - عوامل يودان ولادة الوجدان: الموراثة والوسط

ولكن، لأي من هذين التصورين نحكم عندئذ؟ أم نحكم للمفاهيم الذي لا مأخذ عليه من الناحية التكوينية، أم لتجديد الذي يكمل النظرية على نحو ملائم جداً؟

من المؤكد أن كلا التصورين له ما يسوغه، وذلك ما تشهد عليه الملاحظة المباشرة؛ ولا يتعارضان، بل يلتقيان في نقطة، ذلك أن عدوانية الطفل المتقدمة ستأخذ العدوان العقابي الذي تنوقه من الأب مقياساً أيضاً. وتعلمنا التجربة مع ذلك أن فسوة الأنا العليا التي يتمثلها الطفل لا تعكس على وجه الإطلاق فسوة العائلات التي عايناهم^(٤). فالفسوة الأولى تبدو مستقلة عن الثانية، والطفل الذي ربي بأكثر ما يمكن من اللطف يمكنه أن يكون نفسه وجداناً أخلاقياً صارماً إلى الحد الأقصى. وسيكون من الخطأ مع ذلك أن نقصد المبالغة في هذا الاستقلال، ذلك أن الاقتناع بأن صرامة التربية تمارس أيضاً تأثيراً قوياً على تكوين الأنا العليا لدى الطفل، ليس صحيحاً أبداً. ونحن نصل من ذلك إلى نتيجة مفادها أن عوامل تكوينية فطرية وتأثيرات الوسط، تأثيرات المحيط الواقعية، تسهم في هذا التكوين، الوجدان الأخلاقي وولادته. ولا شيء، غريب في هذا الواقع، إنه، على العكس، يكون الشرط السببي العام لكل السيرورات من هذا النوع^(٥).

(٤) كما بينت ذلك ميلاني كلاين وبعض المؤلفين الأنغليز على نحو صائب

(٥) أوضع ف. ر. ألكندر يهاجاً صائباً جداً، في كتابه المنعزل التحليل النفسي للشخصية الكلية (١٩٢٧)، غوردجن ريمين من التأثير التثريه المشوية للمريض: «الفسوة المعادية والميل إلى تدليل الطفل وتؤكد دراستها دراسة إيكون في الطفل المهجور إن آية مضطرباً وسامناً، بمقالة، سينج شانسية للطفل أن يكون نفسه أياً علياً قاسية تعالاه، لأن مثل هذا الطفل ليس له مخرج آخر، تأثير انطباع الحب الذي هو موضوعه. سوى أن يحوكم عدوانه إلى الداخل. ويتأثر بين الأنا والأنا العليا بنوقف أي أي الطفل المهجور المرئى دون حب، ويمكن أن يرتد عدوانه ضد الخارج وإدا صرفت انصر فإن عن عامل تكويني شكله، فإن ما الخلق عندئذ في أن تعلم أن فسوة الفوحدة تاجمة عن العمل المنضم لتأثيرين حوير. تأثير الخمران من الإشباع الغوريه. في السنوي الأول. التي نطق العذر لعدم رابة وهي السنوي الثاني، تأثير تحية الحب، التي تعلم هذا العدوان براد أي الداخل وتحوكم إلى الأنا العليا.

٨ - الوجدان الفردي والوجدان الجماعي

ويمكننا القول، فضلاً عن ذلك، إن الطفل إذا كان يرد بصرب متعدد من عدوانية الآن العليا وقسوتها على ضرب الحرام الغريزية الكبيرة، فإنه يعد بذلك إنتاج ارتكاس من طبيعة نشوء النوع. ولأنسوخ الظروف الراهنة ارتكاسه في الواقع. كما كان الأمر بالمقابل في الأزمنة قبل التاريخية حيث كان على صلة بأب مرعب بالتأكيد، أب كان ثمة كل المجال لأن تُعزى إليه عدوانية قصوى. والخلافات بين تصوري نشوء الوجدان تضعف أكثر أيضاً إذا انتقلنا من تاريخ التطور الفردي إلى تاريخ تطور النوع. ولكن فارقاً جديداً ذا أهمية ينبعث هنا بين السيرورتين. وليس بوسعنا أن نهجر تصوراً أصيل عاطفة الإنسية الناجمة عن عقده أوديب والمكتسبة حين قتل الأخوة الأب، المجتمعون في عصبية ضده. ولم يكن العدوان مقموعاً عندئذ، بل كان مجزأ بالفعل - هذا العدوان نفسه الذي ينبغي لقمعه عند الطفل أن يكون مصدر عاطفة الخطيئة. ولهذا السبب لن نكون متدهشاً أن يصيح قارئ ساخط: «إذن، سيان تماماً أن يقتل الابن أباه أو لا يقتله! وفي الخائين، «سبباً» بعاطفة الإنسية! وقد يتبيح المرء لنفسه أن يشك في ذلك بعض الشك. فيما أن يكون خطأ أن تكون هذه العاطفة ناجمة عن العدوان المقموع، وإما أن كل هذا التاريخ لقتل الأب رواية من صنع الخيال، وأبناء الرجال البدائيين تم يقتلوا أمامهم على الأغلب كما الأبناء الخائين ليس لديهم عادة أن يفعلوا ذلك. وعلى كل حال، إذا كان هذا القتل ليس رواية من صنع الخيال، بل حادث تاريخي مفعول، فإنه سيكون لدينا عندئذ حانة حيث سيحدث ما يتوقعه كل الناس، أي حانة حيث سيشتعر الفرد أنه ثم لأنه ارتكب بالفعل أمراً لا يمكنه أن يسوغه. ومن أجل هذه الحانة نفسها، التي تحدث من جهة أخرى كل يوم، ما يزال التحليل النفسي مذبناً لنا بشرح».

ذلكم ما هو مؤكد، والمسألة حديرة بأن نستعيدنا ومع ذلك، فإن التفرز الباطني ليس كبيراً جداً. وإذا كان المرء، بكافة عاطفة الإنسية بعد أن ارتكب شراً ولأنه

ارتكبه ، فإن من تناسب أن نسميها بالحرّي تأنيب الضمير . إنه ذو علاقة فقط بفعل أتم ويفترض مسبقاً وجدلاً أخلاقياً بالطبع . أي استعداداً مسبقاً للشعور أنه ارتكب خطأ ، شعور يسبق وجوده إنحاز هذا الفعل . ومثل هذا التأنيب ، تأنيب الضمير . لن يكون عوناً لنا أننا لنكتشف أصل الوجدان وعاطفة الإنسية بصورة عامة . ويحدث عادة ، في هذه الحالات التيبوية ، أن نفلح حاجة من طبيعة دافعية في الإشباع على الرغم من الوجدان الذي ما يزال لقوته حدود وأن نجد العلاقة البدئية للقوى العاملة نفسها وقد عادت إلى حالة التوازن بفضل التضعف الطبيعي بلحاجة الذي سببه إشباعها . ويحسن التحليل النفسي صنفاً إذ يستبعد من هذه المناظرة حالة عاطفة الإنسية الناجمة عن تأنيب الضمير ، مهما كان متواتراً ، ومهما كان محكماً أن تكون أهميته العملية .

٩ - الإنسانية توحيدها عاطفة الإنسية

وإذا كانت ، مع ذلك ، عاطفة الإنسية تعود إلى قتل الأب البدائي ، فلتلك ستكون تماماً حالة من تأنيب الضمير . فهذه الأسبقية للضمير ، وما يُسمى عاطفة الإنسية على الفعل المعني لا يمكنها عندئذ أن توجد . فما هو إذن أصل تأنيب الضمير ؟ الحالة ينبغي لها بالتأكيد أن تكشف لنا سر عاطفة الإنسية وتضع حداً لارتباكنا . وهذا ، من جهة أخرى ، هو تمام ما يتجم عنها في رأبي . وكان هذا التأنيب ، تأنيب الضمير ، نتيجة اردواجية الشاعر إزاء الأب ، الازدواجية التبدئية كلياً : الأبناء كانوا يكرهونه ، ولكنهم كانوا يحبونه أيضاً . وما إن يروي انكره غليله بالعدوان حتى يظهر الحب مجدداً في تأنيب الضمير المرتبط بالجريرة ، ويولد الأنا العنينا بفعل التوحيد بالأب . ويعرض إليها الحق والسلطة ، الذي كان الأب يحوزها ، في العقوبة إذا صح القول على فعل العدوان المنجز على شخصه ، ويضع ، أخيراً ، تلك القيود المخصصة لمنع عودته . وبما أن العدوانية ضد الأنا يتحدد اضطراراً في كنف الأحمال التائية دائماً ، فإن عاطفة الإنسية استمرت وتعززت بتحويل الطاقة . الخاصة بكل عدوان حديد مفسوع ، على الأنا العليا . فما

نحن الآن بلغنا، في اعتقادي، وضوحاً كاملاً في نقطتين إسهام الحب في ولادة انضيم، والحنمية المشؤومة للإثمية. فالصحيح إذن أن واقع قتل الأب، أو الامتناع عنه، أمر غير حاسم، ولا يبدأ بالضرورة من الشعور بالإثم في الحائنين، ذلك أن هذه العاطفة هي التعبير عن نزاع ثنائية المشاعر، عن الصراع الأبدي بين الإيروس وغريزة التدمير أو الموت. واضطرب هذا النزاع منذ أن فُرِضت على الناس مهمة الحياة المشتركة. وما دام هذا المتحد لا يعرف إلا الشكل الأميري، فإن هذا النزاع يظهر بالضرورة في عقدة أوديب، ويؤسس الواحد ويولد العاطفة الأولى للإثمية. وعندما يجيل هذا المتحد إلى التوسّع، يدوم هذا النزاع نفسه متخذاً أشكالاً تابعة لنعاصبي، ويشتد ويؤذي إلى ضرب من بروز هذه العاطفة الأولى للإثمية. وبما أن الحضارة تحضج لدفعة إيروسية داخلية تشد أن يتوحد الناس في كتلة تصونها الروابط المحكمة، فهي لا تغلج في ذلك إلا بوسيلة واحدة، وسيلة أن تُعزّز دائماً على نحو أقوى عاطفة الإثمية. فما بدأ بالأب يكتمل بالكتلة التي يتوحد فيها الناس. وإذا كانت الحضارة هي التدريب الذي لا غنى عنه لتتطور من الأسرة إلى الإنسانية، فإن هذا التعزيز يكون عندئذ مرتبطاً بمجراها ارتباطاً لا ينقسم، بوصفه نتيجة النزاع الثنائي المشاعر الذي نوند معه، ونتيجة الخصام الأبدي بين الحب والرغبة في الموت.

١٠ - أنا فخورة كونها استحققت حب سبها: الأنا العليا

جزء من قوى العالم الخارجي الرادعة يجدد نفسه مستنداً لخللان التطور، ويتكون في الأنا مرجع بلا حظ، ويستند، ويحرم، بوصفه يعارض الجزء الآخر من الأنا. وهذا المرجع هو الذي يسميه الأنا العليا. ويكون الأنا منذئذ مرغمة، قبل إشباع العرائز، على أن تأخذ بالحسبان مقتضيات الأنا العليا بالإضافة إلى المخاطر الخارجية. ويكون لديها كثيراً من الحوافر لتتخلت عن إشباع. ففي حين أن التخلي لتاجم عن أسباب خارجية لا يشير إلا للالدة (الانزعاج)، يكون للتخلي التاجم عن

بواعث داخلية، بفعل الطاعة لتقتضيات الأنا العليا. معقول اقتصادي مختلف
 خلتى جانب الملائنة الحتمية، تؤمن الأنا العليا أيضاً مكباً من اللذة، ضميراً من
 الإنسباع التعويضي. والأنا تشعر أنها موضع إشادة وتعتبر تخليها عن الدفاع فعلاً
 جدير بالثناء. ونحن نعتقد أننا فهمنا العجل الوظائفى لهذه الآلية: الأنا العليا خليفة
 الأبوين (والمربين) وممثلتهم، هؤلاء الذين راقبوا أفعال الفرد وحر كاته خلال السنين
 الأولى من حياته. وتستمر الأنا العليا، دون أن يتغير فيها شيء على وجه التفريغ،
 في القيام بوظائف الأبوين والمربين، إذ لا تكف عن أن تضع الأنا تحت وصايتها
 وتعارض عنها ضغطاً دائماً. وتظل الأنا، كما في الطفولة، حريصة على أن لا تفقد
 حب هذا السيد الذي يشير كونه في نفسها سكوناً وإشباعاً، ويشير لومه تأنيب
 الضمير. وعندما نضحى الأنا على مذبج الأنا العليا بإشباع غريزي، تتوقع منها،
 بالتقابل، زيادة في الحب. وشعورها أنها استحققت هذا الحب يتحوك إلى فخر.

سيغمووند فرويد

الفصل الرابع عظمة الأنا وعبوديتها

إلى «أشخاص غير مرغمين على أن يعرفوا خصائص علاج تحليلي. أشخاص غير متحازين، يفترض أنهم يجهلونه». إنما يتوجه فرويد وهو يكتب «التحليل والطب» عام ١٩٢٦. فالتحليل الذي يمارسه من ليسوا أطباء يكون عندئذ موضوع مناقشات في وسط حركة التحليل النفسي^(١). ويياشر فرويد نفسه «حرباً صليبية» حقيقية لمصلحة هذا التحليل. في رأي إرنست جونز، «خلال الطور الثاني من حياته». ويشير هو نفسه في مدخله إلى هذا العمل: «ربما سيظهر أن المرضى ليسوا مرضى عاديين وأن المحللين غير الأطباء ليسوا على الإطلاق، ملعين بالتحليل النفسي». وأن الأطباء ليسوا تماماً ما يمكن أن يتوقع آثره من الأطباء...».

وهكذا يوضع فرويد وظيفة الأنا وسماتها لقراء غير متحازين، إذ تُحلّ مبدأ الواقع محلّ مبدأ اللذة. فتمايز الأنا انطلاقاً من الهوى كتب هنا يقول: «تقدم حقيقي لمصلحة المحافظة الحيوية». وبور الأنا هذا رئيس، ذلك أن الإشباع المباشر الذي يقتضيه الهوى سيقود أيضاً لولا هذا الدور، إلى الدمار المباشر للفرد. وليس بوسعنا أن نلج كثيراً على القول المأثور لدى فرويد: «حيث كان الهوى، ستكون الأنا». حين يعبل بعضهم إلى أن يعكسوا الأمر، ويجعلوا هذا القول: حيث كانت الأنا سيكون الهوى...

والعمل الأخير تماماً لفرويد، المكتوب عام ١٩٢٨، أي قبل موته بعام واحد، هو هذا المختصر، مختصر التحليل النفسي الذي سنكتشف مستخلصاً

(١) سرود إلى هذا الموضوع عودة بالتفصيل في مدونتي التحليل النفسي. التحليل النفسي في حركة بسمرة (كتاب ترجمته، نشر وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٩).

منه في حينه ويستأنف فرويد في هذا الكتاب وصف الجهاز النفسي، وعلى نحو أدق، وصف ضرب من دفاع الأنا ذي سمة خاصة^(١٦). خلاف أليات الدفاع الأخرى لدى الأنا، تقلب هذه السيرورة، انشطار الأنا، علاقات الأنا بالواقع، ويعالج فرويد هذا الموضوع أيضاً في مخطوطة لعام ١٩٣٨، ظلت غير مكتملة، عنوانها «انشطار الأنا في السيرورات الدفاعية».

وفي رأي فرويد أن ثمة إمكاناً لوجود اتجاهين معاً داخل الأنا، وهما مع ذلك مختلفان فيما يخصّ الواقع الخارجي، من حيث أن هذا الواقع يصبح متعزراً تحمّله ويعاكس مقتضيات الهو.

ولهذا السبب، تكون وظيفة الأنا، أي التوفيق بين رغبات الهو والعالم الخارجي المتناقضة على الغالب، مصابة بالاضطراب العميق، لأنها تؤدي إلى أن تشوّه الأنا نفسها تشويهاً خطيراً.

النص

تولد حالات يشعر تحملها عندما لا نجد تضعات الهو العريضة إشباعاً. وتبين التجربة في الخيال أن مثل هذه الإشباعات لا يمكن الحصول عليها إلا بعون العالم الخارجي. وعندئذ يباشر الجزء من الهو المتجه نحو الخارج، أي الأنا، وظيفته. وإذا كانت كل القوة الحركية التي تحرك السفينة يقدمها الهو، فإن الأنا هي التي، إذا صحّ القول، تضطلع بإدارة دفة القيادة، التي لولاها لما كان بلوغ أي هدف ممكناً. فغرائز الهو تطمح إلى إشباعات مباشرة، عنيفة، ولا تحصل على شيء على هذا النحو، أو أنها حسّت ضرراً محسوساً. ويؤول إلى الأنا مهمة تدارك هذه الإخفاقات، والعمل بوصفها وسيطاً بين صبوحات الهو والمعارضات التي بصادفها الهو من جانب العالم الواقعي الخارجي.

١ - في الحياة لدى الأنا: تعديل العالم الخارجي

تنشر الأنا مخاضاتها في اتجاهين. إيهاء، من جهة، ترافق، بفضل أعضاء:

(١٦) شكك عن هذا الأمر في كتاب منه المجموعه. المصنفة لدهانت. والأخرى

الخواس ، منضومة الرعي والعائم الخارجي ، بغية اهتبال الفرصة المناسبة لضرب من الإشباع الخالي من المخاطرة ؛ وهي ، من جهة ثانية ، تؤثر في الهو وتمسك زمام الأهواء لديه ، وتُحض الغرائز على أن تؤجل إشباعها ؛ إنها ، إذا كان ذلك ضرورياً ، تجعلها تغير أهدافها التي تسرع إلى تحفيها أو تتخلى عنها مقابل ما يترتب عليها من خسائر . وإذا تعرض الأنا لهذا التبر على اندفاعات الهو ، فإنها تجعل مبدأ ما يسمى «الواقع» يحل محل مبدأ اللذة؛ الساري المفعول وحده في البدء ، ويتابع مبدأ الواقع ذلك الهدف النهائي نفسه بالتأكيد ، ولكنه يأخذ باحسبان تلك الشروط التي يفرضها العائم الخارجي . وتبين الأنا فيما بعد أن ثمة ، لتؤمن لنفسها الإشباع ، وسيلة أخرى غير التكيف مع العالم الخارجي ، الذي تكلمنا عليه . ويوسع المرء في الواقع أن يؤثر في العالم الخارجي بغية تعديله ، وإيجاد شروط تجعل الإشباع ممكناً . إيجاداً بصورة مقصودة . ويصبح هذا الضرب من العاطلية عندئذ هو الإنجاز الأسمى للأنا؛ فروح القرارة التي تتيح الاختيار عندما يكون من المناسب السيادة على الأهواء والانصياع أمام الواقع ، أو عندما يكون من المناسب الانحياز إلى الأهواء ومواجهة العالم الواقعي ، هي كل فن الحياة

٢ - الأنا: تقدم في درب المحافظة الحيوية

- كيف يستسلم الهو على هذا السحر لقيادة الأنا ، لأنه ، إذا فهمتُك فهماً جيداً ، هو الأقوى ؟

- نعم ، الأمور تضي على ما يرام ما دامت الأنا تملك تنظيمها الكلي ، وكل قوتها في العمل . وما دامت ذات منعد إلى مناطق الهو كلها وسوسعها أن تمارس نفوذاً فيها . فليس ثمة ، في الواقع ، عداوة طبيعية بين الأنا والهو ، إنهما شكلاّن كلاهما جزءاً من كل واحد ولا مجال ، في حال الصحة ، لتمييزهما من الناحية العدية .

- أفهم ذلك . ولكنني لا أرى . في هذه العلاقة المثالية ، أصغر مكان لاضطراب مرضي .

- إنك على صواب : ما دامت الأنا تستجيب ، في علاقتها بالنور ، لهذه المقننات المثالية ، ليس ثمة أي اضطراب عصبي . وباب الدخول إلى المرض موجود حيث لا ترتاب فيه ، علماً بأن من يعرف علم الأمراض العام لا يمكنه أن يدهش من أن ما يراه يتأكد هنا : التطورات والتميزات الأكثر أهمية هي التي ، على وجه الضغط ، تحمل في ذاتها جرثومة المرض - جرثومة القصور الوظيفي .

- إنك تصبح في فؤوك عالماً جداً ، فلم أعد أفهم .

- عني أن أستعيد الأمور من بعيد جداً ، إن المرحوم الصغير المولود حديثاً هو ، أليس كذلك ؟ - شيء صغير ، مسكين عاجز ، في نظر العالم الخارجي ذي القوة الكلية والمليء بالأعمال الهدامة . فالتواجد الأولي ، الذي لم يطور بعد أن منظمة ، عرضة لكل هذه الصدمات . إنه لا يعيش إلا ليشبع غرائزه بشباعاً دون تبصر ، وذلك أمر يسبب هلاكه غالباً . فشماير الأنا هو ، قبل كل شيء ، تقدم مصلحة المحافظة الحيوية

٣ - فهو أقدم مقاطعة من المقاطعات الإنسانية

يفترض التحليل النفسي مسلحة أساسية يعود إلى الفلسفة أمر مناقشتها ولكن نتائجها تسوخ قيمتها . فمن ما نسميه الحياة النفسية ، نحن نعلم أمرين : من جهة ، عضوها الجسمي - محل عملها ، الدماغ (أو الخملة العصبية) ؛ ومن جهة ثانية ، فغيباتنا الواعية التي لدينا معرفة مباشرة بها ، وأي وصف لها لا يمكنه أن يجعلنا أفضل معرفة بها . وكل ما يوجد بين هاتين النقطتين العنصريين يظل مجهولاً بالنسبة لك ، وإذا كان ثمة بينهما اتصال من الاتصالات - فإنه يتقدم لنا على الأكثر مكاناً محدداً للسيرورات الشعورية دون أن يتجس لنا أن نفهمها

وخرساناً يقابل هذين الحدين الأخصيين أو هما نقصان الانطلاق للمعرفتنا . فالأول ذو علاقة بتعيين المكان . ونحن نسلم أن الحياة النفسية وظيفة جهاز نسب إليه امتداداً مكانياً ونفترض أنه يتكون من وحدة أجواء . ونحن نسمّله على هذا النحو أنه ضرب من منظور ، محير ، أو شيء من هذا النوع . وبدء مثل هذا النمط وإكماله

هنا جِدَّةٌ في المجال العلمي . على الرغم من محاولات من النوع نفسه أمكنها أن تقوم من قبل

فدراسة تطوّر الأفراد هي التي أتاحت لنا أن نعرف هذا الجهاز العصبي . ونحن نطلق على أقدم هذه المقاضعات أو المراجع التسمية اسم الهوى؛ محتواه يشمل على ما يحمله الفرد وهو يولد، كل ما كان قد تعيّن من الناحية التكوينية، وبالتالي، قبل كل شيء، الدوافع التي تصدر عن لتنظيم الجسمي وتجد في الهوى، على أشكال نظلّ مجهولة بالنسبة لنا، ثمّ أول للتعبير التسمي¹³⁷

٤ - الأنا تنزع نحو اللذة وتبحث عن تجنّب اللالذة:

بطرأ على جزء من الهوى تطوّر خاص تحت تأثير العالم الخارجي الواقعي الذي يحيط بنا، وإذا يميّز هذا الجزء، في الأصل بوصفه واقعاً قشرياً مزوّداً بأعضاء مستقلة للإثارات وبأجهزة واقية من الإثارة¹³⁸، فإنّ تنظيمًا خاصاً يتوطّد، تنظيمياً يقوم، متدنّذ، مقام الوسيط بين الهوى والخارج وعلى هذا القطع من حياتنا النفسية إنما نطلق اسم الأنا.

السمات الخاصة بالأنا . في أعقاب علاقات قائمة مسبقاً بين الإدراك الجسمي والعمل العضلي، تبسط الأنا نموذها على رقابة الحركات الإرادية إنها تؤمّن التوطيد الذاتي، وتؤدّي، فيما يخصّ الخارج، مهمتها إذ نتعلم أن نعرف الإثارات، وتراكم (في الذاكرة) التجارب التي تقدّمها لها إذ تتجنّب الإثارات القوية جداً (بالهروب)، وتكثّف مع الإثارات المعتدلة، وتصل أخيراً إلى أن تعدك العائم الخارجي (الفاعلية) تعديلاً مناسباً وتصلحتها . وفي الداخل، تؤدّي عملاً ضدّ الهوى إذ تكسب السيادة على المنفضات الدافعية، وتدير إذ كان ممكناً إشباعها

(137) هذا جزء الأقدم من اختيار التسمي بطل، جزء الحبيد، هو الأكثر أهمية ودراسة في البحث لتعبير التسمي

(138) المشرع أن شرحه Pare - excitations) الذي - من الإثارة) المشرع الأثرى Reischies. المشرع في لندن في يدوهم في بحوثه (حقاً) (المشرع)

أو إن كان من المناسب تأجيل إشباعها حتى وقت أكثر اتصافاً بأنه مناسب أو إن كان أيضاً ينبغي كسبها كلياً والأنا، في فعليتها، بقودها الأخذ بالحسبان توترات تسببها إثارات الذاخل أو الخارج، ويسبب ضرب من تنامي التوتر اللاذعة على وجه العموم، ونقصه يولد اللاذعة ومع ذلك فإن اللاذعة واللذة غير منوطتين على وجه الاحتمال بالدرجة المطلقة للتوترات، بل بإيقاع تغيرات هذه التوترات بالحري، وتميل الأنا نحو اللذة وتسحب عن تجنب اللاذعة وتستجيب لكل زيادة متوقعة، متوقعة، لللاذعة، بإشارة حصر، وما يطلق هذه الإشارة من الخارج أو الداخِل يُسمى المحطَر. ومن وقت إلى آخر، نتمسح الأنا في النوم حيث تعدك تنظيمها بعين، حين نطم صلاتها التي توحدنا بالعالم الخارجي، وتتيح حالة النوم أن نعاين أن هذا النمط من التنظيم يكمن في ضرب من التوزيع الخاص للطاقة النفسية.

٥ - تخطيطية تنطق أيضاً على الحيوانات العليا

يرى الفرد الخاضع لسباق التطور أن مرجحاً يتكون في أناه، كما لو أنه يتكون بضرب من راسب ائمة الطفوية لطفونته التي يتجاوزها ويعود أمره إلى أيويه مي أثنائها، مرجحاً خاصاً يستطيل به التأثير الأبوي وهذا المرجع هو الأنا العليا. ومن حيث أن الأنا العليا تنفصل عن الأنا أو تعارضها، فإنها تكون قوة ثالثة تكون الأنا مرغمة على أن تأخذها بالحسبان.

ويعدّ صاحباً كل سلوك للأنا بشعب معاً مقتضيات النهو، والأنا العليا والواقع، وذلك أمر يحدث عندما تطلع الأنا في التوفيق بين هذه المقتضيات المختلفة. ونصبح خصائص العلاقات بين الأنا والأنا العليا منجمومة، دهنماً وفي كل مكان، إذا أرجعناها إلى علاقات الطفل بأبويه. وليست شخصية الأبوين وحدها بالثأكيد هي التي تؤثر على الطفل، ولكن تأثير التقاليد الأسرية، والعرفية والنوعية، وكذلك مقتضيات الوسط المباشر التي يمثلها، ينظر بواسطتهما. ونقتدي الأنا العليا لمرء خلال تطوره أيضاً من يخلف الأبوين وينوب مناهما،

كـبعض المرين على سبيل المثال ، وبعض الشحوص الذين يتلون في كنف انجتمـع مثلاً محترمة ، ويرى أن للهـو والأنا اعلياً نقطة مشتركة على الرغم من الفارق الأساسي بينهما ، فكلاهما ، في الواقع ، يتلآن دور الماضي . الجو يمثل دور الوراثة ، والأنا العلب دور التقليد ، في حين أن الأنا ، نفسها ، يحددها على وجه اخصوص ما عاشته هي نفسها ، أي العرصي واحالي .

وهذه التخطيطية العامة لجهاز نفسي صحيحة أيضاً بالنسبة للحيوانات العليا ذات الشابه انمسي مع الإنسان . ومن المناسب أن نسلّم بوجود أنا عليا يكون على الوجود ، كما لدى الإنسان ، أن يعاني بسببها ، في طفولته ، تعباً طويلاً إلى حد كاف ، وتميز الأنا عن الهو واقع لأريب فيه .

فما تزال سيكولوجيا الحيوان لم تعكف قط على ائدراسة الهامة التي تطل متوافرة لها هنا .

٦ - مفهوم أساسي : انشطار الأنا

نحن نقول إن ثمة انشطاراً في الأنا في كل ذهان^(٥) . وإذا كنا حريصين جداً على هذه التسلمة ، فالسبب أن حالات أخرى أكثر قرباً من الأعصبة ، وفي هذه الأعصبة أيضاً ، تؤكدنا في نهاية المطاف . وأنا نفسي مقتنع أول الأمر فيما يخص حالات القيشية^(٦) . وهذا الشذوذ ، الذي بتكتنا تصنيفه في عماد الانحرافات ، قائم ، كما نعلم ، على واقع مفاده أن المريض - والمقصود رجل دائماً على وجه التقريب - يرفض الاعتقاد بنقص عضو الذكر لدى المرأة ، إذ يكون هذا النقص شاقاً جداً عليه لأنه يرمي على إمكان خصائه الخاص . ولهذا السبب يعارض بصرح من النعي إدراكه الحسي الخاص الذي أتاح له أن يعاين أن المرأة محرومة من عضو الذكر ويشعته بالافتتاح المماثل . ولكن الإدراك فعل فعله ، على الرغم من أنه منفي ،

(٥) انظر - عن الذهانات - كتاب الذهانات . فهدا المؤلف . من المجموعة نفسها (ملاحظة الإشراف)

(٦) انظر - عن القيشية ، كتاب الانحرافات الذروب المحصورة - من المجموعة نفسها (ملاحظة الإشراف)

ولايجزو الفرد، على الرغم من كل شيء، أن يزعم أنه لم ير عضو ذكر حفاً. فماذا يفعل عندئذ؟ إنه يختار شيئاً آخر، جزءاً من الجسم، موضوعاً، يعزو إليه دور عضو الذكر، هذا الذي يمكنه أن يستغني عنه. والمقصود على وجه العموم شيء رآه انقبتيشي حين كان ينظر إلى الأعضاء التناسلية لدى المرأة، أو موضوع يمكنه أن ينوب رمزياً عن عضو الذكر. وسيكون مع ذلك غير صحيح أن نعتقد أن السيورة التي ترافق اختيار فيتشي سيورة ضرب من انشطار الأنا. فالمقصود هنا نسوية تتكون بمساعدة الانزياح الذي يماثل الانزياحات التي جعلتنا الأحلام تألفها ولكن ملاحظتنا لا تتوقف هناك. إن الفرد ابتكر لنفسه فيبتشاً بغية تدمير كل برهان على إمكان الخصاء، وليفتت على هذا النحو من حصر الخصاء. وإذا كانت المرأة تملك عضو ذكر، شأنها شأن الخلائق الحية الأخرى، فلم يعد ثمة مجال للخشية من أن يُشرع عضو الذكر خداحتك. ولكننا نجد في الواقع حصر خصاء لدى بعض انقبتيشين شبيهاً بحصر غير الفيتيشيين ويولد لدى هؤلاء ارتكاسات مماثلة. فالتسبب إذن أن سنوكهم يكشف عن رأيين متناقضين. فتراهم في الواقع، من جهة، ينكرون الإدراك الذي يبين لهم غياب عضو الذكر لدى المرأة، ويعترفون، من جهة ثانية، بهذا النقص الذي يستمدون منه نتائج ضائعة. وينوم هذان الاتجاهان طوال الحياة دون أن يتبدلا التأثير. ليس في ذلك ما نضفه به انشطار الأنا^{١٩} تتيح لنا هذه الحالة من الأمور أيضاً أن نفهم لماذا تم الفيتيشية على الأغلب إلا جزئياً. إنها لا تحدّد اختيار الموضوع تحديداً كلياً ولكنها تتيح، في نطاق واسع قليلاً أو كثيراً، سنوكاً جنسياً سوياً، ويظل دورها في بعض الأحيان متواضعا ويمكنه ألا يكون سوى رسم أولي. ولا يفتح الفيتيشي فلاحاً كاملاً أبداً في فصل لثاء عن العالم الخارجي.

٧ - عندما تبذل الأنا جهدها لتفقت من الواقع

فندحذر الاعتقاد أن التمشية تكون حانة استثنائية من انشطار الأنا. كلا، ولكنها توفر لنا مناسبة رائعة لدراسة هذه الظاهرة. ونعدها إلى الواقع الذي معده أن

أن الطفل تتخلص بأسلوب الكبت، تحت تأثير العالم الخارجي، من مقتضيات الدافعية المستهجنة. وننصف الآن أن الأنا ترى نفسها، خلال المدة نفسها من الحياة، مرغمة على أن تناضل ضد بعض مطالبات العالم الخارجي، التي تستشعرها شاقه وتستخدم أسلوب التفي، في مناسبة مشابهة، لإلغاء الإدراكات التي تكشف لها هذه المقتضيات عنها. وتحدث هذه الضروب المشابهة من التفي عائلاً لدى الفيتيبين وليس لديهم فقط. إنها تبدو، حيث تكون قدرين على دراستها، نصف إجراءات، محاولات غير كاملة لفصل الأنا عن الواقع. فالتفصيص يزدوج دائماً بصرب من التقبول؛ فثمة اتجاهان متعارضان، مستقل أحدهما عن الآخر، بتأسيسان، وذلك أمر يفرض إلى انشطار الأنا. والمخرج، هنا أيضاً، ينبغي أن يكون تابعاً لأي منهما سيكون ذا الشدة الأعظم.

وليس انشطار الأنا، كما وصفناه للتو، جديداً، ولا غريباً، بالتقدير الذي يبدو للوهلة الأولى. فواقع أن شخصاً يمكنه أن يتبنى، فيما يخص سلوكاً معيناً، اتجاهين نفسيين مختلفين، متعارضين، ومستقل أحدهما عن الآخر، هو سمة عامة للعصاب على وجه الضبط، ولكن من المناسب أن نقول إن أحد الاتجاهين، في مثل هذه الحالة، هو من صنع الأنا في حين أن الاتجاه المعارض، الاتجاه المكتوث، يصدر عن الهو. والمفارق بين الحائزين هو، بصورة أساسية، من النسق الموقعي أو البيوي ولاسهل دائماً أن نقرر مع أي من الاحتمالين نتعامل في كل حالة خاصة. وللاتجاهين، مع ذلك، سمة مشتركة ذات أهمية: الواقع أن الأنا تنفي، حتى تدافع عن نفسها ضد خطر، جزءاً من انعام الخارجي أو أن نجاحها، حين نشاء مقاومة مقتضى دافعي من الداخل، ليس كلياً أبداً ولا مطلقاً، على الرغم من كل جهودها الدفاعية. فثمة اتجاهان متناقضان يظهران دائماً وكلاهما، بما في ذلك الأضعف الذي عانى الإحراق شأنه شأن الآخر، يعضبان إلى نتائج نفسية. وننصف أيضاً أن إدراكاتنا الشعورية لا تتيح لنا أن نعرف إلا جزءاً صغيراً من هذا السيرورات كلها.

سيغموند فرويد

الجزء الثالث

الأنا :

ما يقوله الآخرون عنها ...

الفصل الأول حسن الواقع

مقدمة

عام ١٩١٣، الذي يحرر فيه ساندور فرويد نصي الذي سيلي، هو عام من الأعوام الأخصب في كل حياته: خمسة وعشرون مقالاً، بما فيها هذا المقال، مقال كلاسيكي حقيقي للتحليل النفسي، المخصص له «نحو حسن الواقع ومراحله»، الذي يكتب فرويد بمناسبة صدور: «محاولتك... تبولي أنها الإسهام الأفضل والأكثر أهمية من كل ما قدمته للتحليل النفسي» (١٤ فبراير - شباط، ١٩١٣).

والواقع أن هذا المقال مثل رائع لضرب من تصور الأنا سابق جداً على المدخل إلى الموقعية الثانية لفرويد (الأنا - الهو - الأنا العليا). إننا لفتنا النظر من قبل إلى ما يلي: فكرة الأنا، المرجع الدفاعي، موجودة سابقاً في تأليف فرويد منذ أعماله الأولى التي انصبّت على الأعصاب، بوز أن يكون لها مع ذلك وضع محدد حقاً.

ويميز بعض المؤلفين في أيامنا هذه طورين في إرضان الأفكار النظرية الخاصة بالأنا: يدل أحدهما على الأنا الإجمالية (أي الشخص) التي يطلقون عليها اسم «Self» أو «Soi»^(١) [الذات]، والطور الآخر ينطبق على الأنا برصفاً مرجعاً مركزياً، ووكالة عهد إليها إدارة المصالح المتناقضة، لهو، والأنا العليا والعالم الخارجي. ويبدو لنا، عندما نفحص النصوص، شاقاً مع ذلك أن نقبل ما يظهر، في نهاية المطاف، كأنه ضرب من التبسيط.

(١) - انظر التحليل الأخير من كتاب الخوذة الأخير إما هو أنا، في المعنى عما عداها.



إحدى فترات العمل - تكاري هادي فحيداً لرواها الطيران . تحفظ الشروعات الإنسانية الكبيرة دائماً من سموات العظمة في الخفوة .

ويلي هذا المقال، مقال فورتزلي، ذلك المقال الذي كان فرويد قد خصّصه انفاً لمبدأي العمل الوظيفي النفسي (مبدأي اللذة و الواقع). وينطلق المؤلف من فكرة مفادها أن الطفل، في الحالة الجنينية، يشعر بماطفة القوة الكلية. فرغباته وحاجاته مشبعة دفعة واحدة، حتى قبل أن توجد، وذلك على نحو أنني. إنه يتجنّب إذن أن يكون عليه أن يعدّل العالم الخارجي: إنها مرحلة القوة الكلية غير المشروطة. ولهذا السبب يرغب الوليد فيما بعد، بدلاً كل قواه، أن يجد هذا الوضع الفرويدي مجدداً. وهذا التوق يظهر، خلال كل نماء العقل، ظهوراً جديداً ذا مستويات أكثر تطوراً فأكثر.

والمقال الذي سنكتشفه للتو، مقال تتحشه دفعة مبدعة وخيالية، وتنفيذ إليه حدوس عيادية، ينظر إلى نموّ الأنا بالنسبة إلى الحنين إلى الفريوس المفقود، ويسرى أن الوظائف التي سيعزوها فورتزلي إلى الأنا، قبل عشر سنوات من عرض المقامية الثانية، ستكون الوظائف نفسها التي عرضها فرويد في الجزء الثاني من هذا الكتاب، ونقول أخيراً إن الأنا، المرتبطة في رأي فورتزلي بمصادر نفسية بيولوجية عميقة، التي يصفها إيف هاندرريك، الذي نختمت به هذا الجزء الثالث من كتابنا، تبدو على العكس مقطوعة من جذورها.

النص

بين فرويد أن نموّ أشكال التفاعلية النفسية الخاص بالفرد يكمن في إحلال الشكّيف مع الواقع، أي اختيار الواقع القائم على حكم موضوعي، محل مبدأ اللذة الغالب في الأصل وإليه التكت الموعية له. فمن المرحلة النفسية «الأوكية» كما تظهر في التفاعلات النفسية لدى الموجودات المدانية (حيوانات، متوحشين، أطفال) وفي الحالات النفسية الأولية (أحلام، عصاب، استبهاه)، مشبعة المرحلة الثانوية، در حنة الإنسان السوي في حالة اليقظة.

ويحاولون انطلق الوليد، في بداية عموه، أن يبلغ حالة الإشباع بفعل عنف الرغبة وحده (امتثال)، إذ يعمل (يكبت) فقط الواقع غير المرضي ليهيب نفسه، بوصفه حاضراً، الإشباع المرغوب ولكنه الغائب؛ إنه يزعم أنه يؤمن كل حاجاته، دون جهد، بواسطة الهلوسات الإيجابية والسلبية. وه الغياب الدائم للإشباع المنتظر، أي خيبة الأمل، هو الذي سبب وحده هجر هذه المحاولة من الإشباع على النمط الهلوسي. ووجب على الجهاز النفسي، بدلاً من هذا الإشباع الهلوسي، أن يصمم على أن يتمثل الحالة الواقعية لتعاليم الخارجي وأن يبحث عن التعديل الواقعي لهذا التعالم الخارجي. وبفعل ذلك كان مبدأ جديد للتفاعلية النفسية قد أُدخل؛ فما كان متمثلاً لم يكن المتمتع بل المتمتع ما هو واقعي، وإن كان ذلك لا بد له من أن يكون غير مجتمع^(٢٢).

وفي الدراسة الهامة التي يعرض خلالها فرويد هذا الواقع الأساسي للمنشأ النفسي، يقتصر على أن يميز المرحلة - اللذة من المرحلة - الواقع تمييزاً واضحاً. ويعنى في هذا الدراسة جيداً بحالات مترسطة حيث يوجد معاً مبدأ العصل الوظائف النفسي (استيهام، فن، حبة جنسية)، ولكنه يترك دون جواب تلك المسألة التي مفادها أن تعرف ما إذا كان الشكل الثانوي لتفاعلية النفسية ينمو تدريجياً أو مراحل انطلاقاً من الشكل الأولى، وما إذا كان، من جهة ثانية، ممكناً أن تميز هذه المراحل أو تكشف عن مشتقاتها في الحياة النفسية السوية أو المرضية.

وفي مقال سابق يكشف لنا فرويد خلالاته عن أفكار عميقة خاصة بالحياة النفسية لدى العصبيين المصبيين بالنوسوراس^(٢٣)، يجذب انتباهنا مع ذلك إلى واقع مفاده أن بوسعنا أن نتخذ نقطة انطلاق لتحويل ردم الثورة الموحدة بين مرحلتين النمو النفسي. المرحلة - اللذة والمرحلة - الواقع.

(٢٢) فرويد، «صياغات لمبدأي العمل الوظائف النفسي»، ١٩١١، ص ١٠.

(٢٣) فرويد، «ملاحظات على عصبان وسوراس» (عصبي حالات من التحليل النفسي، المنشورات الخاصة بالنسبة).

١ - عندما تختلط الرغبة والعمل : القوة الكلية للأفكار.

يعترف الموسوسون الذين يخضعون لتحليل نفسي ، نقرأ في هذا المقال ، أنهم عاجزون عن التخلص من اعتقادهم بالقوة الكلية لأفكارهم ، وعواطفهم ، وأميناتهم الطيبة أو غير الطيبة . فلذبيهم الشعور أن أميناتهم تتحقق على نحو يتعدّر شرحه ، مهما كانوا مستبشرين ، ومهما كانت قوة المعارضة ثقافتهم وعقلهم . وكان محلّل يمكنه بسهولة أن يقتنع بهذه الحائنة من الأمور . وسيلاحظ أن لدى الموسوس تطباعاً مفاده أن سعادة الآخرين وشفاهم ، بل حياتهم وموتهم ، تتعلق ببعض أعماله وسيروراته الفكرية غير المؤدية . إنه حريص على أن يذكر بعض المصباغات السحرية أو بنجز عملاً محدداً : وإلا سيقع شفاء كبير لهذا الشخص أو ذلك (ولشخص قريب على الأعمى) . وهذا الاقتناع الحدسي الخرافي لا ترعّعه التجارب المتكررة التي تكذّبه (٤١) .

فلنستبعد حالياً واقعاً مفاده أن التحليل سيكشف في هذه الأفكار وهذه الأعمال الوسواسية بدائل اقتراحات رغبة ، اقتراحات منطقية تماماً مكيونة لأنها يتعدّر التسامح بها (٤٢) ، ولنوجه انتباهنا فقط إلى الشكل النوعي الذي تبدو عليه هذه الأعراض الوسواسية : علينا أن نسلّم أنها تكوّن الآن في ذاتها مشكلاً .

وقادني تجربة التحليل النفسي إلى أن أعدّ هذا العرض ، عاطفة انقوة الكلية ، إسقاطاً لإدراكنا أن علينا أن نخضع خضوع العميد إلى بعض الدوافع التي يتعدّر قمعها . فانهصاب الوسواسي عودة الحياة النفسية إلى مرحلة طفالية من النمو ، تتعيّر على وجه الخصوص بواقع مفاده أن فاعلية التكف ، وإرحاء المفكرة وإعادةها ، لم تتوسّط بعد بين الرغبة والعمل وأن الرغبة تلبها الحركة الخاصة

٤١ - هذا المقال كان نورثي قد حرّره قبل أن يكون موسوعاً يأخذ بالحسبان دراسة لرو. الإحائية ، لسحر القوة الكسفة للتكرار (في الطوطم والتابو ، ١٩٦٢) حيث يتناول الموضوع نفسه من وجهة نظر مختلفة .

٤٢ - في ١٩٦١ تحدثت لندوع ، ١٩٥٣ ، موسوس من إرهابيات ، ١٩٥٥ .

بإنجازها على نحو عفوي وحسي : حركة تجنّب لمصدر اللالئة أو الاقتراب من مصدر اللذة⁽¹⁾

وفي أعقاب ضرب من كفا النمو (التبني)، شمة حزه من حياة الموسوس النفسية، نهزت من وعيه قليلاً أو كثيراً، يظل إذن - كما يسن التحليل - في هذه المرحلة الطفالية، وثمة تماثل بين الرغبة والعمل لأن هذا الجزء المكبوت من الحياة النفسية لم يتمكن من أن يتعلم، حراه المكبت ونواجع الانتباه، أن يميز بين هاتين التسيرويتين، والأنا، على العكس، التي تطوّرت دون كبت، وعلمتها التريية والتجربة، لا يمكنها إلا أن يتسم لهذا التماثل. ومن هنا منشأ تباين الموسوس : التواجد المنعقد شرحه للمصفاة والخرافة.

وبالنظر إلى أن هذا التشرح لعاطفة القوة الكلية، بوصفها ظاهرة رمزية ذاتية⁽²⁾، لم يرضى إرضاء تاماً، فإنني تساءلت : أين يتحرراً الطفل على أن يجعل الفكر والعمل متماثلين؟ ما مصدر هذا الأمر الطبيعي الذي يمدّ بواسطته يده نحو أي موضوع، سواء كان المصباح المتعلق فوقه أو القمر الذي يلمع بعيداً، مع الأمل المؤكد أنه سيبلغهما ويستولي عليهما بهذه الحركة؟

٢ - الطفل ذو قوة كلية حقاً في رسم أمه

تذكّرت عندئذ أن الموسوس، وفق فرض فرويد، يعترف صراحة بجزء من جنون العظمة الطفالي القديم، هي استيهام القوة الكلية لديه، وحاولت أن أبحث أصل هذا الوهم وأن أتابع مصيره. وكنت أأمل أن أتعلّم في الوقت نفسه شيئاً جديداً عن تطوّر الأنا من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع، ذلك أن أمر إحلال الاعتراف بسنطة

1- من المعوم أن لأطفال الصغر يقدرون بشده على احتكسي نحو أي موضوع لامع أو قوي يمد لأى سبب آخر. بعد عا حرون مي اللذة حتى عن أن تتصور، عن «أمر غير لائق» يمدن ليده ليدأ إذا كانت إنارة بعد العس. ونمة صرا صمير. قدت أمه شمه من وضع أصابعه مي أنفه. أحت «أنا» لأريد، إن مدني هي الشر نريد ورس بوسعي أن أسهبها

(١) على هذا النحو إذ يسمى سيور الإدر كات القديس ذات التعيل القرمي.

قوى الطبيعة ، إحلال تعرضه التجربة ، محلّ جنون العظمة الطفاني ، يكون ، كما كان يبدو لي ، الأساس من نحو الآن .

ويصف فرويد تنظيمًا سيكون عبداً لبدا اللذة ويهمل واقع العالم الخارجي أنه ضرب من الخيال ، وهذا مع ذلك ، بقول ، هو الذي يتحقق عملياً بالنسبة للرضيع ، وحسبك أن تأخذ بالحسبان محتويات الأم . وسأضيف أن ثمة حالة من النمو الإنساني تحقق هذا المثال لوجود خاضع للذة وحدها ، لا في الخيال وبصورة تقريبية فحسب ، بل في الواقع وبصورة فعلية .

بني أفكر في مرحلة الحياة التي انقضت في جسم الأم . ويعيش الموجود الإنساني في هذه المرحلة من جسم الأم حياة طفيلية . وما يكاد يوجد عالم خارجي بالنسبة للموجود في حالة التفرخ ؛ فكل حاجاته ، حاجات الحماية والحرارة والتنغذية ، تؤمنها الأم . وليس عليه حتى أن يبذل جهداً للاستيلاء على الأغذية والأوكسجين الضروريين له ، ذلك أن ثمة آليات مناسبة تتكفل بإيصال هذه المواد مباشرة في أوعيته الدموية . وبالمقارنة مع دودة في الأمعاء ، على سبيل المثال ، نجد أن على الدودة أن تقوم بعمل كبير حتى تتعدك العالم الخارجي ، إذا شاءت أن تستمر حية . أما بقاء الجنين حياً ، فأمر يقع عبثه على الأم كلياً . وينجم عن ذلك أن الموجود الإنساني إذا كان حياة نفسية ، ولو لاشعورية ، - ومن العبث أن نعتقد أن الحياة النفسية لا تباشر عملها الوظيفي إلا عند الولادة - فإن عليه أن يختير الانطباع ، جرأً وجوده ، أنه قوة كلية فعلاً . ذلك أننا نتساءل ما هي القوة الكلية؟ إنها الانطباع أن المرء يحصل على ما يريد ولم يعد لديه شيء يرغب . وذلك هو ما يمكن أن يدعيه الجنين ، فيما يخصه ، ذلك أن لديه باستمرار ما هو ضروري له (إشباع دوافعه) (٩) ؛ فليس لديه إذن شيء يرغب فيه ، إنه خالٍ من الحاجات .

(١٥) - هامش في لجلد الأول ، ص ٤١١ . انظر أيضاً الجدل بين بلوتر وفرويد ، الخاضع بهذا الشكل (بلوتر ، الفكر المعوي على الذات ، المجلد ٤)

(٩) في أعقاب اضطرابات ناجمة على سبيل المثال عن مرض الأم أو داء يصيبها أو يصيب حبل العنق ، يمكن أن تنخفض إطاعة عن الفرد من الحياة داخل الجنين ، وأن تجرّده من قوته الكلية وترغم على أن «يعاود تعديل نفسه الخارجي» ، وأن يجرّ عملاً بعبارة أخرى . ويمكن أن يكس هذا العمل في أن يتغنى من استئثار الأمومي في حالة الاحتياج

٣ - إيجاد هذه الحالة المثالية مجدداً بأي زمن

«جنون العظمة لدى الطفل» فيما يخص قوته الكنية الخاصة ليس إذن محض وهم؛ فالطفل والمصاب بالنوسواس لا يطلبان شيئاً متعديراً من الواقع حين يصران على أن رغباتهما ينبغي أن تتحقق بالضرورة؛ إنهما يقتصران على أن يقتضيا عودة حالة وجدت فيما مضى، عودة هذا الزمن التقدير الطيب الذي كانا فيه قويتين كل تقوى (مرحلة القوة الكنية اللامعشروطة)

وبحكم الحق الذي يسمح لنا أن نفترض تحويل الآثار التذكيرية لتاريخ النوع على الفرد، بل وبآخري، بوسعنا أن نؤكد أن آثار السيرورات النفسية داخل الرحم لا تظل دون تأثير على تشكل المادة النفسية التي تظهر بعد الولادة، وينطق سلوك الطفل مباشرة بعد الولادة لمصلحة مثل هذه الاستمرارية للسيرورات النفسية^(١١).

ولا يتكيف الوليد على نحو مماثل، فيما يخص حاجاته المختلفة، مع هذا الوضع الجديد، وضع يكون بالنسبة له مصدر لآثمة عنى نحو واضح. ويباشر بعد الخلاص مباشرة في أن يتفلس ليعوض غياب التزود بالأوكسجين الذي يلي ربط شرايين الحبل السري؛ وتتيح له ملكية جهاز تنفسي متكون مسبقاً منذ الحياة داخل الرحم أن يعوّض في الحان ذلك احمرار من الأوكسجين تعويضاً فاعلاً. ولدينا الانصباع مع ذلك، عندما تلاحظ سلوكيات الوليد الأخرى، أنه غير مفتبط بالاضطراب العنيف الطارئ، على غبطته الخالية من الرغبات، التي كان يستمتع بها في رحم الأم، وحتى أنه يرغب بكل قواه في أن يوجد في هذه الحالة من جديد. فالأشخاص الذين يُعنون بالطفل فيصمون هذه الرغبة فيما غريباً، ومنذ أن يُعتبر انزعاجه بضروب الصراخ والهياج، يضعونه في ظروف أقرب مما يمكن إلى الحياة داخل الرحم. إنهم يضعونه قرب الجسم المتأثر للام أو يغشونه بالأغطية وحافات لزعب الحرة الناعمة بهدف ظاهري مفسده أن يمنع وهم الحمائية الحارة للام.

١١١ - ذكر فرويد عرضاً ان جسمات الطفل حائل الولادة سير على وجه الاحتمال أن تكون حائل وحادثة من احصر لدى الام بعد حمله سفل الحادج الامن كمن احصر وتلك فن لا حصر

ويحمون عينيه من المنبهات الضوئية، وأذنيه من الضجة، بغية أن يتاح له أن يستمر في الاستمتاع بغياب الإثارات اخاص باخالة الجنينة، أو أنهم يحدثون التنبهات اللطيفة والترتبية التي لا يكون الطفل مستثنى منها حتى وهو في الرحم (هدهدات عندما تنتفخ الأم، دقات قلب الأم، ضجيج مكبوح يرشع من الخارج حتى داخل الجسم)، ويهددون الطفل ويذندون نه تهليلات ذات إيقاع رتيب.

٤ - النوم بعد إنتاج الوضع داخل الرحم

إذا حاولنا أن تتماثل مع الوليد نمائلاً لا يقتصر على المستوى الوجداني، كما يفعل الأشخاص الذين يُعتون به، بل على مستوى الفكر أيضاً، فسنفي لنا أن نسلم أن صرخات الضيق والهباج لدى الطفل يكونان ارتكاساً يبدو أنه سيء انشكاف جداً مع الاضطراب غير المنتساع الذي يظراً فجأة، حرارة الولادة، في وضع الإشباع الذي كان يستمتع به حتى هنا، وانطلاقاً من الملاحظات التي عرضها فرويد في الجزء العام من كتابه تفسير الأحلام، بوسمنا أن نفترض أن التنبهة الأولى لهذا الاضطراب كانت إعادة التوظيف الهلوسي لحالة الإشباع المفقودة: الوجود الهادي في حرارة جسم الأم وانقبضة فيه والرغبة الأولى لدى الطفل لا يمكنها إذر أن تكون سوى وجوده من جديد في هذا الوضع. والأكثر إثارة للفضول إنه هو أن هذه الهلوسة لدى الطفل - شريطة أن يُعى به عناية طبيعية - تتحقق بالفعل. فالقوة الكلبية لدى الطفل اللامشروطة التي كان يتمتع بها لم تتغير، من وجهة نظره الذاتية إذن، إلا من حيث أن عليه أن يوظف ما يرغب فيه توظيفاً على النمط الهلوسي (تمثل) دون أن يكون مرغماً على أن يعبر شيئاً في العالم الخارجي حتى يحصل بالفعل على تحقيق رغباته. ويكون الطفل ليس لديه بالتاكيد أي فكرة عن تسلسل الأسباب والنتائج الواقعي. ولا عن وجود الأشخاص الذين يُعتون به وعن واعيتهم، فإنه يُخذ إلى الشعور بأنه تملك قوة سحرية قادرة على أن تحقق بالفعل رغباته بواسطة محررة أو يتمثل إشباعها. (مرحلة القوة الكلبية الهلوسية السحرية)

ونرى أن الأشخاص الذين يُعهد إليهم أمر العناية بالطفل تكهنوا جيداً،
 بنتيجة الانطباع الذي تحدثه فاعليتهم، هنوساته. ومنذ أن يكون الطفل قد تناول
 المقدار الغذائي، فإنه يبدأ و«بنام». فليس النوم لأولاً إذن سوى إعادة إنتاج فاجحة
 للوضع داخل الرحم الذي يفنى بقدر ما هو ممكن من الإثارات الخارجية، وربما
 تكون الوظيفة البيولوجية تركيز كلية الطاقة على النماء والتجذد دون أن نصيبه
 بالاضطراب مهجة ينبغي له تنفيذها. وثمة اعتبارات لا يمكنها أن تُعرض في هذا
 السياق أفقتني أن النوم اللاحق نفسه ليس سوى تكوّن مرحلي ومتكرّر إلى
 مرحلة القوة الكلية المطلقة للوضع داخل الرحم. وينبغي لنا، في رأي فرويد، أن
 نفترض أن كل جهاز حي يملك وفق مبدأ اللذة آليات تتيج له أن يفلت من
 منبهات الواقع^(١١). ويبدو أن النوم والحلم هما الوظيفتان التي تقوم بها هذه
 الآليات، ويعبارة أخرى آثار القوة الكلية الهلوسية لدى الطفل الصغير التي تستمر
 في حياة الرشد. والمكافئ المرضي لهذا التكوّن سيكون الإنجاز الهلوسي
 للرغبات في الذهان.

٥ - تعلّم الرضيع

يما أن الرغبة في الإشباع الدافعية تنبعث دورياً دون أن يكون لدى العالم
 الخارجي معرفة باللحظة التي ظهر خلالها الدافع، فإن الأمتثال الهلوسي للإنجاز
 الرغبة لم يعد يكفي في الحال إلى أن يؤدي بالفعل إلى إنجاز الرغبة. وهذا الإنجاز
 مرتبط بشروط جديد: ينبغي للطفل أن يشرح بعض الإشارات، وبالتالي أن ينفذ عملاً
 حركياً، ولو كان غير مناسب، بغية أن يتعدّد الوضع في اتجاه رغبته. وأن تكون
 «وحدة الإدراك» المرضي تالية لـ «وحدة الامتثال»^(١٢).

وكانت المرحلة الهلوسية تتميز سابقاً بظهور تفرّجات حركية غير متناصفة
 (صراخ، هياج) حين كانت حالات وجدانية من اللذة تنبعث والطفل يستخدم
 الآن هذه التفرّجات الحركية بوصفها إشارات معبرة يحقق إصدارها بسرعة إدراك

(١١) - «صياغات تداي اللذة والواقع»، مصدر المذكور سابقاً.

(١٢) - فرويد: تفسير الأحلام

الإشباع (بفضل عون خارجي بالطبع ليس لدى الطفل مع ذلك أي ضن به) وما يستشعره الطفل من الناحية الذاتية خلال هذه السيرورات يشبه عنى وجه الاحتساب ما يكابده ساحر حقيقي ليس له إلا يتفقد حركة معينة حتى يشير الأحداث الأكثر تعقيداً في انعائم الخارجي كما يشاء^(١٦).

ولنا حظ أن القوة الكلية لدى الموحود الإنساني مرتبطة بشروطه بتنامي عددها بمقدار ما يزداد تعقيد رغباته. وسرعان ما لم تعد هذه المظاهر بفعل التعرّيع تكفي لإثارة حالة الإشباع. فالرغبات، التي تتخذ أشكالاً نوعية أكثر فأكثر بحسب النمو، تقتضي إشارات متخصصة موافقة. وتحدث في المستوى الأول ظاهرات هي: محاكاة بالقمح حركات المص عندما يرغب الرضيع في التغذية، والمظاهر المميزة، بواسطة الصوت والنقلصات البطنية عندما يرغب في التبدل به. ويتمم الطفل بالتدريج أيضاً أن يمد يده نحو الأشياء التي يشبهها وتخرج من ذلك لغة حركية حقيقية: يصعب الطفل قادراً، بفعل تركيب مناسب للحركات، على أن يعبر عن حاجات نوعية كلياً، ستكون مشبعة بالفعل على الأغلب؛ بحيث أن الطفل يكون بوسعه - على أن يحترم الشرط الذي يكمن في التعبير عن الرغبة بواسطة

(١٦) - إذا بحث عن مكانتي بهذه التعريفات في علم الأمراض، فإني أفكر في الصرع الأساسي الأكثر إشكالية من الأهمية الكبرى. وإذا سلمت أن من الصعوبة، فيما يخص الصرع، عمل الفيزيولوجي عن السيكولوجي، فإني أتبع نفسي أن أفعل النظر إلى أن الصناب بالصرع يعدون أفراداً محاسبين، إلى الحد الأقصى، أمراء فواعيتهم تتج لاشعه عذراً أن يوب غيظاً وفقاً للسيطرة محفان. وكانت سمة انطبع هذه، حتى الوقت الراهن، تفسر على وجه العموم أنها معمول ثانوي، شجة أزمات متداورة وتكون يسمي له أيضاً أن نأخذ ما خصال إمكاناً آخر: ألا يمكن أن تكون الإزمة الصرعية حسراً من الكوص إلى مرحلة تطوونه إذ يجاز الرغبة بواسطة حركات غير متاسة؟ فيكون نصاؤون بالصرع دون أفراداً حالاتهم المرحلية لتلائمة تتوافق وتنفرع دورياً في أزمات يبلغ حد ما الأقصى. وقد كان هذا الشرح بين صحيحاً، فإني يسمي له، نحدد موقع نقطة التثبيت لإصابة حرجية مستقلة في هذه المرحلة من التعريفات غير المدسقة عن الرغبات. فضرب الأرض بالرحل غير العقلاني، وتشنج قضة الزه. وحير الأضداد، إلخ. يسي موافق اصطلاح الغضب لدى غدايبه الناس. الأسوية مع ذلك، قد تكون أشكلاً مستقلة من الكوص به.

حركات موافقة - أن يستمر في اعتقاده أنه ذو قوة كلية: إنها مرحلة القوة الكلية بواسطة الحركات السحرية.

٦ - حركات سحرية تصبح غير ناجحة

لهذه المرحلة أيضاً مكافئ في علم الأمراض . وتتضح القفزة المدهشة لعالم الفكر في عانم السيرورات الجسمية التي اكتشفها فرويد في التحول الهستيرى^(١٤) ، إذا تصورناها أنها تكوّن إلى مرحلة السحر الحركي . والواقع أن الأزمات الهستيرية تمثل ، في رأي التحليل النفسي ، إنجاز الرغبات المكبوتة بواسطة الحركات . وهي حياة الفرد النفسية السوية ، تكون الحركات الخرافية أو المزعومة أنها ناجحة (حركات اللعنة ، والتبريك ، والتبذان المضمومتان للصلاة ، إلخ) ، المتعذر إحصاؤها ، واسبب تنتمي إلى مرحلة حس الواقع حيث كنا نزال نشعر أننا أقرباء إلى حد يكفي لنغض النظام الطبيعي لتكون بواسطة هذه الحركات غير الناجحة ، التي لا ترتاب بوجودها والحق يُقال . فالسحرة ، والعرافون ، والشفاة بسيئاتهم المغناطيسية ، ما يزالون يجدون من يصدقهم حين يؤكدون هذه المنطق المظنفة لحركاتهم ، دون أن نسي ذلك الذي يحتمي نفسه من العين الشريرة بحركة رمزية .

ومع تنامي الحاجات كماً وتعقيداً على حد سواء ، تن تكثر فحسب «الشروط» التي ينبغي لفرد أن يخضع لها إذا شاء أن يرى حاجاته مشبعة ، وتكثر متكرر أيضاً تلك الحالات التي لن تحقق فيها رغباته التي تعاضم جرأتها ، حتى لو احترم الشروط التي كانت فيما مضى ناجحة احتراماً بدقة . فالإيد الممدودة تعود فارغة على الغائب ، والشيء المشتهى لا يلي الحركة السحرية ، بل إن قوة خصم لا تظهر يمكنها أن تعارض بالعودة هذه الحركة وتراغم اليد الممدودة على أن تستعيد وضعها السابق . وإذا كان الموحود ذو «القوة الكلية» حينئذ يوسعه أن يشعر أنه واحد مع الكون الذي كان يطبعه وينع علامته ، فإن تبايناً مؤلماً سيحدث شيئاً فشيئاً في

(١٤) انظر عمل فرويد من دراسات في الهستيريا

كثف معيشته . إنه مرغم على أن يبرر من أنه بعض الأشياء الخبيثة ، بوصفها تكون العالم الخارجي ، أشياء تقاوم إرادته ، أي مرغم على أن يفصل المحتويات النفسية الذاتية (عواطف) عن المحتويات الموضوعية (انطباعات حسية) . بنى سميت من قبل طور الاجتياف للحياة النفسية أولى هذه المراحل ، حيث لا تزال كل التجارب متضمنة في الأنا ، وطور الإسقاط الذي بنى انطور الأول^(١٥) . ويمكن أن يسمي المرء ، وفق هذه المصطلحات ، مراحل القوة الكلية أعوار الاجتياف ومرحلة الواقع طور الإسقاط ، من نحو الأنا .

وحتى يضفاء الموضوعية على العالم الخارجي لا يفضع دفعة واحدة كل صلة بين الأنا واللأنا مع ذلك . ومن المؤكد أن الطفل يتعلم جيداً أن يقع في أن يتصرف بجزء واحد فقط من العالم ، الأنا ، في حين أن الباقي ، العالم الخارجي ، يقوم رغباته غائباً ، ولكنه يستمر مع ذلك في توظيف العالم الخارجي بصفات اكتشفها في نفسه ، أي بصفات الأنا فكل شيء ، يدل على أن الطفل يعبر مرحلة إحيائية في فهمه الواقع ، مرحلة يبدو أنه كل شيء خلالها تدب فيه الحياة ويحاول أن يكتشف في كل شيء خلالها أعضائه الخاصة أو عملها الوظيفي^(١٦) .

٧ - من الحركة إلى الكلام

أدلى أحدهم يوماً ضد التحليل النفسي بملاحظة تهكمية مفادها أن اللاشعور يبري ، وفق هذه النظرية ، عصب ذكر في كل شيء محدب وقرجاً أو إسناً في كل شيء مقعر . وفي رأيي أن هذه القضية تحدة الأمور تحديداً جيداً . وتحمل الحياة النفسية للطفل (وميل اللاشعور الذي يبقى لدى الراشد) - فيما يخص الجسم الخاص - اهتماماً حصرياً أول الأمر ، وراجحاً فيما بعد ، بإشباع دوافعه ، وبالاستمتاع الذي تؤمنه له وظائف البراز وفاعليات أخرى كمص المناطق المثيرة للفتنة ، وأكلها ، ولبسها ، وليس ثمة ما يشير الدهشة أن تسرعني ابتهاج أول

(١٥) - انظر الاحتياط والتحويل ، ١٩١٩ ، فورتوي ، مصدر مذكور سابقاً ، المجلد ١ .

(١٦) - انظر ، عن الإحسان ، محاضرة سيش «عماصه الطبيعة» ، في مجلة «صورة» لجمعية لثانية ،

الأمر أشياء العالم الخارجي وسيروراته، التي نذكره، بسبب تشابه ونوع بعيد، بتجاربه الأعز عليه.

وهكذا نفهم هذه العلاقات العميقة، الدائمة كل الحياة، بين الجسم الإنساني وعالم الموضوعات، علاقات نسميها العلاقات الرمزية. وفي هذه المرحلة، لا يرى الطفل في العالم سوى إعادة إنتاج جسمانيته ويتعلم من جهة أخرى أن يمثل كل تنوع العالم الخارجي. وهذه القابلية، قابلية الجسم للتمثيل الرمزي، تمثل إتقاناً ذا أهمية للغة الخركية؛ إنها تتيح للطفل ألا يشير فقط إلى الرغبات التي تخص مباشرة جسمه، بل أن يعبر عن رغباته ذات العلاقة بتعديل العالم الخارجي، الذي يعترف به بوصفه كذلك من الآن فصاعداً. وإذا كانت العناية بالطفل مصحوبة باحباب، فإنه لا يكون مرغماً، حتى في هذه المرحلة من وجوده، على أن يهجر وعنه بالفوة الكلية. وحسبه أيضاً أن يمثل تمثيلاً رمزياً موضوعاً من الموضوعات حتى «بأني» إليه الشيء (الذي يعتبره ذا حياة) في عدد كبير من الحالات؛ إنه، دون ريب، الانطباع الذي يشعر به الطفل في هذا الظور من الفكر الإحيائي عندما تكون رغباته مشبعة، وتجعله الربيبه فيما يتعلق بظهور الإشباع يستشعر مع ذلك تدريجياً أن ثمة أيضاً قوى عليا، «إنهية» (أم أو مرضعة) ينبغي له أن يفوز بتعها الطيبة حتى يلي الإشباع بسرعة الحركة السحرية. ولكن الإشباع يحصل بسهولة، وعنى وجه الخصوص مع محيط يتميز بالتساهل.

إحدى «الوسائل» المادية التي يستخدمها الطفل لتحميل رغباته والموضوعات التي يشتهيها تكتسب عندئذ أهمية خاصة ستتغيب عنى الأنماط الأخرى من التمثل، أي اللغة. واللغة، في البدء، هي المحاكاة، أي إعادة إنتاج صوتي للأصوات والضججات التي تحدثها الأشياء، أو احادته بواسطة «فهمارة أعضاء التصويت» تسمح أن تعيد إنتاج تنوع كبير جداً من الأشياء وسيرورات العالم الخارجي، وذلك عنى نحو أسهل كثير من اللغة الخركية. وتحمل الرمزية اللفظية إذن سحرًا رمزياً الخركية. بعض انجساعات من الأصوات يوضع فى علاقة ترابطية

وثيقة مع أسماء وسيرورات معينة، بل تكون متوحدة معها تدريجياً. وتلك هي نقطة انطلاق لتقدم ذي أهمية: يصبح التمثيل الشاق بالصورة والمسرحية الدرامية، الأصعب أيضاً، غير مجدبتين؛ فتصور هذه المجموعات من الظواهر التي تسمى الكلمات وتشكلها، يتحان نسخة أكثر اقتصادية ودقة للرموز. وتجعل الرمزية التلقية في الوقت نفسه الفكر الواعي محكاً من حيث أنها تمنح السيرورات الفكرية، اللاشعورية في ذاتها، صفات يمكن أن تُذكر، إذ ترتبط بها^(١٧٧).

A - عاطفة الدونية تخفي على الغالب عاطفة من القوة الكلية المقرطة

الفكر الواعي بواسطة العلامات اللفظية هو الإنجاز الأسمى إذن لنحهاز النفسي، وهو الوحيد الذي يتيح التكيف مع الواقع إذ يؤخر التصريح الحركي المعكس وتحرير اللانذرة، ويتوصل الطفل، على الرغم من كل شيء، إلى أن يحتفظ، حتى في هذه المرحلة من النمو، بعاطفته، عاطفة القوة الكلية. والواقع أن الرغبات التي يتصورها الطفل على شكل أفكار ما تزال من قلة العدد وضعف التعقد نسبياً بحيث أن من يحيطون به، المتبهين والحريصين عنى راحته، يقلحون سهرنة في أن يتكهنوا غائبية هذه الأفكار. ونهمل الإيماءات التي ترافق الفكرة على وجه العموم (وبخاصة لدى الطفل) سهيلاً كبيراً على الراشدين هذا النوع من قراءة الأفكار. وإذا كان الطفل، علاوة على ذلك، يصوغ رغباته في كلمات، فإن المنحصرين الذين يحيطون به يبادرون بأسرع ما يمكن لتحقيقها. أما الطفل، فإنه يعتقد فعلاً أنه يملك سلطات سحرية، إنه موجود في مرحلة الأفكار والكلمات السحرية^(١٧٨).

وفي هذه المرحلة من حسن الواقع إنما يبدو أن العصبيين الموسمين ينكصون إليهما، هؤلاء العصبيون الذين لا يمكنهم أن يتخلصوا من عاطفة القوة الكلية.

(١٧٧) س. فرويد، تفسير الأحلام

(١٧٨) لا ينبغي لتفسير سيكولوجي لسحر، منفع، إنكامل أن يوجد أيضاً، في هذا الاستناد، حاحس برفق مادة الحاضر، ربح.

والذين يضعون العكوة مكان العمل كما بين فرويد ذلك . وفي الاعتقاد الخرافي ، يؤدي السحر ، والعبادة الدينية ، والإيمان بالقوة ، المتعددة مقاومتها ، لبعض الصلوات ، واللعنات والصيغ السحرية - يكفي التفكير فيها داخلياً أو لفظياً بصوت عالٍ حتى تحدث معمولها - دوراً كبيراً^(١٩١) .

وجون العظمة هذا ، غير القابل للشفاء تقريباً لدى الموجود الإنساني ، لا يكذب به إلا في الظاهر بعض العصاين ، الذين تبين بسرعة متابعتهم الحامية للنجاح أنها تحجب عاطفة دونية (أدثر) يعرفها المرضى أنفسهم معرفة جيدة . وفي كل الحالات من هذا النوع ، يبين التحليل في الأعماق أن هذه العواطف من الدونية ، التي لا تكون الشرح النهائي للعصاب على الإطلاق ، هي ارتكاسات من قبل على عاطفة مغالية من القوة الكلية التي نشبت عليها المرضى في طفولتهم الأولى والتي تمتعهم ، فيما بعد ، من أن يتحملوا أي إحباط . وليس انطموح الظاهر لهؤلاء الأشخاص سوى «عودة المكبوت» ، محاولة بائسة هدفها أن يسترجعوا ، إذ يغيرون العالم الخارجي ، تلك القوة الكلية التي كانوا يتمتعون بها في ابنته دون بذل أي جهد .

وليس بوسعنا إلا أن نكرر: كل الأطفال يعيشون في الوهم السعيد ، وهم القوة الكلية التي أفادوا منه في الزمن الغابر - ولم يكن ذلك إلا في رحم الأم . ويأخذ به «شيطانهم» أو «مرجهم الفلنكي» أمر القدرة على الاحتفاظ بهذه العواطف من القوة الكلية خلال حياتهم ويصحون متفائلين ، أو سيضخمون عدد المتفائلين الذين لا يقبلون أبداً أن يتخلوا عن رغباتهم اللاشعورية واللاعقلانية ، ويشعرون بالإهانة والتبذير لأوهى سبب ، ويعدون أنفسهم أطفالاً لا يتصفهم القدر - لأنهم لا يمكنهم أن يظفروا أطفاله الموحدين أو الأثريين .

(١٩١) - هذه «القوة الكلية» أو «قوة حركية» غير أيدي كبيرة ككلمات لوجان - انظر مقال «الكلامه» - صفحة ١٠٠ ، مصدر مذكور سابقاً . تحدثنا

٩ - حسّ الواقع المقابل للبارانويا

عندما يفصل الطفل انصباؤه كاملاً عن أبويه على المستوى العمسي، عند ذلك فقط إذا برتشف - يقول فرويد، عهد مبدأ العفة. وفي هذه المدة نفسها أيضاً، المتغيرة تغيراً كبيراً وفق الحالات، إنما تتخلى عاطفة القوة الكلية عن مكثها للاعتراف الكامل بعيب الظروف. ويبلغ حسّ انواع ضرورته في العلم حيث يسقط وهم القوة الكلية، على العكس، إلى مستواه الأدنى؛ وتتحلّ القوة الكلية القديمة هنا إلى شروطه فقط (الشرطية، التنفيذية). ويجد مع ذلك في نظرية الحرية المطلقة مذهباً فلسفياً تعاقبياً يحقق أيضاً استبهاكات القوة الكلية.

والاعتراف أن رغباتنا وأفكارنا مشروطة يعني اخذ الأقصى من الإسقاط السوي، أي من إضفاء الموضوعية. وثمة أيضاً مرض نفسي، الذهان الهذلي (بارانويا)، يتميز من أمراض أخرى بواقع مفاده إرجاع المرء انصباؤه به أفكاره الخاصة ورغباته إلى العالم الخارجي وإسقاطها عليه^(٢٠). ويوسعنا على ما يبدو، أن نحدد موقع نقطة التشبث لهذا الذهان في عصر التخني النهائي عن القوة الكلية، أي في طور إسقاط حسّ الواقع.

١٠ - العودة إلى مرحلة الحركة السحرية في العصاب

لم نعرض حتى الآن مراحل النمو لحسّ الواقع إلا بلغة الدوافع الأذنية، التي تسمى «دوافع الأنا» وهي في خدمة المحافظة الذاتية على البقاء؛ والواقع أن للواقع على وجه الضبط، كما أكد فرويد، علاقات مع الأنا أعمق من علاقاته بالجنسية، والسبب، من جهة، أن الجنسية أكثر استقلالاً عن العالم الخارجي (إنها يمكنها خلال زمن طويل أن تحصل على الإتياع على نمط القلم الذاتية، ولأنها من جهة أخرى مقصورة في أثناء مرحلة الكمون ولا تصب أي اتصال مع الواقع). فاجسبية

(٢٠) - فرويد، أساس الدفاع، الفصل ١٦، فرويد، مقالات بحيلة صعبة عن حدث من مدون الهذلي (بارانويا)، خمس حالات من التحليل النفسي للشوراب الجامحة نصيبه، بورنيزي، ١٩٠٧، الجنسية أثناء في العصب، مرضي الذهان الهذلي.

نظراً لأن طوال الحياة أكثر حضوراً لمبدأ اللذة، في حين أن الأنا تعاني في الحال خيبة أكثر مرارة من خيبت الأمل حين تجهل الواقع⁽¹¹⁾. فإذا فحصنا الآن من زاوية النمو الجنسي عاطفة القوة الكلية التي تميز المرحلة - اللذة، فإننا نلاحظ أن مرحلة القوة الكلية اللامسروحة هنا تدوم حتى تُهجر أنماط الإشباع الغلغي الذاتي، في حين أن الآن في هذا العصر نكون قد تكثف منذ زمن طويل مع شروط الواقع التي تزداد تعقيداً، وبعد أن نكون قد تجاوزت مراحل الحركات والكلمات السحرية، نكون الآن قد توصلت على وجه التقريب إلى الاعتراف بالقوة الكلية لقوى الطبيعة فالغذمية الذاتية والترجسية هما إذن مرحلتا القوة الكلية للغلظة؛ وبما أن الترجسية لا تتوقف أبداً، ولكنها تبقى دائماً إلى جانب الغلظة ذات العلاقة بانفوس، فإن بوسعنا أن نقول - من حيث يقتصر المرء على أن يحب ذاته - إن بإمكاننا في مجال الحب أن نحفظ طوال الحياة بوهم القوة الكونية. وكون سبيل الترجسية هي أيضاً درب النكوص، الذي يظل دائماً سهل المنال بعد كل خيبة أمل يفرضها موضوع الحب، ذلك أمر أشهر من أن يكون علينا أن نبرهن عليه. وبوسعنا، في أعراض البارافرنيا والهستيريا⁽¹²⁾، أن نعترض ضرورياً من النكوص غلظية ذاتية وترجسية، في حين أننا سنجد على وجه الاحتمال نقاط التثبيت للعصاب الوسواسي والذهان الهذلي (مارانويا) في مستوى من مستويات «الواقع الغلغي» (ضرورة وجود موضوع).

وهذه العلاقات لم تكن بعد، والحق يقال، قد درست دراسة كافية بالنسبة لكل الأعصاب وينبغي لنا، بالتالي، أن نكتفي، فيما يخص اختيار العصاب، بصياغة فرويد العامة التي يتحدد بحسبها نموذج الاضطراب اللاحق تبعاً لـ «طور نمو الأنا والنيسو» حيث يحدث كف النسو، الذي يهيئ مسبقاً للعصاب⁽¹³⁾.

ولكن بوسعنا الآن أن نحاول إكمال هذه القضية بقضية ثانية. إن فعوى

(11) - ص 67 من كتاب اللذة والواقع، مصدر مذکور سابقاً، التحفة.

(12) - انظر تعري هانز لافطنجر من «المعجم الواسع» في نفس المصدر، ترجمة وحيد أسعد، بيروت، 1961، الصفحة 107.

العصاب من ناحية الرغبات ، أعني الأنماط والأهداف العلمية التي تشكلها الأعراس بوصفها متحققة ، ذو علاقة بالتطور الذي كان نحو الليبدو موجوداً فيه حينما حدث التثبيت ، أما آلية الأعصاب ، فإن من المحتمل أن تحددها مرحلة نحو الأنا التي كان الفرد موجوداً فيها خلال مدة الكف للمهيا للعصاب . وبوسعنا تماماً ، من جهة أخرى ، أن نتخيل أن المرحلة التطورية حسّ الواقع التي كانت سائدة خلال التثبيت تبعث مجدداً في آليات تكوين العصاب عندما يكون ثمة تكوّن لليبدو إلى مراحل سابقة . وبما أن أنا العصابي الراهنة لا تفهم هذا النمط القديم من «اختبار الواقع» ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون هذا النمط موضوعاً في خدمة الكبت ، ويصلح لتمثيل مركبات الأفكار واختلالات الوجدانية المراقبة . وتكون الهستيريا والعصاب الوسواسي ، وفق هذا التصور ، على سبيل المثال ، متصفين ، من جهة ، بتكوّن الليبدو إلى مراحل سابقة من التطور (الفلمة الذاتية - الأوديبيّة) ، ومن جهة ثانية ، متصفين ، من حيث آلياتهما ، بعودة حسّ الواقع إلى مرحلة الحركات السحرية (التحوّل) أو الأفكار السحرية (القوة الكلية للفكرة) . فنكرّر : ثمة أيضاً كثير مما ينبغي فعله قبل تحدّد بيقين نقاط التثبيت لكل الأعصاب . وفيما يخصّ ما سبق ، كنت أريد فقط أن أذكر حلاً ممكناً - حلاً معقولاً في رأيي .

١١ - نبوءة علمية : نحو حسّ الواقع خلال العصور

أما فيما يخصّ ما افترضه عن الشؤء النوعي لحسّ الواقع ، فالأمر لا يتعدى النبوءة العلمية حايباً . ولا ريب في أن الإنسان سيفتح يوماً من الأيام في سفارة المراحل المختلفة لتطور الأنا . كذلك لتماذجها العصابية في التكوّن ، والمراحل التي سلكها تاريخ النوع الإنساني ، تماماً كما اكتشف فرويد ، على سبيل المثال ، سمات طبع العصابين الموسوسين في الحياة النمسية لدى التوحّشين^(٢٦) .

ويبدو نحو حسّ الواقع ، على وجه العموم ، بوصفه مجموعة من حبات

(٢٦) - فرويد ، الطوطم والذئب . بعض الملاحظات عن الحياة النمسية لدى التوحّشين وهي أعرضها ، ١٩١٢ ، ١٩١٢ (١٩١٢)

الكبت المتناحية، التي يكون الوجود الإنساني مرعماً عندها بفعل الضرورة، بفعل الإحباط الذي يقتضي التكيف، وليس بفعل «ميول للتطور» عفوية. والكبت الأول الكبير أصبح ضرورياً بفعل سيورة الولادة التي تحدث بالتأكيد دون الإسهام الفاعل من جانب الضعل ودون أن يقصد ذلك. ويؤثر الجنين إثاراً شديداً أن يبقى أيضاً في غبطة جسم الأم، ولكنه يوضع في العنقم وضعباً دون رحمة، وعليه أن ينسى (يكبت) أنماط إشباعه المنفضلة. وأن يتكيف مع أنماط أخرى من الإشباع. وتتكرر اللعبة القاسية في كل مرحلة جديدة من النمو^(٢٣).

ورقاً يمكن أن يجازف بالفرض الذي مفاده أن التغيرات الجيولوجية للقرشرة الأرضية، ونتائجها الكارثية على أسلاف النوع الإنساني، هي التي أرغمت على كبت العبادات المنفضلة وعلى «التطور». ومن الممكن أن تكون هذه الكوارث قد كونت نقاط كبت في تاريخ تطور النوع، وأن تكون شدتها وعموميتها في الزمن قد حددت طبع النوع وأعصبته. فطبع النوع هو، وفق ملاحظة أبداها فرويد، راسب تاريخ النوع. وبما أننا جارفاً الآن بعيداً جداً في حفل المعارف عبر اليقينية، فلنستع عن أن نتراجع أمام ماثلة أخيرة، ولتربط هيئة الكبت الفردي الكبيرة، مرحلة الكون، بعلاقة مع الكارثة الأخيرة الأكبر بين الكوارث، تلك التي نزلت على أسلافنا (في عصر حيث كانت موجودات إنسانية موجودة بالتأكيد على الأرض)، مع نكية العهد الجليدي التي مارلنا نكررها تكررأ أميناً في حياتنا المعاصرة^(٢٤).

(٢٣) - يعني لنا، إذ نصيب إلى نهاية هذا الاستدلال، أن نأخذ بالحسبان ميلاً إلى العطفة أو ميلاً إلى الكوص الذي يورد حتى الهيئة العصبوية الميل إلى التطور، إلى التكيف، إلى، ذو علاقة فقط بالتهات الخرجية.

(٢٤) يبدو أن التحلات التي يبين التطور فيها الفاحات نواتجة تكذب الفرض الذي مفاده أن هجر الآلهة المأثورة (تطوراً) لا يسهل عموي، بل يسيبه من وجه محصر. عام خارجي. وذلك على ذلك نحو الآلهة المنتسبة لشدة داخل الرحم. ولكن ذلك لا يعكس في التطور الفردي، ذلك أمر يمكن أن يحسه الآن بالخصر. سيورة نظوية تقومها الضرورة في تاريخ النوع. وليست التغيرات الشعبية في الخيوات أعين من ابتدوات وضعية مستقبلية من وظائف النوع. بل هي ضرورية من تكرار فدايات متكسرة. بل بحاجة لتطور النوع. إليها دون تصح محلاً لتشرح محصر سبي وديهي. ولا يحصر بالضرورة في وجهه نظر غائبة.

١٢ - القصص تخلق الفردوس المفقود خلقاً جديداً

هذه الرغبة الجارفة في معرفة كل شيء، التي قادتني في هذا المقطع الأخير صوب الأبعاد الجغرافية للماضي، وجعلتني أتجاوز بعون ضروب من المعانلات ما لا يزال يغلبت منا، وبعيدني إلى نقطة الانطلاق من هذه الاهتمامات إلى مشكل ذروة عاطفة القوة الكلية وانحسارها. فالتعلم ينبغي له، كما قلنا، أن يتخلى عن هذا الوهم، أو عنى الأقل أن يعرف ذلك في أي مرحلة يتخذ إلى مجال التعرّص والتخيّلات. وتستمرّ بالمقابل استيهامات القوة الكلية، في القصص، في أن تسود سيادة كلية^(٢٥). وحيث ينبغي لنا أن ننحني بتواضع أمام قوى الطبيعة، تأتي الفصّة لنجدتنا مع موضوعاتها النمطية. والواقع أننا ضعفاء، وسيكون إذن أبطال القصة أقوياء ولا يقهرون؛ إننا محدودون بالزمان والمكان في فاعليتنا ومعرفةنا: نعش في القصص عيشاً أبدياً، ونحن موجودون في ألف مكان معاً، ونتبأ بالمستقبل ونعرف الماضي. واجمالية الأرضية، وصلابة المادة وتعذر النفوذ إليها، تكون في كل لحظة عوائق على درسا، ولكن للإنسان. في القصص، حانحين، ونظرة نشب الخدران، وعصاه السحرية تفتح له كل الأبواب. فالواقع معركة شاقة من أجل الوجود: ويكفي في القصة أن يلفظ بعض الكلام السحري: «ليكن لك، أيها الطاول، غطاؤك!»! إننا نعش في خوف دائم من أن تهاجمنا بهائم خضرة أو أعداء مضرسون: يتيح الرداء السحري في القصة كل التحولات ويضعنا بسرعة في متجى من أي خضر - كم يكون من الصعب في الواقع أن يبلغ المرء حياً بشبع كل رغباتنا: بطل القصة لا يقاوم، أو أنه يأمر أيّ كان بحركة سحرية.

وهكذا فإن القصة، التي يقصر المرشدون فيها عن طيب خاطر على أطفالهم رغبتهم الخاصة غير المشبعة والمكبوتة، تفتح في الحقيقة ثقباً فنياً في غاية الروعة توضع القوة الكلية المفقود.

ساندور فورميري

(٢٥) - انظر بختار - فردية وإخبار الرغبات من القصص

الفصل الثاني

في نوى الأنا

مقدمة:

الانجليزي إيلز غوفر، الذي كان كارل أبراهام قد حلّله تحليلاً نفسياً، تصوّر، بين ما تصوّر، فرضاً أهيلاً لتكوّن الأنا - يقول فيه هنا، مع ذلك، إنه كان ضرباً من الإخفاق في البداية ..

وفي رأيه أن الأنا البدئية تتكوّن من «نوى» متعدّدة يسمّ توحيدها التدريجي ضروب تقدّم الأنا. وكان غوفر يحاول، في نصّ يسبق النصّ الذي نعرضه سبقاً زمنياً، أن يصنّف الاضطرابات العقلية إذ يعيدها إلى خلل طارئ في تكوّن نوى الأنا وتوحيدها. ويستأنف هذه الفكرة، مستوحياً في الوقت نفسه أيضاً من مقال خصّصه فورتزي في الفصل السابق لنموّ حسّ الواقع.

وهاجس التهجية الذي يبعث فيه النشاط، بغية توضيح ظاهرات في منتهى التعقيد، لا ينبغي أن يُنسبنا أن هذا المؤلف، ذا الفكرة القاطعة ولكنها الصعبة، أدى دوراً ذا أهمية في الحركة النمطية

وكان في ذلك منظرًا لامعاً وإذ انضمّ في اتّبعه إلى المدرسة انكلاينية، فإنه تحيّر بعنف فيما بعد ضدّ مؤسستها التي كان كارل أبراهام قد حلّله هي أيضاً...

النص

إنني صغفت، إذ تكلمت في مكان آخر عن محدودياتي الأولى الهادفة إلى إقامة الرباط بين تصنيف الاضطرابات العقلية وسلسلة تكونات الأنا^(١). والهادفة أيضاً إلى أن تحدد، في نهايات عملي، في أي شيء يمكن تكوين نووي، عدداً معيناً من الاعتراضات والانتقادات لأطروحاتي الخاصة. كما كنت قد نشرتها عام ١٩٣٢ وسيتبين القارئ على وجه السرعة أن أحد الاعتراضات الرئيسية لهذه المنظومة الناتج عن واقع مفاده أن تصنيفي حالات الاضطراب كانت غير كفاية على نحو مناف لمعقل. وكنت قد نسبت على سبيل المثال (باستثناء وهم مفصل عن سياق الكف الجنسي) تلك التشكيلة الكاملة للاضطرابات الجنسية لا سيما الانحرافات التي تكون، في الواقع، أحد المجالات الكبيرة لتطبيق التحليل النفسي في العلاج. فأني نظرية لتكوين الأنا النووي لا يمكنها أن تُعد مرضية إذا لم تذكر الدور الذي تؤديه التكوينات في الانحرافات الجنسية. وكان من المهم، بالنظر إلى أن اختبار الواقع وظيفته من الوظائف التي كانت تُسمى «الأنا الواقع»^(٢)، أن نرى إلى أي حد كانت التكونات البدئية للأنا تمارس هذه الوظيفة، وإذا كانت ممارسة هذه الوظيفة على أنحاء شتى وفي إجراءات شتى. وهكذا عرضت خلال العام نفسه مداخلتنا تناولت العلاقة بين تكون الانحرافات وحسن الواقع^(٣).

١ صعوبة على التحليل النفسي: ترتيب الانحرافات

ومن المؤكد أن الضرورة كانت تقضي أن يدرس أول الأمر نتائج الانحراف

(١) - إ. غنوفر: «ولادة الأنا»، من ٢٦-٣٠ (مدرج أرنو - ١٩٦٨). وانضمنا لفرنسة نهد الكتاب ظهرت عام ١٩٧٩، دار نشر بريفا في بولوني بالعبارة نفسها.

(٢) - «علاقة بين الأنا كذا أو كذا» واقع منعه تأسيسه أولاً لجميع (ملاحظة عنه (التيارات).

(٣) - إ. غنوفر في العلاقة بين تكوين الانحرافات وبعض النواحي معقول كونه من أصله وعرضت في كتابي النفسي عن التحليل النفسي، «مداولات» (١٩٣٦) ونشر في صحف التحليل النفسي العالمية، ١٩٣٢، مجلد XIV. وأعدت مع عدة من كتاب الطور المتكسر النفسي. نشر بباريس، أحد نشر بولوني، لندن.

الجنسي ونرى كيف كان ممكناً أن نطلبها في ترتيب قائم على غورها، بهدف وضعها في ارتباط مع تصنيف الاضطرابات العقلية وموتوى الآن التسلسلي المعروضة من قبل بوضعها مستلمات. وفيما يخص المسألة الأولى كان تصنيف الانحرافات قد اقترحه من قبل سانش منذ عام ١٩٢٣^(١٦) منطلقاً من مبدأ مفاده أن التكيف سيروية تسلسلية. وكان ذلك يعتقد، هو أيضاً^(١٧)، أن محسوسة الانحرافات تطوي على عدة مسافات تطورية ذات علاقة بالمنظومات النفسية، أو بالأماكن المتعاقبة. ولم يكن فينيل^(١٨)، على العكس، يعتقد أن نعمة إمكاناً لوضع تصنيف مقابل لتصنيف الأعصاب، جراء الغياب، في الانحرافات، لعنصر المشوّة الذي يميز الأعصاب ويجعل تصنيفها ممكناً. وينبغي تماماً أن نسلم أننا عندما ندرس التكوّنات المنحرفة (أو المنظومات الاستهيمية-تكوّنات الرغبات المنحرفة) التي تبدو في الذهان، أو الأعصاب أو اضطرابات الطبع الخاصة بها، نكتشف في بعض الأحيان أن التكوّنات المنحرفة التي ترافقها حالات كالذهان واضطرابات الطبع العميقة - المعترية على وجه العموم أنها ذات جذور عميقة. هي من نموذج خفيف نسبياً (متأخر، منظم). ونعمة بالمقابل بعض الانحرافات، التي ترافق في بعض الأحيان الأعصاب واضطرابات الطبع المقابلة، تكون عميقة ومتعددة الأشكال. ويومعنا بالتأكد أن نكتشف درجات شتى، وتنوعات مختلفة من الانحراف ذات ارتباط بتكوّنات نلانا تبدو متوية

وهكذا فإن المهمة التي تكمن في وضع تصنيف تسلسلي للانحرافات لن يكون يسراً. ولكن ذلك لم يكن يعني أنه كان متعذراً ونعمة عنصر، يُضاف إلى التلبس إضافة فريدة، كان مصدره تعميم فرويد الذي مفاده أن العصاب يكون النمطية النمالية للانحراف. وهذا، كنت أقول، يظل صحيحاً بعمق. ولكن بمعنى

(١٦) - سانش، في كتابه الاضطرابات، ١٩٢٣، مجلد IX، ص ١٧٣.
 (١٧) - سانش، الاضطرابات والمعوقات، ١٩٢٣، مجلد VIII، ص ٢٩٧.
 (١٨) - فينيل، الاضطرابات، أذهاننا واضطرابات طبعنا، مجلة المجلد النفسي العالمية، كرايست، ١٩٣١، اضطراب سانسو الأولى في ارتباط العصب، حوار نظرية التحليل النفسي للعصاب، لندن، كيبوز، ١٩٤٦.

محدود على وجه الدقة . وعذبت الآن أن نصيف أن بعض الانحرافات تكون
النسخة السلبية لبعض التكوينات الذهانية وانحرافات أخرى تكون النسخة السلبية
لحالات ذهانية انتقالية . وهذه القائمة من الارتباطات كان ممكناً أن نطوّر ونضم
تشكيلة لحالات الانتقالية الحقيقية (كيموس الإدمان على المخدرات مثلاً) ونضم
بالتطبع اضطرابات التطبع المقابلة . والخلاصة ، يبدو محتملاً أن الانحرافات تنطوي
على مجموعة مرتبة من التمايزات - فيما يخص أهداف وكمال الموضوع على حد
سواء - ولكن هذا الترتيب التطوري يوازي ترتيب اللذات ، والحالات
الانتقالية ، والأعصاب ، وضروب الكف الاجتماعية .

٢ - تكوينات الأنا في أصل الانحرافات

حاولت أول الأمر ، منطلقاً من هذه المقدمة الكبرى ، أن أدرج الانحرافات ،
بواسطة المدّ الاستقرائي ، في أماكن شتى من تصنيف حالات الأعراض ، وأن
أدخل ، في أعقاب ذهانات ، تلك الانحرافات التي يُقترص أنها ذات ارتباط بها .
ثم تناولت ضروب الإدمان على السموم ، بوصفها حالات انتقالية ، وأدخلت
الانحرافات الأقل بندنية والمنطوية أيضاً على سمة متعدّدة الأشكال ، وتابعت
مع الأعصاب الوسواسية إذ أدرجت هنا الفينيثبات ، والانحرافات الجنسية المثلية
المنظمة ، لآتهى بضروب الهستيريا والرهبات ، حيث تكون العناصر المتحرّفة أكثر
عرضة ، مع أنها ظاهرة ، لذلك ونفصح الفجار ، على وجه العموم ، إلى ضروب
جنسية من الكف وضروب من الحصر الاجتماعي . وإذا وصلت إلى هذه المرحلة ،
تبيّنت مع ذلك أن أسلوب المدّ الاستقرائي لم يكن قط مرضياً واستنتجت من ذلك
أن تصنيف الانحرافات المنفصل ، على نحو مواز لتصنيف الأعراض ، كان
ضرورياً . وينبج ذلك أن تتجنب الاعتراض الذي مفاده - فيما يتعلق بتكوينات الأنا
ولا سيما سوى الأنا - أن يكون ممكناً لتكوين واحد ووحيد أن يكون حله السبب
لانحراف والحالة عرض

ومن هنا إننا استخلصت ، فيما يتعلق بالأساسي ، مادة مدخلتي . فكيف

يمكن أن نقيم عوامل الأنا ونميزاتها انطلاقاً من الحرفات؟ كان واضحاً أن واحداً من التقييمات الأكثر أهمية ذات علاقة بالدرجات المختلفة حسن الواقع المقابل للمرحلة المختلفة. وهذه المقاربة - أي تمايز أطوار حسن الواقع - لم يكن ثمة بدئها مع ذلك من أن تدعها وسائل أخرى، بالنظر إلى أن الأكثر سهولة في التطبيق هو تمايز التكوينات الاستهامية (اللاشعور، قبل الشعور، الشعور، التي يستتجد الانسان الأولان منها بالترابط والتفسير معاً). وكانت المقاربة الثالثة تكمن على نحو أساسي في منظور دينامي يأخذ بالحسبان تغيرات في الطبيعة، شدة التجارب الانفعالية ودوامها، ولا سيما درجات السيطرة على الحصر والإثمية.

٣ - صوب فرض لأنا منكورة

كل مقاربة من هذه المقاربات الثلاث عرضة بالطبع لعدد معين من التحفظات ولا يلبس عدد كبير من التحفظات أن يولد اعتراضات وضروب من الرفض. وبوسعنا أن نعزو على نحو رئيس هذه الصعوبات، وهذه التعقيدات إلى تأثير عوامل التنكوص الاقتصادية، والانزياح وسيرورات أوبئية أخرى. فنظم الأنا، والنظم الاستهامية يمكنها أن تتراجع إلى الأمام أو إلى الوراء، وهي تغير في الوقت نفسه، من زمن إلى آخر، ما يخص التوظيف وبلوغ الوعي على حد سواء، ولهذا السبب، يمكن أن يحجب نظام نظاماً آخر وكان بيع التحليل النفسي دائماً ضرورة أن يقوم تمييز، في مجال الزمن والمحتوى، بين تثبيت ونكوص غير مستقر، دفاعي أو وقفي الظروف، أو ارتقاء غير مستقر أيضاً. وذلك أمر يمكننا أن نجيب عنه فقط أو التقييمات من هذا النوع تقتضي كثيراً من البصيرة والأكثر ما يمكن من التحرية.

فلنقل قولاً عابراً إن ما شجعتني على أن أقيم ارتباطاً بين الانحرافات وأطوار واضحة من تطور الأنا هو دراسة محاولة قام بها فرونري سابقاً بغية تعديد المراحل هي موافق الواقع^(١)، بقدر ما شجعتني هذه الدراسة على أن أقيم ارتباطات،

(١) فرونري، محاولة في التحليل النفسي، الترجمة لانغلييه، بوسلون، بادجر، ١٩٦٦ (ترجمة العربية، نؤشرات كاسم، العدد ٢، ص: ١٠٠، نظراً لفصل نسائلي)

لابين المراحل والأطوار التيبديية القديمة فحسب، بل بين بعض الأضوار التطورية لحس أنواع وأحالات السيكولوجية المرضية النوعية مثل ذلك أن فورززي لم يكن يربط ما كان يسميه «أطوار انقواء الكتابة ثلاثية» (الذي المفضل (التطور التيبديي ثلاثي) بالتطور «النموي» لنمو التيبديي فحسب، ولكنه كان أيضاً يربط «الأطوار السحرية» بتطور الأنا (الأطوار التحررية البدئية أيضاً) ببعض المظاهر النوسواسية. وكانت هذه الصياغات ذات أهمية من وجهتي نظر: الأولى أن ثمة ارتباطاً كان قد أُهيم، والثانية أن ثمة تبايناً بارزاً بين تكوّن الأنا وتكوّن التيبديي في الأعصاب النوسواسية، إذا افترضنا أن الارتباط (القائم على فروض مستمدة من دراسة سلوكية^(٨) للأطفال الصغار وتلاقيات الذهنية التي لوحظت في تحيين الراشدين) كان صحيحاً، ونقول، بعبارة أخرى، إن أنا الفرد المصاب بالنوسواس كانت في مراحل مبكرة من النمو، في حين أن التيبس التيبديي للمصاب بالعصاب النوسواسي كان يتسم، وفق الفروض المقبولة في ذلك العصر، إلى نموذج لاحق كثيراً (المرحلة السادسة الشرجية). أضف إلى ذلك أن ظهور الأعصاب النوسواسية كان يحدث في ذلك العصر أكثر تأخراً أيضاً. وإذا كان ترتيب المراحل في حس الواقع، الذي اقترحه فورززي، صحيحاً، فإنه لم يكن ثمة بد لنا من أن نجد، في العقولة الأولى، مظاهر ونوساسية تنطوي أقله على عناصر فموية متأخرة وعناصر شرجية مبكرة.

٤ - مراحل متعددة في تطور الأنا

كان فورززي يعي هذا التناقض، ويحرص على شرحه مقترحاً أن المريض الذي يعاني هذا النوسواس ينكص تكوّنًا جزئياً إلى هذه المرحلة المبكرة. ومن الواضح أن الأمر يبدو أكثر احتمالاً إذا كان الكلام ينصب على تكوّن وظائف توظفها مضاعفاً لتولين أو عدة تولى مبكرة للأنا. وواضح بالمقدار نفسه أن لنا الخوف، إذا كان للاتباط بين العصاب النوسواسي وبعض الانحرافات (كانثيتيشيات ومن بعض الأشكال من الجنبة المثنية الأقل بدئية، على سبيل المثال) قيمة من القيمة، أن

(٨) - أن نرى على ملاحظة سلوك (ملاحظة هذا الأمر)

تتساءل إن كان التنكوس هو نفسه في الحالتين، أعني إذ كان ليس بوسعنا أن نجد أصله في النوى نفسها ثلاثاً. فالشيتان المساويان لشيء ثابت متساويان فيما بينهما - بدهية يمكننا أن نعبر عنها بنقطة التحليل النفسي في مجال «التكافؤ» الجيادي والتفري.

وكانت محاولتي نشد: أ) أن نرعى على وجود مراحل متعدّدة في تطور الأنا، إذ تنوّع على وجه الخصوص بالنوى المبكرة للأنا: ب) أن نقيم ارتباطاً بين هذه المراحل ومجموعة من المظاهر السيكولوجية مرضية (بما فيها، انطلاقاً من هنا، تشكيلة الاضطرابات السيكولوجية الجنسية)؛ ج) أن أراجع، بصورة متوازنة، تأكيداً لهذا الارتباط الرئيس، إلى بعض المراحل في تنبؤ الحصر، والإثمية وأحداث وجدانية أخرى، وإلى بعض الأطوار في تكوّن الموضوعات، وإلى أشكال مختلفة من التكوّن الاستيهامي، وإلى تراتب اللايات الذهنية. وهذه المحاولة، كما ذكرت، كانت فاشلة، في الجزء الأكبر منها، على دراسة عبادة للحالات الانتفاية كالإدمان عنى المخدرات - لاسيّما على الملاحظة التي مفادها أن المدمنين على المخدرات ذوو علاقة عكسية مع بعض الانحرافات بالنظر إلى أن إحدى وظائف الانحرافات تكمن في المساعدة على الاحتفاظ بحسّ الواقع لدى الأنا المتهدّدة، ضمن نطاق معين. وأذكر: تساعد الانحرافات على الاحتفاظ بالدرجة التي يكتسبها الفشل آنفاً من حسّ الواقع بواسطة ما يمثل، في الأجل الطويل، تضحية بحرية الوظيفة الليبديّة الراشدة (الناضجة)؛ في حين أن الأعصاب تتيح على الغالب ضرباً من حرية الوظيفة الليبديّة الراشدة، لقاء بعض من الكفّ في علاقات الواقع؛ وتُظهر الذهان على العكس حرية ظاهرة لوظيفة الليبديّة الراشدة يرافقها اضطراب حطير في حسّ الواقع. وإذا كانت هذه التداوي أو هذه النتائج صحيحة، فنبغي أن يكون ممكناً أن يبرهن على وجود أطوار أكثر وضوحاً في تطور حسّ الواقع (إحدى وظائف الأنا) إذ يستند إلى تطور الانحرافات.

• - معطيات تؤكد النظرية

ولكن الضرورة تنوز مباشرة، ضرورة صياغة تعريف لاخضرار الواقع الطبيعي (الناجم)، وذلك هو ما اقترحت اقتراحاً لا يخفى من بعض التحفظات على النحو التالي: «الاختبار الفعلي لنواجم، تكفل فرد تجاوز عمر البلوغ، بكافى القدرة على الاحتفاظ بانصال نفسي مع الموضوعات التي تشجع إشباع الغريزة، بما في ذلك إشباع الدوافع الطولية، سواء كانت متغيرة أو راسية». ونضيف، على سبيل النتيجة الطبيعية، أن «الموضوعية تكافى القدرة على أن نقيم تقيماً صحيحاً علاقة الاقتراح الدافعي بالموضوع الدافعي، بصورة مستقلة عن أن الأهداف الخاصة للاقتراح تكون مشبعة، أو يمكنها أن تكون مشبعة أو تنتهي، فيما بعد، إلى أن تكون مشبعة». وذلك كان يعني بذوره أن فرض عدد كبير من المراحل في تكون الموضوع كان يمنحنا وسيلة إضافية لتمييز أكبر عدد من المراحل في تكون الأنا.

وفيما يخص مصادر أخرى من التأكيد، وبالنسبة للبحوث المتحصرة على تعددية الأطوار الذهنية، فإنه أمر مسلم به منذ زمن طويل أن العوامل الأقوى - السوي أو المضطرب على حد سواء - في حالة النمو العقلي، يكمن في المشتقات الوجدانية لتفجئات الغريزة؛ وأن مفعول نظم الرعب التي لا تأخذ مفضيات الواقع ماخسبك، على سبيل المثال - لاسيما الناحية عن ارتكاسات سادية أو العدوانية المعادية - يمكنه أن تعدله، في حدود معينة، سيروية إضافة الصفة الليدية. وذلك أمر صحيح على وجه الخصوص بالنسبة للانحرافات، مع أن النظام لا يبلغ دائماً غرضه بالطبع. ولا تغلح الأجهزة الحامية للعصاب، دائماً، في احتلاك الحالة الوجدانية المؤنة (العصابي) الذي أفلح في ذلك بلجاً نادراً إلى التحليل النفسي، إن لم يكن بالنامية، في حالة مرشحين لأن يكونوا محتلين نفسيين في مرحلة التكون). ويبدو، لهذا السبب، أن التسنون، إن كانت الارتكاسات الوجدانية لا يمكنها، هي أيضاً، أن تنقسم على وجه التقريب إلى مراحل، أمر على جانب من الأهمية. فمباشرة تعرف اخالات الوجدانية الكيفي والكمي (إجراءات قياسات

خاصه بكل منهما، وتحديد موقعها في مجموعة تفوقية)، يكون مع الأسف إحدى مهمات التحليل النفسي الأكثر عمراً - عمرة على وجه التقريب بقدر ما يعبر أن تقبس الليبدو والعدوان قياساً كمياً. وتُجرى في بعض الحالات تقديرات تقريبية تبعاً لقوة استنجات الأعراض. ولكن هذه التقديرات معيبة بفعل التغيرات في درجة الكبت - كمية محبوبة.

٦ - واقع الراشد: مكتسب يحفظ تملكته

أضف أننا سنعمل عملنا في انظلام قليلاً أو كثيراً ما دام عامل اندماج الحالات الوجدانية بالمراحل المختلفة لن يكون موضوع دراسة شاملة. ونجد أنفسنا على هذا النحو ملزمين بأن نقيم تميزات تقريبية تبعاً للتناجات الاستيهامية التي تشير إلى درجة النمو التي طرأت بفعل مشتقات تكون الأفكار وتسلسلها لدى الطفل خلال النمو. وذلك يعني أن نفترض، أي كانت القدرة على بلوغ الواقع البدني لدى الطفل الصغير خلال ما اعتقد أن يوسعي أن أسميه أطواره الوظيفية المبكرة وغير المبينة نبياً، أن هذه القدرة قليل إلى أن تكون مدموعة بدمغة الإسهامات البعيدة عن الواقع لآليات الدفاع الأولية. ووسمنا أن نقول، من وجهة النظر هذه، إن المنظور الأصلي لواقع الطفل ينبغي، مع الزمن، أن يُقتطع (يُنقذ، بحرراً) من مجموعة من الارتكاسات البعيدة عن الواقع، وإن الواقع الموضوعي لدى الراشد ليس تماماً ما نتعرفه بوصفه إرث الطفولة، بل هو بالحري ما نحفظ تملكته ونمده، بواسطة الاتزياج، بعد أن يكون قد مر في مصافي الحصر، وإضفاء النصفة اللييدية، ودرجات مختلفة من التصعيد. وخلال نضج الأنا المبكر، ينبغي لها مع ذلك أن تمر بأطوار من النمو والتكامل لا يُحصى الآن عددها. وهذا ما بعدنا إلى النظرية التي مفادها أن الأنا المبكرة ناجمة عن تأنيف نوى الأنا، النوى المستقلة في الأصل. إنه تأنيف مبهم جداً دون شك، ذلك أن ما يميز النمو العقلي يكمن في أن نظمه التي عفا عليها الزمن لا تختفي مع النضج، ولكنها تستمر في وجودها على نحو من الأنحاء (مع الأخذ باحسان وجرود حاحز الكبت) إلى جانب نظم أفضل تكيفاً مع

الواقع - و خلاصة القول إن هذه النظم التي عفا عنها الزمن تحفظ بطلافتها الكامنة طوال حياة الفرد

٧ - من الماء إلى طاحونة الفرعج الحاص بنوى الأنا

يكفي ، فيما يخص مصادر الإعلام في مجال المرحل ، أن نكرر أن من العسير ، جراء وجود النكوص ، والنكبت والتمثيبت ، أن نتوصل إلى اليقين فيما يخص دلالة التكوّنات الاستيهامية . وذلك منوطاً على كل حال ، بتقنيات التفسير التحليلي إلى حد كبير ؛ ذلك أن الأمر الذي لا يتطرق إليه الشك يكمن في أن لاشيء يُذكر باقي ، في أيامنا هذه ، من الإجماع التحليلي النفسي فيما يخص التفسيرات السابقة على ١٩٢٤ . ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذه الصعوبات وضروب التلبس المحتملة الناجمة عن سيورة التكوّن الرمزي ، ليس من المستعذر أن نكوّن ، على نحو إجمالي ، تراثاً للتكوّنات الاستيهامية وأن نستخدمه ، لالعزل الأجزاء المختلفة من جيزر الأنا فحسب ، ولكن لتحدده أيضاً ما إذا كانت هذه الأجزاء قوية قوة كافية بحيث نفتح وجود ضرب من الاستقلال النووي .

وبوسعنا أن نصوغ ملاحظات شبيهة إلى حد كاف فيما يخص تطبيق معرفتنا بالآليات العقلية على تمييز الأنا . وهذا لا يمكنه بالطبع أن ينطبق إلا على الآليات التي تؤثر في بنية الأنا . والسبب أن نسبة ، على الرغم من وجود آليات كثيرة - كالاكتئاب والتوحد - تكون مولدة للأعراض ، بالمعنى السوي للفظة أعراض ، آليات أخرى - كالنكبت ، والإسقاط في نطاق معين - لا تمارس أي تأثير إيجابي على البنية ، في حين أن آليات أخرى تكون أيضاً ، على نحو أساسي ، حركات توظيف أو توظيف مضاد ، حركات صحيح لنا نتجات التكوّن الاستيهامي أن نتكهنها . وبحث المحللون النفسيون غالباً مع ذلك في ربط الآليات احاصة بأطوار خاصة من النمو السوي والمضطرب على حد سواء - أو ، على الأقل ، في تأسيس أولوية للآليات في كل مرحلة ، وهذا كله يجذب الماء ، في رأيي ، إلى طاحونة النظرية تنووية . والكثير من هذه الارتباطات المتقدمة هي تلك التي نبين معنا أنها مفيدة ومحررة .

وعينها الرئيس ناهج عن أن المقصود على وجه الخصوص تقريرات عمامة خائية من كل تفصيل دقيق أو كفاف. انها تتطلب، بكل وضوح، عرضاً مفصلاً.

٨ - الأخذ بالحسبان تجربة النطفل في مجال الإدراك:

أخيراً، يبدو واضحاً، وفق الشرح التوقفي الذي قدمه فرويد للجهاز النفسي وتاريخ تكون الموضوع - مع الأخذ بالحسبان وظائف إدراكية تستثمرها الأنا، لا سيما حين التوقع - أن ليس ثمة بد من وجود علاقة معقولة بين هذه الوظائف ونسق إدراكات العالم الخارجي عندما يشع اهتمام النطفل، الذي تقوده حاجات ومخاوف دافعية. انطلاقاً مما يعلمه الملاحظ أنه «جسم» الفرد - أو، ماخري - مناطق من الجسم ذات أهمية - وانطلاقاً مما يعلمه الملاحظ أنها مصادر عضوية من اللذة واللذة. وهذا الإشعاع نحو الخارج تقوده أيضاً حاجات دافعية ومخاوف من الإحباط ومن الإثارة المعاقبة. وهذه الحاجات والمخاوف هي التي تولد الإدراك الانتقائي لدى النطفل؛ ولو لم تكن هذه هي الحالة، لكان ممكناً أن نتصور أن بوذرات هذا الإشعاع تكون مجموعة من الدوائر المتحدة المركز. وينبغي بالطبع أن نأخذ بالحسبان عمل الآليات العنقية الوظيفية التوجهة نحو الخارج - كالإسقاط - التي تميل إلى أن تجعل الصورة مضطربة وتشوشها، كما يفعل الميل إلى التكوين الرمزي. وإلا، فإن المسؤول عن المحذور الرئيس لهذه المقاربة، مقاربة الأنا، سيكون الملاحظ المحلل الراشد الذي يفرغ، إذ ينسى على سبيل المثال أن النطفل بالنسبة لنطفل «مشخص» شأنه شأن الموضوع الذي يسقطه، إلى أن يفرض على النظام الطبيعي لدى النطفل نظاماً راشداً في مجاز الاهتمام والتجربة الإدراكيين. وهذا الخطأ، المستر بقدر ما هو غيبي، الناهج في الجزء الأكبر منه عن عادة ما يسمى -ruckphan-lusteren) أن ننسب إلى النطفل نتائج تجربة متقدمة للبيئة، أو نفل إلى أنا النطفل بعض اتوجهات من أننا الخاصة الراشدة - وهو خطأ لا يدركه الأطفال^(٩) ذي

(٩) الأخذ هنا على أنه لا ملاحظ أن «سجور» على «نطفل» الحصة أيضاً تعلق بالوقفة

عضوية النطفة دور أو غير دور - حالة ناهج بواسطة الأنا - من وجهة نظر أي. جرابي في التحليل

العلاقة بالليل الذي أسهم ، أكثر من أي شيء آخر ، في أن يعيب الجهود الهادفة إلى صرب من إعادة تكوين فرضي للحياة العقلية المتكثرة ، وتكون مع ذلك ، كما نبين بوصوح دراسة الفينيتيشية وظاهرات من النسق نفسه ، دراسة النمو الإدراكي ، المحققة وفق الأصول - ذلك أن المقصود بصورة أساسية ، بالنسبة لغالبية الدراسات من النسق السلوكي - متجماً مفيداً للدراسة الآن النظرية ولأجزائها الكثيرة .

٩ - تجنب التبسيط في تصور تطور الأنا

أخضت إخفاً طويلاً جداً على هذا الجانب الخاص من المسألة . هادفاً لا إلى أن أذكر وأجمع متى الزوايا التي نجد أن من الضروري أن يدرس منها مشكل نمايزات الأنا فحسب ، بل أن أذكر وأجمع بعض الصعوبات التي ينبغي أن نتجاوزها عندما نعكف على مفهوم كمفهوم بوى الأنا . وإذا استأنفت بعض المصطلحات الأقدم - كما ابتكرها المحللون النفسيون ويستخدمونها أيضاً (مع أنها لا تدخل في الوقت الراهن من الغطسة) - فإنه يبدو بوضوح أن تعبيرات ، على سبيل المثال ، كـ «الحفدة اللاشعورية» ، أو حتى «الكوكبية قبل الشعورية» ، تشمل تجمعاً من العوامل والكلمات توحى بذلك على نحو مؤكد ، ولكن دون أن نذكر بوصوح أن العوامل هي من طبيعة مختلفة : إن أجزاءها المكونة لا تبدأ هي أن تبرر إلا عندما نطبق عليها الأنظمة الميتاسيكولوجية . والأمر نفسه ينطبق على طرائق البحث . وفي رأي أن الميتاسيكولوجيا أداة جيدة جداً لعرض معاهيم لا يمكن أن يُنظر إليها من زاوية واحدة ، وذلك أمر بهمه إهمالاً شتتاً مؤلفو الكتابات النظرية ، والعيادية في بعض الأحيان . والأمر الذي لا يمكن تجنبه مع ذلك هو أن المنظورات تتداخل ، أو تكون فقط أنحاء ، مختلفة في مقارنة قاعية عقلية واحدة . فكل العوامل تلتقي ومن التصوية أن نحافظ على انفصالها ، حتى لأهداف العرض الاعتبارية بعض الشيء .

وحدوت ، من حية أخرى ، أن ألفت النظر إلى مختلف الأخصاء المركبة المقصود ، على وجه العموم ، نهوج مرتبة في مجال الاستدلال أو إنشاء غير كاف

موجهة إلى تفصيلات عند عرض الدعوى. وحاولت أن أصحح هذه الأخطاء خلال عرضي. ولن أتكلم إلا على تصحيح رئيس، تجنباً لتكرار الأقوال غير المفيدة. إنني مفتنح، منذ عدة سنين، أن النهج الذي يكمن في إجمال المراحل لتطور الآن وتطور الليبندو، كذلك تعلقاتها بتراتب الاضطرابات العيادية، غير كاف إلى الحد الأقصى، مبسط، وخادع في بعض الأحيان. وينبغي، حتى نعالج هذه المسألة معالجة صحيحة، إما أن نوضع رومة من الرسوم التخطيطية نخل جوانبها المختلفة، وإما أن نوضع رسم بياني أكثر وضوحاً وذا أعداد كبيرة، يوضح ارتباطات عوامل مختلفة موصولة بتخطيطية مركزية للأنا. والحل الأول سيكون، ربما، متعباً ومملأً في حين أن الثاني قد يتعرض إلى أن يغرق في عدم الفهم أو المضحك. فالرسوم التخطيطية لدى علماء الأعصاب التي تنصب على تشريح الدماغ لا تتميز بالتأكيد ببساطتها؛ ولا يعترف عالم الأعصاب الفيزيولوجي، ولا عالم الأعصاب الباثولوجي أمام الضرورة لتعدد المصطلحات وإعدادها، شريطة بالطبع أن تكون هذه المصطلحات محددة حسب الأصول ومشرحة. وقد يحدث يوماً أن يكون مسموحاً لعالم النفس - الذي يجد نفسه في الخفية أمام تعذر أن يصور التبية العقلية تصويراً قهراً جغرافياً - أن يوسع ما لا يكون، بعد كل شيء، سوى مفهوم يصلح لكل مناسبة؛ شريطة دائماً، بالتأكيد، أن لا تكون العناصر المرئية المستخدمة في العرض ممكنة الفهم فحسب، ولكنها مرفقة أيضاً بتعريف صحيح للمصطلحات المستخدمة. وانواق أن مصطلحات التحليل النفسي، على الرغم من تعقدها الطاهر، فقيرة وتم نكن بعد، في حالات عديدة، قد حذت تحديداً واضعاً.

١٠ - فكرة مهجورة ثم مستأنفة

ملاحظة التقرير السابق يستند إلى مقالا نشرت بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٣. وخلال السنوات الإحدى عشرة التي تلت، لم أبحث في إحصاء المفهوم الخاص بوني الأما. ولا في تطبيقه على مشكلات أخرى من النمو السوي أو النسيكولوجي المرضي. وأدبت بصورة معزلة، خلالها، بعض الإذاعات الموجزة في بعض

المقالات التي تناولت مبادئ التحليل النفسي في الطب النفسي (١٩٣٥) ودراسة
 نحو الأعمى الوسواسية. وحاويلت عام ١٩٣٨، في مقال تناول التحليل النفسي
 للحالات الوجدانية، مع أنني لم أشير أية إشارة إلى مفهوم نوي الأنا، أن أضع
 تصنيفاً واسعاً لحالات الوجدانية، إذ عكفت بصورة خاصة على الحالات
 الوجدانية «المختلطة» و«ظاهرة» «انصهار» الحالات الوجدانية، إذ ربطت هذه الفئات
 بحالات نفسية مرضية خاصة ويتجرب وضروب من تكوين الأفكار اللاشعورية
 الخاصة بالمراحل المختلفة للنمو^(١١٠). ويانظر إلي أن هذه الأعمى لم تكن تتضمن
 أي مقارنة جديدة للمألة، فإني امتنعت عن أن أتكلّم عليها في هذا الكتاب
 الحالي. ولم أتهد فرصاً نشر مقال جديد عن هذا الموضوع إلا عام ١٩٤٣^(١١١)

إدوار غلوفر

ترجمة عن الانجليزية من .م. أيليرا

*

(١١٠) - انظر أيضاً المقاطع من ولادة الأمانات المتعلقة بتحويل الوجدانية والذلات التي توطينها كقوليات
 الأنا، مرجع مذکور سابقاً، من ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٨،
 (١١١) - من كتابي، وجاء أن نشر من أن نوساط التحليل النفسي له عرّض، خلال الترجمة المرسومة،
 إلا قبلاً من الحالات من هذه المسمى النوية، التي يمكن أن يكون لها، أحياناً، واتصاف تجربة
 مشددة، و«حسناً» بعد تسيطر المشددة، وحسب لفصاحة المثلثية من الخبرة، فمن متبذرة لأنها
 كبح طمس حدها، من حسنة من حيث انها تدفع من أن يتصرف في حيث تكون مقارنت أصوات ما يمكن
 أن تكون

الفصل الثالث

ثالوث الأنا

مقدمة

رونالد د. فيريرن محلّل إيكوسي مارس التحليل النفسي في إيدامبرغ^(١) خلال سنين طويلة. ويصرن فيها نصوّرات أصيلة، قائمة على دراسة العلاقات بالموضوع. وفي رأيه أن اللببيدو هو، في الواقع، باحث بصورة أساسية عن الموضوعات قبل أن يتشدّ اللذة. وهدفه في رأي فرويد، بالمقابل، هو تفريغ الشحنة قبل كل شيء؛ ولهذا السبب يكون الموضوع طارئاً، أي متشوّداً بهدف الإشباع، بل قابلاً للتبادل في بعض الحالات، بما في ذلك مع جزء من الجسم الخاصر. ونجد إيانة رائعة لهذه الظاهرة في القلمة الذاتية، حيث يمكن أن ينوب الإبهام عناب الثدي. وتقود فكرة لببيدو متوجّه بدنياً نحو الموضوع فيريرن إلى تعديل نظرية الأنا بعمق بالنسبة لما هو مقبول كلاسيكياً.

وهكذا، ينتهي فيريرن إلى أن يعتبر أن السيوروات لا يحكمها بصورة أوّلية مبدأ اللذة، بل يحكمها مبدأ الواقع، وتتجم مراجع الجهاز النفسي قبل كل شيء، عن العلاقات بالموضوعات المستدخلة، إنه يعدل نظرية فرويد البنوية إن يدمج الهو بالأنا.

(١) انظر تراجل الليبدا (جزء: الثاني، الفصل الثاني، من الحجم مع نفسها)

ويعتبر السلوك الفموي الأبركر لدى الطفل، في المنظور نفسه، بوصفه متوجّهاً منذ البداية نحو الثدي وليس نحو تسكين الجوع: فلن يكون مبدأ اللذة سوى بديل لمبدأ الواقع أمام إخفاق البحث عن الموضوع. ذلك أن هذا البحث يقتضي في الوقت نفسه، إذا كان أولياً، استخداماً مباشراً لمبدأ الواقع، لأن الفرد لا يبحث عن تفريغ أي لشحنة توتراته (وفق مبدأ اللذة)، بل عن تفريغ شحنة موضوع يمكنه أن يستجيب لحاجته. وينطوي هذا الفرض، دفعة واحدة، على توجه، على الأقل، نحو الدروب اللتوية. والتلمّسات، وضروب التأجيل لمبدأ الواقع، إن لم تنطو على قابلية لهذه الأمور.

وينجم عن ذلك أيضاً إعادة نظر في ماهية الكبت. وفي رأي فيربرون أن الكبت لا يمارس مفعوله ممارسة أساسية على دوافع الهو، كما تذكر النظرية الفرويدية، ولكن على الموضوعات المستندقة عندما تُعاش بوصفها «رديئة». والكبت موجه، على النحو نفسه، ضد أجزاء الأنا التي تبحث عن إقامة علاقات مع هذه الموضوعات الداخلية الرديئة. فالأنا تكبت نفسها في هذا المنظور.

ذلك أن فيربرون ينتهي إلى أن يتصوّر أن جزءاً من الأنا يكبت جزءاً آخر، بحيث يفصلها إلى ثلاث «قطع»: الأنا المركزية، الأنا الليبيدية وما نسبته المخرب الداخلي. ويقارن فيربرون هنا بنية الخاصة بالجهاز النفسي بالبنية التي حددها فرويد. والأنا المركزية لديه تتميز من الأنا الفرويدية بأنها ليست ضرباً من تمايز الهو، ولكنها تحتوي هذا الهو. إنها، أخيراً، بنية أولية ودينامية تُشتقّ منها البنيات الأخرى.

وه الأنا الليبيدية، تطابق الهو الفرويدي. وإذا كانت أنا الواقعية الثانية مشتقة من الهو، فإن الأنا الليبيدية ناجمة مع ذلك عن الأنا المركزية

ونقول أخيراً إن «المخرب الداخلي» لا يمثل الأنا العليا، لأنه في كليته بنية من الأنا ولأنه يخلو من كل دلالة أخلاقية وإذا بهجر فيربرون مفهوم الهو، فإنه يحتفظ بمفهوم الأنا العليا إن الإثمية تنجم على وجه الدقة عن هذه الأنا العليا.

وتبدو الأنا العليا مع تلك ذات درجة من التنظيم النفسي تفوق درجة التنظيم لدى
المخرب الداخلي

وليست هذه التصورات المستندة إلى مثل عيادي «مخالفة» كليا لأفكار
فرويد. فكل شيء يحدث في الحقيقة كما لو أن فيريبرن كان قد دفع إلى نتائجها
الأخيرة تلك الفكرة، الموجودة لدى فرويد، فكرة عجز الطفل وبؤسه الأوليين،
الناجمين عن تضجعه البيولوجي قبل الأوان، وعن تبعيته للموضوعات التي لاغنى
عنها لبقائه حياً، تبعية تميز الطفل الإنساني من الطفل الحيواني.

النص

حاولت، في مقال هو الآن قديم، أن أصوغ نسخة جديدة من نظرية الليبيدو
وأن أرسم رسماً توكياً تلك السمات العامة التي تبدو أنها سمات ميكولوجيا مرضية
قائمة على هذه الصبغة الجديدة. وبحسب المفهوم الأساسي الذي كنت قد اقترحت
في ذلك الزمن - وأتسك به دائماً - بكون الليبيدو متوجهاً بصورة أساسية نحو
البحث عن الموضوعات (بدلاً من البحث عن الملذات كما تذكر النظرية الكلاسيكية)؛
ففي اضطرابات العلاقات بالموضوعات لدى الأنا السائرة في درب النمو إنما يتبني
لنا إذن أن نبحث، في نهاية المطاف، عن أصل الحالات النفسية المرضية كلها. وفي
رأيي أن هذا المفهوم ليس أقرب إلى الواقع السكولوجي والإعلام العيادي من
نظرية الليبيدو التي أرسها فرويد فحسب، بل يكون، فضلاً عن ذلك، المأزق
المنطقي، ما ل الحائز الرهبة لفكر التحليل النفسي، وهو أيضاً نهج ضروري لنمو
نظرية التحليل النفسي. ويبدو لي، على وجه الخصوص، أن هذا المفهوم يعجم
حتماً عن المفهوم، مفهوم بوضوح استندخل الموضوعات، الذي عرفته ميلاي
كلاين عرصاً مفصلاً على نحو مشر إلى اخذ الأوصى، ولكن أصله العلمي يكمن
في نظرية فرويد ولأننا العليا (بنية نفسية داخلية كان فرويد قد تصورهما،
بالتأكيد، بوصفها سمات استندخل الموضوعات).

ثمة، ربما، مجال لوثقده، إذا تجاوزنا الملاحظات التي قدمتها في مقالتي الأولى والأدلة الأخرى التي يمكن أن نستند إليها. أن الاجتفاف السيكولوجي للموضوعات، ولا سيما المحافظة على الموضوعات انجنافة في الواقع اندخلي، هما سيرورتان تطويان. جرأه طبيعتهما نفسها، على أن لليبيدو نوجهها نحو الموضوعات بصورة أساسية؛ ذلك أن مجرد حضور الافتراحات الدفاعية الضمنية لا تكون كافية في ذاتها لتشرح التعلُّق البارز جداً بالموضوعات التي تتيح هذه الظواهر افتراضها. ويبدو أن استنتاجاً من النسق نفسه ينجم عن أن وضعاً أوديبياً يمكنه أن يدوم في اللاشعور، ذلك أن التعلُّق المستمر بموضوع يكون مذهب هذا الوضع نفسها. فنظرياً استدخال الموضوعات كانت موضع الإرضان مع ذلك دون أن يتدخل أي تعديل ذي أهمية على نظرية الليبيدو، نظرية ثمة مجال للاعتقاد بأنها غير متلائمة مع النظرية الأولى. ولم يعتقد فرويد نفسه قط مناسباً أن يباشر ضرباً من إعادة النظر المنهجية لنظريته الأولى في الليبيدو، حتى بعد أن أدخل الأنا العليا. وثمة في الوقت نفسه مقاطع لأبحصى عددها في مؤلفاته، حيث يبدو بدهماً أن الليبيدو متوجه بصورة أساسية نحو البحث عن الموضوعات. ومن المؤكد أن المرء يمكنه أن يكتشف بعض المقاطع حيث تصبح هذه الفكرة الضمنية صريحة. مثال ذلك عندما يصرح بكل بساطة: «الحب يبحث عن موضوعات»^{١١}. وهذا التصريح يمثل في مقطع حيث يكتب، إذ يشير إلى نظريته الأولى في الدوافع، سابلي: «هكذا بدأ التباين للمرة الأولى بين دوافع الأنا ودوافع الموضوعات. وأدخنت، للدلالة على طاقات هذه الدوافع الأخيرة وحدها، مصطلح ليبيدو، وتكون عندئذ ضرب من قبض الدعوى بين دوافع الأنا والدوافع الليبيدوية المتوجهة نحو الموضوعات»^{١٢}. فالتمييز بين هاتين الفئتين من الدوافع كان، كما يذكر فرويد، قد أشمل عند إدخال مفهوم الترجسية، أي الفكرة التي مفادها أن الليبيدو يوظف الأنا

(٢١) عمر في المحاضرة، منشورات اتحادية الفرنسية، ١٩٧٠.

نفسياً، ولكن لا يبدو ثورياً جداً، في ضوء الاستشهاد الذي قدمناه، أن نرغم أن
الليبدو متوجه بصورة أساسية نحو البحث عن الموضوعات، خاصة. كما قلت في
مفاتيح الأول. إذا تصورنا الترجحية حاله تتحائل فيها الأنا مع الموضوعات^{١٣٢}.

٢- فرض قد يلغى صعوبة التحليل النفسي

التركيز المتنامي لبحث التحليل النفسي على العلاقات بالموضوعات لم يغيّر
شيئاً مع ذلك هي النظرية البدئية التي مفادها أن الليبدو متوجه بصورة أساسية نحو
البحث عن اللذة ولا في الفكرة المدحقة كذلك، التي ترى أن سبب الضرورات
النفسية يحكمها ألياً مبدأ اللذة (فرويد ١٩٢٠)^{١٣٣}. وأتاح دوماً هذه الفكرة ظهور
مشكلات شتى ربما يكون حلّها أكثر سهولة على نحو آخر. وأحد هذه المشكلات
الترئيسة هو المشكل الذي شكف فرويد على حته في «ما وراء مبدأ اللذة» (١٩٢٠)
ويكمن في معرفة السبب الذي يدفع العصائين إلى أن يظلوا متعلقين بنجاربهم
المؤلمة. إن الصعوبة الكامنة في شرح هذه الظاهرة وفقاً لمبدأ اللذة، هي التي قادت
فرويد إلى أن يحسمها معتمداً على مفهوم التكرار^{١٣٤}. وإذا اعتبرنا مع ذلك أن
الليبدو متوجه بصورة أساسية نحو البحث عن الموضوعات، فليس ثمة مجال
لنحو، إلى هذا الاصطناع؛ والتي بيّنت في مقال أحدث (١٩٤٣) كيف أن الميل إلى
التمسك بنجارب مؤلمة يمكنه أن يشرح تبعاً للعلاقات بموضوعات سيئة. وحاولت
أن أرين أيضاً، في هذا المقال نفسه، كيف أن الصعوبات التي سببها مفهوم «دوافع
الموت» الأولى (المتعارضة مع مفهوم ميل عدواني أولي) يمكن أن تنجّبها إذا أخذنا
بالحساب كل ما تنطوي عليه العلاقات بموضوعات سيئة.

(١٣٢) لا يوجد دليل قاطع، كما هو الحال مع هذا الافتراض، تتعارض بين الفكرة التي مفادها أن الليبدو متوجه
نحو موضوعات ومفهومه ثم طيف الأنا لليبدو، ذلك أن من المتعذر دائماً
أن تعامل سوء من الأنا جزئياً نحو موضوعات مؤلمة وذلك إمكاناً ليس وسعياً أبداً أن نعلمه في ضوء
ما سي عرضنا في الآتي

(١٣٣) «مبدأ اللذة» في معارضة في التحليل النفسي، باريس، يونيو، ١٩٢٠

٣ - نظريات الدوافع حدودها

الواقع أن الموضوع الخاص بـ «العلاقة بالموضوعات»، الذي كنت مسوقاً إلى أن أتساءله نتيجة محاولة فرضتها النظر وف، محاولة نسطد تكويين فكرة أكثر كدالاً لمشكلات كان بعض المرضى ذوي الاتجاهات الشبيهة بالعصامية قد طرحوها، أي فئة من الأفراد تكون علاقتهم بالموضوعات صعبة على نحو خاص؛ وهنا أتجرؤ على القول، بين معترضين، إن البحث التحليلي النفسي في أطواره الأكثر حداثة علمي، في رأيي، مغالاة في الاهتمام الموجه إلى شكل الاكتئاب الموساوي. وقبل أن أتوصل إلى هذه النتيجة، كانت مع ذلك حدود سيكولوجيا الاقتراحات الدفاعية قد أفننتني على وجه العموم وكنت قد أصبحت مرتاباً، مهما كان ارتياحي قليلاً، فيما يخص التبيعة الشارحة لكل نظريات الدوافع التي مفادها أن الدوافع كانت موجودة بذاتها. ومن الممكن أن نغس بزصبنا حدود سيكولوجيا الاقتراحات الدفاعية في المجال العلاجي؛ لأن أمر الكشف إلى المرض، بواسطة تحليل شاق، عن طبيعة «اقتراحات الدفاعية» إذا كان شيئاً، فإن أمر منحه الوسائل لمعرفة ما يفعل بهذه الاقتراحات شيء آخر. وما سيفعل فرد بمقتراحات الدفاعية بتعلق بالتأكيد بعلاقاته بالموضوعات. وذلك بتوقف أيضاً على شخصيته. ولكن مشكلات الشخصية (كل عامل فريد تكويين يوضع على حدة) ترتبط هي نفسها بعلاقات الأنا بموضوعاتها المستدخلة - أو ترتبط، كما أفضل أن أقول لأسباب سأذكرها في الحال - بعلاقات الأجزاء المختلفة للأنا بموضوعاتها المستدخلة، وبالعلاقات التي توحد بين هذه الأجزاء بوصفها موضوعات. ونقول بعسارة أخرى إن لا يمكننا أن ننظر إلى الاقتراحات الدفاعية بصورة مستقلة عن البنيات النفسية الداخلية التي تقدم لها الطاقة هذه الاقتراحات، ولا عن العلاقات بالموضوعات التي تتيح لهذه البنيات أن تتأسس؛ ولا يمكن كذلك للدوافع أن ينظر إليها نظرة مفيدة إلا بوصفها أشكال طاقة تكون ديناميك هذه البنيات النفسية الداخلية.

من وجهة النظر العملية، وفي مجال العلاج النفسي، بين تحليل الاقتراحات الدفاعية، إذا نظرنا إليها بصورة مستقلة عن البنات، أنه أسلوب عظيم على نحو مريد، لا سيما في حالات الأمراض ذات الاتهامات الشبهه بالعصامية البارزة جداً، ويسهل جداً في بعض الأحيان أن تحرر، بواسطة تفسيرات صريحة، وعلى نحو حصري على وجه التقريب، وتبعاً للاقتراحات الدفاعية، ميلاً من الترابطات بين الأفكار (بشكل استيهامات سادية قموية على سبيل المثال) تحدث تطبيقاً قوياً بوصفها تحليات اللاشعور، ولكنها يمكنها أن تدوم زمناً غير محدود، دون أوهى تقدم نحو تكامل ودون أوهى تطور علاجي ذي أهمية. وهذه الظاهرة يمكن أن يترجمها واقع مفاده أن الأنا (أو الأنا المركبة، وهو مصطلح أفضله) لا تشارك في الاستيهامات الموصوفة إن لم يكن من أجل تمويتها. فالأنا المركبة تتصرف، في هذا النوع من الوضع، بوصفها، إذا جاز الشئ، مشاهدًا ونصف ضروب الدراما التي تمثل على مسرح الواقع الداخلي دون أن تشارك فيها حقاً. وهي تستمد في الوقت نفسه إشباعاً كبيراً جراء موقفها الملفت لانتباه، موقف الشاهد، الذي يتيح لها أن تتوحد بالمثل بصفته ملاحظاً، إذا تؤكد في الوقت نفسه نفوقها عليه، على مجرد الملاحظ، جراء كونها لا تكتفي بأن تلاحظ، ولكنها تقدم، بالإضافة إلى ذلك، مادة موضوع الملاحظة. ويكون هذا الأسلوب تقنية دفاعية حقيقية رائعة. لا يميل الأفراد شبه العصامين إلى اللجوء إليه في أفضل الحالات - فنقل محاولة لا تقاوم عمى وجه التقريب عندما تكون تفسيرات الممثل تعبر تعبيراً حصرياً جداً تبعاً للاقتراحات الدفاعية. وتقدم مثل هذه التقنية للمريض أفضل وسيلة ليتجنب المشكل العلاجي الأساسي، أي كيف يحرر هذه الشخصيات الدينامية، باسم مقترحات دفاعية، في إطار الواقع. والمقصود بوضوح مشكل العلاقات بالرموزات في نخب النظام الاجتماعي.

٥ - حالة عيادية توضح بانفصال حدود نظرية

أطروحتي، فيما يخص قصور سيكولوجيا الاقتراحات الدفاعية، يمكن أن توصلها بالمشاكل حالة من الحالات التي ولدت أرائتي الراحة. وكانت هذه الحالة حالة امرأة ذات سمات شبيه فصامية، موجودة جرأ، أعراض رهابية وهستيرية بارزة جداً، وحصر محتم أيضاً كان يسود اللوحة العيادية. وكان كتبها متناسباً مع درجة كبيرة من التوتر الليبدي غير المحرر. وعندما كان هذا التوتر الليبدي ينبعث، خلال جلسة، لم يكن نادراً أن تشكو من ألم في قلبها. وهذا الانطباع بالعين كان يكون، دون ريب، ظاهرة تحويل ناجمة عن موقفها من أمها ومن شديها، موقف متأق بأبها وعضو الذكر لديه، إذ يكون كل ذلك موضوعات مستدحلة؛ وكان ذلك كله يمكنه أن يفسر بسهولة تبعاً للاقتراحات الدفاعية الفموية، من حيث أن كل الترابطات بين أفكارها كانت تسيّر، منذ البداية، بمادة فموية كبيرة فدلالة غيابها الرئيسية كانت تبدو متأثرة بنسب ليبيدي على ندي الأم من جهة، ومن جهة ثانية بموقف رفض الموضوع حاجتها الليبدي. والحقيقة أن فموية ارتكاسها كانت بالتأكيد مرتبطة بكتب خطير لجسيتها التامسية؛ وربما كانت على صواب في أن تفترض - كما فعلت في عدة مناسبات - أنها ستكون باردة في علاقات جنسية محتملة، مع أن صوابية هذا الافتراض لم تكن قط قد تحققت. ويبدو معاً أن صعوبة الاضطلاع بموقف تاملي بشرح رفضها عضو الذكر لأبيها أفضل مما يشرحها تثبيت على مرحلة فموية؛ وهذا الرفض مبني، في جزء منه، على توحد هذا الموضوع بالندي السبي، وعلى تثبيت تفضيلي على السبي، في جزء آخر منه، وعلى، في جزء ثالث، صفة أبيها السيئة من الناحية الانفعالية، بوصفه موضوعاً كلياً. وكانت كفة الميراث تحمل أقل لفصلحة موقف تاملي جرء، كون الموقف الفموي ينطوي على التزام أوسع بالموضوع، مع منح سلطة كبيرة جداً على هذا الموضوع. ولم يكن من النادر أن تقول المريضة نفسها، خلال جلسة، «بحاجة إلي أن أذهب بنى المرحاض». وهذا التصريح كان للمرة الأولى ذات دلالة حرفية؛ ولكنه فيما بعد، خلال التحليل، انتهى أكثر فأكثر إلى أن يدل على أبيه كانت تشعر برغبة في أن تعبر عن عواطفها

الليبيدية التي جسيها وضع التحويل . وهنا أيضاً ، لم يكن في طبيعة الاقتراح اندامي المعنى ، المنظور إليه بوصفه مرحلة (مرحلة بولية وشرجية هذه المرة) ، إنما تكمن الدلالة الأساسية لهذه الظاهرة إنها كانت ترتبط بالحوري بنوعية العلاقة بالموضوع المعنى . فـ «الذهاب إلى المرحاض» ، كذلك «الإصابة بالغثيان» ، كان يمثل دون ريب نبذ الموضوع الليبيدي المنظور إليه بوصفه محتوى . وذلك كان يعني مع ذلك ، صفة بـ «الإصابة بالغثيان» ، درجة أضعف من النبذ ؛ ذلك أن تفرغ المحتوى ، مع أن المقصود في الحالتين تفرغ نفسي للتوتر الليبيدي ، الذي يمتد «الذهاب إلى المرحاض» بوصفه تفرغاً لمحتوى مثيل - كان يشير إلى إرادة تفضلي لتعبير عن عواطف ليبيدية تجاه موضوع خارجي ، دون التوصل مع ذلك إلى التفرغ المباشر لعاطفة إزاء موضوع يميز الاتجاه التناسلي .

٦ - هذه الاقتراحات الدافعية التي نشط الأنا

الصحة العلمية لنظرية سيكولوجية لا يمكن بالتأكيد أن ينظر إليها فقط تبعاً للنجاح أو الإخفاق العلاجي النفسي ؛ ذلك أن الأهمية العلمية للنتائج العلاجية لا يمكننا أن نحكم عليها إلا عندما نعلم على وجه الضبط كيف كان الحصول عليها قد جرى . وسيكولوجيا الاقتراحات الدافعية لا يمكن أن تُعد أنها تشكل استثناء من هذه القاعدة العامة ؛ ولكن الأمر ذا الدلالة ، فيما يخص التحليل النفسي ، أن من المقبول الآن على وجه العموم أن النتائج العلاجية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظاهرة التحويل ، أي أن المريض يقيم علاقة بالموضوع خاصة ، علاقة بالمحلل . ومن المقبول على نحو رائج ، من جهة أخرى ، فيما يخص تقنية التحليل النفسي ، أن على المحلل أن يبدو متحفظاً إلى حد غير مأتوف . ولديه أسباب سليمة ليفعل ذلك كما نعلم ؛ ولكن من المحتم أن يكون مفعول ذلك جعل العلاقة بالموضوع بين المحلل والمريض وحيدة الجانب بعض الشيء ، من وجهة نظر المريض ، وذلك أمر يتجبع المقاومة . فبعض من وحدة الجانب في علاقة المريض - المحلل أمر بلازم لوضع التحليلي بالتأكيد ، ولكن يبدو أن جهداً كبيراً يكون مفروضاً عندئذ على المريض فيما يخص قدرته على إقامة علاقات بالموضوعات مرضية (قدرة يمكننا أن

نعدّها الآن موضع شبهة منذ أن يكون المقصود مرصفاً) عندما يكون تحفظ المحلل مضافاً مع عطف من التفسير قائم على ضرب من سيكولوجيا الاقتراحات الدفاعية . والمرضى خاضع ، من جهة أخرى ، إلى غواية كبيرة مفادها أن يتبنى - بين آليات دفاع أخرى - آلية دفاع ألقاها إليها من قبل ، أي التغطية الكامنة في وصف متشاهد يجري قتلها على خشبات مسرح النواقيع الداخلي ، دون أن تشارك الأنا المركزية مشتركة ذات دلالة ، سواء في مثل هذه المشاهد أو في علاقة بالموضوع فعلية مع التحلل . قال لي يوماً من الأيام أحد مرصاي ، صانع خبير ، بعد أن قدم وصفاً فكرياً كاملاً لحالة التوتّر الدفاعي التي كانت سائدة لديه ، حسن ، ماذا ستفعل فيما يخصّ هذا الموضوع ؟^{١٩} شرحت له ، على سبيل جواب ، أن المهم كان أن نعرف ماذا كان سيفعل هو فيما يخصّ هذا الموضوع . وبذاته هذا الجواب مربكاً إلى حد أقصى ، فلم يكن لديه مع ذلك هدف آخر . وكان الجواب مربكاً لأنه كان قد وضعه فجأة أمام مشكل حقيقي من التحليل ومن حياته . فما سيفعل فرد بتوتره الدفاعي يتوقف بوضوح ، كما قلنا ، على علاقته بالموضوعات ، وعلى شخصيته أيضاً لأن نمة بالضرورة ، هي علاقة بموضوع . ذاتاً فضلاً عن الموضوع . ونقدنا العلامات بالموضوعات على هذا النحو - بصورة حتمية ، إلى أن نعتقد أن من المتعذر أيضاً ، إذا كان من المتعذر أن ننظر في الاقتراحات الدفاعية بصورة معزولة عن الموضوعات الخارجية أو الداخلية ، أن ننظر إلى هذه الاقتراحات بصورة معزولة عن بنات الأنا ومن المؤكد أيضاً أن النظر إلى الاقتراحات الدفاعية بصورة معزولة عن بنات الأنا أكثر تعذراً لأن بنات الأنا هي وحدها التي تكفيها أن تبحث عن أن يكون لها علاقات بالموضوعات . ونحن نجد أنفسنا على هذا النحو نعود إلى التمسك التي لاحظناها من قبل . نتيجة ليست الاقتراحات الدفاعية وفقاً لها إلا الجانب الدينامي من البنات النفسية الداخلية ولا يمكنها أن تُعدّ موجودة في حال غياب هذه البنات ، أي كانت درجة عدم نضجها . وثمة مجال ، في نهاية المطاف ، لا تفرص الاقتراحات الدفاعية . بكل بساطة ، أشكالاً من المعادية تمثّل الحياة نفسها ، حياة بنات الأنا .

٧ - مبدأ اللذة: ضرب من إخفاق مبدأ الواقع

من الواضح ، ما إن نوصّل إلى النتيجة المشار إليها أعلاه^{١٥} ، أن يكون علينا إعادة النظر في نظريتنا لتجهاز النفسي ، والمعصود ، على وجه الخصوص ، أن ننظر إلى أي حد يمكننا الاحتفاظ بالوصف الثغري ويدي للنسبة النفسية ، نعمًا للهو والأنا والأنا العليا ، دون تعديل . ومن الواضح أن وضع الهوس سيكون الأول موضع الاهتمام منذ أن يُطرح السؤال ؛ فإذا كان صحيحاً أن أي اقتراح دفاعي لا يمكنه أن يعدّ موجوداً حال غياب نسبة الأنا ، فإنه لم يعد ممكناً أن نحفظ بأوهي تمييز بين الهو والأنا . وعلى التصوّر الثغري ويدي لأصل الأنا ، بوصفها بنية تنمو على سطح النفس لتنظيم دوافع الهو وفقاً للواقع ، أن تخلي المكان إلى تصور للأنا ، مصدر التوتر الدفاعي منذ البداية . وهذا التضمين ، تضمين الهو في الأنا ، لا يمكن بالطبع نظرية فرويد له الوظيفة التي مارسها الأنا في تنظيم تفرغ التوتر الدفاعي ، طبقاً للواقع الخارجي . وهذا التضمين يطوي مع ذلك على الفكرة التي مفادها أن الافتراضات الدفاعية تتوجّه نحو الخارج ويحددها معنى هذا النحو ، منذ البداية تماماً ، مبدأ الواقع ؛ في بعض الحدود . وهكذا سيكون السلوك الفسوي الأبعد لدى الطفل على سبيل المثال معدوداً أنه موجه نحو الثدي منذ البداية . وسيكف مبدأ اللذة ، طبقاً لوجهة النظر هذه ، أن يعدّ مبدأ أساسياً للسلوك ، ويستهي إلى النظر إليه أنه مبدأ ثانوي للسلوك . ينطوي على إفقار للعلاقات بالموضوعات ويعمل بصورة متناسبة على إخفاق مبدأ الواقع . سواء كان هذا الإخفاق ناجماً عن عدم النصح في بنية الأنا أو عن قصور نحوها . وبدلاً من أن نتساءل في أي حدود يعمل مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة ، مستساءل في أي حدود يتهدم ضرب من مبدأ الواقع - غير الناصح في الأصل - نحو النصح ؛ وبدلاً من أن نتساءل عن قدرة الأنا على تنظيم دوافع الهو طبقاً

^{١٥} انظر الآن ، صوره مصويه ، أن بعض النتائج المتحصلة في هذا العمل والعقد النفسي من المقارن الحشري . كانت مبرهنة من قبل في هذا النوع - عناصر تحليل بريس في حدود - ١٩٣١ - ص ١٠٠ . انظر ص ١٠٠ ، ١٩٣١ ، وانظر في العمل الحشري .

لواقع ، مستساءل في أي حدود يكون بنية الأنا، التي يسعها التوحد الدفاعي في
تكتفها، منطقتة وفقاً لبدأ الواقع أو، في حال غياب التنظيم، في أي حدود لجأت إلى
مبدأ اللذة بوصفه وسيلة تنظيم.

٨ - هل تكبت الأنا نفسها؟

إذا كان الاقتراح الدفاعي يسفي أن يُعدّ متسرفاً بنية للأنا على نحو غير
منفصل، فماذا يصبح عندئذ تصور فرويد للكبت، بوصفه وظيفة تمارسها الأنا في
مواجهة الاقتراحات الدفاعية التي تولد في النهو؟ ذكرت من قبل في مكان آخر
(١٩٤٣) ما تنطوي عليه نظريتي في العلاقات بالموضوعات بالنسبة إلى مفهوم
الكبت. وكنت في هذا المقال قد أثبتت الرأي الذي مفاده أن الكبت يمارس مفعوله
أساساً على الموضوعات المستدخلة التي انتهت إلى أن تُعامل معاملة الموضوعات
السيئة، وليس على الاقتراحات الدفاعية التي أصبحت مؤلمة أو سيئة (كما في
نظرية فرويد النهائية)، ولا حتى على الذكريات المؤلمة (كما في النظرية الفرويدية
السابقة). إنني أرى دائماً أن هذه النظرية صائبة؛ ولكن أفكاري عن الكبت تعبّرت
في ظلّ بعض اجواب. وكنت مسوقاً إلى الاعتقاد، على وجه الخصوص، أن
الكبت لا يمارس مفعوله على الموضوعات (التي يتبني لها، مع أنها ليست،
بالمناسبة، من نيات الأنا، أن تُعدّ كأنها نيات نفسية داخلية) فحسب، بل يمارس
مفعوله أيضاً على أجزاء الأنا الباحثة عن إقامة علاقات بالموضوعات المستدخلة.
ورعنا بعرضنا الفارئ بقصد هذا الاتجاه، مفاده أن هذه القضية تنطوي على شذو إذا
كان الكبت وظيفة من وظائف الأنا وقد يتساءل المرء ما إذا كان ممكن التصوّر أن
الأنا تكبت الأنا. والجاب عن السؤال هو التالي: في حين أن الأنا، هي
مجموعها، تكبت نفسها أمر لا يمكننا تصوره، فإن جزءاً من الأنا، ذا شحنة
دينامية، يكبت جزءاً آخر من الأنا، ذا شحنة دينامية أيضاً، أمر يمكننا تصوره.
وذلك بالطبع يختلف عن أن مجموعة من الاقتراحات الدفاعية تكبت مجموعة
أخرى، وهو مفهوم رفضه فرويد بحثاً خلال صياغة نظريته في الجهاز النفسي.

ووجد فرويد نفسه، حتى يشرح النكبت، منزهاً بأن يصادر على وجود بنية قادرة على أن تحدث النكبت - أي الأنا العليا.

٩ - بعض احتمالات العيادية تؤكد وجود عدة ضروب من الأنا

من الضروري بالتالي أن نخطو خطوة إضافية في الاتجاه نفسه، إذ نعد قائماً وجود بنيات مكونة وبمعزل عن كل الملاحظات النظرية، كلتي كما قد أديناها سابقاً، ثمة أسباب عيادية غالبية تنبع صيغة مثل هذا الفرض. وأحد هذه الأسباب الأكثر وضوحاً من بينها يكمن في الصعوبة التي يعرضها «تصعيد» الافتراضات الدفاعية؛ للبيدية. وشرح هذه الصعوبة لا يمكنه أن يكمن في عناد متواصل ملازم لـ «الافتراضات الدفاعية»، ولا سيما جرأه واقع مفاده أننا كنا صوفيين إلى عهد «الافتراضات الدفاعية» أشكالاً بسيطة من الطاقة موضوعة بتصرف بنية الأنا. وهذه الصعوبة لا يمكنها، على العكس، أن تُشرح شرحاً مرضياً إلا حين نعرض أن «الافتراضات الدفاعية» المتقونة لا انفصل عن بنية الأنا تستجيب لمنط محدود جداً. وصوابية هذا الفرض تؤكدها ظاهرة الشخصيات المتعددة، حيث الترابط بين «الافتراضات الدفاعية» المكونة وبنية الأنا محتاجة أمر ليس موضع شك؛ ولكن رباطاً من هذا النوع يمكنه أيضاً أن يكشف في بعض أشكال التفكك الأقل عمقاً، أشكال مميزة جداً لدى الهستيريين. فيبدو إذن أننا مرغسون، نشرح النكبت، على ضرورة أن نفترض وجود ضرب من تعدد الأنا. ولا ينبغي لهذا المفهوم أن ينطوي على صعوبات خاصة لمن يعرف المشكلات التي يطرحها المرضى شبه انفصامين معرفة جيدة ولكننا لا نستطيع، في هذا المجال ومجالات أخرى أيضاً، أن نجعل الحدود المفروضة على نظرية التحليل النفسي - هي بعض من تطوراتها الأحدث، بفعل الأهمية التي يمنحها بعضهم لظاهرة الاكتئاب السوداوي.

١٠ - حلم الضروب الثلاثة من الأنا.

(يقصر المؤلف هنا، حتى يوضح بالمثل أمر وحته، أطروحة تعدد ضروب الأنا، حلم مريضة من مرضاء أنت إلى التحليل بسبب بروذنها اجنسية التي بعزوها

المحلل إلى انتفكك الهمتيري . وهي حمها ، مهاج المريضة جسيماً مثلة مشهورة .
ويشهد المشهد زوح الحاملة دون أن بفعل شيئاً لمساعدتها ، لا حتى لحسابها . وترى
فسها تسبح في دمها ، عندما يصبح هذا الوجه ، الذي هو وجهها ، وجه
رجل . ثم تتلاشى لروية ، ومن جديد إنما تأمن سماتها الخاصة . وتسنفط بالنابي
فريسة الحصر .

وتبيّن الترابطات الأولى بين أفكارها أن وجه الرجل ، الذي بدأ على نحو
عابر ، يمكنه تماماً أن يكون وجه الزوج ؛ أما المثلة ، فك المادة العبادية البادية خلال
التحليل تبرهن أنها تمثل ، بين ما تمثل ، أم المريضة ، امرأة مصطعة ، خالية من كل
دفع وعفوية .

ويبيّن رونالد فيريرن ، في التفسير ، ثلاثة ضروب من الأنا في هذا الحلم ،
أحدنا الأنا المركزية ، والآخرين هما ثانويان ، ويفحص فيما يلي علاقاتها
بالموضوعات .

كل ضرب من الضروب الثلاثة للأنا تصلح بصورة طبيعية لارتباط بموضوع
خاص . فأنوضوع الخاص للأنا المركزية كان زوح الخالة ؛ ومن المناسب أن نكتب
أول الأمر على طبيعة موقف الأنا المركزية للخالة من زوجها . وبالنظر إلى أن الأنا
المركزية كانت «الأنا الشخصية» مراقبة الحلم ، المحسوس أنه مستمر دون انقطاع
بفعل «الأنا الشخصية» المنظمة التي تصف هذا الحلم لاحقاً ، فإن يوسع المرء أن
يفترض ، دون مجازفات ، أن هذه الأنا قبل شعورية إلى حد كبير . وذلك أمر يوافق
في جميع الأحوال ما للعلم ، حق في أن يتوقعه من أنا حديثة بأن توصف بأنها
«مركزية» . ويعزز هذا الفرض واقع مفاده أن زوح الخالة كان يكون موضوعاً ذا
أهمية قصوى في الواقع الخارجي وكان يحتل مكاناً كبيراً في الأفكار الشعورية لدى
الحالفة عنيه الحلم . وعلى الرغم من أن الوجه الذي يمثله في الحلم ينبغي أن يعد
موضوعاً مستخدماً ، فإن هذا الموضوع يجب ، بكل وضوح ، أن يحل ، في كنف
النفس ، مرتفعاً أكثر مضحية من مواقع الموضوعات الأخرى المثلة (موضوعات

أبوية مستدخلة خلال الطفولة)؟ وسببي هذا الموضوع أن يكون مطابقاً، على نحو دقيق نسبياً، مع مظهره في الواقع الخارجي. وبالتالي، يتخذ موقف الخالدة من زوجها، بوصفه موضوعاً خارجياً، أهمية كبيرة فيما يخص المتكولات التي تستلها. وهذا الموقف يتصف على نحو أساسي بثانية المشاعر، لاستماعها في مجال العلاقات الزوجية. وكان غياب مظهر العدوان الفاعل إزاء زوجها، مع ذلك، مذهشاً. كذلك التعلق الليبدي بالزوج كان موسوماً على نحو قوي بـ«تكتيت جدي»، وكانت المريضة، في التبريطات الخاصة بالحلُم بين أفكارها، تنوم نفسها على النقص لديها في عواطفها العميقة إزاء زوجها كما تنوم نفسها على عجزها عن أن تهيه شيئاً من نفسها، مع أن إمكاناتها الشعورية لعلاج هذه الضروب من القصور كانت محدودة في أن تؤدي دور «الزوجة الضيبة». ويمكن أن نسأل عندئذ، لأن العدوان الخفي إزاء زوجها وحاجة زوجها الخفية، اللذين لا يدوان علانية في الحلُم، ما إذا كان ممكناً أن يظهر بصورة غير مباشرة.

١١ - هجمات «المخرب الداخلي» على الأنا الليبديّة وموضوعها

نحن نتذكر مباشرة، منذ طرح السؤال، ذلك التحول الذي طرأ على وجه الأنا الليبديّة التي بهاجمها وجه «المخرب الداخلي». فالأنا الليبديّة تحوّلت وبدأت في الحال تتأوب مع رجل كان مع ذلك يفتن اقتراناً عميقاً بزوجها، مع أنه يمثل في الوقت نفسه أب الخائنة على مستوى عميق. فمن الواضح إذن أن نسبة كبيرة من عدوان المريضة كان قد امتصّه هجوم ليس موجّهاً ضد الأنا الليبديّة فحسب ولكنه موجه أيضاً ضد موضوع داخلي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الأنا. بدلاً من أن تتوجه الخالدة إلى الزوج بوصفه موضوعاً خارجياً. ومن الواضح أيضاً أن هذا الحجم من العدوان كان يتصرف «الداخلي» وليس يتصرف الأنا المركزية. فماذا نقول عندئذ عن التكوّن الليبديّة ثنائية المشاعر؟ إن الموقف الليبدي من الزوج كان يتغير على علامات إنذار كبير، على الرغم من أن الواجبات الطاهرة على المستوى الشعوري. ومن الواضح بالتالي أن هناك صحباً عن العدوان كان صحباً أيضاً

عن الليبيدو . فتمة نسبة كبيرة مه كانت قد كفت عن أن تكون بتصرف الآن المركزية . والموضوع الذي كان توجه إليه هذا الحجم من الليبيدو لا يمكنه أن يكون موضع شك . ففي الحتم ، لا يمكن أن يكون المقصود سوى الرجل الذي كان يتنوب مع الذات الليبيدية بوصفها موضوع العدوان . ولم يكن هذا الليبيدو ، على عكس العدوان ، بتصرف للحرب الداخلي مع ذلك . ويبني لنا أن نعدده ، على العكس ، بتصرف الأنا الليبيدية . ومن المؤكد أنه لهذا السبب على وجه الدقة إنما فرض نفسه علي مصطلح «الأنا الليبيدية» . وفي هذه المرحلة ، من المناسب أن نصور رية وجب عليها أن تولد في ذهن القارئ ، بمعنى أن هجوم المخرب الداخلي غير موجه . مع أنه يمثل في الحتم ، صد الأنا الليبيدية إلا بصفة ثانوية ، وأنه موجه أساساً إلى الموضوع الليبيدي المتنوب مع هذه الأنا . وإذا فترص أن هذه الرية مشروعة ، فإننا ينبغي لنا أن نعد المحنة التي تعرض لها الأنا الليبيدية علامة توحد كامل جداً . وبالتالي علامة تعلق ليبيدي عميق جداً للأنا الليبيدية بالموضوع موضع الهجوم . إن هذا إذا هو البرهان على درجة الأتم الذي تكون الأنا الليبيدية مستعدة لمآلاته بعض حبه لموضوعها . واخصر الذي نستشعره أخالة عند الاستيقاظ يمكننا تفسيره على نحو مشابه : والواقع أنني أشجراً على أن أزعج أن هذا الحصر كان يمثل غزوة هذا الأتم للأنا الليبيدية على مستوى الوعي . وهذا يذكر في أخال تصور فرويد للمحصر المعصامي بوصف ليبيدو يتحول إلى أتم . وهذه الأطروحة التي طرحها علي المشكلات النظرية الأكثر خطورة ، في مرحلة معينة ، انتهت إلى تشيئها في ضوء موقعي الراهن وإني أفضلها كثيراً على الأطروحة المعدنة التي سناها فرويد لاحقاً تبنياً لا يخلو في رأي من بعض التردد .

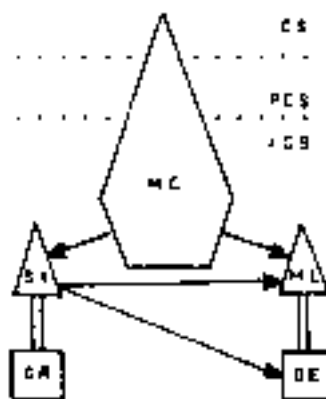
١٢ - أنا مركزية عدوانية مقابل ضربين قانونيين من الأنا

انظرية الخصب بالعلاقات بالموضوع ثلاثة صروب من الأنا ، مثلاً هي الحتم ، تتوضح الآن في بعض الحدود ؛ ولكن هذا التوضيح لا يزال غير كافي . يبدو أن الوضع ، كما ظهر حتى هنا ، هو التالي : موقف أخالة قبل الشعور من زوجها الذي انشاعه . والمقصود هو الموقف الذي تبنته الأنا المركزية تجاه الموضوع الخارجي والمثل انتدحل لهذا الموضوع على حد سواء . ومكوننا العلامة

بالموضوع - الليبيدية والعدوانية معاً - لأننا المركزية هما مكونتان سلسلتان بصورة
 خاصة. وثمة، من جهة أخرى، نسبة كبيرة من ليبدو الخلة الفاعل هي بتصرف
 الأنا الليبيدية وتوجه إلى موضوع مستدخل وتجا يعني لنا، لأسباب مصطلحية، أن
 نسميه باسم «موضوع (داخلي) متبني». أضف إلى ذلك أن نسبة كبيرة من العدوان
 هي بتصرف المخرب الداخلي وتوجه أولاً إلى الأنا الليبيدية، وإني الموضوع المثير
 (أي موضوع الأنا الليبيدية) تانياً. ومن المتعذر أن لا يلاحظ المرء مع ذلك أن هنا
 انتركيب لا يأخذ باحسان بعض العلاقات النفسية الداخلية التي يمكننا أن نفترض
 وجودها - لا سيما علاقة الأنا المركزية بضرري الأنا الآخرين وعلاقة المخرب
 الداخلي بالموضوع المستدخل، المفترض به اقتراناً وثيقاً، الذي قنله مكونة الأم في
 وجه المثلثة. ونحن نرى دون صعوبة، إذا بدأنا بهذه العلاقة الأخيرة، أن المخرب
 الداخلي يتوحد توحيدها متسماً بموضوعه لأن المثلثة في الحلم وجه مركب يمثل أم
 الحاملة والحاملة معاً، وبمعنى أن نعدده بالتالي مرتباً بهذا الموضوع بفعل نعلق ليبيدي
 قوي وعليا، لغايات وصفية، أن نطلق اسماً على هذا الموضوع؟ وأقترح تسميته
 «موضوعاً (داخلياً) رافضاً». واخترت هذا المصطلح بالأساس لسبب سيبدو فيما
 بعد، ولكنني سأسوغ في غضون ذلك هذا الاختيار قائلاً إن أم الحاملة - نموذجاً
 أصلياً لهذا الموضوع المستدخل - كانت على نحو أساسي وجهاً رافضاً وأن باسم هذا
 الموضوع إنما يتوجه عدوان المخرب الداخلي، إذا حاز القول، إلى الأنا الليبيدية.
 أما علاقة الأنا المركزية بالضرريين الآخرين من الأنا، فإن المؤشر الأهم الموجود
 يتناولون تتكهن طبيعتها يكمن في واقع معاده أن الضريين الآخرين من الأنا ينبغي أن
 نعددهما لاشعوريين بصورة أساسية. في حين ينبغي أن نعد الأنا المركزية ذات
 عناصر قبل شعورية وكذلك لاشعورية. وبوسعنا أن نستنتج من ذلك أن الأنا
 الليبيدية والمخرب الداخلي مرفوضان من الأنا المركزية؟ وهذا الاستنتاج يؤكد واقع
 معاده، كما رأينا، أن احجم الكبير لليبدو والعدوان، الذي كلف عن أن يكون
 بتصرف الأنا المركزية. موجود الآن بتصرف نصريين الثانويين من الأنا. وإد
 نفرض عندئذ أن الأنا المركزية ترفض الضريين الثانويين الآخرين، فإن بوسعنا أن

نتساءل عن ديناميك هذا الرقص الذي لا يمكن بكل وضوح أن يكونه الميبيدو.
 فليس بوسعنا إذن إلا الاعتقاد أن العدو هو الذي يكونه. والعدوان، لهذا
 السبب، ينبغي أن ننظر إليه أنه الخاصة التي تحدد موقف الأنا المركزية من الضريين
 الثانويين من الأنا.

١٣ - تخطيطية مميزة لما يحدث في النفس



MC = الأنا المركزية؛

ST = المخرب الداخلي؛

OR = الموضوع الرافض؛

ICS = اللا شعور ← العدوان = الميبيدو؛

CS = الشعور؛

PCS = قبل الشعور؛

MI. = الأنا اللبيدية؛

OE = الموضوع انثري؛

إنني انتهيت بهذا التدبير من محاولتي الهادفة إلى أن تبين تكوين الوضع النفسي الداخلي الممثل في حلم مريضة، تبعاً للنسبة الدينامية. واتخذ هذا التقرير شكل تصريح استدلالي؛ وهو، بوصفه كذلك، ينبغي له أن يقدم أخصاً فيما يخص دلالة أظروحتني التي تكون الأحلام بحسبها، على نحو أساسي، «صوراً» موجزة للواقع الداخلي (أكثر من كونها إنجازات زعبات). ولم يكن هدفي بصورة أساسية مع ذلك أن أسوق أفكارني عن الأحلام على وجه العموم إذ لفت انتباه انقارني في هذه النقطة إلى حلم واحد بل على العكس. لأن الحلم المعني يبدو لي أنه يمثل وصفاً نفسياً داخلياً كلاسيكياً له في الواقع صفة أساسية تتيح أن نعدّه النموذج الإرشادي لكل الأوضاع النفسية الداخلية. ويفضد السهولة في الفهم، أوضحتنا اسماء الأساسية لهذا الوضع في التخطيطية السابقة.

١٤ - الوضع النفسي الأساسي

إنني مقتنع أن الوضع النفسي الداخلي الأساسي المذكور أعلاه مضمّر في وصف فرويد للجهاز النفسي القائم على الأنا والهو والأنا العليا. والمقصود، على كل حال، هو الوضع النفسي الداخلي الذي بيئت عليه النظرية المنقحة. نظرية ابنية النفسية التي عرضتها بانتاج وعبرت عنها تبعاً للأنا المركزية والأنا اللبديدية وأحرف الداخلي ونسبة بالطبع، كما يمكن أن نتوقع، توافق عام بين المفاهيم الفرويدية والمفاهيم التي انتهيت إلى أن أتأها. والتوافق مع أنا فرويد، في حالة الأنا المركزية، وثيق جداً من وجهة النظر الوظيفية؛ ولكن هناك فروقاً كبيرة بين هذين المفهومين. فالأنا المركزية، على عكس أنا فرويد، لا أتصورها تولد انطلاقاً من سيء آخر (الهو) أو بوصفها بنية سلبية توفق. فيما يخص فاعليتها، على الأثرحات الدافعية الصادره عن الرحم الذي خرجت منه وعلى سطحه تكوئت فلأنا المركزية أتصورها، على العكس، بنية أولية تبتدئ منها بالتالي، كما سرى في الحان، تلك البنيات النفسية الأخرى أما الأنا اللبديدية، فإنها تقابل الهو الفرويدي بالطبع؛ ولكن الأنا اللبديدية مشتقة، هي وأخرى، من الأنا المركزية (المقابلة

للأنا)، هي حين أن الأنا مشتقة من الهر في رأي فرويد. وتختلف الأنا المبيدنة أيضاً عن الهو بمعنى أنها متصورة بوصفها، لا مجرد خزان للدوافع، بل بنية دينامية شبيهة بالأنا المركزية، مع أنها تختلف عن هذه الأنا المركزية من جوانب كثيرة، بسبب، على سبيل المثال، سميتها الأكثر طفولية، ودرجة أقل من التنظيم، ودرجة أقل من التكيف مع الواقع، ودرجة أكبر من التعلق بالموضوعات المستندخنة ويختلف المخرب الداخلي عن الأنا العليا من عدد معين من وجهات النظر. فهو، من جهة، لا يتصور على أي حال بوصفه موضوعاً داخلياً. إنه يكون، في كليته، بنية من الأنا، مع أنه، كما رأينا، يكون مرتبطاً بموضوع داخلي على نحو وثيق. أما الأنا العليا، فإنها أقرب في الواقع إلى أن تكون مركباً من هذه البنية ومن موضوعها المقترن (كما في حالة وجه الممثلة في الحلم) من أن تكون مخرباً داخلياً. ويختلف المخرب الداخلي عن الأنا العليا، من جهة أخرى، بسبب كونه يُتصور أنه خالٍ في ذاته من كل دلالة أخلاقية وهكذا لا أعزو الحالة الانفعالية للإثمية إلى فاعليته، مع أن هذه الفاعلية تكون دون شك مصدر حصر متكاثر. وهذا الحصر يمكنه بالطبع أن يتصهر بالإثمية؛ ولكن هاتين الحالتين الانفعاليتين متميزتان تماماً، من وجهة نظر نظرية. وثمة مجال لأن نلاحظ هنا أنني لست على استعداد، مع أنني أدخلت مفهوم المخرب الداخلي، للتخلي عن مفهوم الأنا العليا كما انتهيت إلى التخلي عن مفهوم الهو. وبدون أي، على العكس، متعديراً أن نشرح الإثمية على نحو مرض، من وجهة النظر النفسيولوجية، في حال غياب الأنا العليا؛ ولكن هذه الأنا العليا ينبغي أن نعدّها ناشئة في درجة من التنظيم النفسي أعلى من الدرجة التي يعمل فيها المخرب الداخلي. فمسألة الطبيعة الدقيقة للعلاقة بين فاعليتي هاتين البنتين ينبغي أن نظلّ معقّنة مؤقتاً؛ وعلي أن أحيل القارئ، فيما يخص التعبير الأحداث عن آرائني ذات العلاقة بأصل الأنا العليا ووظيفتها، إلى مقال سابق (١٩٤٣).

١٥ - الأنا الليبديّة لدى فرويد مقابل الهو الفرويدي

بدائي ضرورياً، قبل الانتقال إلى النظر في أصل ماسميته، الوضع النفسي الداخلي الأساسي، أن أذكر بعض النتائج من النسق العام التي يظهر أنها ناجمة عن طبيعة هذا الوضع نفسها. وأولى هذه النتائج، والأكثر وضوحاً، تكمن في الاعتراف بانشطار الأنا وبهذا التضدد، بالتالي، يكون الوضع النفسي الداخلي الأساسي كما بدأ مائلاً لنموذج الوضعية شبه القصامية، وذلك وضعية انتهت إلى أن أعدّها مركزية (مدلاً من الوضعية الاكتئابية). وكان فرويد قد بسط نظريته في اخير ذات نفسي انطلاقاً من الوضعية الاكتئابية بالطبع، وعلى هذه القاعدة نفسها إنما بسطت ميلاني كلاين قضايها. إن الوضعية شبه القصامية هي التي، على العكس، تكون قاعدة نظرية البنية التي سأعرضها لتتوّج وثمة مجال، بالإضافة إلى ذلك، لأن يلاحظ أن الوضع النفسي الداخلي الذي كشف عنه حلم مريضتي كان يقدم أيضاً، مع أنه يقابل في الوقت نفسه نموذج الوضعية شبه القصامية، شرحاً عرضياً، تبعاً لبنية دينامية، للبرودة الجنسية الهستيرية لدى الحالة. ونحن بعيد التفكير، في هذه المناسبة، بارتباط الأعراض الهستيرية الشائعة باتجاه شبه قصامي مضمر - ارتباط كنا قد ألمحنا إليه آنفاً. ويبدو أن هناك أسباباً مناسبة لتعبّر عن نتيجة الشاب التي نتجم وفقاً لها المظاهرات الهستيرية، على نحو متلازم، عن وضعية شبه هستيرية وأساسية. وتأتي نتيجة الثالثة في أعقاب ما كان قد قيل عن الاتجاه العدواني لدى الأنا المركزية فيما يخص ضربي الأنا الثانويين. وتكمن هذه النتيجة في القول إن انشطار الأنا الملاحظ في الوضعية شبه القصامية ناجم عن فاعلية حجم معين من العدوان يقفّ يتصوّف الأنا المركزية. وهذا العدوان هو الذي يقدم ديناميك الفصل بين ضربي الأنا الثانويين والأنا المركزية. مضرباً الأنا الثانويان عدماً بالطبع لا شعوريان على وجه العموم. ويمكن، لهذا السبب، أن نشبه في الحد أنها عرصة للتعبث. ذلك بالتأكيد هي حالة الأنا الليبديّة (المقابلة للهو الفرويدي). ولكن أي شيء لا يتبع لنا أن نعتقد، إذا كانت إحدى البيئتين الثانويين من الأنا

يمكنها أن تكبت، أن البنية الأخرى تكبت من معاملة مماثلة من جانب الأنا المركزية . وستكون نتيجة الرابعة، بالنتيجة، أن المحرب (الذي يقابل في جزء كبير من الأنا انغلبها الفرويدية من حيث وغنائفها) ليس أقل عرضة للكتبت من الأنا الليبيدية . وقد تبدو هذه النتيجة، للوهلة الأولى، أنها تدخل في نزاع مع النظرية التي كنت قد قدمتها أنا (١٩٤٢)، بمعنى أن تكبت يتوجه توجيهاً أساسياً إلى موضوعات البيئة المستدخلة .

١٩ - طبيعة الكبت الحقيقية

لا وجود في الواقع لتناقض حقيقي؛ ذلك أنني أعدُّ كتبت الضريين الثانويين من الأنا، كما أنظر إليهما حالياً، ضرباً من النتيجة لكبت لموضوعات انسيبة المستدخلة . فالت هجوم الذي يفوقه المحرب الداخلي ضد الأنا الليبيدية يقدم لنا مثلاً معيذاً، ذلك أن العدو ان المستخدم في هذا الهجوم يتوجه توجيهاً أساسياً، كما رأينا، إلى الموضوع الثير الذي ترتبطه الأنا الليبيدية، وإلى الأنا الليبيدية نفسها على نحو ثانوي فقط . كذلك أعدُّ كتبت الأنا الليبيدية بفعل الأنا المركزية تالياً كتبت الموضوع الثير فتشجنت الحانسة ليست، في ضوء ماسبق، بعدة إلى أي إرضان . إنها تكمن في القول إن العدو ان يكون ديميك انكت أما نتيجتا السادسة والأخيرة، الناجمة عن الملاحظات السابقة أيضاً، فهي تكمن في أن انشطار الأنا، من جهة، وكتبت الضريين الثانويين من الأنا بفعل الأنا المركزية، من جهة أخرى، يكونان بصورة أساسية الظاهرة نفسها حين تنظر إليهما من زاويتين مختلفتين . ومن المناسب أن نذكر بأن فرويد أرمى في هذه المرحلة مفهوم انكت ليحاول شرح ظاهرة الهستيريا، في حين أن بلونر صاغ مفهوم انشطار الأنا ليحاول شرح الظاهرة التي تُسمى الحبل المكس، منظرأ إدخال مصطلح «فصام» ليحل محلته . وتبع نتيجتا الأخيرة على هذا النحو أن توسع الفكرة التي مفادها أن الوضعية المنصورة هي نحو الأعراض الهسيرية وضعية شبه فصامية بصورة أساسية .

١٧ - تأكيدُ بفعل العيادة: السوداوية

إننا أكرمنا. إذ وصفنا أصل الاتجاه العدواني الذي يبتناه المخرب الداخلي إزاء الأنا الليبيدية والموضوع المثير، شرحنا السيرورات التي تحدّد النمط الدينامي لنوضع النفسي الداخلي الأساسي. وثمة مجال، مع ذلك، لأن نضيف شيئاً إلى ما قلناه آنفاً فيما يخص طبيعة الكبت وأصله. فالكبت، وفق المبادئ المعروفة حتى هنا، سيرورة ناحية عن رفض الأنا غير المنشطرة ذلك الموضوع المثير، كذلك الموضوع الرفض. وهذه السيرورة للكبت الأولية ترافقها سيرورة ثانوية تنقسم الأنا وفقها وتبذل جزأين من أجزائها يظفلكان مرتبطين، بالتبادل، بكلتا الموضوعين الداخليين المكتوبين. وتبتنى الأنا المركزية (راسب الأنا غير المنقسمة)، في الوضع الناجم عن ذلك، اتجاه النبذ، نبذ ليس إزاء الموضوع المثير والموضوع النابت (الرفض) فحسب، ولكنه نبذ إزاء صريبي الأنا الثانويين، ثمرتي الانشطار، المرتبطين بالتبادل سهذين الموضوعين. أي الأنا الليبيدية والمخرب الداخلي. وهذا الاتجاه الذي تشبّه الأنا المركزية، اتجاه النبذ، يكون الكبت؟ ويكرن العدوان ديناميك النبذ فكل شيء على مايرام حتى هنا. ولكن هذا الشرح، شرح الكبت وطبيعته، غير كامل من حيث أنه ما يزال لا يأخذ بالحسبان ما تستلزمه التقنية الكامنة في تغليب حجم الليبيدو والعدوان الجاهزين، لتعبّر عن نفسها إزاء الموضوعات الخارجية، إذ تستخدم الحد الأقصى من العدوان لتبديد الحد الأقصى من الليبيدو. وهذه التقنية، كما رأينا، تظهر بسيرورة يستعيد المخرب الداخلي وفقاً لها فائض العدوان ويستخدم لمهاجمة الأنا الليبيدية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، تستعيد الأنا الليبيدية وفقاً لهذه السيرورة فائض الليبيدو ويوجه ضد الموضوع المثير. فإذا أكب المرء على الدلالة الحقيضية لهذه السيرورة، فإنه يفهم مباشرة أن الهجوم المستمر للمخرب الداخلي على الأنا الليبيدية ينبغي أن يؤثر تأثيراً قوياً ليلبغ أغراض الكبت. ومن المؤكد، فيما يخص الديناميك، أنه يبدو أكثر من محتمل أن المقصود بذلك انعامل الأكثر أهمية في صياغة الكبت. فعلى الظاهرة التي ذكرناها لترونا بني بكل تأكيد تصور فرويد الأنا انعليا ووظائفها الكامنة؟ ذلك أن العداء العنيف

الذي يميزه في رأي فرويد، سوقف الأنا من دوافع اليهو، يطبق على وجه الدقة ذلك الموقف العدواني المتشدد الذي يتبناه المخرب الداخلي إزاء الأنا الليبيدية. كذلك ملاحظة فرويد، التي تكون وفننه صروب النوم الذاتي لدى السوداوي، في نهاية المطاف، صروب نوم موجّهة إلى الموضوع المحبوب، تطبق لأتجاه العدواني كل المنطقه، الاتجاه الذي يتبناه المخرب الداخلي إزاء الموضوع المثير.

١٨ - الذنب المقتع في حروف. أو عناد ثائية المشاعر، الأوتية

ليس من الضروري، في هذه المرحلة، أن نكرز الانتقادات التي صيغت ضد تصوّر فرويد الأنا العليا واليهو وكذلك ضد ما ينطوي عليه هذا التصور. ويبدو مع ذلك مستحباً أن نلفت انتباه القارئ إلى واقع مفاده أن فرويد جهل في وصفه جهلاً كثيراً كل ما تنطوي عليه الظاهرة التي وصفناها كتعلق الأنا الليبيدية بالموضوع المثير. وهذا التعلق ينتهي إلى أن يختصر حتماً كبيراً من الليبيدو. أضف إلى ذلك أن الليبيدو المعنى بتوجهه إلى موضوع داخلي ومكثوب معاً، وهو، لهذا السبب، متوجه حتماً في اتجاه الواقع الخارجي تلك هي الحالة؛ فبحث الأنا الليبيدية عن الموضوع يعمل بوصفه مقاومة، إذ يعرّز المقاومة الناجمة مباشرة عن الكبت تعزيراً قوياً، مع أنه، على غرار مقاومة الأخبيرة، في نزاع مع الأعراف العلاجية. والمقصود، بحث كنت قد عالجتُه آنفاً (١٩٤٣)، إذ أغير هاينغبي أن يتغير، وأضيف هنا شرط تغيير هاينغبي أن يتغير، ذلك أنني لم أكن، حين كنت قد كتبت هذا المقال، قد صغت بعد هذه المدعاوى الخالية التي تتناول البنات الشبية الداخلية؛ ولكن لهذه المدعاوى الجديدة مفعول مفاده أنه يدعم البحث الأوتني بدلاً من العكس. وهذا البحث يتناقض كلياً بانطبع مع التصريح الذي صاغه فرويد (١٩٧٧)^(١) (اللاشعور، أي المادة المكبوتة)، لا يقدم أي مساهمة للحبوة العلاجية). المقصود مع ذلك مبحث بنمر بصورة طبيعية، انطلاقاً من فكرة مفادها أن الليبيدو يوجهه نوجهاً أساسياً نحو البحث عن الموضوعات، في حين أنه نأجد

(١) انظر: فرويد، "اللاشعور"، ص ١٠٠، في المجلد الثاني، ص ١٠٠، ١٩٧٧.

بالحسبان ما يجري عنده ما يكون الموضوع المنشود موضوعاً داخلياً مكتوباً. وليس ثمة ما يثير انشك في أن تعلق الأنا الليبيدية العنيد بالموضوع المثير ونفورها من التخلي عن موضوعها بكونها مصدر مقاومة هائلة على نحو خاص - ودورها لن يكون مطلقاً غير ذي دلالة في تحديد ما يُسمى الارتكاس العلاجي السليبي. فالتعلق المعني، ذو الطبيعة الليبيدية، لا يمكنه بالتأكيد أن يُعد في ذاته ظاهرة قابلة؛ ولكنه يحصل أيضاً، مع أنه في الوقت نفسه نتيجة الكبت الذي تمارسه الأنا المركزية، بوصفه مساعداً قوياً في سيورة الكبت هذه. ولهجوم المحرب الداخلي ضد الأنا الليبيدية (الموضوع المثير) مفعول مفاده بالتأكيد أن يستمر أبداً تعلق الأنا الليبيدية بموضوعها، بمقتضى واقع مؤداه أن هذا الموضوع مهدد باستمرار. ونحن نميز هنا انشك الأولي المقنع بجلد خروف، أعني أن لدينا فكرة عن الوضع ثنائي المشاعر الأولي الذي يدوم في ظل تقنعاته كلها؛ ذلك أن ما يثبته بالعمل تعلق الأنا الليبيدية العنيد بموضوعها المثير، وانعدوان العنيد أيضاً، والمحرب الداخلي إزاء هذا الموضوع نفسه، إنما هو عناد الاتجاه ثنائي المشاعر الأولي. والحقيقة أن الفرد ينفر كثيراً، أي كانت نوعية التفتح، من التخلي عن انكراه الأصلي. ومن التخلي أيضاً عن حاجة الأصلية إلى الموضوعات الأصلية للطفولة. وهذا أمر صحيح بصورة خاصة بالنسبة للأفراد المصابين بالعصاب النفسي (انغماس) والمصابين بالذهان، دون أن نتكلم على أولئك الذين يدخلون في فئة السيكوباتين.

١٩ - ضرب من نظرية للكبت أكثر صحة

إذا كان تعلق الأنا الليبيدية بالموضوع المثير مساعداً قوياً على الكبت، فإن برسنا أن نتكلم أيضاً على الاتجاه العدواني الذي يتبناه المحرب إزاء الموضوع الداخلي. أما ما يخص سيورة الكبت الحقيقية، فإن المحرب الداخلي يختلف مع ذلك عن الأنا الليبيدية من جانب ذي أهمية؛ ذلك أنه لا يشجع على الكبت فحسب، ولكنه يعمل بصورة واقعية كالكبت فضلاً عن ذلك - فهو يمارس، في

على الموضوع الثير، وظيفته محارب مشترك في الواقع، مع أنه ليس حقيقياً - مع
الأن المركزية التي يمثل كبتها الموضوع الثير، كمداربات، مظهر عدوان. ويعمل
المخرب الداخلي، بالإضافة إلى ذلك، عمل محارب مشترك مع الأن المركزية،
بسبب هجومه على الأن الليبيدية. هجوم يُضاف إلى الهجوم الذي يتطوي عليه
كبت الأن المركزية هذه الأن الليبيدية. وبمعنى من المعاني، يمكننا القول بالتالي إن
هجمات المخرب الداخلي على الأن الليبيدية والموضوع الذي ترتبط به تمثل شكلاً
غير مباشر للكبت يكمل ويشجع معاً ذلك الكبت المباشر الذي تمارسه الأن المركزية
على هذه البنات.

ويدين ضرباً الأن الثانويين بأصلهما لانشطار الأن غير المقسومة، كما قلنا
أنفاً؛ ولكن ما يدور، كما رأينا أيضاً، بوصفه مجرد انشطار الأن، من وجهة نظر
موقعية، يمثل، من وجهة النظر الدينامية، بوصفه تبدأ فاعلاً وكبتاً تمارسه الأن
المركزية على ضربي الأن الثانويين. وهكذا، ثمة محال لأن تلاحظ أن ضرباً واحداً
من ضربي الأن الثانويين - الأن الليبيدية - ينبغي أن يكون خاصية لضرورة الكبت
غير المباشر، في حين أن ضربي الأن الثانويين - الأن الليبيدية والمخرب الداخلي -
يشاركان في القدر نفسه فيما يخص الكبت المباشر. وإذا أخذنا باخسان ما يميز
الكبت المباشر من الكبت غير المباشر، في ضوء ماسبق، فإن من المؤكد بالنطبع أن
مبرورة الكبت التي يصغها فرويد تماثل، على نحو أو ثق، وصفي الكبت غير
المباشر أكثر مما تماثل وصفي الكبت المباشر. وإذا قارنا مع ذلك تصور فرويد الكبت
بتصوري يباه بوصفه ظاهرة كلية - مباشر وغير مباشر على حد سواء - فإن من
الممكن أن نكتشف سمة مشتركة بينهما: المكونات الليبيدية للنفس خاضعة لكبت
أكثر بروزاً من كبت المكونات العدوانية؛ ولكن الأمر الذي لا يكون موضع شك
بالنطبع أن ثمة كبتاً للمكونات العدوانية؛ ولكن من انصعب على المرء أن يرى كيف
يمكن أن يُفسر هذا الواقع تفسيراً متماسكاً في ضوء نظرية فرويد في الجهاز النفسي.
فهذه النظرية، كما هي متصورة، على قاعدة انطلاق الأنا من بين الدافع والنية،
بدو أنها لا تتيح إلا كبت الليبيدي؛ ذلك أن كبت العدوان في النظرية الفرويدية،

ينظري على ضرب من التساهل، بالنظر إلى أن العدوان يُستخدم لكبت العدوان. وعلى العكس، إذا كان المدافع، طبقاً للدعوى التي أقرتها، غير منفصل عن البنية ويمثل الجانب الدينامي من هذه البنية بصفة، فلا يكون شرح كبت المكونات العدوانية للنفس أكثر صعوبة من شرح كبت المكونات الليبيدية. فينبغي لنا عندئذ أن نفهم ان بنية من الأنا تستخدم العدوان لكبت بنية أخرى من الأنا مشحونة بالعدوان، لا أن نفهم أن العدوان يكبت العدوان. أما وقد قلنا قولنا هذا، فإن فكرتي، التي مضادها أن الأنا المركزية تكبت المخرب الداخلي، والأنا الليبيدية أيضاً، تشرح كبت المكونات العدوانية شرحاً مرضياً. ويشرح الكبت غير المباشر من جهة أخرى، شرحاً مرضياً، واقعاً مؤداه أن المكونات الليبيدية خاضعة لكبت أكثر بروزاً من المكونات العدوانية. وتبدو الحقيقة كما يلي: إذا كان مبدأ الكبت يحكم استخدام فائض الليبدو في حدود أكبر من استخدام فائض العدوان، فإن مبدأ إعادة التوزيع الواقعي يحكم استخدام فائض العدوان في حدود أكبر من استخدام فائض الليبدو.

ر. د. فيربرن
نص ترجمه عن الإنكليزية
س. م. أيليارا

الفصل الرابع

الأنات الاستقلال الذاتي

مقدمة

هانز هارتمان، المهاجر إلى الولايات المتحدة وأحد تلاميذ فرويد الأثريين في رأي إرنست جونز، مارس التحليل النفسي بعض الزمن في باريس قبل الحرب العالمية الثانية.

وبعد هارتمان في الولايات المتحدة الأمريكية، المشاركون مع الألماني روبرت لويشتاين الذي أسهم، خلال إقامته بفرنسا، في تأسيس رابطة باريس للتحليل النفسي^(١)، أحد الذين شيدوا هذه المدرسة الأمريكية على نحو نوعي، مدرسة سيكولوجيا الأنا^(٢).

والنص الذي اخترناه، مستخلص من كتاب عنوانه سيكولوجيا الأنا ومشكلات التكيف، سابق على المرحلة الأمريكية لمؤلفه. لأنه عرض أمام رابطة التحليل النفسي بقبينا عام ١٩٣٧، فالأفكار التي عرضها فيه تميز التطور الذي عرفه التحليل النفسي في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تجد سيكولوجيا الأنا تربة ملائمة على نحو خاص، ولاتضم سيكولوجيا الأنا مع ذلك مجموع التحليل النفسي الأمريكي، الذي تغذيه تيارات متعددة ومختلفة.

(١) إنه حتى أنشأوا لائنة، والتيال لأعشر رسات حن

(٢) سمود إلى ذلك في امر قسـ من هذه لمجموعه

فلنوضح أيضاً أن كلمة «تكيف» مع تضمينها المعياري، لا تنقل إلى مجرد تسوية مع الواقع الاجتماعي

إننا نفهم من «تكيف» بالحري، في سياقها، تكامل المقتضيات الغريزية ومقتضيات العالم الخارجي والأنا العليا على حد سواء: إنها المهمة التي تنجزها الأنا خلال التعلم واختبار الواقع

ونقول بمباراة أخرى إن سيكولوجيا الأنا تُعنى بالشروط الخاصة التي تجعل الأنا خادماً أميناً للسادة الثلاثة، وذلك هي المهمة التي يحددها فرويد لها. وهذا العمل يتحقق، في رأي فرويد، من خلال النزاعات ولايفسي دائماً إلى نتيجة تقريبية وموضوعة موضع تساؤل. ويكشف هارتمان وعلماء سيكولوجيا الأنا، على العكس، عن وجود دروب خالية من النزاع «في الأنا» وذلك مايسمونه «الأنا المستقلة». وثمة في رأيهم، بالتالي، طاقة حيادية في خيمة الأنا، أي طاقة نفسية غير غريزية.

وتبدو بعض وظائف الأنا، من هذا المنظور، مقطوعة عن جذورها الغريزية في الهو، الإدراك، الفكر، الفصء، اللغة، وعدد معين من سيرورات النضج والتعلم أيضاً.

ومثل هذا التصور يقلص التحليل النفسي بالفعل إلى سيكولوجيا: بمعنى أنه يمثل تكوصاً تاماً. ويوصفه تصوراً غير نزاعي، فإنه بعكس تفاؤل درب الحياة الأمريكي، ويشوء رؤية فرويد للتصعيد^(٣) تشويهاً عميقاً. إنه يعارض التنازمية الفرويدية معارضة جذرية.

(٣) نظير التعبد غروب الإبداع، كتاب فريدري منسد للجموعة

النص

نحن نصادف في التحليل النفسي مشكل التكيف في علاقة مع نظرية الأنا بصورة رئيسة؛ ويبدو التكيف أيضاً بوصفه هدف العلاج، وأخيراً يبدو في ارتباط باعتبارات بيداغوجية. ولكننا - وذلك ما يدعشنا منذ البداية - في حين أننا نفهم على وجه التقريب ما يعني مصطلح «المطابق للأنا»، يبدو أن مصطلح «المطابق للواقع» مرن جداً ويشمل في الواقع تصورات مختلفة جداً، بل متعارضة في بعض الأحيان.

ومن المؤكد أن مشكل التكيف ليس من المشكلات التي يمكن أن يحلها التحليل النفسي وحده. فللمبيولوجيا وعلم الاجتماع حقوق مؤكدة في هذا الحقل من البحث. ونعتقد مع ذلك أن التحليل قدم لنا أنفاً هنا أيضاً - وسيقدم كذلك - نتائج يمكن أن تؤمنها لنا نظريات أخرى وطرائق أخرى بصعوبة؛ فنحن لنا الحق في أن نقضي حالياً أن لا تكون ضرور التفكير في مشكل التكيف متناقضة مع الظواهرات والعلاقات الأساسية التي اكتشفها التحليل النفسي. والاهتمام المتزايد الذي تثيرها في الوقت الراهن هذه المشكلات يرتبط في جزء كبير منه بتوجه معين في كنف التحليل النفسي، توجه جعل انتباهنا يتمحور على معرفة وظائف الأنا، واهتمامنا ذو علاقة أيضاً بالاهتمام الناشط على نحو متصاعد الذي نوجهه إلى الشخصية الكلية، وذو علاقة أيضاً بالانتقادات المصاغة هنا وهناك ضد بعض التصورات النظرية لفهم الصحة النفسية الذي يعزى على وجه الضبط إلى «حالة التكيف مع الواقع».

وسيكون علينا، في هذا العرض، أن نذكر أشياء معروفة جداً، وربما بعض الأشياء التي ستثير تناقضاً، وأخرى أيضاً لن تكون تحليلية نفسية بالمعنى الضيق للمصطلح. ولكن المرء لن يجد فيها شيئاً يكون على خلاف مع تصورات التحليل النفسي الأساسية. وبوسعنا أن نصف محاولة مفادها أن عمد بعض المفاهيم، التي

كانت قد أرست فيما يخص بعض المشكلات المتخصصة من الدائرة المركزية للشخصية، على مجالات أخرى من الحياة النفسية، بأنها محاولة تحليلية تعبه بالمعنى الواسع للمصطلح، وأن ندرس تعبيرات هذه المفاهيم المرتبطة بشروط خاصة في هذه المجالات.

١ - أهالة التحليل النفسي

سنبدا ببعض الملاحظات العامة المخصصة لرسم إطار مستبسط في كنفه مناقشتنا دون أن يكون قصدنا عرضاً منهجياً، مقتصرين على أفكار لاغنى عنها لفهم المشكلة. فالتحليل النفسي لما في زمن مبكر جداً في اتجاه يكشف بروز عن غرض أصيقل وعن غرض أوسع. إنه ولد مع دراسة المرصي ومع حالات على حدود السوي والرفضي؛ وحقل بحثه الضيق في هذا العصر كان قد تبين أنه الهو والدوافع. ولكننا سرعان ما وجدنا بصورة موازية مشكلات، ومفاهيم، وصياغات، ومحاولات شرح، تتجاوز هذا الحقل الضيق وتشد نظرية عامة للحياة النفسية. وثمة مرحلة حاسمة، وربما الأهم، كانت سيكولوجيا الأنا قد عبرت بها (إننا نفكر بأعمال فرويد نفسه خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة، ثم تفكر على نحو خاص بأعمال آنا فرويد وبأعمال المدرسة الأنغليزية، فيما يخص مجالاً جرتياً آخر من البحث - يستند هذان الاتجاهان الأخيران أيضاً، على أي حال، إلى تصورات صاغها فرويد). وتنبئ نيك قط، في الوقت الراهن، أن التحليل النفسي يمكنه بحق أن يزعم أنه يكون سيكولوجياً عامة بالمعنى الأوسع للمصطلح. فنحن وسعدنا على هذا النحو، وعمقنا وأرغفنا تصورنا طريقة عمل تحليلية نفسية على نحو حقيقي.

وهدف التحليل النفسي يكمن، كما بينت آنا فرويد، في معرفة معمقة بما يمكن للمراجع الثلاثة. ولا يتبع هذا ما نؤكد أن نصف كل محاولة نجح في هذا الهدف أنها محاولة تحليلية نفسية. فلا يمكن أن يكون المقصود هنا تعريفاً للتحليل النفسي ينكر فقط على طريقته العنودية، على جهازه المفاهيمي، ويوصل غرضه. فنكل عمل سيكولوجي أهداف جرتية مشتركة مع أهدافنا. ولكن هذا الاشتراك

الجزئي في الموضوع يُرر أيضاً بروزاً أوضح سمات الفكر التحليلي الأصيلة .
(وحسبنا أن نأخذ التمازض بين السيكلوجيا التحليلية للأنا والتحليل النفسي لدى
أدلر على سبيل المثال بالحسبان) . ونم يغير منظور الحديث لتحليل النفسي شيئاً من
توجهه البيولوجي ، ولا من نظوره التكويني ، الدينامي ، الاقتصادي ، الواقعي ،
ولا من طبيعته التي تُشرح مفاهيمه . وينجم عن ذلك أن نتابع السيكلوجيا
التحليلية والسيكلوجيا غير التحليلية مختلفه بالضرورة عندما ندرس ان الموضوع
نفسه . ونحتلفان على وجه الخصوص ، في نهاية المطاف ، بتصورهما ما هو
أساسي ، وهذا يقود إلى أوصاف وشروح مختلفة جداً . وكذلك الأمر في مجال
علم الشريح ، حيث السمات الثانوية نمماً على مستوى مجرد الوصف يمكنها أن
تكون محددة في مطور تطور للفرد أو تطور للنوع . كذلك الفحم والماس يمثلان
الشيء نفسه من الناحية التحليلية في نظر التكميائي ، في حين أن ثمة فروقاً هائلة
بين الجسدين في منظور آخر . وبعض السمات ، التي يمكننا أن نهمليها في دراسة
محدودة ، يمكنها على النحو نفسه ، أن تكون ذات دلالة في إطار نظرية أخصر
عمومية . وتمثل هذه الأمثلة أكثر من مجرد تماثلات . ونحن نعتقد في الواقع أن
التحليل النفسي يقدم لنا نظرية نمّون نفسي تمضي أبعد من التصورات الأخرى للحياة
النفسية ، بقرونها ونتاجها . وهذا يرغمنا على أن نعيد النظر ، في ضوء التحليل
النفسي ، في الظواهر السيكلوجية التي يتخذها علم النفس موضوعاً له ، قبل
قدوم التحليل النفسي أو بصوره مستقلة عنه ، ونؤكدها ودعمها .

٢ - هاييمز ، سيكلوجيا الهوى ، من سيكلوجيا الأنا .

فيل نحانباً إن سيكلوجيا الأنا تكون حقل لقاء مع النظريات السيكلوجية
غير التحليلية . في حين ان سيكلوجيا الهوى كانت ذاتاً مجالاً موقوفاً على التحليل
النفسي وطلت أيضاً خصمه . ومن المؤكد أن المنهج التي يعارض بعضهم بها
السيكلوجيا التحليلية لأن مختلفة عن تلك التي نستخدم بها سيكلوجيا الهوى ؟
بها تشبه كثير تلك التي نستخدم استخدانا ، سائماً في المجال العملي . إنها أقل عدد

وأقر حسماً. وبصوّر بعض التحليلين مع ذلك أن هذا الأمر حجة تمنح الشك في واقع هذه الكشوف أو في أهميتها. ونقول إن هذا خطأ، ذلك أننا لا يمكننا أن نعدّ مقاومة معرفة جديدة كالتفرد المطلق لفهمها العلمية. فإذا كان المقد المصاغ ضد سيكولوجيا الأنا معتداً بصورة نسبية، فذلك لأن غير التحليلين لا يدركون أيضاً، إلا نادراً، خلفيتها ومتضمناتها. إن فرويد، رفس، رعضاً صائباً، عند التحليل النفسي، مذهباً بالمعنى الحقيقي للمصطلح. وهو يكون مع ذلك كلاً منظماً متمسكاً، إلى درجة مفدها أن محاولة اقتلاع أجزاءه لا تعضي فحسب إلى تدمير الكل، ولكنها تغير الأجزاء وتلحق الضرر بها. فالسيكولوجيا التحليلية للأنا تختلف كثيراً، كما أكد فنيشل، عن ضرب من سيكولوجيا السطح، ولو أنها تأخذ بالحسبان، على نحو متصاعد، تفصيلات السلوك والتجربة الواعية بكل أشكالها. إن السيكولوجيا التحليلية للأنا تدرس أيضاً مشكلاً وفقاً لعولج، مشكل السيرورات قبل الشعورية والعلاقات بينها أيضاً وبين الأنا اللاشعورية وقبل الشعورية والشعورية. ولم تكن وجهة النظر الدينامية الاقتصادية مطبقة على هذه السيرورات إلا قليلاً جداً، ولكنها تعني بكلية الحياة النفسية. ويتبع لما تطور سيكولوجيا التحليلية النفسية أن نفهم لماذا لا نعرف أيضاً إلا معرفة نسبية جداً طرائق عمل الجهاز النفسي، وأنماط إعداده التي تفضي إلى أعمال متكيفة. ولا يمكننا بساطة أن نقارن بين الأنا، التي نتصورها أنها الجزء غير البيولوجي من الشخصية، وبين النمو الذي يكون البيولوجي: هذا المشكل، مشكل التكيف، يحذّرنا على وجه الضبط من تمييز هذا النوع. والنصحیح والمؤكد أن الجانب، مجرد الوصفي والفيوضولوجي، يتخذ أهمية خاصة بالنسبة لسيكولوجيا الأنا. إنها تولي أهمية تفاصيل السطح النفسي، الذي كانت تميل إلى إهماله. ونحن جميعاً ولأربب على وفاق مع ذلك في الاعتراف أن هذه التفصيل الفيوضولوجية التي تسرع انتباهنا حالياً لا تكون في رأينا سوى درب للتفرد أو نقطة انطلاق أما بالنسبة إلى سيكولوجيا الفيوضولوجية، بلقابل، فإن تراكم معارف التفصيل الوصفي يكون هدفاً أيضاً. ولا ينبغي أن نستج من ذلك أن السيكولوجيا التحليلية

للأنا تلاحق الأهداف نفسها . فالفارق الأساسي بين العمل الفينومينولوجي والعمل التحليلي يظل دون تغيير . ولا يمكن على سبيل المثال ، بهذا المعنى ، أن تدخل سيكولوجيا الأنا لدى فودرن ، المنحورة على كل الأشكال من تجربة الأنا ، في إطار الفينوميتولوجيا ؛ والثواقع أن هذه الأشكال من التجربة انعيشة تكون ، هي تصور فودرن ، مؤشرات سيرورات (ليبيدية) أخرى ولا يمكن أن ندركها إلا بفاهيم شارحة لا بفاهيم واصفة .

٣ - الأنا لا تشكل إلا في النزاعات

التحليل النفسي يتميز برياط وثيق يربط النظريات بالمهام العملية ، وهذا يشرح واقعاً مفاده أن بعض وظائف الأنا استرعت انتباهها قبل وظائف أخرى . والمقصود على وجه الخصوص تلك الوظائف ذات العلاقة المباشرة بالنزاعات السائدة بين المراجع النفسية المختلفة : فوظائف الأخرى للأنا ، كذلك الشرح بالوسط المحيط ، تم تكن قد ارتفعت ، بسبب هذا التطور ، إلى رتبة المشكل : إلا في مرحلة لاحقة من علمنا . ولو أن بعض المشكلات العزولة قد أدت منذ البداية دوراً في التحليل النفسي . ومن المؤكد أن الملاحظة التحليلية النفسية اصطدمت دائماً ببعض الظواهر التي كانت تعابنها وتحاول إعدادها وهي ظواهر ذات علاقة بوظائف أخرى للأنا ؛ وتكن هذه الظواهر لم تشكل إلا نادراً موضوع دراسة مفصلة وموضوع تفكير نظري . ونعلم أيضاً ، بالتجربة ، أن لوظائف النفسية أهمية أقل اتصافاً بأنها حاسمة ، لفهم الاضطرابات المرصية وعلاجها . أي بالنسبة للمجال الذي كان دائماً موضع الاهتمام الأكبر من المحللين النفسيين . من سيكولوجية النزاع الذي نجده دائماً في أصل العصاب . ونحن بعيدون مع ذلك عن أن نبخر قيمة الدلالة العبادية لهذا المجال ، ولكن الحسب النظري لهذه المسائل إنما هو الذي سيشفئنا هنا ، على وجه الخصوص ، ونظر فيه مع ذلك من وجهة نظر محددة . ونحن نسلم بانناكيد أن الأنا تكون مستندة إلى النزاعات ، ولكن هذه النزاعات لا تشكل الجذر الوحيد لتكوين الأنا . فيبني سيكولوجيا عامة للنمو ، كما يمكن ،

في اعتقادنا، أن يكونها التحليل النفسي في الوقت الراهن، أن تأخذ بالضرورة هذه المجالات بالحبان. وهذا الاندماج ينبغي له أن يجري بالمعنى المذكور أعلاه، أي أن يمثل إعداداً جديداً لهذه الحقول من البحوث، التي تدرسها السيكولوجيا غير التحليلية، من وجهة نظر التحليل النفسي وبطرائقه. ومن المؤكد أن الملاحظة المباشرة لسيرورات النمو، التي يجريها المحلل النفسي (وملاحظة الأطفال المباشرة قبل كل شيء)، ستكتسب لهذا السبب أهمية علمية متامة بالنسبة للتحليل.

٤ - أوجد منطقة من الأنا خالية من النزاع؟

كل مناقشة مع الناس، كل سيرورة تعلم أو نضج، لا تكون نزاعاً بالضرورة. ونجد في هذه المنطقة ذلك النمو غير النزاعي أيضاً للإدراك، والقصد، وتصور الأشياء، والفكر، والثقة، وظواهرات اندكزي، والإنتاجية؛ وتُمثل فيها أيضاً مراحل النمو الحركي المعروفة - الإمساك باليد، والخبو، وتعلم المشي - وأخيراً السيرورات الكلية للنضج والتعلم، إذ تقتصر على ذكر بعضها. وثمة عدد كبير من أعمال التحليل النفسي المعروفة، التي لن نذكرها هنا، وجد في ذلك نقطة انطلاق، والحقيقة أننا لانظر في الشكل، أغلب الأوقات، من وجهة نظر السيكولوجيا الراهنة للأنا. (دزس إ. بيريغ، عام ١٩٣٦، تغييرات السيكولوجيا التحليلية في الدوافع والأنا). وليس من الضروري أن نعدّد هذه الوظائف كلها. ولا نريد بالتأكيد أن نزعّم أن النزاعات النفسية لا تلمس فاعليات الطفل - المذكورة أعلاه، أو الفاعليات الأخرى، التي يتحدّد موقعها أيضاً في هذا السياق. ولانعارض أن اضطرابات خلال التطور تتيح النجاة للنزاعات ويكون إعدادها في ظل شكّل من النزاعات. فنحن نحث، على العكس، عن أن نلفت الانتباه إلى دالة قدرها أن تكون مرتبطة بعلاقة مع ضروب النمو والنزاعات الدفاعية المعروفة جيداً، النمطية أو الفردية، وكذلك إلى النحر الذي تساعد عليه الفرد أو تمنعه من أن يسود هذه النزاعات؛ ونحرم أن نسفي كلية هذه الوظائف من حيث أنها تجري عملياً خارج مجال النزاعات النفسية، بالمصطلح المؤقت «منطقة الأنا الخالية من النزاع» وأمل أن

لا يحتفظ الأمر على القارئ باستخدامنا هذا المصطلح . ونحن لانفهم منه مقاطعة نفسية ينبغي لتطورها بالضرورة أن يحدث بمنحى من النزاع، ولكننا نفهم منه أكثر من ذلك، أن بعض السيروريات تظل من الناحية الاختبارية، لدى الفرد، خارج منطقة النزاع . ومن الممكن أن نذكر ما ينسب إلى هذه الدائرة من الأنا الخائبة من المراح ذكرًا من وجهة نظر طولانية وعمومية من الحماية النفسية على حد سواء . وما فاتنا حتى الوقت الراهن يكمن في أن نعرف هذه المنطقة معرفة تحليلية منهجية وهي أن نحوز أيضاً معرفة أكثر كسالاته «المحصّر لواقعي» وسيروريات الدفاع من حيث أنها تقود إلى تطور سوي، وأخيراً في أن نحوز وعياً أكثر بروزاً بالإسهامات التي تقدمها هذه المنطقة الخائبة من النزاع فيما يخص طبيعة الدفاع ونتيجته (وأنشكال المقاومة) وكذلك انزياح الأهداف الدفاعية . ومن الواضح، من جهة أخرى، أن بحوثنا تقتصر على هذه المنطقة - ذلك ما يعمل علم النفس الكلاسيكي في الأغلب - ستهمل بالتأكيد أوضاعاً نفسية أساسية .

٥ - ميكولوجيا الأنا ليست غريبة أبداً عن التحليل النفسي

ستقدم دراسة منطقة الأنا الخائبة من النزاع: وهي تحوز عنى بعض من الدلالة من وجهة النظر التقنية (في تحليل المقاومات على سبيل المثال)، لمشاكل النفسية التحليلية، إسهاماً أوهى من دراسة النزاعات والدفاعات؛ وتكون تلك مسألة أخرى لن ننظر فيها هنا . وربما يعترض بعضهم أن هذه المنطقة تمثل الجزء من السيروريات النفسية الذي ينبغي أن يظل خارج اهتمامات التحليل النفسي ومن الأفضل أن يتركه لتفروع سيكولوجية أخرى . ونحن ذكرنا آنفاً لماذا لانعتقد أن مثل هذا التحديد ومثل هذا التخلي غير مسوغين . وليس لنا الحق في أن نقسم مجالات علم النفس بين التحليل وتفروع سيكولوجية أخرى - ذلك أن ممثلي هذه التوجهات الأخرى يجازفون في إهمال ظاهرات شوّ ذات أهمية تؤثر نتائجها أيضاً في مجالات كنا نعدّها فيما مضى «خارج مجال التحليل النفسي» . فإذا كنا نريد حقاً أن نجعل التحليل النفسي نظرية عمدة للنمو النفسي، فينبغي لنا أن نعمق دراسة هذا الجزء من

علم النفس انطوائياً من وجهه نظرنا وبطرقنا الخاصة - في التحليل وبالملاحظة
 لماشورة لسوء الطفل . فبيكرتوجيب الأنا كلها كانت تمثل فيما مضى ، بالنسبة
 لتحليل النفسي ، هذا المجال الغريب الذي كان عليه أن يعقد إليه في كل لحظة ،
 ولكنه كان متعدياً التمازج من الناحية النظرية . كذلك الأمر في أيامنا هذه فيما
 يخص منطق الأنا الخالية من النزاع . ولكن هذه الحدود ستتهدم ، هي أيضاً ، إلى
 أن ترفع .

ومن المؤكد أن مشكل التكيف على وجه الخصوص يدخل سيرورات مرتبطة
 بأوضاع زراعية وسيرورات أخرى مرتبطة على نحو ظاهر بهذه المنطقة الخالية من
 النزاع ، على حد سواء . وفيما يخص مع ذلك مشكل التكيف إنما فرضت المسائل
 التي ناقشناها هنا نفسها علينا للسرة الأولى . وسيكون مثيراً للدهشة على وجه
 الخصوص أن ندرس كيف تتداخل أنماط إعداد الثورات الخارجية والداخلية - التي
 تعضي إلى القدرة على التكيف المتوسط وإلى حالة من التكيف النسوي - في احالة
 للشخص مع أليات أخرى نعرفها معرفة أفضل ونعدها سبب اضطرابات التطور .
 وسيكون مثيراً للاهتمام أيضاً أن ندرس ، في هذا المنظور ، مشكلات عديدة خاصة
 بسوء الطبع ، وجوانب الشخص التي نسميها «اهتمامات الأنا» ، ومشكل
 لقابليات ، الخ . وهكذا فإن مشكلاً ذا أهمية من الناحية العيادية ، لم يحظ فقط
 أيضاً بما يستحقه من الدراسة ، يكمن في النحو الذي تؤثر بعض القابليات في توزيع
 الطاقة النرجسية ، والضافة ذات العلاقة بالموضوعات أو انعكاسية ، وكيف تبرز
 إمكانات محددة لحل النزاعات وكيف تشجع بعض سيرورات الدفاع .

٦ - الأنا: حالة يعني النظر فيها من زوايا مختلفة

نعلم أن نعرف الأنا في فاعليتها الدفاعية المعروضة في كتاب كلاسيكي من
 تأليف أدام برويد (١٩٣٦) . ولكن نسبة مشكلات وأدت في حقل التحليل (وربما
 لا يكون نافلاً أن نلح عليها) ، تدفعنا إلى الاهتمام بوظائف أخرى للأنا وبجانب
 آخر من فاعلية الأنا . وسوف أن نصف ثمر الأنا متبعين النزاعات التي ينبغي لها أن

تحلها في صراعها مع الجهو والأنا العليا؛ وبومعت أيضا أن نخصس في هذه النزاعات تلك النزاعات مع العالم الخارجي وعد الأنا، بالنسالي، منورطة في حرب على ثلاث جهات . وعلى هذا النحو إنما نذكر - على سبيل المقارنة - لنصف بدأ، أمة أو دولة، ما هي حدودها ونصف تنازعاتها العسكرية مع الشعوب أو الدول المجاورة (وهذا ليس سوى صورة من صور أخرى؛ وما نسميه هنا البلد - الجوار يكون على وجه الضبط جزءاً أساسياً مما نطلق عليه عموماً - مستخدمين صورة أخرى - مجال الشخصية المركزي^٥). ولكننا يمكننا أيضاً أن نخصص نحو السكان في أيام السلم، اقتصادهم، بنيتهم الاجتماعية، كذلك العلاقات السلبية التي يقيمونها مع الجيران. ويمكن أن نتصور الدولة أيضاً منظومة من المؤسسات التي يتجلى عملها في التشريع، والسلطة القضائية، إلخ. وثمة على نحو طاهر صلات نظامية بين وجهات النظر المختلفة هذه، ونحن نعود إلى نقطة انطلاقنا السيكونولوجية - فهذه الصلات، والعلاقات، هي التي تنطوي على الاهتمام الأكبر بالنسبة لنا. وينبغي أن ندرس العلاقة المتبادلة بين نحو داخلي (وخرجي أيضاً) بعض أشكال «الإعداد»، على سبيل المثال، «هادئ» وبين النزاع النفسي، من حيث أنهما يشجع أحدهما الآخر أو يكف أحدهما الآخر. فإذا ضربنا مثال المشي العمودي، فإننا نرى اختلاف عوامل بنوية، وعوامل نضح في الأجهزة المستخدمة في المشي، وسيوررات نعلم، وسيوررات ليهيدية، ونوحدات. وكذلك عوامل داخلية وخارجية المنشأ ناجمة عن الندوافع والعالم الخارجي، يمكننا كليهما أن نقود إلى نزاعات واضطرابات وظيفية (م. شميدو برغ، ١٩٣٧). رأينا عامل من هذه العوامل لا يمكنه أن يشرح وحده هذه المرحلة الهامة من النمو.

٧ - إسهامات سيكونولوجيا الأنا في علم الاجتماع والبيداغوجيا

فد يكون مع ذلك خطأ أن نعتقد أن التقابل بين وضع نزاعي ونحو هادئ يناظر التقابل القائم بين المرضي والنسوي مناظرة مباشرة. فالإنسان السليم لا يثبت من المشكلات والامس النزاع. ومن المؤكد أن حقل عمل النزاع ودرجته مختلفان.

والتقابل مرضي - سوي لا يتطابق مع التقابل ناشئ من دفاع - غير ناشئ من دفاع (أو: نمو ناجم عن نزاع - نمو خال من النزاع). فموقف يتحدد من وجهتي نظر مختلفتين، عندما نطلق في حالة من التقابل بين الاضطراب والأداء، وفي حالة أخرى من التقابل بين نزاع وخلو من النزاع. إن دفاعاً ناجحاً قد يعني «إنخفاقاً» في الأداء، والعكس بالعكس. وهذا أمر يدهي بالطبع، ولكن ربما لا يكون نافلاً أن يقوله صراحة، ذلك أننا استطعنا أن نعاين أن هذين الزوجين من المفاهيم ليسا متبزيين دائماً بوضوح كبير. ولا نريد أن نعارض بذلك أن الوصول الأكثر نجاحاً إلى مشكل النزاع من معرفة انوظيفة المضطربة (وهذا لأسباب مفهومة جيداً) ونحن مسعدون أيضاً للتسليم أننا لا بسعنا أن نعلم ما إذا كان سير المنطقة الخالية من النزاع سيستخدم الطريقة نفسها على نحو رئيس، أو ماخري سيستخدم ملاحظة (مباشرة أو غير مباشرة) النمو غير المضطرب.

وفي عداد مجالات البحث التحليلي، أو مجالات يُخصيها التحليل ويمكنها أن تفيد من توسع أفقنا في هذا الاتجاه، نود أن نذكر على الوجه الأخص علم الاجتماع والبيداغوجيا. ومن اليسير أن نبين أين توجد في سيكولوجيا الأنا، نقاط الانطلاق لمثل هذا التوسع، وحسبنا أن نفحص، من زاوية مختلفة، بعض المشكلات المعروفة جيداً. ونكون أعمالاً أننا نريد دون ريب العرض الأول الشامل خائب من جوانب وظائف الأنا، ذي أهمية خديتنا. وكانت السيكولوجيا التحليلية للأنا، حتى الوقت الراهن، سيكولوجيا نزاع قبل كل شيء؛ وكانت الدروب الخالية من النزاع، الخاصة بإعداد وتطوير متكيفين مع الواقع، قد ظلت في الظل بالتقابل. فلنكل علم حق في أن يبحث عن دربه ملتسماً من نتيجة إلى نتيجة تالية، وكل علم اختياري مرغح على أن يهيج على هذا النحو. وبنيت البيداغوجيا بالضرورة ودائماً، على صورة الشخصية الكلية، سواء أكانت هذه الشخصية ذات أساس من الناحية العلمية أم لا. وتتوافق أهداف البيداغوجيا مع مفترضات اجتماعية وتعي على الوجه الأخص بتصرفات التكيف (باستثناء واحد متكلم عابه فيما بعد). ونهدد السبب لن تتمكن طرائق التربية أن يكون لها حظ اجتماعي

(نحن هنا نترك جانباً مشكلات القيم التي ترتبط بها) إلا إذا أخذت بالحسبان كلية ميروورات التطور، وبنيتها، ومزاتها في التراتب البيولوجي، وقيمتها الإنتاجية والتكيفية.

٨ - إضفاء الصفة الفكرية على الدوافع فتح أساسي للأنا

نحن نعرف على هذا النحو جيداً جداً بعض العلاقات الموجودة بين الحياة الدفاعية والتطور التمكيري. ونعلم كيف يمكن أن تكفب النزاعات أو المستوعبات الدفاعية، كفاً مؤقتاً أو دائماً، نحو الفكر. وبيّنت لنا أنا فرويد من جهة أخرى أن إضفاء الصفة الفكرية في مرحلة البلوغ يمكنه أن يُستخدم دفاعاً ضد الأخطار الدفاعية، وكيف يكون محاولة لتغلب على الدافع بوسائل غير مباشرة. ولهذا السبب فإننا نجد أنفسنا أيضاً، متجه نحو الواقع؛ ويشيح لنا هذا الجانب أن ترى في هذه الآلية شيئاً يمكن أن نعدّه أيضاً سيرة تكيف. واستطاعت أنا فرويد أن تقول: بهذا المعنى، إن أخطار الدوافع تحمل الناس أذقياء». وبوسعنا المتابعة والتساؤل لماذا تُستخدم هذه الوسيلة بدلاً من الأخرى للدافع المرء عن نفسه ضد الدوافع ولماذا يكون إضفاء الصفة الفكرية نامياً وفق الحالات قليلاً أو كثيراً. والمقصود هنا بالتأكيد تلك العلاقات المعقدة التي نعرفها مع ذلك معرفة جزئية: فلنفكر على وجه الخصوص بالدلالة التي نتخذها محاولات الحل المبكرة لدى الطفل من أجل تطوره اللاحق. ونحن لنا الحق في التسليم بعامل ذكاء يحمل بوصفه متغيراً مستقلاً ويسهم في تحديد اختيار السيرة الدفاعية ونجاحها. ومع أن لدينا بعضاً من الوعي بهذه الظواهر، فإننا لانحوز مع ذلك معرفة منهجية بها. فتعلم التفكير والتعلم على وجه العموم يكونان وظيفية بيولوجية مستقلة، موجودة على حدة ومستقلة جزئياً عن الدوافع والدفاعات.

والفكر المنطقي متجه نحو الواقع، سواء كان اتجاهه مباشراً أو غير مباشر. وعندما تقوم أشكال تطية من الدافع كالدوافع إلى فاعنة فكرية متناسبة، فذلك يعني أن هذا الشكل من حل النزاع يمكنه أن يتطوي على سيرة تكيف مع العالم

الخارجي . وهذا ليس بالتأكيد هو احياناً عنى النحو نفسه بالنسبة لكل سيوريات الدفاع ، ولكننا ، فيما يخص إضفاء النصف الفكرية ، نجد عاملاً بعد مرحلة البلوغ تماماً . وإضفاء النصف الفكرية هذا على احياء الدافعية ، هذه المحاولة في السيادة عنى الدوافع إذ تربطها بتصورات يمكننا أن نتلاعب بها على نحو واسع ، تكون فتحاً من الفتوحات الأكثر كلية ، وقدماً ، وأساسية ، للأننا ونحن نعدّها فاعلية من فاعليات الأننا ، بل عنصرًا لاغنى عنه للأننا . (آة فرويد).

ويتجم عن ذلك أننا لا يمكننا أن نقتصر على أن نحدد مثل هذه الظاهرة أنها سيوروة دفاع . ينبغي أن نضعها بالسماوات والعلاقات التي تتوجه نحو العالم الخارجي وتشجع التكيف . وينبغي أن ندرس أخيراً كيف تكون طبيعة الدفاع وشدته متوطنين بوظائف الأننا التي لا تنتمي مباشرة إلى النزاع . وليس التطور الفكري فقط نتيجة شرح بالدوافع وموضوعات الحب ، والأننا العليا ، إلخ ، والسبب في المستوى الأول أن لدينا بواعث للتنظيم بوجود أجهزة تعمل عملها الوظيفي منذ البدء وموضوعه في خدمة هذا النمو . فالذاكرة والترابط بين الأفكار ، إلخ ، لا تكون على أي حال قدرات لا يمكننا أن نستنتجها من علاقة الأننا بالدوافع وموضوعات الحب . ولكننا ، في تصوراتنا لهذه العلاقات ونظورها ، نفترض أنها معطيات مسبقة .

٩ - حل النزاعات والأننا القوية .

ليس علينا فقط ، لتحكم على نجاح دفاع ضد الدوافع ، أن نساءل ما كان قدر الاقتراح الدافعي ربأي نحو حمت الأننا نفسها . إننا نعنى على وجه أعم بالأسلوب الذي به ستكون مؤثرة وقائفة الأننا التي لا تشارك مباشرة في الدفاع . ومن المؤكد أن مفاهيم كثرة الأننا ، وضعف الأننا ، وتحديد الأننا ، إلخ ، تشكل أيضاً جزءاً من هذا السياق ، ولكنها تظل سلبية ما دامت الوظائف النوعية للأننا المتورطة فيه لم تكون معروسة . فمفهوم كمفهوم قوة الانا لا يمكنه أن يكون محددًا فقط انطلاقاً من مناطق حدود الأننا ، لأنه يظهر على النحو الأوضح في الصراعات داخل المنطقة الرابعة .

ونقول، كما نعود إلى مقارنتنا، إن الدعم، أو نقص الدعم، المرسل من قبلنا
المؤخر، يؤدي أيضاً دوراً أولياً لقوة مقاومة الحيوان على الحدود. ونحن نتوصل إلى
أن نحدد تحديداً موضوعياً عوامل المقاومة، والطبع، والإرادة، إلخ، التي ترتبط
ارتباطاً اختبارياً لانظرياً بالأنا «القوية» أو «الضعيفة»، نسبي إلى أن نتجاوز نسبة
التحديدات المشتركة التي تحدد قوة الأنا فقط انطلاقاً من علاقة هذه الأنا بالهيو والأنا
العلنيا. وسنكون عندئذ قادرين على أن نقارن قوة الأنا لدى مختلف الأفراد، ولو
أن العلاقة بين السيادة على الواقع والأداء، من جهة، وبين سيادة على الواقع وقوة
الأنا من جهة أخرى، علاقة معقدة جداً. ويكون عمل هنريك (١٩٣٦) إسهاماً في
تحديد قوة الأنا. ونلاحظ دائماً من جديد، خلال عمليتي العيادي، كيف أن الفرق
في النمو الفكري تنعكس في الأسلوب الذي يود به الطفل تلك النزاعات، وكيف
أن أسلوب السيادة على النزاعات يؤثر بدوره في هذه التفاعلات، وبوسعنا، من
وجهة نظر وصفية، أن نعاين عملاً متصافراً تقوم به الدائرة السراعية ووظائف أخرى
من الأنا.

والمقصود عمل متصافر واقعي أو، يمكننا أن نقول، التحديد المتصافر
للسيرورة النفسية. وبحسب الأسلوب الذي تمثل به هذه الظواهر للتقصي
انعني، يمكننا أيضاً أن نتكلم على جانبين من سيرورات الأنا؛ والواقع أننا
نحصر السيرورات نفسها على الغالب، نارة، على سبيل المثال، في علاقة مع
مشكلات النزاع الداخلي، ونارة أخرى نأخذ بالحسبان تعيبتها للأجهزة المكلفة
بالسيادة على الواقع وتأثيرها عليها. ولكن هذه السيرورة نفسها يمكنها أيضاً،
بالمناسبة، أن تعيها في علم الأمراض، في علاقتها التكوينية باضطرابات التكيف،
في حين أنها تتخذ في الوقت نفسه دلالة إيجابية بالنسبة لتكيف في سياق آخر.
فأحد عاملي هذه السيرورة يصبح ذا أهمية تبعاً لكونه بعداً هذه السيرورة تحت
مظلة أحد هذين الجانبين؛ والمقصود هنا إذن تصنيف وفر وحصي نظر مختلفين
(انظر ما قلناه أعلاه عن مشكل الصحة ومشكل النزاع).

١٠ - متى تصبح الفاعلية الاستيهامية مرضية؟

منصرب مثلاً آخر يفود إلى النتيجة نفسها؛ إنه يؤدي دوراً في سيكولوجيا الطفل والبيداغوجيا، ولكننا نصادفه باستمرار أيضاً في تحليلات الراشدين؛ والمقصود هو الفاعلية الاستيهامية.

ونسألمحاجة إلى أن نذكر بدلالة تكرير الاستيهامات، بالمعنى الضيق للمصطلح، في سيكولوجيا الأعصاب. إن أنا فرويد عرضت، في كتابها الأخير، وظيفتها في نمو الطفل. وتفحص فيه نفي الواقع بواسطة استيهام وتبين كيف ينفي الطفل جزءاً غير مسموع من الواقع يفرض قبوله. في بعض الظروف، ويحل محل استيهاماً. وثمة سؤال يفرض نفسه وحرجته أن فرويد أيضاً. إنه يكمن في معرفة أي الشروط تصبح فيها مثل هذه الضرورة مرضية. وهناك مجموعة كاملة من العوامل مسؤولة عن ذلك ولأربب، ولكننا نجد منها واحداً يؤدي بالتأكيد دوراً ذاتية: إن درجة النضج في أجهزة الأنا التي تستخدم في الإدراك والفكر (الاستيهامات النفسية)، إلخ، هي التي تضمن علاقات الفرد بالمحيط. ... وربما يكون الرباط الذي يجمع إلى الواقع أنا ناضجة نسبياً رباطاً أقوى على وجه العموم. (أنا فرويد، ١٩٣٦).

وعندما يحل استيهام محل جزء كبير من الواقع، نجد أنفسنا أمام نوحه مختلفة جداً من وجهة نظر اقتصادية، تبعاً لكون الفرد راشداً أو طفلاً. ومن الضروري هنا، كما بالنسبة لتشكيل عمو الذكاء وضروب كفاء، أن ندرس وظيفة هذه الأجهزة ونموها؛ وإلا ظل المشكل متعذر الحل.

وثمة، انطلاقاً من هذه الملاحظات، سؤال ثان يفرض نفسه مباشرة: مادور عناصر الفاعلية الاستيهامية التي تشجع التكيف؟ ولا ينبغي أن يكون جوابنا بالتأكيد أن يسهل الدلالة البيولوجية الأمامية لاختبار الواقع، والاستيهام التمييز بين استيهام وواقع. ويعتقد فارتشترنك (١٩٢١)، المؤلف المحلل النفسي لوحيد بعد فرويد الذي درس السمات العامة للفاعلية الاستيهامية، أن لتفكير الاستيهامي وظيفة

بيولوجية بفعل محاولته أن يحل مشكلات حياة البيضة - وهذا على عكس عمل الخليم. ونشير عابرين أننا بصطلح من جديد، في عمل فرندونك على الفكر الاستيهامي، بآيات قبل الشعور التي أكد كريس (١٩٣٩) دلالتها بالنسبة للمشكلات التي نشكنا. فمفهوم الاستيهام واسع جداً وغير دقيق سبباً ونديماً الانصباع مع ذلك أن نكل الظاهرات المسماة بهذه الكلمة نفاطاً مشتركة. ونعلم جيداً أن «المخيئة»^(١)، بمعنى قابلية للتركيب، وبمعنى أيضاً فكر بالقياس وبالصور، يمكنها أن تكون خصبة حتى في المجال الأخص بالعقل، أعني الفكر العلمي. بل يتبني التسليم أن الحياة انعكسية لدى الراشد السوي لأنخلو أبدأ خلواً كاملاً من عناصر نفي الواقع ولا من إبداع استيهامات نوب منابه، وهذا، مهما قيل عنه، تصور إجمالي لفهرم النصححة النفسية. وما علينا إلا أن نفكر باتجاه الإنسان إزاء جنسية الطفونة والتصورات الندية.

١١ - من اللعب إلى الاستيهام. ثم نعلم الواقع بمعطقات

تعلم العلاقات بالواقع يمر على وجه الاحتمال بمعطقات. وتبدأ بعض دروب التكيف مع الواقع بالابتعاد عن الوضع الواقعي. ونحن سنذكر وظيفة اللعب مثلاً - ونحن نرجع بذلك إلى نظرية غائية للعب الطفل، بل إلى دوره الفعلي فقط في النمو الإنساني. وبوسعنا أيضاً أن تفكر هنا بوظيفة الاستيهام المساعدة في سيرورة التعلم بالمعنى الحقيقي للمصطلح. ويقود الاستيهام دائماً إلى الانحراف أول الأمر عن وضع واقعي؟ ولكنه يمكن أيضاً أن يكون استعداداً للواقع. ويتعد نموه دائماً بعض الابتعاد عن الواقع، ولكنه يمكنه بالتالي أن يقضي إلى السيادة عليه على نحو أفضل. وبوسعنا أن ينجز مهمة توليفة إذ يربط حاجتنا وأهدافنا مؤقتاً بإمكانات تحقيقها. ونحن نعرف أيضاً معرفة جيدة جداً استيهامات بعد الفرد عن

(١) الكلمة الألمانية «Fantasie» تدعى مستعملاً على «fantsie» من حيث الأقدم وهو الخيال (imagination). فنية تركب صورته. وعلى ما يبدو «fantasme» - بوضع إشاع هذا - شجيلة «fantasie» الشعوري أو اللاشعوري. - نحن مستعدون، ونقول الشيء، - جمهور هذين الكلمتين (ملاحظة المترجم)

العالم الخارجي، ولكنها تجعله مستقبلاً لتوابعه الداخلي. وكوتت الظواهرات والسيرورات النفسية محتوى مثل هذه الاستيهامات قبل أن تصبح، بزمن طويل، موضوعاً علمياً (بفضل التحليل النفسي). والوظيفة الأولية لهذه الاستيهامات ذاتية المرونة وليس ذات أشكال من المرونة، ولكننا نحن الأخبرون الذين يعارضون ضرورة معرفة معقفة للحياة الداخلية وأهميتها في السيادة على العالم الخارجي. وينبغي مع ذلك أن ندرك جيداً أن معرفة الواقع والتكيف مع الواقع ليسا مفهومين متماثلين ولكننا سنعود إلى ذلك. ويبيّن، على أي حال، ما قلناه مجدداً كيف يكون من الضروري أن نبيّر جيداً جوانب الشكل المختلفة. وينجم عن هذا التمييز وضع مفارقي في الظاهر: إذا انطلقنا من علم الأمراض وسببولوجيا الأعصاب والذهانات، فبنا سنصل إلى أن نولي ثور الدروب الأكثر قصراً، التي تعود إلى الواقع، قيسة علياً، في حين أننا إذا انطلقنا فقط من التكيف مع الواقع، فإننا إنما سنهم قسة الاستيهام على سبيل المثال. وانواقع أن ظاهرة واحدة إنما تتخذ، وفق وجهات النظر، مظهراً إيجابياً تارة، وسببياً تارة أخرى. ففي حالة من الحالتين، يعني «إيجابي» على كل حال «تفادي العصاب»، وفي الحالة الأخرى «تشجيع التكيف». إن ضرباً من الفحص المتسرع جداً أو الوحيد الجانب يجارف في فصل ما هو مرتبط بصورة أساسية. ولم يكن لدى التحليل - خلال زمن طويل، أي داع يدعو إلى الاهتمام بالجانب الآخر من السيرورات، التي تنتمي إلى ميدان علم النفس السوي، ولكن أي عدم نفس لسوي غير تحليلي عاجر عن فهم هذا الجانب.

وفي قاعدة إنكار الواقع، نجد الهروب. وتبدو سمة الهروب هذه على نحو أبرز في التحب. وأبانت آنا فرويد (١٩٣٦) نتائج هذا التحب التي تكمن أساساً في تقليص الأنا. فتجنب عالم محيط يحتوي صعوبات ومقابله الإيجابي، السحت عن عانم آخر، يوقر إمكانات أفضل وأسهل مثلاً، وعمسا يكو تان مع ذلك. في الوقت بعه. سيروره تكيف ناجح بنى الحد الأقصى (إذا تجاوزنا لتصورات الشائعة للمرونة الذاتية والمرونة ذات الأشكال المختلفة). وبن سيرورات التكيف بالمعنى

الواسع للمصطنع، ينبغي أن نولي: دون ريب، سيروزة البحث عن عالم محيط ملائم وسيروزة الاختيار بين عدة أوساط ممكنة والاختيار أيضاً بين عدة وظائف ممكنة، مكاناً أكثر مركزية (انظر أ.إ. بار، ١٩٢٦). وبوسعنا أن نلاحظ هاتين السيوروتين في مملكة الحيوان، ومجد منهما دون ريب أيضاً أمثلة عديدة لدى الإنسان. وهنا يظهر محدداً هذا الوجه المزوج للمشكل وهذا التضمن لمجموعة أخرى من ميون الأنا.

١٢ - حقل مهمل: التحليل النفسي المطبق على علم الاجتماع

ماقلناه عن الاستيهام يطبق أيضاً (في هذا المنظر) على العمل الوجداني. ويبدو العمل الوجداني، منظور إليه من زاوية سيكولوجيا الأعصية وبالتقارنة مع الصورة التالية النظرية للعمل العقلي، بقية كثيبة من حالات نفسية بنائية ويبدو كأنه عرف بالنسبة إلى السوي. ومن المؤكد أننا نتبين بوضوح تلك الصعوبات بالنسبة للعلاج وغو الشخصبة الذين تستمد الصعوبات مصدرها منهما، وأنا نهمل الاندفاع إلى انبادة على الواقع، المحتوي فيهما أيضاً. ولكننا نعلم أيضاً أن الوجدانية متفهم ذو أهمية، إذ تسهم في وظائف عديدة للأنا، وأنها تتبع وتشجع هذه السيوروات. وبين فرويد ١٩٣٧، على نحو أقرب إينا أيضاً من الناحية الزمنية، أن نتيجة تحليل مكتمل كلياً لم يكن يكمن في جعل الفرد موجوداً محروماً من الأهواء.

وبوسعنا أن نكثر من الأمثلة إلى حد كبير، وسنقتصر على أن نذكر أيضاً مجالاً يبين بروز خاص ضرورة أن تفحص هذا الجانب الآخر وتدخل منظمة الأنا الخالية من البراغ. والمقصود تطبيق التحليل النفسي على العلوم الاجتماعية ونعتقد أن التحليل النفسي ينبغي له أن يصبح ضرباً من العلم الأساسي لعلم الاجتماع. وبين وولدر (١٩٣٦) تلك الدلالة التي كان توسع التحليل النفسي أن يكتسبها من المشكلات الجزئية التي ندرسها العلوم الاجتماعية. ولكن مراكز الاهتمام ليست واحدة لدى التحليل النفسي وعلم الاجتماع: وهذا العلم الأخير يولي أهمية بعض المشكلات التي نعدنا نحن ليست أساسية فالقاعدة الاجتماعية

هي الأساسية بالنسبة له، أي إنجاز أو عدم إنجاز المهمات التي يقضيها المجتمع (أي مهمات التكيف)؛ إنه لا يولي سيكولوجيا النزاعات النفسية أهمية، ولا إعداد الأقران الليبيدية، انعكاسية، إلا في حدود ما تتجلى هذه السيرورات في تصرف اجتماعي. فالقيم هو الإنسان من حيث أنه ينجز ويحقق (الإنجاز مأخوذ هنا بمعناه العام). والإنجازات الجهاز النفسي هي ذات الأهمية، وذو أهمية على نحو غير مباشر فقط ذلك الأسلوب الذي به يتجاوز صعوباته ووجهنا النظر هاتان، تلك التي تنطلق من الأداء وتلك التي تنطلق من النزاع، هما ضروريتان من الناحية السيكلوجية. وإذا طبق التحليل النفسي على علم الاجتماع، فإننا ننسّق بين وجهي النظر هاتين. وإدراجه نحو المنطقه الخالية من النزاع في الأنا ونحو وظائفها، وإذا نفذ نفوذاً أبعد في مشكل التكيف، فإن بوسعنا أن نأمل باستثمار هذا الحقل المهم الذي يقع بين المنطقتين، وبمبدأ إمكانات التحليل إلى هذه المشكلات في العلوم الاجتماعية. وقد يكون يسيراً أن نبرهن على ما قلناه للتوّ، بواسطة أمثلة مشخصة، ولكننا لا يمكننا أن نتوسّع في هذا الموضوع.

هانز هارتمان

الفصل الخامس

الأنثى، عامل مبتدئ

مقدمة:

هذا الدافع، «دافع الاستيلاء» الذي سيشتغلنا هنا، لم يكن فرويد قط قد حدّده على نحو خاص. ولكنه مذكور في بعض تصوره، ويبدو أنه ينطبق، قبل إدخال غريزة الموت، عام ١٩٢٠^(١)، على دافع غير جنسي، موجّه نحو موضوع خارجي. وهكذا قد يكون وحده في أصل عدوانية الطفولة. ثم يتوحّد، في مرحلة ثانية، مع الدافع الجنسي. بحسب المعلومات التي يقدّمها فرويد عام ١٩٠٥، في المحاولات الثلاث في نظرية الجنسية.

وكون فرويد يعزو إليه الجهاز العضلي مركزاً له فإنه يجعله في علاقة مع الطور السادي، إذ يكون الاستيلاء العضلي، على نحو من الأنحاء، ضرورياً من امتداد فاعلية العضلة الصارّة. ذلك أن الفاعلية تميّز دافع الاستيلاء؛ وهي تمنع السادية وجودها، إذا أضفيت عليها الصفة الجنسية (انظر فرويد: «الاستعداد المسبق للحصاب الوسواسي» ١٩١٣). ويعدّ فرويد، في «الدوافع وقدرها» أن السادية ليست مرتبطة بالجنسية على نحو أولي، بسبب عنف ليست ممارستها عامل لذة.

(١) حُرِّف الدوافع، الحب والخوف، الحياة والموت، نشأ بعدد في المحاضرة نفسها.

(٢) نفس. مما يحدّث إلى حالة سادية، مرحلة التيهود، في نسخة عنها.

ويجازف هذا الاستخدام لكلمة «سادية» في جعلها مرادف «عدوانية»
والواقع أن علاقة العدوانية بالجنسية هي التي كان التحليل النفسي قد احتفظ بها
لتحديد السادية

وعندما يعرض فرويد عام ١٩٢٠ تصوّره غريزة الموت، يصبح دافع
الاستيلاء ذلك المظهر الذي تتخذ هذه الغريزة عندما تضع نفسها في خدمة
الجنسية التناسلية نفسها: والمقصود السيادة على الموضوع في الفعل الجنسي.
ويبدو عندئذ أن دافع الاستيلاء لم يعد يفشد ممارسة العنف وحدها:
فهذا الهدف هو هدف غريزة الموت التي تتحرف نحو الموضوعات. ذلك أن غريزة
الموت ذات علاقة بالأنا أول الأمر، ثم تنعطف نحو الخارج لغايات المحافظة
الذاتية على البقاء.

ودافع الاستيلاء يتشابه دائماً مع غريزة الحياة (الجنسية). فهو من ماهية
سادية إذن (علمية). وفق مصطلحات التحليل النفسي المعاصر. وظل دافع
الاستيلاء، كما نرى، غير واضح لدى فرويد، فالسيادة والاستيلاء يمثلان مع ذلك
أحد أكبر فتوحات المرحلة السادية الشرجية وي طرح أحد مدراء هذه المجموعة،
بيلا غرانجر، من جهة أخرى، ذلك السؤال الذي مفاده أن نعرف ما إذا كانت
السيادة والاستيلاء مكونة لاغنى عنها لكل علاقة بالموضوع، سواء اعتقدنا أو لم
نعتمد بوجود غريزة الموت.

وكان المحلل النفسي الأمريكي إيف هينريك قد استعاد مبحث دافع
الاستيلاء الذي يسميه غريزة السيادة وفي رأيه أن غريزة السيادة تخدم التعلم.
«العمل وتعلم العمل» لا البحث عن اللذة. إنها ليست جنسية بقعة واحدة، ولو أن
يوسعها أن تصبح كذلك فيما بعد: والإشباع الحاصل هو «لذة العمل الوظيفي».

وهكذا إذن تندرج غريزة السيادة، في رأي هذا المؤلف، في منظور
سيكولوجي (تكويني) أكثر مما هو تحليلي نفسي، يعكس على نحو كامل ضرباً
من الحركة التطيلية الأمريكية. ففكرة غريزة موجودة في الأنا، تنطوي على

تخطيطيات وراثية من السلوك مصدرها البيولوجي هو الأنا. ليست أقل إشكالية من «الأنا المستقلة» لهانز هارتمان أليست الألعاب الجنسية في الطفولة تُعتبر هنا، كما سنرى، تقنيات نعلم لم تُصنف عليها الصفة الجنسية»

وستُحفظ القصة الصغيرة أخيراً أن هربرت ماركوز - الذي ليس مطلاً نفسياً - ينحاز بقوة إلى إيف هُندريك وعلما سايكولوجيا الأنا في الإيروس **والعصاة.**

النص

رسم التحليل النفسي، في رأينا، لتجربة الطفولة لراحة ادعاءاتها بالصحة والمشروعية موضع شك من بعض الجوانب. ولهذا السبب، يبدو أن مصدر بعض الصور التحليلية، الخاصة بما هو عليه الطفل الصغير واتعباً، يكمن في إسقاط النظرية التحليلية وأهواء الراشدين أكثر مما يكمن في الملاحظة العلمية وتكونت هذه اللوحة للطفولة الأولى بصورة رئيسة، كما نعلم، من استبهامات حسية لاشعورية ومن نظرية الليبيدو. وليست قيمة هاتين المساهمتين بحاجة إلى أن تتأكد؛ وما يسترعي انتباهنا إنما هو التواتر الذي به تنطوي نتائجنا الخاصة بالطفولة الأولى على فرض - يصعب الدفاع عنه - مفاده أن حياة الراشد (أو الطفل في العمر الدراسي) التسمية اللاشعورية سخة عن تجارب الرضيع.

١ - نظرية في الطفولة الأولى يبغي إعادة النظر فيها

نمة خطأ شبيه قد يكمن، بالنسبة لمن يدرس التطور العضوي، في عدّ تطور الفرد التشريحي يحاكي على وجه الصبط تطور النوع. ففرويد لاحظ ملاحظة رائعة معانها أن المنحرف التسموي، كالعصائي، الذي تكون أعراضه ناحية عن قمع الاستبهامات «المنحرفة»، يديان لذائد الرضاع الشهوانية؛ إن هذا الفرض توسّعه

المادة التحليلية كلياً: ولكن الاستنتاج أن التجربة الواقعية للطفل الذي يرضع شبيهة بتجربة المحرّف القموي أو العصابي سيكون خاطئاً. ومن المؤكد أن فرويد لم يظن قط حكماً عاماً من هذا النوع، ولم يطلقه، على ما أعلم، أي محلّ ذكي آخر. ولكن افراضات من هذا النوع، في كثير من المناقشات التي تدور حول الطفولة الأولى لأفراد أسوياء، تظلّ ضمنية. ويبدو لي أن علينا بالتالي أن نفكر على نحو أكثر قبولاً أن روابط الطفولة الأولى، التي ندرسها في مجرى الحياة اللاحق، هي نفسها مأل نظورات معقّدة جداً وليست هي نفسها ذكريات تجزّب أولى.

وأقترح أن تكون بعض التعديلات، التي تذكرها المعارف الراهنة للسحلّين النفسيين وعلماء سيكولوجيا الأطفال، محمولة على وصفنا المألوف للطفولة الأولى. ونفهم هنا من «الطفولة الأولى» أو «مرحلة الطفولة» تلك السنوات الخمس أو الست الأولى من المصطلح بالمعنى الفرويدي، وبعبارة أخرى المرحلة قبل المدرسية، وسيقتصر حديثي على السنتين الأولى والثانية بصورة رئيسية. وسأدرس على وجه الخصوص بعض الفروق بين التجربة الطفولية والتجربة الجنسية اللاحقة، فروق يهملها المحلّكون النفسيون عادة؛ فمؤادوات الجسمية لدى الطفل يسعى جاهداً إلى السيطرة على بيئته، وعلى العلاقة بين هذه المرحلة الأولى من التعمّم والتقسّم العصابي وغوّ الأنا. ودعواي ستكون مايلي: أهمل التحليل النفسي هذا الواقع المؤكّد، أي أن الحاجة إلى التعمّم، التي تبيّن في استعمال الرضيع وسائله الخسية، والحركية والفكرية، من أجل السيطرة على بيئته، هي ذات أهمية على الأقلّ توازي أهمية البحث عن اللذة في تحديد سلوكه وتطوّره خلال السنتين الأولى والثانية من حياته. ورجع فرويد غائباً إلى هذه الوظائف في ملاحظاته الأولى لمراتر الأنا، ولكنه لم يحصّ أبداً هذه الوظائف فحصاً عميقاً ولا طورها. وثمة مع ذلك صياغة أكثر ملاءمة تفرض نفسها، لامن أجل فهم للطفل أفضل فحسب، ولكن من أجل معرفتنا غوّ الأنا أيضاً.

٢ - مثالان على الألعاب الجنسية لدى الأطفال

في البدء، سندرس الدلالة الذاتية للاستيهامات الجنسية بالنسبة للطفل نفسه. وليس ثمة ما يشير الشك أن تحليل لاشعور الراشد أتاح لفرويد أن يكتشف آثاره خلال الطفولة الأولى. ونحن التحليل النفسي عزا إلى هذا الاستيهامات على وجه العموم سمة قسرية أو حاجة غير مشبعة إلى المنحة. وذلك غير مسوغ على وجه الاحتمال الكبير إلا عندما يفترن الاستيهام ياخصر المبكر أو الموظف بفعل دافع جنسي معزّز من الناحية البيولوجية بعد البلوغ. وعلينا أن تأخذ بالحسبان تلك التراهيبي على غياب كلّي للفسر في ملاحظات مباشرة عديدة جنسية الطفولة، وأن نحذر من أن نعد على كل سلوك تلك الحدة الانفعالية التي تظهر في الواقع العصائية لدى الطفل كما في التوراث الجنسية والعصائية لدى الراشدين. وذلك يعني أن هدف غلمة الطفولة ليس النشوة الجنسية على وجه العموم. وليس المقصود، في العادة، حاجة قسرية، إلا إذا اقترنت بالحصر، ولا تختلف ديناميتها عن حاجة الراشد إذن.

وهاكم، لأوضح حديثي، مثالين اخترتهما من ملاحظات عديدة متشابهة. ثمة صبي وبت صغيرة في الثالثة من عمرها يلعبان لعباً «بريثاً». وتمتدّ البنت الصغيرة على ظهرها وتطوي ساقيها وهي تبعد الواحدة عن الأخرى. وتمتدّ الصبي الصغير عليها، ويحاكيان جماناً. وتقول البنت الصغيرة «إني الأم»، ويقول الصبي الصغير «إني بابا». ويتوقفان، بعد ثلاثين ثانية من هذه المناورة، ويتقلان إلى لعب مختلف كلياً. ومثالثنا الثاني من الغلمة في الطفولة الأولى ذو علاقة بالمسألة التي توقفت كثيراً. مسألة «اكتشاف الفرج». ثمة بنت عمرها سنة ونصف تمتدّ على ظهرها، وتمتدّ ساقيها، وتدغدغ باصبع يدها ثم تشمط صحيفة، ثمزقها إلى قطع تضغط بها عندئذ، ضغطاً سادياً، أسفل فرجها. ومن

الواضح تماماً أنها امتدّت لده شهوانية من إثارة بظرها، يلبيها استيعاب ولوج، ذلك أن مرونة الوري تُلغى فيحتمه بوصفه أداة لذة بالذات. ونهض بعد ثلاثين ثانية وتنتقل إلى ألعاب أخرى^(١١).

٣ - ضرب من علاقة الراشدين بالأطفال يولد نزاعاً

إنها إبان غمطية للجسدية الجنسية في الألعاب والاستيهامات الطفالية كما يأمل المحلل أن تكون لدى زبنة الراشدين. ولكن ما يمكن أن يدعشه إنما هو غياب انقصر في السلوك الجنسي والذي هو لاء الأطفال. وثمة، في الحياة فيعاً بعد، أوضاع شبيهة تنتهي حتماً بنعمة النشوة الجنسية أو بإحباط يليه نزاع وتوترات غير محلولة. ولا وجود مع ذلك لأية علامة من نزاع تزرع الاضطراب في الألعاب التي ينكب عليها بالناهي هؤلاء الأطفال، ولا في علاقاتهم السعيدة بعضهم مع بعض، وبينهم وبين الراشدين^(١٢).

وفي كتابها «امكانا وأليات الدفاع»، تلفت آنا فرويد الانتباه إلى واقع ذي علاقة وثيقة بحديثنا: «مشاركة الراشدين الإرادية في تشويه الواقع من جانب الطفل ترتبط دائماً ببعض الشروط الصارمة... فنية الراشد الطيبة إزاء آلية التفي

(١١) هذه الملاحظة يمكن أن تفسر أنها استيعاب أشوي أو شاتي الجنسية، ذلك أنها تؤدي بوضوح دير مانج وفي الحائرين. يبدو أن التفكير التي معانها أنه لا وجود فقط لظن بل فوحة تقتضي الولوج، وأنها ليست الفوحة الشرجية بل فوحة أخرى بحري الوضوء إليها من الأمام. فكرة برهن عليها بوضوح وهي عمر ثلاث سنوات، أو حطت هذه النسبة حين كانت تدل على ظرها إذ تسميه «حلمه»، و تدل على فرجها وتسميه «قالب» (شرح). وأجيراً أضواء عن العاقل من الاثنين، ولكن مع قليل من الاحتمام والحالة الرجولية، إنه «بي-بي-بي» (بي-بي-بي). وتبدو الملاحظة الأخيرة أيضاً أنها تدل على معرفة واعتماد من ينظر والفرج. أما أن يكون قد عدت الفرع شرجياً، أو خصته شرجياً، أمر لا يمكن أن يبرهن عليه

(١٢) متصرفاً من طرف من طيب خاطر أن هذه الملاحظة والملاحظات التالية غير كاملة، وأن مظهر النزاعات الأكثر أهمية والخصر مكتوب. خلافاً على النعم الأكثر كثرة. فالخطر الأكبر في ميسر سنّ فلعدة عماره أو تراص نظري، الشاربه هاء، وكذلك حطر التبر. أي نتائج اعتقاداً من علامات سطحة. يطوي نتائجاً من مشكلات الحكب.

للمواقف لدى الطفل تتوقف عندما لا يحري لا انتقال من الاستيهام إلى الواقع بصورة متناغمة، في الخال، ودون مغامرة... إنها تتوقف عندما تكف الفائدة الاستهيمية لدى الطفل عن أن تكون لعباً لتصبح الية أو قسراً.

ذلك ما يبدو ولي أنه يكون أحد النقاط الأكثر أهمية من كتاب آنا فرويد. وفي رأيي أن هذا التشابك بين اللعب القسري وعدم التسامح لدى الراشد يتحقق بفعل موقف الراشد من بغي الواقع لدى الطفل، ولكنه يتحقق أيضاً بفعل موقعه من ألعابه وسلوكه على وجه العموم. فعندما تشير الحصر استيهامات الطفولة أو ترجمتها في السلوك (حصر أمام خطر واقعي، خلال الطفولة الأولى)، وغن مصطلحات آنا فرويد)، يوجد نزاع، وذلك يوئد سلوكاً قسرياً يركس عليه الراشد بحيل (إلى التمتع أو الإذانة)⁽¹⁵⁾.

ويبدو لي هذه الوقائع أنها توضح جزئياً ذلك السبب الذي مفاده أن ألعاب الأطفال لا تبدو على وجه العموم للراشد أنها ذات جنس بقدر ما تعتقد نظرية التحليل النفسي: ينبغي لذلك أن تكون الألعاب الغلمية قسرية، وأن تتجاوز تجاوزاً متكرراً تلك الحدود التي حددها تسامح الراشد، أي كانت هذه الحدود لدى كل أب منظور إليه فردياً. ونوحى هذه الوقائع أيضاً أن الانتقادات الموجهة للنظرية التحليلية لا ينبغي أن تُرفص رفضاً دوغوماتياً، عندما تدعم مامعاده أن الطفل، الذي يؤكد نظرية حسية الطفولة لدى فرويد تأكيداً بادياً للمعيان ودائماً، يعرض سلوكاً من سلوكات عصبي

(15) حول هذا الشكل، نضع في برءاء موضع نشك أن النسب لدى الطفل يمكنه أن يكون مسؤولاً عن عدم التسامح لدى الراشد. وذلك صحيح بالتأكيد، فحصر الاستيهام الأولى للطفل محررات الراشد، وأنفق كثيراً على القبول بما إن عليه الراشد والأيام الختيمه مسؤولة عن عدم التسامح. ولكن عندما لا يكون تعاليات الطفل فردية، فإن الطفل يتكلم، برءاء مع عدم التسامح لدى الراشد، إن بعض ألعابه القسرية. وهكذا يحتو الطفل على مسرر، إن إن يرددها بعدة أشكاله أو بعدة طرق. إن

٤ - هل تقدم لنا ظروف التحليل النفسي للراشدين معلومات عن ماهية فكر الطفل حقاً؟

ينبغي للمحللين النفسيين أن يعيدوا فحص هذه المقدمة الأولى الأخرى المقبولة ضمياً في جزء كبير من أدب التحليل النفسي: إن عقدة لاشعورية (مجموعة من الاستيهامات وأجزاء من ذكريات ترتبطان ارتباطاً وثيقاً من الناحية الانفعالية) تكرر، ببعض من الصحة، تكون الأفكار لدى الطفل الصغير. وكان فرويد خلال زمن طويل مرغماً على تعديل اكتشافه الأولي، اكتشاف المشهد الأصلي، إذ فسره تفسيراً جديداً بوصفه ذكريات استيهام. وأرى أننا سنخطو خطوة إلى الأمام حين نتساءل ما إذا كانت الاستيهامات اللاشعورية التي كشفت عنها تحليلات الراشدين تشبه بالفعل استيهامات الأطفال.

والاستدلال الخاطيء الذي به نبحث عن تحديد حياة الطفل التصغير بمصطلح «العقد» الراشد توضحه على وجه الخصوص توضيحاً جيداً بالمثل تلك المجادلة الخاصة بموا الجنسبة النسوية. وتبين دراسة لهذا الأدب واقعين يسترعيان الانتباه: نوع وجهات النظر النظرية، والغياب المذهل للتباين (باستثناء ميلاني كلاين) في الملاحظات العيادية التي تستمد منها كل هذه النظريات أصلها مع ذلك. وما يبعث على الخدال إنما هي إعادة الإنشاءات التحليلية النفسية المتعددة لتجربة البنات الصغيرة انطلاقاً من هذه المواد. فلجوزف رأي قريب من رأي عندما يؤكد أن هذه الملاحظات توضح العقد التي وصفها فرويد، ولكن ينبغي النظر إليها أنها أعصبة ثنوية وليست شهادات على نحو سوي لدى البنات الصغيرة.

والنظرة الوضعية لكل الذين عدوا هذا الجدال كان جهداً ولدها، جهداً الجصع في إعادة إنشاء المفهولة الأولى النسوية على مقدمة أولى مفادها أن المقصود هنا مخطط يحاكي الاستيهامات اللاشعورية لدى المرأة الراشدة على وجه التقريب وإذا كنت الحاتة هي هذه، فإن نتائج عنيدة مستمدة من مواد مماثلة لا يمكن الدفاع عنها بالمقدّر الذي يدافع فيه عنها. وإذا تخليتنا مع ذلك عن التسليم ضمناً أن

استيهام المرأة اللاشعوري إعادة إنتاج حرهي إلى حد كاف لتجربة الطفولة، فإن الجدال يصبح أقل إرباكاً، وتظهر بوضوح القيم الإيجابية لهذه المساهمات. يرمثل المشسبر، الذي وضعته ميلاني كلاين للطفولة الأولى بلغة ضروب العدوان الأولية، المقترنة بالحصص، تشويهاً أكثر لمعالجة. فأن تكون قد وصفت استيهامات موجودة بالفعل ورئيسة في نحو بعض النماذج من الطبع، أمر يتكهن أن يكون مؤكداً، أما أن تكون هذه الاستيهامات موظفة كثيراً في الطفولة الأولى، مع الانفعال والقسر في إفراغ الرغبات المكتبوتة شبه الذهاني الهذائي، وذلك تشويه عظيم لتجربة الطفولة الأولى السوية.

٥ - ملاحظة بنية

توضح المناقشة المفتوحة التي تناولت الجنسية النسوية أطروحة أوسع. فرغبة الراشد في أن يسلك قديماً أو يسحب دفعة دخان من لفافة التبغ التي يدخنها هي التعبير على نحو شائع جداً عن استيهام غلمي، وسيكون مع ذلك أمراً سخيفاً أن تعد أن حركة رضيع في مهده، مانكاً إيهام شخص، تعبر عن استيهام من التبرز التماسلي. فحركته ذات أهمية بالنسبة لرضيع في هذا العمر، ولن تتخذ أهمية قسرية فيما بعد إلا إذا اعترف بها أنها مفيدة، أو أضعت عليها الصفة الجنسية. كذلك الاهتمام البارز لدى الراشد باندم والجروح يعني على نحو شائع كتب استيهام الحياء. إن بنية أظهرت، خلال ملاحظة، إثارة تولد اللذة وهي تخرج نفسها للعرض الأولى وترى بعض نقاط من الدم تظهر. وبدت فخورة بجر حياثم عنيت بدميتها فيما بعد بقليل. ولا نظوي هذه الأرتكاسات بالضرورة. في هذه المرحلة، على ارتباط باستيهامات خاصة بالأعضاء التناسلية. وستأخذ هذه الاستيهامات أصبحت مع ذلك واضحة حوالي نهاية السنة الثانية من عمرها. وحين كانت، في هذا الزمن، تزور صبياً، جلست على أرضية الغرفة وعرفت في تأمل سمكة من الخشب كانت تمكها كما لو أن المقصره عصور ذكر واستخدمت على انحاب، في الشهرين التاليين، ملاحظ غيبيل على التحرف نفسه وخلال هذه

المرحلة، بأن على الغالب اكتشافها جسم الغير بعلامات عديدة. ولكن الدليل الموضوعي التوحيد على الحصر لدى هذه البنية ظهر عندما تناقص اهتمامها بهذا الاكتشاف. إنها زأت على شاطئ بحر عضو ذكر صبي صغير: توقفت مباشرة عن اللعب، وبدت مدعوثة، وظلت مضطربة خلال عدة ساعات. (ربما كانت قد استتجت من بحوثها السابقة أن أباها وأخاها كانا الوحيدين مالكي عضوي ذكر، وأثار زوان التوهم في نفسها حصراً مرثياً لم يكن قد أثاره الكشف البديهي). ولكن أي إشارات حصر ولا نزاع لم تحدث فيما بعد. وفي السنة الرابعة والنصف من عمرها، كانت هي وأخوها يري أحدهما الآخر عدة مرات حين كانا يظهر أحدهما للأخر أعضاءه الجنسية، وكانا ينعبان لعبة البول كل منهما بحضور الآخر. وهذه الغلظة البنية لم تكن تنطوي، حتى في هذا العمر المتأخر، على سمة قسرية وتم يكن أي نزاع ولا صعوبة يبدوان على هذين الطفلين في التحول نحو ألعاب أخرى عندما كانت تتوقف هذه الألعاب.

فإن يكون ممكناً لهذه المرحلة، انني كانت خلالها البنية تكون استيهامات تحصر الذكر - منقط التمسيل وتظهر فضولاً بيئياً، أن تكون ذات دلالة في عموها الجنسي، أمر لا مجال للشك فيه. وأن يكون ممكناً لهذه الاستيهامات وهذه التجارب أن تندمج فيما بعد في عقدة من الاستيهامات، مماثلة لعقدة بنات أخرى، ولكنها مميزة بصورة خاصة لهذه البنية، وأن تصبح ضروب الحصر الواضحة جداً مقترنة بهذه العقدة لاشعورياً، فتمه داع كامل لافتراض ذلك. وستصبح التجارب الأولية مكونات التجربة الكلية، ولكنها لن تكون بالضرورة المحدد لاستيهامات أعضاء لدى الراشد ولا فودجها. فغير مباح لنا إذن أن نرى مشكلاً نفسياً لدى هذه البنية على قاعدة هذه التجارب (ربما باستثناء ارتكاس الصدمة على الشاطئ). ولا ان تربط بهذه التجارب معنى ميول مشابهة في حياتها اللاحقة، ولا سيما الخصائص القسرية.

٦ - هل النقل إلى الماضي ، ضرب من الخطأ؟

تندّد جان لامبل - دو غرود بالاستدلال الخاطيء الذي ينقل إلى الماضي تلك المادة التحليلية، بهذه العبارات: «أرى خطأ منهجياً في الاتجاه الذي يكمن في الافتراض، عندما توجد علاقة تكوينية بين أحداث شتى، أن هذه الأحداث متطابقة. فكون A تبي B لا يعني أن A هي B نفسها. [...] وبينوني. تتابع جان، أننا إذا لم نبق باستمرار حذرين من إقامة موازات بين ضروب النمو اللاحقة ومراحلها السابقة، فإننا سنقاد حتماً إلى أن نتخيل وجود سيرورات ذهنية في المراحل الأولى للحياة، حيث ليس لدينا وسيلة للتحقق من فرضياتنا على نحو اختصاري... ذلك أننا نهمس، إذ نجعل المراحل السابقة تمثل المراحل اللاحقة، سيرورات النمو، والطريقة المستخدمة ليست تكوينية دينامية إلا في الظاهر».

إنني أتفق اتفاقاً كلياً مع هذا التحذير الذي يوجد في أصل هذا المقال ولا أريد أن نقول هنا أن معرفتنا التحليلية عقد الطفولة، الحاصلة في حالات فردية انطلاقاً من ذكريات وإعادة إنشاءات بارعة، ليست صالحة في بعض الأحيان. ولكنني أرى أن هذه المواد تمثل الأثر الباقى اللاشموري من مجموعة من الاستبهاجات، التي ينبغ فيها الأوج عصاب الطفولة؛ وهذه المجموعة هي، على الغالب، نتيجة عقدة ذات تكوين عصابي سابق على الكبت أكثر مما هي أصل هذه العقدة. ذكريات الطفولة، التي يتيح اكتشافها تحمّل راشد، ينبغي لها، بالتالي، أن تُحسب نقاطاً نسبية حرجة من عصاب الطفولة الذي كان قد كُبت، وتكون دون أن تمثل محارب حياة الطفل الصغير، التجارب الأكثر أهمية والأكثر تميزاً لهذه الحياة.

٧ - غريزة السيادة أكثر أهمية من البحث عن اللذة

الملاحظة الأكثر إيماناً لشكلي اندعب التدين عرضها سابقاً، أي الشكل العاير، المشكور، السار، والشكل القسري، نسوقنا إلى أن نرى أن جانبارثيسا من نحو أنظفل الصغير بهمله التحليل النفسي كثيراً. وأريد أن أتكلم على نحو المبالية للسيادة على جزء من البيئة. وأرجع إلى غريزة السيادة، أو غريزة الاستيلاء،

لأدنى على حاجة الأوتمة إلى ممارسة الوظائف التي تنشدها الخرض . وأقصد بذلك دافعاً نظرياً إلى الفعل وإلى تعلم كيفية الفعل . وبدون أن هذه الغريزة تحمده سنوك الطفل خلال أعوامه الأولى أكثر مما تحمده البحث عن اللذة الشهوانية نفسها .

وليس الغريزة السيادة ، ربما ، أفضل مصطلح يستخدم . ويؤخذ عادة على كلمة «غريزة» معناها التحليلي النفسي بصورة نوعية كالدافع ، ومعنى الحاجة البيولوجية المحسوسة نمياً بوصفها انفعالات يدفع العضوية إلى أن تتحرر من توتراتها . ومصطلح غريزة السيادة نوحى به إحالات فرويد العرسية إلى «Bewältigungstrieb» ؛ ولكن استخدامه هذا المصطلح يبدو أنه قام مقام مخرج سهل عندما كان تصنيفه بوصفه أنا أو بوصفه غريزة مرضع شك ، في حين أن حديثي يكمن في أن أجعل مظاهره الأولية متقبلاً لمظاهر الغريزة الجنسية . فعرض الغرائز الجنسية النهائي (الليبيدو) هو اللذة الشهوانية أو مشتقاتها دائماً ، بحيث تكون «الذات» هي لذة الأعضاء الجنسية أو منطقة من المناطق المثيرة للفتنة ؛ في حين أن هدف دافع الاستيلاء هو اللذة الناجمة عن ممارسة وظيفة بنجاح ، بمعزل عن قيمتها الشهوانية . وليس دافع الاستيلاء يطابق السادية بالضرورة ذلك أن السادية ارتكاس إزاء الموضوع الموقف جنسياً . في حين أن غرض دافع الاستيلاء تعديل (ومعرفة بعض الأحيان) وضع حارجي . ومصطلح غريزة الاستيلاء مصطلح مناسب على الأقل ، بمعنى أن كل مظاهر هذه الغريزة (كالمعالجة باليد والانتقال ؛ والعهم والاستدلال) تبدو ، على أنحاء مختلفة ، أنها تستجيب للغرض النهائي ، غرض تكيف البيئة مع الذات . ومظاهرها الأيسر هي استعمال أعضاء الحواس ، والجهاز العضلي المحيضي ، والترابط العقلاني بين الأفكار . فالوظائف السامية استجابة لهذه الغريزة تندمج في هذه الآن فيما بعد وشكلت مظاهرها المتأخرة نسبياً موضوع دراسات كثيرة ، ولكن أصولها لم تحظ إلا بتقليل من الانتباه من جانب المحققين .

٨ - ثمة ضرورة: التعلم

اعتدنا أن نعتقد الوليد مجهز بصورة كلية بهدف التكيف مع بيئته على الأقل، أي للرضاع. وما نهمناه غائباً عما هو أن المص ليس فقط فعلاً منعكساً بطرياً، ولكنه أيضاً مما عليه مكتسبة بالتعلم. إن ولیداً سوياً يفتقد حركات مص كاملة عندما تكون شفاه موضع إثارة، ولكن ثمة هوة بين الارتكاس الانعكاسي الأول والمص المناسب لدى غالبية الأطفال الأسوياء؛ وربما تكون المسألة مسألة دقائق أو ساعات. وهكذا يحتاج الطفل على وجه العموم، في نغية هذه الوظيفة الأولى، إلى ضرب من الممارسة حتى يفلح في أداء ناجح تماماً. وينجم عن ذلك أن المباح لنا، في العادة (إن لم يكن دائماً)، أن نميز بين طورين في نمو هذا النموذج الإرشادي الأولي لغريزي الرغبة والسيادة: طور انفعل المنعكس وطور الكفاية المكتسبة والمنحة^(٦١).

وهذان الطوران تتساهما أكثر وضوحاً في النمو الأوئي لأشكال أخرى من السلوك تستجيب لحاجة الطفل إلى أن يمد سيادته على العالم الخارجي. ولا ينبغي لنا أن نهمل ضرورت النمو الأخرى لنحو اس انترعية بوصفها أدوات أساسية تسيادة على البيئة. ويشير كل شيء، إلى أن تكيف أعضاء السمع والرؤية والشم، إلخ، مع أوضاع متغيرة، يجري بواسطة مراحل ممارسة تتركز على موضوعها. فنحو القدرات الحركية، كعمل المشك، وتبيل، والتعاجلة باليد، وحركات الاستدارة واجلوس، إلخ، يُعهم على نحو أفضل. ورغم جواز أن على أن هذه الوظائف تدو دون تعلم خاص بوصفها استجابات لسبب ورة نضح اجهزة العصبي الغبيز بولوجي الضروري لتبشير التنفيذ. وبين أن كل قدرة عضلية عصبية تبدو بمرحلة زمنية محددة جيداً في حياة الرضيع. ولكن استخدام هذه القدرة الفعلي لا يتوسع مباشرة فتمرس كل قدرة من هذه القدرات فتدعى على عدد أسابيع. ويضع الطفل،

(٦١) من التبر للاهتمام أن هذه القدرات تُعهم حسب مدى ابريد السمع حركات نفسية لولائية. انظر، من سبيل دراسة معتقة في كتاب - الجيوب، دراسة جيمس كورنيليل الاحاتية. ودراسات الجنين البشري

لدو دانور هات

حتى يسود الانقراض ، قدماً أمام الأخرى مستنداً إلى يديه الاثنتين ، ثم على واحدة . ويتقدم بانتشائي ، دون أن يستعين يديه ، نحو نقطة ارتكاز قريبة جداً ، ويمشي مستعيناً بذعم واحد . وينتهي إلى أن يتقدم دون عون . ويظل جزء كبير من سلوكه ، خلال هذه الأسابيع ، متمحوراً على ممارسة هذه المراحل في تعلم السيادة المكانية باقيه . ولكنه منذ أن يتعلم المشي ، يزول هذا القسر ، فسر التكرار لحركة انفعال محددة ، والممارسة للممارسة . وتوضع الوظيفة عندئذ بتصرف الأنا حتى نستخدم في عدد كبير من الأوضاع

٩ - من الفعل المعكس إلى الوظيفة: طورا النمو الحركي

نحو الأعضاء التصونية يوضح أيضاً هذين الطورين من نمو وظيفة الأنا . ويتمرن الطفل الصغير ، قبل أن يستخدم الكلمات بوصفها كذلك ، على أن يصدر الأصوات المتوافقة مع كل مقطع من مقاطعها . إنه يكرر غالباً ، خلال أيام وأسابيع ، حرفاً صامتاً حديداً ، وبخاصة عندما يكون وحده في مهده ، لاسيما في الليل . وعندما يتعلم صوتاً ، يتقل إلى آخر . فأن تكون ممارسته كل صوت تكرارية إلى أن يسود آلية إصداره ، تلك خاصة من خصائص سلوكه .

فإن تعودنا هذه الملاحظات الختام فعلاً إلى مبدأ أساسي للسلوك انبشري ، ذلك أمر كانت الدراسات انعمتة التي أجرتها ميرتل مالك غرو قد برهنت عليه بصورة أكثر انصافاً بالصحة العلمية . فعمتها ، المتوجه على نحو أساسي تبعاً لاعتماده بسيرة الصور . وبانكساب معارف خاصة بسيكولوجيا الطفل ، والسلوكيات أو التخطيطيات التي تظهر في الطفولة الأولى . يصف أيضاً تلك المراحل التي تظهر فيها موضوعات اهتمامها هذه ؛ ويوضح المبدأ الأساسي الذي يعتمد عليه ظهورها ، وتراجعها ، وتفاعلها . وأجرت هذه المؤلفنة مجموعة من الملاحظات عن عينات مختارة من سلوكيات الأطفال (مانسميه «تخطيطيات العمل» وأسميه «الوظائف الجزئية للأنا» . وانطلاقاً من هذه المعطيات ، برهنت على أن نمو كل القدرات الحركية المنفردة خلال الطفولة ، قدرات تُستخلص من مجموعة

ملاحظاتها، يكشف أول الأمر عن عضوية انعكاسية. وبدو هذه التخطيطية، بعد مرحلة من كفا الفعل المنعكس، بوضعها وظيفة تسيطر عليها القشرة الدماغية. ولم نعد عندئذ فعلاً منعكساً مقوياً بل وظيفة تتعدك وتتمو بالاستعمال فيما بعد. ونصف هذه المؤلفات ذلك الميل المتنامي إلى استخدام هذه الوظائف وممارستها خلال التطور اللاحق، وتصريح في هذا الصدد: «تمت هذه الحركات المقصودة أو الإرادية تتقدم انطلاقاً من نموذج منظم ومدمج». «التعلم وسيرورة التخليج أيضاً سيرورتين متميزتين، بل هما جانبان من المبرورة نفسها. فعزواً نحو أنسوك ليدى الأطفال الصغار إننى أحد هذين الجانبين بدلاً من الآخر ليس مسوغاً بالتالي»^(٧)

١٠ - التخليج: تأليف طاقات نامية في الطفولة

أصروحتي تكمن في أن المبدأ الذي يعبر عنه هذان التطوران الفاعلان (إنهميل التطور الوسيط من الفعل المنعكس المكفوف) موجود أيضاً في وظائف الذعب المعقدة والعمل التي تطوي على الشخصية برمتها. وأن هذه الوظائف تنمو انطلاقاً من هذه الوظائف الجبرية التي كان علماء النفس التكوينيون قد درسوها على نحو أفضل في ملاحظتهم المبكرة لسلوك الطفل. وتقدم ترحة النتائج الموضوعية، كتنتاج ماك غرو في نظرية الخريزة، مفهومها واسعاً يتيح لنا أن نصوغ العلاقة بين الوظيفة الحسية والحاجة البيولوجية والدافع الانفعالي، وأن نوسع رؤيتنا العلاقة بينة لسنوكي الطفل والراشد، العصبية والسوية، هي منظور مبدأ أساسي وينبغي لنا،

(٧) هذا التمييز بين الاستعمال «الانعكاسي» والاستعمال الذي «تمت القشرة الدماغية» للبيئة معقدة. يُعترف به في علم النفس منذ زمن طويل كتما التمييز بين تخطيطات العمل «الدمج» «البناء» وغير المدمجة «بناء» وتصريح ذلك المؤلف أيضاً: «أشعرني أثناء فلابي على وجه العموم» إلى أن هذا الاستعمال الحساسة لتركيبه واستخدامه «في الإزدي لتوجهه كلف» «وكذلك» «الون تطوي على خطة رسمية» «وغيره» «ومحظ» «حساس» «مختلف» عن مجرد حرفة انعكاسية لتركيبه «وما يصح بالتحديد لفرقة يصح بالنسبة لكل المشاتلات بدمته» غير المدمجة «وعند التصور مبدأ من مبدئي عند العمل» «من قول»

حتى مع خطر ضرب من التحقيد في المسطحنحات، أن نحلل السيرة التي ينمو بواسطتها سلوك طفل يشبع الحاجة الأساسية، وكذلك العلاقة بين الوظيفة الجزئية وضروب الضغط التنموية تماما للعضوية برمتها.

ذات أن التوفيق التي ذكرناها تبين أن سلوك النصح تأليف بين الهدرات التي تمت في البدء ثوباً جزئياً خلال الطفولة الأولى. فتحو كل عنصر من العناصر الجزئية، قبل الاندماج الأكثر تعقيداً، يتبع مخططاً مشتركاً بين الجميع: ظهور قدرة فيزيولوجية على إجراء تخطيطية انعكاسية؛ مرحلة من الممارسة والتعلم؛ اكتساب ناجح على استخدام هذه الوظيفة. ويتميز الطور الانعكاسي بمظهره المقبول وعلاقته الوثيقة بالنتائج التوجية أكثر مما يتميز بأغراض مفيدة أو بحاجة انفعالية. ويتميز طور التعلم بالاستغلال إزاء المنبه وظهور حاجة إلى الممارسة التكرارية، وبالقابلية التنموية لتعديل التخطيطية المقولية على نحو مفيد. ويتميز نصيح الوظيفة الجزئية بالقابلية لاستخدام الجهاز استخدماً إرادياً، دون أي تعلم، ويقابلية هذه الوظيفة لضروب من الضغط في الشخصية الإجمالية بدلاً من الممارسة للممارسة لبيها، واندماجها المتنامي مع وظائف جزئية أخرى.

١١ - التعلم أساس الأنا

طور التعلم هو الذي يعيننا هنا على الوجه الأخص، ذلك أن الطفل الصغير ينبغي له أن يتعلم استخدام جهازه العضلي العصبي قبل أن يكون مقدوره أن يفعل ما يشاء. ويبلغ هذا الغرض بالممارسة وتكييف جهازه الانعكاسي الأصلي. وهي الحاجة إلى ممارسة وطبيعة جزئية حتى الاكتساب الناجح لاستخدامها، ترى التذبذب الموضوعي الأثر على أن الحرية السيادة، أو دافع الاستيلاء، عملة. وميل الطفل الصغير، كما في حالة كل المظاهر العنصرية الأخرى، إلى أن يستغرق في فاعلية جديدة خلال أيام وأسابيع. يتقدم التذبذب على معارضة الدافع وتحت على الغائب

سمة قسرية على نحو واضح في اخناحة إلى تكرار الوظيفة التي لا تتعلمها المرء،
وظيفة لم يعد يبدو لاحقاً في الممارسة السوية لوظيفة المكتسبة. وهذه السمة
القسرية تدفع، لاستجابة المتقولة منه نظرياً في المرحلة الانعكاسية، وتنبأ أيضاً
ذلك انشوت القسري الذي كان التحليل النفسي على وجه الخصوص قد درس
مظاهره العصبية.

وتوحي هذه النواتج بتعميم واسع إلى الحد الأقصى وذي أهمية: القسر
(كقسر اللعب غير السوي في المجرى اللاحق للطفولة الأولى، الذي رأينا أنها في
هذا المقادير وقسر السمات العصبية في أي مرحلة من الحياة) هو دائماً تكوّن إلى
مرحلة سوية من الوظيفة غير المكتسبة. وهذا القسر يفتقر دائماً بعجز عن ممارسة
وظيفة بكفاية، وظيفة بسيطة أو معقدة، وذات نعم لدافع الاستيلاء. وعندما
تكون القدرة على ممارسة وظيفة للسيادة عنى وضع وتعديله مكتسبة وتبين أنها غير
محبطة، نخفي المظاهر القسرية. ولكننا تعود فنوال الحياة كلما كانت الرقابة على
أجهز غير نامية أو أن أساساً داخلية أو خارجية تعرف استخدام الفعلية. وينجم عن
ذلك أن وظائف غير نامية أو معاقبة تثير القسر دائماً، ولكن الوظائف التي تبلغ
أغراضها لاتعمل ذلك، سواء كانت هذه الأغراض من النسق الليبيدي، الأناي،
أو من النسق معاً كما هي الحال على وجه العموم.

١٢ - تعلم واحد للجنسية التناسلية لدى المراهق

هذه السيرة من التعلم هي، بالتالي، أساس ثواب الأنا. فكما كانت الأنا
ناضجة، تناقصت الأدلة على وجود نموذج قسري من التكرار بأي شكل. ويمكننا،
من وجهة النظر هذه، أن نعرف الأنا أنها مجسدة هذه الاندماجات لوظائف
اجرنية، التي تسمح للطلاقة الغريزية أن تعرفنا تحتها على نحو مناسب بحيث
لا نلاحظ قسر التكرار. ويبدو أن غرض الأنا الأول هو توفير وسائل التدريب على

تفريغ السحنة تنوثر العريضة إلى هذا الحد الكامل، بحيث يصبح قسر التكرار المستمر غير ظاهر. ونمة منال عنى تكوّن إلى طور الطفولة لتوظيفه غير المكتسبة يكمن في التجربة الحسية قبل اجتماع لدى المراهق. ونحن نميل إلى أن نجعل العلاقة بالموضوع الجنسي لدى المراهق الناشج متعارضة مع الكف العصبي، وأن نعرف أن هذا الكف ينتشر في المراهقة انتشاراً كبيراً بحيث تكون أسوياء من الناحية العملية. ولكن دراسة التحليل النفسي الترياحات متتالية لموضوع الحب خلال الطفولة في قلبه المحصر الذي يكف الفرد غير الناشج عنى نحو كاف قادتنا إلى إهمال السيرورة المراهقة، ذات الأهمية أيضاً، التي بها يتعلم المراهق، خلال تعاقب من التجارب الجنسية، أن يسنّ موضوعات حبه بواقعية متصاعدة، وكذلك العلاقة التماسلية معها. فنمو وظرف الأنا والتخلي عن موضوعات الطفولة هما بالتالي أساسيان للتوصل إلى النضج الجنسي. ويبدو لي هذا الجانب من السيرورة المعقدة لدى المراهق (التي يمكن أن نعاش مجدداً في تحليلات علاجية ناجمة) مشابهاً لنمو القدرات احركية الأبط. والآليات تنطويان على ميّاق من التهيئة البيولوجية، من فاعلية قسر التكرار خلال مرحلة التعلّم، ومن زوال هذا القسر عندما يبلغ نضج الوظيفة أوجه.

١٣ - الاضطرابات الذهنية وعدم نضج الأنا

نجد تكوّن الوظائف الجزئية على مستوى الأنا إلى طور التعلّم تنمو الطفل في كل الأعراض، وسسات الطبع والسلوكات العصابية. وأكبر نجاح علاجي حققه التحليل النفسي كان البرهان على الدور السببي لآليات الإثمية، والمحصر، والتراجمات الانلاشعورية، والتنشيت انطفقولي، في حدوث هذه الأعراض وأود فقط أن أجذب هنا الانتباه إلى واقع معاده أن كل أخصية التحويل تنطوي على بعض الاضطراب في وظيفة الأنا الراشدة، جراء نزاعات تلتقيها منذ من طريل إنسى يبت في إصدارات سابقة، ذلك الدور الأساسي لتسوّفها لدى بعض وطرف الأنا هي سمحت أسباب الاضطرابات الأخرى في الشخصية (الشخصية

شبه الذهانية الهذلية، الشخصية شبه النفسانية، طبع أنثوي غير فعال،
ذهانات، إلخ^(٨)

وبوسعنا أن نلتخص بعض الشروط، التي تثير هذا التكرار القسري لهذا، بغير
طور الوظائف الجزئية غير المكتسبة، كما يلي:

(٨) نعلم ملاحظة أخرى أنها حوزها من نحو وظيفة انفعالية ذات دلالة غير نحو حواس
خاصة بالواقع الذي مفاده أن ملاحظة مستمرة مستترة، في الحالات الاستثنائية حيث يتم على صعيد
أن يمشي منصفاً قبل أن يعلم المشي على أربع (أحوا). أنه يسرع دائماً في المشي على أربع وحالات
مرحلة معينة، مباشرة بعد أن يمشي منصفاً. ونحن هذه الملاحظات تدل على أن من المحتمل أن أية
وظيفة، بسيطة أو معقدة، لاكتسبت اكتساباً نهائياً غير أن تكون الأطوار التركيبية التي تسبق هذه
الوظيفة قد سُعت وتُحفظت. ويبدو أن التخليق على وجود مثل هذا القاموس، في وظائف معينة بقدر
ما هو السمك الاجتماعي، حسب التبعات. أو صفة الجواب للعلاج من التحليل النفسي أيضاً
رائعاً. ونحو سن موضوع، في حال النجاح، كيف أن طوراً من العمولة الأرنهي، من الصغرة، من
الرافعة. كان مكوناً (أو محتوياتاً)، يبعث له أن يخصص للتعبير قبل أن يكون موضع تعبير،
أو وظيفة اجتماعية، يساهم فيه، أن يبلغ الصبح. ويمكن أن يكون قد عشت، من مرحلة نوعه
والثانية والعشرين من عمره، كعاشه كمثل للواقعة الاستثنائية والجذابة نحو الصبا. ونحو في
الثانية والعشرين من عمره، واستمتع برب هذه المدة الزمنية وتخليقه، بعد تغير من العلاقات الجنسية
التي كانت تلعب في بعض الأحيان كمثلاً راشداً، على وجه التفويت. وحلت محل اجتماع، في
الأشهر الأربعة من عمره، سنوات كان السير القسري فيها يشعبت على الرعب في الاجتماع.
والمنبجيات استنماة تدل، في العلاقات التي حصلتها المرافعة السوية أكثر مما تغيرت حلاً بده التعبه
التي كان قد اكتسبها. وما دام القسري الموحل من أطوار معينة لم يجعل فعله، نحو نفس التكرار المستمر
إما على شكل ظاهر من الأعراض المعصاة أو على شكل سمة صغ، وما على شكل كاس بوصفه كماً
وحداتاً على ذلك، فهو أن يلبه. وهذا صحيح بالنسبة للوظائف الحركية الأولى التي درسها مورينو،
كما نلاحظه بمظهر العذبة التي يسرع معها

وحالات مشابهة تعبت عن هذه المسألة، صريح = إنه ليس = أرى أن قصة الصبا تكتمل في واقع
مفاده أن الفعل التكراري يمكنه، على بعض التسميات الاستثنائية، أن يكون طابعاً بسيطة جداً. وهذا
أمر من يسرع أولاً، لأهداف علاجية، التي لها على نحو نموذجي، ذلك أن يمتد إلى كل من سكنون
بوضوح معقدة بالأساطير في تطور، كما أن مع أنها تسوقه تداء، من نحو القسري، وذلك يسر
بعد التكرار لتغيير في ضرورة تحليل قبل التسميات السوية من عمر

توسع القدرة على أداء فاعل أن تبلغ هدفها بالممارسة :

أ- الحواس الخاصة؛

ب- الوظائف التي تسهم في القيادة الحركية على البيئة (معنى)

محاكاة تاليد، انتقال، إلخ)؛

ج- لغة، فهم

٢ - خلال مرحلة التعلم لتخطيطات جديدة من طبيعة أخرى أكثر تعقيداً.

قبل حصول أداء فاعل :

أ- بعض أشكال اللعب؛

ب- العمل الذهني والعضلي؛

ج- السلوك الجنسي المراهق -

٣ - عندما تكون الممارسة السوية لتوظيفة بلغت النضج قد أصابها

الاضطراب بفعل :

أ- إحباط خارجي (الدين، عصاب التحويل التحليلي، تحديات

يفرضها أفراد آخرون أو جماعة)؛

ب- حصر وإثمية (نقاس)؛*

ج- حصر واقعي (أخطار واقعية، عصاب الصدمة، ذعر)؛

د- أثر باق من تخطيطية ذات صمة غالبية قسرية؛ لتفريغ غريزي غير

خاضع تبدأ الواقع لدى مبدأ الأنا العليا (عصاب المنصير، ارتكاس

علاجي سلبي، شخصية اندفاعية)

٤ - عندما لا تبلغ النضج وظائف أساسية ذات ارتباط بعلاقات الراشدين

المعوية بانفوضوع (ذهانات، أعصاب خلل الأنا).

إيف هندريك

المقال ترجمته إيضون بودري

عن الانكليزية الأمريكية

الجزء الرابع
الأناتاليا
أهى ورشته عقة أوءب؟

الفصل الأول

أخلاق الصارات*)

رحم الأنا العليا

مقدمة:

شمة عدد من المؤلفين، فرويديين أو بعد الفرويديين، عزوا، كما يفعل فرويدي هنا، بشائر إلى الأنا العليا - المعرفة كلاسيكياً أنها «وريشة أوديب» - أو قدسوا ظهورها في تسلسل أحداث النمو. فعقدتا أوديب والخضاء لن تؤثرا عليها فيما بعد، في هذا المنظور، إلا من حيث تعديلها وإضافة مكونات جديدة إليها.

وإذا فبنينا وجهة النظر الأولى، فإن ظهور بشائر الأنا العليا، في المادة العبادية التي يكشف عنها مريض، لا يستبعد فرض نكوص الأنا العليا الأوديبية. وهكذا يبدو أن ما يسميه فرويدي «أخلاق الصارات» يمكن أن يكون مفهوماً. إن هذه الأخلاق تكون، حين ترتبط بالتربية، ذلك الرحم الذي تنمو الأنا العليا فيما بعد انطلاقاً منه، مستقلةً لاشخصية، ناجمة عن انحسار الأوديب.

(*) صارت: عطفة شرحية على أو بصير فرقة أو فتاة طيبة (م)

النص

يحدثى القواعد الرئيسية الخاصة بالاتجاه العام الواجب تبينه إزاء التحليل موجودة دون شك في صيغة فرويد التي ينبغي للتحليل بموجبها أن يجري في حالة نفسية من الحرمان (الإحباط). والمعنى الوحيد الذي أطلقناه على هذه القاعدة، حتى الوقت الراهن، يكمن في معنى أن نترك الأمنيات وانتفضيات التي تصدر عن المريض في التحليل غير مشبعة، لاسيما رغبته الواسعة الأرجاء في المحبة وميله إلى أن يستقر في التحليل طوال الحياة على نحو من الأنحاء. وأود أن أضيف الآن أن من الممكن أن نفرض أيضاً، فرضاً ذا فائدة، ضرورياً أخرى من الحرمان، من أصناف شتى. وأضرب عليها مثال الملاحظة الأهم من ملاحظاتي.

ذكرت في أعماقي السابقة، من بين الأمثلة الصائفة إلى توضيح المهمة المضاعفة خلال التحليل، حالة المرضى الذين يعرضون أنفسهم العابر في أثناء الخلسة التحليلية، الذي تكونه رغبة في البول قوية، ورفضت أن تستسلم لهذه الرغبة، أملاً أن يبعث تنامي التوتر، الذي يصيب الحياة النفسية جرأه منع الإفراغ، بعثاً أكثر يسراً تلك المادة التي كانت تحاول أن تحتجب خلف هذا العرض. وكنت مسوقاً فيما بعد إلى أن أقدم أيضاً، في بعض الحالات، توجيهات خاصة بالتغوط، لاسيما إلى المرضى الذي يصيبهم الحصر على وجه الخصوص بفعل ضرورة أن يراعوا مهنة معينة. ولم أكن، هنا أيضاً، أتوقع أول الأمر شيئاً أكثر من صرب من تغدّم التحليل عندهم أزرع الاضطراب في هذه العادات. والحال أن النتائج تجاوزت توقعي فالمرضى الذين كانوا يعرضون هذا العرض، الحاجة إلى البول، بانوا أشخاصاً كانوا يبنون على وجه العموم كثيراً في الأغلب، ويقولون، بعبارة أخرى، إنهم مرضى مسجونون بشكل خفيف من البؤس كانوا يحجبون خشية لاشعورية من سوء الرقابة عن المماركات البولية، وذلك مسيل ورأساً من صعوبات الطفل في التكتف مع هذا الاضباط في إفراز البول. ويمكننا أن نلاحظ الظاهرة نفسها لدى

المدققين في التفرغ . إنهم يعوّنون بسرعتهم وانتظامهم عن ميل في النظفونة ،
علمي شرطي ، إلى الاحتفاظ بالبراز أطول مدة ممكنة ، ولكن هنا أيضاً يتدخل
الحرف اللاشعوري من أن الاحتفاظ المديد يؤدي إلى تراكم كمية من البراز يثير
طردّها ثماً حاداً على وجه الخصوص . إنه المريض نفسه على الغالب الذي أرغمني
على اللجوء إلى إجراءات إحصائية وشرجية على حدّ سواء ، وكان المقصود على
وجه العموم رجالاً عاجزين جنسياً ونساء بارذات جنسياً .

١ - كيف تجعل نموذجاً معيناً من المقاومة يتراجع ؟

الارتكاس الذي كنت قد أثرته وأنا أزرع الاضطراب في هذه العادات القديمة
كان التالي على وجه العموم . كان المريض يستجيب للمنع الإحصائي باتجاه معمم
بالكافية ، محتجاً أنه كان قادراً على أن يمك بوله يوماً كاملاً ، وأنه ذو قوة مفرطة
في هذا الصدد . وعندما كنت قد دخلت في نمبته وفرضت عليه أن يمك بوله زمناً
أطول مما يمكن ، كان يفلح أحياناً في تحقيق أداءات مذهمة ، ممسكاً بوله خلال ثماني
ساعات أو عشر متواليات وعشرين ساعة مرة واحدة . وكان الأمر على هذا النحو
للمرة الأولى أو خلال بعض من الزمن . وكان المريض يشعر بالصعوبة على الأغلب
في الامتثال إلى تعليمات متابعة التجربة ، وحتى كان حوادث عارض واحد أو
حادتان يكفيان في بعض الأحيان للكشف عن التضعف الذي كان يحجب هذه
القوة الفائقة ، لتفجع ميل إلى لمس البول لا يعرفه المريض حتى الآن ، وكان
اكتشافه يتيح توصيح أجزاء ذات أهمية من طفولته الأولى الأولى . وكان كل شيء
يحدث كما لو أن ضروب الضعف المستمرة لدى العضات الداخلية للمثانة كان
بعصاب متنام للعضات المساعدة يعوض عنها حتى لا تظهر إلا بعد أن تهلك هذه
العضات المساعدة .

كذلك كنت قد عرضت على المدققين في الاعتاق من عبء أن يتظروا حتى
تأتي الرغبة في البراز لذاتها . وكانت المقاومة تتخذ عندئذ شكل المخاوف لثوهم
المريض (تلك كانت الحال أيضاً ، هي بعض الأحيان ، في تجربة البول) . كانت

الأمعاء تعرض إلى خطر الانفجار . أو ، كذلك ، إن إمساك البراز كان يوسعه أن يحدث ضرورياً من التزيف والبراز الذي لا يفرز كان سبباً لتضرر العضوية أو حتى أنه يسمتها ؛ وبعضهم كان يشكو أيضاً أو جاعاً في الرأس ، وفقدان الشهية ، وانعجز عن التفكير ؛ وكانوا يستشهدون بحالات كان الإمساك قد سبب ضرورياً من القيء ، وكان من الصعب جداً منعهم من اللجوء إلى عاداتهم القديمة في تناول الحزن الشرجية أو المليّنات . وكانت كل هذه المخاوف ، في الواقع ، مجرد إنشآت رهامية تسد الوصول إلى الغلظة الشرجية والحصر الشرجي ، المكبوتين كليهما . وإذا كانوا يرفضون الاستسلام لتناثر ، فإنهم يفلحون على الأغلب في أن يلمحوا بعمق كاف تلك اندفاعية المكبوتة خلف هذه السمات من الطبع . وكان ثمة ، هنا أيضاً ، عنيدون يسكنون برازهم ، ليظهروني بظهور العبيث ، أربعة أيام ، خمسة ، ثمانيه أيام وحتى أحد عشر يوماً في حالة مؤكدة حسب الأصول . وعندما كانوا يدركون في نهاية انقضاء إدراكنا لأريب فيه أنني لم أكن استسئم ، كانوا يتسببون في تخطوط قاس إلى اخذ الأفضى ، برازه يخرج على شكل كرات ، يليه براز كثير ، وكل ذلك يرافقه آلام حادة ، شبيهة بالآلام الولادة .

وكانت محاولة واحدة تكفي عني وجه العموم ، كما في الحالات الإحليلية ، إلى تحطيم عناد المريض ، ولكن ليس دائماً . وإذا أعطي المريض مجدداً أمر الإمساك زمناً أطول مما يمكن ، فإن ذلك لم يكن سهلاً قط بالقدر الذي كان في المرة الأولى وحتى كان يحدث أن يسبب هذا الإيمار زوال إمساك كان موجوداً منذ زمن طويل وهنا أيضاً يمكن لسيرورات الصارات الخارجية خلال إخراج البراز ، أن تعجب على ما يبدو ضرورياً من ضعف الصارات الداخلية⁽¹⁾ .

(1) أريدت تبيين بعرض ملاحظاتي عن «ضمرات التجسد الفادي اليوسفي» المنشئة على الغالب في أعماق التكامل ، المعدل الثبات التي يرفضوا قلب به صحتها عناء بلدت لمكونة التي مفادها أن اللاشعور تنكح أن بعد تعبيراً مباشراً في شكل التبرؤ وستة ، وذلك بكتاب كان عرو ذلك قد ذكره أيضاً ذكر أحدثاً على وجه التحرف في مقالة «مناير الأخصر» .

٢ - فرص خاص بالتناسلية

من المؤكد أنني لم أكن قط أعير هاتين الوظيفتين هذا القدر من الانبعاث لولا أن أهديت الملاحظة التي تستلقت الاهتمام، وكنت المتدهوش الأول في بادئ الأمر، ومفادها أن هاتين الوظيفتين نتيجتان عن اكتشاف على النحو الأسرع بعض العلاقات، المتبعة على نحو آخر، بين خصائص الطبع والأعراض العصبية، ومن جهة أخرى بين مصادرها الدفاعية وما قبل التاريخ العقولوي. وما نسميه «تجليات الطبع» يمكننا على وجه الخصوص أن يقتضي هذا الورد إلى الاهتمامات الجنسية النموية، الإحليلية والشرجية، بواسطة أساليب فاعلة: كما لو أن المقصود في هذه الحالة أن نعود إلى المصادر الدفاعية ونجعل الطاقة الدفاعية المشتقة منها منسابة واستخدامها على نحو مختلف.

وهذه التجارب الخاصة بامساك البراز باث خصبة فضلاً عن ذلك في اتجاه غير متوقع، إذ أقدمت على تأييد نظرية التوزيع الثنائي «لتناسلية كما عرضتها لي محاولتي، محاولة في نظرية التناسلية»^(١). وكنت، في الواقع، مصاباً بالدهشة في بعض الحالات بفعل التأثير الذي لا يقبل المنازعة، مفاده أن منعاً إحصائياً كان يمارس تأثيره بصورة ظاهرة على الوظيفة الشرجية، كما لو أن الميل إلى إمراض البراز انتقل إلى الوراثة على نحو من الأنحاء؛ فالمرضى كان لديهم برز أكثر تواتراً، ولديهم على الغالب انتفاخ بطن وغازات معوية غزيرة. ولكن المرء كان يمكنه أن يلاحظ أيضاً انتقالات من نوع آخر، كالتأثير البارز على الشهية والتأثير الأبرز والأكثر أهمية بالتأكيد على ظهور انتصانات حتى لدى العاجزين حسيًا الذين لم يحفظوا بها منذ زمن طويل. وكان الأمر يقتضي أن توضع هذه الطاهرات في علاقة مع بعض التصورات النظرية، التي كنت قد أدليت بها في محاولتي «نظرية التناسلية»، من حيث نشوء التناسلية. بل كان صعباً أن لا ترى فيها تأكيداً تجريبيًا للتصور الذي كان معروفاً فيها، أعني أن رغبتي الإمساك والإفراغ لشهوانة والأمعاء، يكفهما أن

(١) فروري: «البحر» ص ٥٦ من طبعه الثاني - ١٩٠٩. في العمل الكاملة. لمعدان

ينطوي على ضروب من الإغصاب الشرجي والإحليلي بشكل مزيج ثنائي ، وأن هذين الميادين يتغلغلان بصورة ثانوية إلى العضو التناسلي حيث يراقبان فذات المنى بركفة . وبدالي هاماً جداً على المستوى العملي ، بالإضافة إلى أهمية هذا الاكتشاف النظرية ، أن سرى يتفتح ، بعضل هذه الإجراءات الفعالة ، منطور ضرب من إعادة إنشاء أكثر سهونة نسبة الجنسية في حال العجز . وأشاطر من جهة و . زاينغ^(١٦) كلباً رأيه في أن اضطرابات ذات أهمية على وجه التقريب في التناسلية توافق كل حالات العصب وليس فقط حالات العجز تظاهر ، وأنا قادر على أن أبرهن على الفرصة المؤاتية لتفاعلية الإحليلية الشرجية في البيئات العصبية الأكثر تبايناً .

٣ - الفلمة التناسلية تمرّ بمواجهة الفلمة قبل التناسلية

أجيب عن الاعتراض الواضح ، الذي مفاده أن المقصود فقط في الإمساك إثارة ميكانيكية للأعضاء التناسلية ، أن الانتصابات لا تبدو فقط على شكل « صلابة مائية » ، أعني عندما تكون المثانة مملوءة ، ولكن بعد الإفراغ أيضاً . أضف إلى ذلك ، وهو دليل أكثر إقناعاً بكثير ، أن الاتجاه النفسي لدى المحلل يتكلم فصلحة العلاقة التي وصفناها نعتوا . فأولئك الذين كانت « القوة العنيفة » لديهم تحجب ضروباً كامنة من الضعف الطفولي كانوا قد أصبحوا أكثر نواضعاً بصورة محسوسة ، في حين أن الأفراد الذين كانوا يفلحون في تجاوز شيء من القلق خلال محاولات الإمساك كانوا يقدمون الدليل على ثقة أكبر كثيراً على المستوى الجنسي . وكانوا يجدون الشجاعة ، بين ما يجدون ، على التعبير عن توافقات الأفكار لديهم وذكرياتهم المتطورة بعمق . وعلى التندّم في وضع التحويل إلى مستوى ما كان يوسعهم أنداً أن ينفوه من قبل . ولست مع ذلك واثقاً جداً أن يكون بمقدور أحدهم أن يمتدّ شرحاً محض ميكانيكي لما يسمى « الصلابة المائية » دون اللجوء إلى مفهوم انتقال المزيج الشدني للإغصاب .

١٦١ تقدّم إلى مؤتمر سائر بورغ - ١٩٦٤ ، « الدولّة العلاجية وتيسير شاملي »

وهذه الملاحظات أتاحت المناسبة لي أن أكون الشاهد على الشروط التي
تسود تربية الأطفال قبل التناسل وأن أدرس بالتفصيل هذه الشروط في «الترية
البعديّة» النحليّة واكتشفت أن الخشية من الألم هي التي كانت تكون محور رعاية
المطاف سبب الميل إلى الإفراغ الإحليلي والميل إلى الإمساك الشرجي؛ ففي حالة
إفراغ المثانة، تكون الخشية من التوتر الذي تثيره المثانة المنبوءة، وفي إفراغ البراز
تكون الخشية من الألم حين مرور التفتيل البرازي الذي يوسّع فتحة المستقيم ويزيد
حجمه. فالإفراغ ينطوي (دون على المدة بالنسبة للمثانة وعلى اللادة بالنسبة
للمستقيم)^(١٤). ويفضي الاستخدام الفعلي لهاتين الوظيفتين أن يتحمل المرء ازدياد
التوترات المعنوية ازدياداً كبيراً بصورة نسبية. فالإفراغ المثانة لا يؤمن لذة حقيقية إلا إذا
تجاوز توتر جدار المثانة حداً معيناً. كذلك لا تحصل علاوة المدة الفعلية في النفوط،
التي كان فرويد أؤمن من أشدّها إليها، إلا إذا بلغت الملائمة أو التوتر المحسوسان قبل
النفوط درجة لا يستهان بها؛ وتكمن هنا ظاهرة عامة لأن السمة النوعية للعلمة
تكمن في غفّر شهواني يتغلب على الصعوبة العضوية التي يسببها المرء لنفسه^(١٥).
ونعمة عدد من العصائين يبنون أنهم قلقون بإفراط وهم يحرمون على أنفسهم نداء
العلمة الشرجية والإحليلية خوفاً من الألم الحتمي انقترن بها، ويبدو أن الشجاعة
على مواجهة العلّة قبل التناسل تكون عاملاً ضرورياً لا يمكن أن تكون يدر بها
علمة تناسلية منبهة. فالصراع ضد العذات الشرجية والإحليلية يتكرّر في التحليل
وعصي هذه المرة إلى نتيجة أفضل؛ ونقر من هذه النتيجة الفراضية مسبقاً استئصال
بعض السدرات والعذات التي كانت تمنع وهم ضرب من الاندماج الذائح لهذا
التطور التربوي

(١٤) انظر ملاحظات د. فرويد من سنة ١٩١٧.

(١٥) انظر نظرية السامية

٤- الكدمات ضرب من التلوث على ميول طفولة غير متجاوزة

النتائج الفيزيولوجية لهذه التجارب من الإمساك ليست الظواهر الوحيدة ذات الأهمية مع ذلك ، ينبغي أن نضيف إليها الترابطة التي يكشف عنها المريض بهذه المناسبة . فوجد الطفل بأبويه مرة ، كما نعلم ، بطور أولي قبل تناسلي وقبل أن يجرد على أن يقبس نفسه بأبويه على المستوى العام ، يحاول الطفل أن ينفوسها على مستوى المائل الإحليلية والتشريحية ، وهو مجال يكافئ فيه البراز ، وذلك ينفق اتفاقاً تاماً مع نظرتي ، نظرية التناسلية ، أظنلاً ويمكن فيه لأعضاء عملية البراز ، أعضاءها نفسها ، أن تؤدي دور الإحجاب ، دوراً لا يزال غير متمايز على المستوى الجسدي .

وتدركنا الفاعل ، لا سيما فيما يخص البراز ، يمكنه إذن أن يوصف أيضاً على النحو التالي : يجعل بعض التوترات تزداد إلى أن يتغلب الأكم الذي يسببه الإمساك على الخوف من التفتؤ ؛ وفي حالة الإيعازات الإحليلية ، يكون المقصود بالخروج التعود إذا صح القول على توترات جدار المثانة ، ونعلم تحمته . ولا ينبغي أن نهمل ، إلى جانب هذه العوامل الفيزيولوجية ، دور التحويل الأنوي على التطبيب . وتكرّر صروب الإيعاز والذبح التي يصر عنها الطبيب على نحو من الأنحاء تلك الأوامر السلطوية التي يطنقها في الطفولة أولئك الأشخاص ذوي الأهمية ، مع فارق الأبتهان به مع ذلك : كل شيء في الطفولة كان يسهم في فطام الطفل عن علاوة اللذة ، في حين أن هذه التربية الأولى الناجحة نجحاً بامراً تحل محلها في التحليل تربية أخرى تترك للمغلبة ذلك الهامش الذي هو من حقيقتها .

٦٦) مصطفاة الإيعاز والذبح ، مبدأ إلى حد ما ولا يبعث الأسماء الذي به سمي ، في رأيي ، أن تتحد عليه الإيعاز فكذا ساداً . وكانت مقتصرة الزاكنة على مصالح ضمنية ويحببه لا يبر أو مقصود ليس بعنصر أمرو . كما هو العادة في تربية الأطفال ، بعد ما من مظهر من التفتؤ بتحميد البرز إذا جاز القول على سبيل التحريم ، مع مواضع الطبيب ، أو حتى الأهل مع الأمر التوجيهي من من جانب الطبيب مبدأ . وليس لغة بعد عن مصادف محال النفس من أن يؤثّر في الاستكثار من الضار المثلث . إن ذلك الخوف من تخاربه ضرب من الضد الفاعل وبحر سخط ، من سبب على هذا النحو ، في مداخل النفس السطوي الضد . ومن السداد أن يفتؤ إلى جعل شحنة العلاج يتوسط على قول صاحبنا

ويحدث على وجه العموم في التحليل - بعلاقة مع ضبط الوظيفتين الشرجية والإحليلية، ضرب من وضع جديد موضح الانحياز بعض سمات الطبع التي، كما بين فرويد، تكون مجرد نتائج يئنة، وتخمّر وتضعيد، لهذه الأجهزة الدائمة العضوية. والنشيط الخنيد التحليلي للعلمة الشرجية يحدث على حساب الضبع الشرجي. فالمرضى الذين كانوا يحتدّ مصابين باخضر وبخلاء يصحون بالتدريج أكثر كرمًا، وليس المتصود فقط مادتهم البرازية، والطبع الإحليلي، السريع الغضب بسهولة، العاجز عن تحمل توتر، بما في ذلك توتر نفسي. دون تفريغ مباشر، يكتب عند الأكثر. ويمكننا أن نقول، على وجه العموم، إن هذه الإجراءات تقع المريض أنه قادر على أن ينحصر قدرًا أكبر من اللذّة، بل أن يستخدم هذه اللذّة حتى للحصول على كسب من اللذّة العظيمة أكبر، وهذا الاقتناع يمنحه ضربًا من عازقة الحرية والثمة بالذات، التي يكون العصامي محرومًا منها على وجه الخصوص؛ ولا بد من هذه العازقة، عازقة التفوق، حتى تبعث نطلعات حسية أعلى درجة، من طبيعة تناسبية، وتبعث الشجاعة الضرورية، انبعث في نهاية المطاف، لتنشيط النزاع الأوديبي مجددًا وتجاوز حصر الخصاء.

٥ - لمة أخلاق قاسية جدًا، أخلاق الصارات

يلد، في نهاية تحليل ناجح، أن الأعراض العصابية الخاصة بالتيوب والتفوط لا ترجع كلياً إلى الميول إلى تكرار نزاعات التكيف بين الدوافع المرتبطة بإفراز الفضلات وبين المتطلبات الاجتماعية. وليس النمو الصدمية التفاعلة هنا حقاً. كما في الأعصاب على وجه العموم، أنها ليل ينفخني إلى الهروب من النزاع الأوديبي ومن التناسلية انطلاقاً منه؛ فالشعيرات الظاهرة والكامنة عن ضمير الغلمة الإحليلية والشرجية والمغتمات الأخرى. التي نجدتها في العصاب، هي إذن ثانوية بصورة عامة. إنها تكوينات بنائية كروية أعواماً تثير للعصاب مائه الحقيقي لمصطلح. لاستبنا حصر احصاء.

ويدو أن التوحيد الإحليلي والنسجي للأبوس، الذي أشرنا إليه فيما سبق، يكون ضرباً من البشير الفيزيولوجي شأن الأنا والأيضا العليا في حياة الطفل النفسية ولا يتبهم الطفل باستمرار أو صفارات بين أودانه في هذا المجال وأداءات المرشدين فحسب، ولكنه يكون في نفسه أخلاق الصارات، أخلاقاً قاسية جداً بحيث لا يمكن أن ينتهكها دون شعور يائس ووساوس حادة. وغير مستبعد أن تكون هذه الأخلاق التي ماتزال نصف فيزيولوجية أيضاً من النواحي الأساسية للأخلاق اللاحقة محض النسبية؛ كما أن الشم (قبيل الأكل)، الفعل الفيزيولوجي المحض، سيكون بموجب فرضي النموذج الأصلي أو بشير الإنجازات الفكرية العليا كلها حيث يكون المقصود دائماً تأجيل الإشباع اندفاعية (الفكر).

٦ - ما هي الصارات، هذه السكور الفيزيولوجية؟

من الممكن أن تكون قد بخسنا كثيراً حتى الآن قيمة الدلالة البيولوجية والسيكولوجية للصارات. ويبدو أن بنيتها التشريحية ونمط عملها الوظيفي تجعلها على وجه الخصوص قادرة على إنتاج التوترات، وتراكمها، وتفريغها؛ إنها تعمل عمل السكور التي تقع في نغظتي المدخول والخروج من موهات الجسم وتتيح درجة إعصابها المتغيرة صرباً من التنوع في إحساسات التوتر والاسترخاء، من حيث أنها تسهل أو تكف سبل المحتويات الجسدية ورجوعها. وفحصنا هذه الظواهر حتى الآن فقط من الزاوية النوعية وأهمها إجمالاً كدياً أهمية حركة الصارات في مقاربة المذة واللاذة، دون أن نتكلم على أهميتها محض العلمة. ويمكننا أن نؤكد انتقال كميات من الأعصاب من صارة إلى أخرى أو إلى عدة صارات. وثمة حائنة من الخصر على سبيل المثال توافق على الغراب مع انكماش نازز للفتحة الشرجية، ومع ميل إلى إفراغ المثانة. وهذا لا يقتضيه بكمه، في الهستيريا، أن يتقل إلى أعضاء أخرى ويكون كره الجهاز العضلي المحض، وتشنجات الخنجرية (القصية الهستيرية)، والقباض الثواب (فتحة المعدة الخنجرية المرتبطة بالانسي عشر)، ونسكل صارات شمادة في مختلف المناطق المنفصلة من الأبوبه الهيصي في الهستيريا، وبين أن مصدر كل هذه التشنجات هو الخوف من إعصاب مسافر للصارات التناسلية.

خوف يظهر لدى الرجل باضطرابات القوة الجنسية والتي أثارها بالام الضمت (تقلصات رحمية). ونفرد هذه للاحظات عن العضات، بفعل اشراط بين الأفكار، إلى شرح عدد كبير من الأعراض العصابية بحصر الخشاء أو حصر الولادة (زناك) وبحصر المحاض الفهزم على نحو سبي، والمخوم قدره. ويمكننا أن نمنح ديمناً لضغط التوتر النصاري الشرحي على علم النفس التجريبي لقياس حدة التمرجات في الانفعالات ولاسيما الحصر، وأناحت لنا جيداً ملاحظة انفاعلية الصارية على مستوى النوم والخلل أن يفهم فهماً أفضل فيزيولوجياً وبيثولوجياً التنفس، والكلام، والغناء، لاسيما في علاقتها بالانفعالات (انظر بغير، فورسايس)^(١٤).

وكان المرضى، في الحالات التي تتجاوز خلالها التمريضات نقطة معينة، يظهرن على وجه العموم، بمناسبة ترابطات بين الأفكار كانت تشتط ضروب المعيش الطفولية، حصرأ حاداً وسلس بول عابر في بعض الأحيان. ويوسف أن تصور هذا العرض الأخير المرتبط بالحصر أنه ضرب من الذعر حيث يرون كل حساب للأخلاق الصارات، وحيث تعود الأعضاء إلى حالة الإنساع الذاتي الطفولي البدائي^(١٥).

٧ - تعليمات هذه الطريقة في العلاجات التحليلية:

ذكرت آنفاً كيف أن ازدياد التوتر كان يتجاوز الفوهات التناسلية، الإحليلية والشرجية، إلى كل الدينامية السكولوجية الفيزيولوجية وكانت أحلام مريض، خلال مرحلة فاعلية من هذا النوع، تبين سائناً واضحاً جداً أن التمثلي (تعدد الجسم مع اشدة) كان يمثل بالنسبة له ضرباً من انقسام الجسم كله، انصاف كان يتيح له أن يكون بصورة لاشعورية استيهام جماع مع أمه، إذ يتخذ الجسم مكان عصفوه الذكرى الذي يتعب انصافاً غير كاف

(١٤) انظر أيضاً: الاخطي عن السوء نظرية لاميعة، معهد الطب، ص ١٠٠.

(١٥) انظر الاستد، ص ١٠٠، من اصدارات من حالات الحصر ايرخس في معهد الطب، ص ١٠٠.

ويمكن أن يبرر ذلك التوحيد العصبي لتجسم كنهه بالأعضاء التناسلية، في رأيي، أنه ذو أهمية كبيرة، فمما يحسن علم أمراض الأعصاب وعلم الأمراض العصبية على حد سواء، وعندما عرضت هذه المادة، مادة الملاحظة، على د. مرويد، لخص هذا العالم بخيف موجز، وجية نظري قائلًا إن العاجزين جسيماً، الذين ننقصهم المتجاعة في العلاقات الجنسية، يتجزون الجماع بكل جسمهم في استبها ما بهم (اللاشعورية)، وربما يكون ذلك مصدر كل استبها داخل رحمتي¹.

وأود أن نضرب أيضاً بعض الأمثلة المدهشة على الأسلوب الذي يمكن به أن يتقدم التحليل بفضل التأثير الذي يعارض على سيرورات إخراج الفضلات. ففي حالة من الحكمة الفرجية العصبية التي يصحب تحللها على وجه التقريب ويلبها استمناء شرطي ومستقبلي لا يُقاوم، كان العرض يدوم على الرغم من نقص لا يتهي للمادة التربطية. ولم يكن ثمة يد من أن يكون ضرب من إمساك العائط الإرادي الذي يطول زمنه جداً، والإحساس بالتوتر الذي يرافقه، قد ألفيا سعة عضو البلدة اللاشعورية في الأمعاء، حتى يصبح انتقال النيل إلى الغلعة إلى الأعضاء التناسلية واضحاً. وثمة مريض آخر، عاجر عن إنجاز الفعل الجنسي دون أن يفرغ مثانته إفراغاً كاملاً قبته (ولم يكن يفلح في ذلك إلا جزئياً). توصل إلى أن يتحمل انصبابات أكثر بروزاً وأطول مدة في أعقاب محاولات ناجحة في الإمساك البولي وأن يحدث في الوقت نفسه ضرورياً من التقدم كبيرة في التفهم التحليلي النفسي لحالته. ويعرض عدة من المرضى (بينهم رجال)، فيما يخص برازهم، سلوكاً يتقدم فكرة ذات أهمية عن المعوطة الذي يتركونه وكأنه ولادة وفي الحالة التي كان خلالها التفرط، التفسري على وجه العموم، يؤمن، على حساب التناسلية، إحساسات شهوانية يرافقه قذف المتني، تحلّى المريض عن هذا العرض بعد إمساك شرطي بلبه نفوذة مؤتم.

ويصعب أن نقول متى يمكن ويسفر أن نحري هذه المحاولة وهي أي الحالات ومهما يكن من أمره، ينبغي أن يكون مقبولاً أن ندعم المرض دعماً مبيهاً، برضا

مفاده نكوص (أو فكك) اجسبه التاسيه إلى مراحلها البيولوجية السابقة، أعني صرياً من الزناح التهديد بالخصاء المرموب، تهديد يخص الأعضاء التاسلية في الأصل، على الوظائف الفعلية الأهمية من الإخراج الشرجي والإحليلي. وللإجراءات التي عرضناها نسوة هدف مفاده تشجيع الانزواج على الأعضاء التاسلية.

٨ - اكتشاف ذو أهمية: التحليل البيولوجي للوظيفة التاسلية

ستبين لنا الحالة التالية كيف أن كميات كبيرة من الليبدو ويمكنها أن تربط ارتباطاً لا شعورياً بالوظائف المعوية. فثمة مريضة كانت تصاب بأزمات عوية تقرب «عواطف الأبدية». وكان عليها خلالها أن تظل بعضاً من الزمن في مأمن من كل إثارة وفي حالة من الانطواء. وكانت هذه «الأبدية» تمثل في الواقع الانتظار غير المحدد للإفراغ المعوي الذي حل محله، بعد تجربة مؤلمة من الإمساك القسري، اندفاع لا يقاوم لوضع حد لهذه «الأبدية». وبعد أن أتاحت لنفسها فقط هزة الجماع في المرحلة الشرجية، استطاعت المريضة أن تبلغ هزة الجماع التاسلية التي كانت حينئذ ترفضها. واعتاد مريض، كان يعاني ضمناً من حصر الخصاء حاداً عنى نحو يعرف الوصف، على أن يُخرج قطعة واحدة وحيدة من البراز، خوفاً رهيباً من أن يرى برازه مقطوعاً إلى قطع تعمل الصارات. وكانت لديه القشرة المدهشة، بالإضافة إلى ذلك، على أن يتجز دون عون خارجي، إيجازاً على نحو كان بدتسبة في غير مفهوم كلباً على المستوى التثريحي، انكماشاً عابراً في عصب الذكرك، إلى سبسر واحد تقريباً، وراء الحشفة؛ وكان هذا الانكماش يحدث على وجه العموم خلال التقوط. وعندما أتاحت علمته مجدداً على العضو الجنسي، ضعف عجزه الجنسي تدريجياً وحدث تحسن دائم منذ أن استطاع أن يوضح عقده الأوديوية وأنه يتجاوز حصره اجسي إزاء أيوبه. وكانت انادة المغاظة المرنة تعني أيضاً، هنا كما في كثير من الحالات الأخرى من هذا النوع، طفلاً واستطاعت تلميذتي ف. كودي كس من يودنست أن تشرح عزة في العضلات الوحوية. كان تأريجه يعود إلى الظفرنة.

بالميل الكامن إلى الاستسماه وانزياحه على الأمعاء ، وحصلت على شهاء دائم
بواسطة التحليل النفسي وبعض الإيعازات الخاصة بالنفوس .

وتعمل كل هذه الملاحظات إلى أن تسوغ الفكرة التي مفادها أن التحليل
«البيولوجي النفسي» للوظيفة التناسلية ليس ذا أهمية على المستوى النظري
فحسب ، ولكنه جدير بأن يزيد قدرتنا العلاجية

ومكمل ما قلناه لسواءً نضيف أن الفاعلية يمكنها ، في بعض الحالات ، أن
تكون ذات علاقة بوظائف التغذية ووظائف الإفراغ ، وبوسعنا أن نكتشف الخلفية
الدافعية لسهات الطبع الفموية بالتخلي عن بعض اللذائذ الخاصة بالأكل أو
الشرب ، من وجهة نظر كمية وكيفية على حد سواء . كذلك في أعقاب
قبول مقصود بأنماط من الاستمتاع والتغذية ، أنماط يتجنبها المرء بفعل خصوصية
في انسلوك

ساندور فورتزي

الفصل الثاني أنا عليا عتيقة وضمير مبكر

مقدمة:

بالأطوار الأكثر عتقاً من نمو الطفل إنما عُتبت ميلاني كلارين. وما نكتشفه فيها يسوقها إلى أن تضع موضع الانتهاء فكرة فرويد التي بمقتضاها لا يتأخر الأنا العليا فاعليتها قبل انحسار الأوديب، وذلك بمفعول عقدة الخصاء. والأنا العليا العتيقة التي تصفها أكثر قسوة بكثير من الأنا العليا لدى الطفل الأكبر عمراً أو الراشد

وفي رأيها أن الطفل يكوّن لنفسه عن أبويه امتثالات مرعبة تهدده. إنه يُسقط، منذ بداية الحياة، دافع الموت، دافعه، على الأشياء حتى يقلت من التدمير الذاتي. ويولد هذا الانصراف لفريزة الموت تلك الصور الأبوية الاستيهامية المحقوفة بالأخطار. ويبدأ تكوّن الأنا العليا عندما ينجز الطفل أول اجتياف فموي للموضوعات^(١)، التي رأينا أنها كانت مزودة مسبقاً بقسوة استيهامية تتجاوز الحد. فلن تكون الأنا العليا المبكرة لدى الطفل مرتبطة بواقع الأبوين بقدر ارتباطها بعنف الإسقاط لدافع الموت 'لديه' فوقانح الموضوعات يمكنها مع ذلك أن تساعد على أن يعدل تدريجياً إسقاطاته وتلطّف قسوة الأنا العليا.

وأخيراً، يشير هذا التصور قبل الأوديب للأنا العليا مسألة معينة كانت من قبل موضع المناقشة^(٢): مسألة زوال النمرکز بالقياس على التصور محض الفرويدية، الذي جعل بعض المحللين النفسيين عقدة الخصاء تعانبه.

(١) نظر تيرر مراحل التطور في هذه التجربة

(٢) انظر الأوديب عقدة كلية

(٣) انظر 'الخصاء'، سيغمان أمني



دو کتبی اولاد سینه و این کتبی به نام کتبی اولاد سینه و این کتبی اولاد سینه
و این کتبی اولاد سینه و این کتبی اولاد سینه و این کتبی اولاد سینه

النص

أحد المكتسبات الأكثر أهمية في البحث التحليلي النفسي كان اكتشاف
السبب وراث النفسية الخفية نسوا، النوعي الفردي. واعترف فرويد أيضا، عدم
إوضح الميزان الدافعية اللاشعورية، وجود فردي تستخدم للدفاع ضد هذه الميول
وبحسب اكتشافاته، التي أكتنف الممارسة التحليلية النفسية في كل نقطة من
نقاطها، يكون التفسير لدى فرويد أسبابا، أو عملاً لعلاقاته الأولى بأبيه. إنه
استدخيل، على نحو من الأنحاء، أبوي، إنه امتعتها، فأصبح داخل جسمه جزءا
لاستهزأ من أنه، وأنه العليا، المراجع الذي يقفّه إلى أمه دقنضات، وضرب نود
وتعيف، تتعارض مع دوافعها.

وبس فرويد فيما بعد أن عمل الأنا العليا لا يتصور على الفكرة لشعورية،
ولا يرجع إلى المقصد الشعوري. ونارس الأنا العليا أيضا تأثر اللاشعورية ومرحف
عنى الغالب، هو عامل ذو أهمية في المرض النفسي كما في نموذجية
سوية. وهذا الاكتشاف الجديد وضع دراسة الأنا العليا وأصولها في مركز بحوث
التحليل النفسي.

١ - أنا العليا مجردة جداً وأكثر قوة

تحليلي الأطفال الصغار. أبحث في أن أكتشف معارف مباشرة هي موضوع
نفس التي تُبنى عليها الأنا العليا، وجددت بعض الوقائع التي كانت تبدو أنها
تتيح توسيعاً نظرية فرويد في الأنا العليا. وكانت الأنا العليا دون ذلك عاملة من قبل
منذ بعض الرموز لدى فرويد في عصر السنين والثلاث والأربع، هي حزن
الهدوء وفي الأفكار القديمة له، كانت لا يمارسها العليا، قبل أن نحسن عنده أودت

انحداراً كاملاً، أن قبل حوالي الستة الخامسة من عمر الطفل أصف إلى ذلك أن معظمتي كانت نيين أن هذه، لأننا انعلبا المبكرة كانت أكثر صراحة وقسوة بما لا يقاس من الأنا العلبا لدى الطفل الأكبر أو لدى راشد، وأنها كانت نسحق الأنا الضعيفة لدى الطفل الصغير سحفاً تاماً.

واخفيفة أب الأنا العلبا لدى الراشد، التي يجدها عاملة، أكثر قسوة كثيراً مما كان والدها الفرد، ومختلفة جداً عنهما بجواب أخرى أيضاً^(١٦) ولكنها قريبة منهما على وجه التقريب مع ذلك. ونجد أنفسنا عنى العكس، لدى الطفل الصغير، أمام أنا علبا ذات طبيعة وهمية بصورة لأتصدق. وذلك صحيح بقدر ما يكون الطفل أصغر، أو بقدر ما يكون المستوى النفسي الذي تتوصل إليه أعمق. وننتهي إلى أن نرى خوف الطفل من أن يقطع، ويمزق، أو رعبه من أن تحيط به شخص مهتدة أو تتبعه، مكونة سوية من مكونات حياته النفسية؛ ونحن نعلم أن التذب أكل الناس، والتنبى الياسق النار، وكل مسوخ الأساطير وحكايات اجنابات، وافة في الحياة الاستهامية للطفل الصغير ونمازس عليها تأثيراً لاشعورياً، وأن الطفل يشعر أن هذه القوى الشريرة تضطهده ونهاده. ولكنني أعتقد أن بوسعنا أن نعرف عنه أكثر من ذلك. ولاتتبع لي ملاحظاتي التحليلية الخاصة أن أشك في الأمر: الموضوعات الواقعية التي نحتاج وراء هذه الوجوه المتخيلة المرعبة هي والدها الطفل، وهذه الأشكال المرهوبة تعكس على نحو أو آخر سمات الأب والأج، مهما كان التشابه مشوهاً ووهيباً.

(١٦) في الدراسة الخاصة بعنونة "دولة عن طفل الطفل" ISPA، تحدثت عن ذلك. كانت أفكاره في سنة على تحليل الرامة وروعب عن وجهات نظر مختلفة مختلفة. قد عرضها إيلست جوبر، جيم، وخبير. دولة عن طفل، ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١

٢ - الركرة الأولى للأنا العليا

إذا قبلنا هذه الوقائع التي تظهرها ملاحظة تحليلية مسكرة وإذا اعترفنا أن الأشياء التي يربها الطفل هي هذه البهائم المفترسة وهذه المسوخ المستدخلة التي يجعلها شبيهة بأبويه، فإننا نوصّل إلى النتائج التالية: ١ - الأنا العليا لدى الطفل لا تتضامن مع صورة الأُسوين الواقعيين، ولكنها مخلوقة انطلاقاً من اللوحات المتخيلة، أو الصور الذهنية الاستبهامية، التي تمثلهما والتي تشرتها الطفل داخل ذاته. ٢ - خوفه من الأشياء الواقعية - حصرة الرهابي - قائم على الخشية التي يعانيها ممحاً أمام الأنا العليا المنحرفة عن الواقعي وأمام الموضوعات الواقعية في ذاتها، التي يدررها الطفل، بوصفه متأثراً بأناه العليا، في جو متخيل.

ونكن ذلك يفردنا إلى مشكل يبدو لي رئيساً في مسألة تكون الأنا العليا فكيف يحدث أن يخلق لنفسه صورة لأبويه وهمية بهذا القدر وبعيدة بهذا القدر عن الواقع؟ الجواب موحود في الوقائع التي يوضحها تحليل الأطفال الصغار. إننا حين ننفذ إلى المراتب الأعمق من فكر الطفل ونكتشف هذه الكميات الهائلة من الحصر وهذه الضرور من الرعب أمام إمكان الهجمات من كل نوع، نعرج كمية مناظرة من المدافع العدوانية المكبوتة، وبوسعنا أن نلاحظ العلاقة السببية التي تنشأ بين مخاوف الطفل وميوله العدوانية

ويقترح فرويد في كتابه، ها وراء مبدأ اللذة، نظرية يحارص بموجبها الليبينو، أو دافع الحياة - الإيروس -، دافع العدوان، أو دافع الموت، ويربطه به. وبلي انصهار بين الدافعين يولد السادية. وتستخدم العضوية، حتى تغلت من التدمير بفعل دافعها، دافع الموت، ليبيدها على نخط نرجسي، أي ليبدو متحج نحو ذاتها. لظرد دافع الموت ونوجهه نحو موضوعاتها. ويعتد فرويد أن هذه السيورة أساسية في العلاقة السادية بالموضوعات. وسأضيف من جهتي مايلي: شمة ارتكاس دافع داخل نفسي نشأ، بصوره موازية لهذا البند لدافع الموت نحو الخارج والموضوعات - صدأ الجزء من الدافع الذي لم يكن ممكناً طرده إلى الخارج بدلاً

الأسلوب . ذلك أن حظه التدمير يعني دافع العدوان بشير ، في اعتقادي ، توبراً مفرطاً في الأنا التي نشعر به وكأنه حصر^(١٤) ، بحيث أنها نفسها، منذ بداية نموها، أمام مهمة مفادها تخيد الليبدو ضد دافع الموت . ولكنها ليس بوسعها أن تنجز المهمة إلا بصورة غير كاملة . ذلك أن التصهار الدفاعيين يمنعها، كما نعلم، من فصل الواحد عن الآخر . وثمة انقسام يحدث في اليهو . أي في الرافعات الدفاعية من نفس ، يتوجه بسببه جزء من الدوافع ضد الجزء الآخر .

وهذا الإجراء الدفاعي - الأول على ما يظهر - الذي نقيمه الأنا . يكون، في اعتقادي، ركيزة النمو للأنا العليا، التي يشرح عنها المفرد في هذه المرحلة المبكرة واقع مفاده أنها نتاج دوافع التدمير اخذة، وأنها تحتوي، إلى جانب نسبة من الميول اللييدية، كمية كبيرة من الميول العدوانية^(١٥).

٣ - ثمة محور أوية مرعبة وخاصة بكل طفل

يتيح هذا الشرح أيضاً أن نفهم فهماً أيسر إذا ما صنعت الفعل لتعبه صورة وهمية بهذا القدر ووهية لوالديه . إنه يدرك أن حصره مولود من دوافعه العدوانية برصعه خوف من مرصوع خارجي ، لأنه ، في أن واحد ، جعل من هذا المرصوع هدفًا خارجياً لدوافعه ، ولأنه أسقطها على هذا الموضوع بحيث تبدو ناشئة منه^(١٦).

إنه ينقل على هذا النحو مصدر حصره نحو الخارج ويحول موضوعاته إلى موضوعات حاضرة ؛ ولكن هذا الخطر ينشأ من دوافعه العدوانية الخاصة في نهاية

(١٤) أحصت أن الأنا تحس أيضاً بهذا التوتر وكأنه توتر لبيدي . لأن الدوافع ادمرية واللييدية محتلطة ، وتكرر التبادلات المتذبذبة في اليهو . غير أنني ، توحد في أصل الحصر

(١٥) انجلو - تروند ، عمر عشر في الحصار المدارس ، في نوبل وستين ، ١٩٥٤ ، إن نسوة الاصله للأنا انسا والفتل . لا لا نشر كسراً ، ثمة نسوة نوي يمانيه النسوة أو بنوقه . . . كنه تعبر عن عدوانه انطين من اداء الموضوع

(١٦) في الفتل ، حول مرصع ، حصر انسا الشسة في أن حصر أنه . ثمة انه يشي أنشر أنشر ان شيها انسا فتل ان شسة اشاع ساجانه او على ان نرخص ذلك .

الطاف. ولذلك إنما سيكون خوفه أمام موضوعه متناسباً على الدوام مع قوة ميوله السادية الخاصة.

وليس المقصود فقط مع ذلك تحوير كمية معينة من السادية إلى كمية مناظرة من الخصر. فالعلاقة هي أيضاً علاقة محتوى ويتبع الخوف، الذي يستشعره الطفل أمام موضوعه وأمام الهجمات التحيكة التي ينبغي له أن يعانيها، بكل التفاصيل، تلك الميول والامتيازات العدوانية الخاصة التي يأويها في نفسه ليعارض بها وسطه. وعلى هذا النحو إنما يصنع الطفل صوراً أبوية خاصة به، على الرغم من أن لها، في جميع الحالات، سمة لا واقعية ومرعية.

٤ - معلومات عن ضمير يصبح ممكناً إرضائه

يبدأ تكون الأنا العليا، وفق ما أمكنني أن ألاحظ، حين يتجزأ الطفل أول اجتياف فموي لموضوعاته^(٨). وبما أن الصور الاستيهامية الأولى، المتكوّنة على هذا النحو، مزوّدة بكل صفات السادية العنيفة التي تميز هذه المرحلة من النمو، وبما أن هذه الصور ينبغي إبقائها مجدداً على موضوعات العالم الخارجي، فإن الطفل يسوده الخوف من أن يعاني هجمات ذات قسوة يصعب تصورها، هجمات موضوعاته الواقعية وأناه العليا. وسبب هذه حصره على تعزيز ميوله السادية، إذ تدفعه إلى تدمير الموضوعات المعادية ليعلب من عدوانها. فحصر الطفل يدفعه إذن إلى تدمير موضوعه، وذلك أمر يفضي إلى ازدياد الخصر، ويصنّف عليه هذا الخصر مجدداً ليهاجم موضوعه؛ وتكون هذه الألية السيكولوجية على شكل حلقة مفرغة، في رأيي، قاعدة الميول المعادية للمجتمع والإجرامية لدى الفرد. فبيني لنا

(٨) هذه الفكرة -سنة ابتداءً عن رأي الذي حددته أن أصول الأدبية لدى الطفل تولد هي أيضاً على نحو أكبر مما كان يعتقد، اعني عدم بقول الطفل - يزال في مرحلة الصغر، قد أن تكون سوية الشاملة لتأخرت هي السادية - من طفولته. أي أي أن الطفل يدمج موضوعه الأدبية في أثناء المرحلة السادية المبكرة. وفي هذه الأثناء الراسه حسب انه لنما الأنا العليا بعد في علاقة وثيقة بالميول الأدبية الأولى.

بذن أن نسلّم أن القسوة المفرضة والشوائب الساحقة للأنا العليا، وليس ضعفها أو غيابها كما يعتقد بعضهم على وجه العموم. هما اللتان تشرخان سلوك الأشخاص المعادين للمجتمع وسلوك المحرّمين.

والخوف من الأنا العليا سيُدفع الأنا، في مرحلة من النمو أكثر تأخراً من الناحية الزمنية بعض الشيء، إلى أن تنصرف عن الموضوع مؤلّد حُصر. ويمكن أن يفقد هذه الآلية الدفاعية، لدى الطفل، إلى علاقة بموضوع معينة أو مشوّهة.

وعندما تبدأ المرحلة التناسلية، تكون المواقف السادية معلوبة في الحالات السوية، وتكون علاقة الطفل بالموضوعات قد اتخذت سمة إيجابية. وفي رأي أن مثل هذا التقدّم في النمو ترافقه تعديلات في ضيعة الأنا العليا، ويؤثر في هذه الأنا العليا، ويتلقى تأثيرها. ذلك أن سادية الطفل كلما تناقصت، يتقلّص تأثير صوره الاستيهامية اللاواعية والمرعبة لأنها نتاج ميوله العدوانية الخاصة. وبمقدار ما تنمو قوة الميول التناسلية، تنبعث صور ذهنية دثائية خيرة ومساعدة، قائمة على تبيّنات المرحلة الفصحوية للمصّ على الأم الكريمة الحنون، التي تقترّب من الموضوعات الراقية؛ وتبدأ الأنا العليا، بعد أن كانت قوة مهدّدة استهدادية تطلق أوامر عبثية ومتناقضة كانت الأنا عاجزة كلياً عن تلبيةها، في أن تؤدّي دوراً أكثر اعتدالاً وإقناعاً وفي أن تعبر عن مقتضيات يمكن أن تُتّى. والتوقع أنها تتحوك بالندريج إلى ضمير بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

٥ - صراع الأنا للبقاء على قيد الحياة

وإذا كانت سمة الأنا العليا، بالإضافة إلى ذلك، تتعدك، فإن تأثيرها على الأنا وآلية الدفاع التي نعت النشاط فيها يتحوّل أيضاً. إذ فربما علمنا أن الشفقة ضرب من ارتكاس القسوة. ونكس الارتكاسات من هذا النوع لا تنشأ قبل أن يكون الطفل قد بلغ، إلى حدّ واسع قليلاً أو كثيراً، علاقة بالموضوع إيجابية. وبعبارة أخرى، قبل أن يبيّن تنظيمه التنسلي. وإذا وضعنا هذا الواقع إلى جانب الوقائع، كما أراءه، ذات العلاقة بتكوين الأنا العليا، فإن النتائج التالية ستفرض نفسها علينا.

ظالما كانت وظيفه الأنا العليا الرئيسية تكمن في إبقاء الحصر، فإنها - الأنا العليا - نستدعي، ندى الأنا، البات دفاع عبثة وصفتها أعلاه وهي البات دفاع لأخلاقية ومعادية للمجتمع بطبيعتها. ولكن أليات الدفاع التي تكون قاعدة التجه لأخلاق فلسفية وأخلاق السلوك نتعثر منذ أن تتناقص سادية الطفل يرتعدك سمة الأنا العليا ووظيفتها بحيث أن هذه الأنا العليا تولد عاصفة الإثمية بدلا من الحصر، ويبدأ الطفل في أن يدل على مراعاة موضوعاته وأن يفتح على العاطفة الاجتماعية⁽¹⁹⁾.

وكانت تحليلات عديدة للأطفال من كل عمر قد أكدت هذه الأفكار. ويتبع لنا تحليل اللعب أن يتبع، لدى مرضانا، مجرى الاستيهامات كما يتكلموا لهم، وإقامة علاقة بين استيهاماتهم وحصرهم. وعندما تنتهي إلى تحليل محتوى هذا الحصر، يرى الميون والاستيهامات العدوانية التي تولد تظهر بقوة كبيرة فأكثر وتبلغ سياً كبيرة في كميتها وحدتها على حد سواء. فأنا الطفل الصغير تتعرض إلى خطر أن تحققها القوة الأولية لهذه الميون والاستيهامات العدوانية وعددها الكبير! إن أنا الطفل تدعم ضدها صراعاً مستمراً رهانه هو بقاؤها على قيد الحياة، تساعد في هذا الصراع مبولها الليبيدية! وهي تحمي نفسها منها باحتوائها، أو بتهدئتها، أو يجعلها غير مؤذية.

وتوضح هذه الملاحظة دعوى فرويد التي طرحها لدافع الحياة (الإيروس) الذي يشن حرباً على دافع الموت، أو دافع العدوان. أصف إلى ذلك أننا نعرف بالرباط الوثيق والتأثير المتبادل الموجود كل حظة بين القوتين، بحيث أن التحليل لا يمكنه أن يجمع إلا إذا تابع استيهامات الطفل العدوانية في أوهي تفاصيلها، وإلا إذا قلص على هذا النحو معمولياً، من حيث أنه يمكنه أيضاً أن يتبع الاستيهامات الليبيدية ويكتشف مصادرها الأعمق.

19) انظر تحليل فرانكس في تفسير، في الجزء الأعظم، سور. هذا الصدد - الأنا العليا - ووظائفها. هناك أيضاً كتابات في الجزء الثاني من كتابه "نفس الإنسان" - الأنا العليا - وهو كتابه في الواقع يعرفون بالأنا العليا. وهذا الكتاب هو كتابه في الجزء الثاني من كتابه "نفس الإنسان".

٦ - الفراس محتوى جسم الأم وتدميره

فيما يخص محتويات هذه الاستيهامات وأهدافها الحقيقية، علمنا فرويد وأبراهام أن ميول الطفل السادية سائدة خلال المرحل الأولى، قبل انبساطية، من التنظيم الليبيدي، التي يحدث في أثناءها انصهار اللبيدو والنوافع المدمرة. ويرهن عنى ذلك تحليل كل راشد. يجتاز الطفل الصغير، خلال المرحلة السادية - الفموية التي تعقب المرحلة الفموية بنمصر، طوراً من أكل خم البشر. وهذا الاستيهام، مع أن مسألة أكل ندي الأم أو شخصها كنه مطروح فيه، غير ذي علاقة فقط بإشباع رغبة الغذاء البدائية. إنه يُستخدم أيضاً لإشباع ميول انطفل المدمرة. ويتميز الطور السادي الذي يتبع هذا الطور، طور السادية - الفموية، باهتمام ساند بسيرورات التفوط، بالبراز والشرج؛ وهذا الاهتمام يرتبط هو أيضاً بميول مدمرة قوية إلى الحد الأقصى.

نحن نعلم أن إخراج البراز يرمز إلى الإخراج الإجباري للموضوع المتامح؛ فثمة عاطفة من العداوة والقسوة ترافقه، كما ترافقه رغبات مدمرة شتى، إذ يتخذ البراز أهمية بوصفه موضوع هذه العاذنات. وفي رأيي مع ذلك أن الميول السادية الشرجية تحتوي أهدافاً وأغراضاً أكثر عمقاً وأشدّ كيناً أيضاً. فالمعطيات التي قدمها لي تحليل الأطفال الصغار تُظهر أن مرحلة تقع بين المرحلة السادية الفموية والسادية الشرجية، تبرز خلالها ميول سادية إحليلية؛ وتبرهن هذه المعطيات أيضاً عنى أن الميول الشرجية والإحليلية استطانه مباشرة للميول السادية الفموية فيما يخص هدف الهجوم وغرضه السوعي. فانطفل يهاجم، في استيهاماته السادية الفموية، ندي الأم، والمرسائل التي يستخدمها هي أسنانه ومكناه. وفي استيهاماته الإحليلية والشرجية، يعنى إلى تدمير داخل جسم الأم، ويستخدم لذلك بونه وبرازه فالفصلات. في هذه الفئة الثانية من الاستيهامات، يُنظر إليها أنها مواد حارقة وقارصة، وحيوانات متوحشة. وأسنانها من كل نوع، إلح. ويدخل انطفل في طور يستخدم فيه كل أداة من سادينه بهدف وحيد هو تدمير جسم الأم وما يحتويه

أما اختيار الموضوع، فإن انبوت السادية العموية متأثرات المعامل الكامن فيه، بحيث أن الطفل يفكر في أن يفرغ بانهض ويأكل داخل جسم الأم كما لو أنه كان تدياً. ولكن هذه المول توسعها أفكار الطفل الجنسية الأولى، التي يعدها خلال هذا الطور. ونحن نعلم الآن أن الطفل يبدأ عندما تستيقظ دوافعه التناسلية، في أن تكون له نظريات لاشعورية لجماع أبويه، وتولادة الأطفال، إلخ. ولكن تعجيل الأختال الصغار يبين أن هؤلاء الأطفال يعدون مثل هذه الأفكار في زمن أبكر بكثير، في زمن متزائل خلاله المول قبل التناسلية حاسمة، مع أن للممول التناسلية التي متأثرات خفية رأياً في هذا الصدد. وينبغي لهذه الأفكار أن تؤكد أن الأم في الجماع تدمج باستمرار عضو ذكر الأب في جسمها بواسطة الفم، بحيث أن جسمها مليء بعدد كبير من الأعضاء الذكورية والرضع. ويرعب الطفل في أن يأكلهم ويدمرهم.

٧- رغبة في التعويض تعبر عنها بعض الألعاب

حين يهاجم الطفل داخل جسم الأم، فإنه يهاجم إذن موضوعات عديدة ويدلف في درب غني بالنتائج. والرحم يمثل العالم أول الأمر؛ ويقارب الطفل في الأصل هذا العالم يهاجمه ويدمره؛ إنه ذو استعداد منذ البدء ليرى العالم اختارجي، الواقعي، معادياً لأنه فليلاً أو كثيراً، وأنه مسكون بموضوعات جاهزة لتهاجمه^(١). ويعتقد أنه يهاجم أيضاً أباه، وأخوته وأخواته، والعالم كله في معنى أوسع، حين يهاجم على هذا النحو جسم أمه، وهذا الاعتقاد، إذا أطلقت عليه حكماً بالاستناد إلى تحريمي، هو أحد الأسباب الخفية لعاطفة الإثنية لديه ولنمو

(١) اخذت العرلة لأوضاع الصغر تشابه لدى الطفل الصغير من، في رأيي، عامل أساسي في شرح الاصطرابات الانعابية

عواطفه الاجتماعية والأخلاقية على وجه الخصوص^(١٢) ذلك أن صروب اللوم التي توجهها الأنا العليا إلى الأنا على هذه التصحيحات التحيئة تولد، عندما تتقلص النسوة المفرطة لهذه الأنا العليا قليلاً، عواطف الإنسية التي تدفع ميولاً فريدة إلى أن نعوض عن الخسائر التحيئة التي ألحقها النضل بهذه الموضوعات. وتسيم المحتويات الفردية وتخصيبات استيهاماته المذمومة. هي هذه اللحظة نفسها، في توجيه نحو تصعيداته، التي تساعد ميوله المعرفية^(١٣) مساعدة غير مباشرة، أو في توليد الرغبة الأكثر مباشرة في مساعدة الناس الآخرين.

ويبين تحليل اللعب أن الطفل لا يسأم، عندما تكون ميوله العدوانية هي أوجهها، من غزيق كل الصروب من الأشياء، وتقطيعها، وتخطيمها، ويلها بالماء وحرقتها، كالورق، وأعواد الثقاب، والعذب، واللعبات الصغيرة، التي تمثل كل أهله، والديه، وأخوته وأخواته، وجسم أمه وثديها؛ ويبين التحليل أيضاً أن سحر التدمير لديه يتناوب مع نوبات من الحصر والإنسية. ولكن الميول البناء تبدأ ظهورها في وضح النهار^(١٤)، عندما يشترع احصر في أن يتناقص يبطء خلال التحليل. إن صبياً صغيراً لم يكن، على سبيل المثال، يفعل شيئاً سوى تقطيع قطع من الخشب إلى قطع أصغر، حاول أن يصنع من هذه البقايا أفلاماً وضعها في فرجه قطعه صغيرة من الخشب، ثم غاط قطعة من النسيج حول الخشب الخام حتى يبدو

(١٢) يحيط الطفل، سبب عقاقده بالفرة الكلية لشكر النظر فريدة، انقوطة والثانو، ١٩١٨، فورزري-ثو الخس الواقع، ١٩١٦، اعفلا بعم إلى مرصاه - ابفة سر شوه، من محمات التحيئة ومحامات الفبة - وتنج هذا الخلط لأزال عذابة من حيدة الرائد

(١٣) هي انشي التهور - أرماع احصر لدى علمل وانعكاسها في عمل سي وهي الدفعة الخلاقة. الثغوب عام ١٩٢٤. كذلك، قد كانت من عطفة الإنسية والرعة من برام الموضوع الفسور ك- حامس كفيين - وأسبب في تير كصفت - الترحيل الأشرار، من مقاب العيون - بغير جوانب التصعد - الصلا - I.P.A. الخسد احدي عشر، ١٩٢٠، إنش التبيعة نسبه

(١٤) م- ك- علمل تير بحتا ودرن عشرات - مع الحصر، بعحت ان الفبول انشاء - سبب سدان الثغرات - الثغرات - سحر - ك- نسبه

أجمل . وكان هذا القلم الأولي يمثل عضو ذكر أبيه الذي كان قد دمره في
سنيها ماته . وبمثل عضو الذكر نديه ، الذي كان يخشى تدميره بإجراء انتقامي ؟
وكان السياق العام للسادة التي عرضها العبي ، والترابطات بين أفكاره التي قدمها ،
تفهم ،يرهان الإضافي على ذلك

٨ - أنا عليا رحيمة تصوغ الحسن الأخلاقي والاجتماعي

عندما يبدأ الطفل ، خلال تحيينه ، في إظهار ميول بناء أقوى في نعبه
وتصعيداته - إذ يرسم بالعرضة ، يكتب أو يرسم بقلم الرصاص بدلاً من أن يحبل
كل شيء ، إلى انقاص ، يحبط أو يحترق شاذج من انقساتين في حين أنه كان من قبل
يقطع ويتزق كل شيء ، - يتج أيضاً ظهور تعديلات في علاقته بآبيه ، بأمه أو أخوته
وأخواته ؛ ونسم هذه التغييرات بداية تحسن في العلاقة بالموضوع بمجملها . وغراً في
الحسن الاجتماعي ، فما اندروب التي ستفتح على التصعيد لدى الطفل ، وما
ستكون قوة ميوله إلى التعويض ، وأي شكل ستخذه هذه الميول ؟ ليس أتباع ميوله
العدوانية البدائية هي التي تفرز ذلك فقط . ولكن ما يبرز أيضاً هو النعبة المنسقة
لعدهد معين من العوامل الأخرى التي ليس لدينا المكان للكلام عليها هنا . ولكن
معرفةنا بتحليل الأطفال نتيج لنا على الأقل أن نقول إن تحليل الراقات الأعمى من
الأنا العليا يقود على نحو نابت إلى تحسن كبير في علاقات الطفل بالموضوع .
وقدرته على التصعيد وإمكانات التكيف الاجتماعي لديه ، وأن هذا التحليل
لا يكتفي بجعل الطفل أكثر سعادة وسلامة ، ولكنه أكثر قدرة أيضاً على الحسن
الأخلاقي والاجتماعي .

وذلك يقودنا إلى أن نحصر اعتراضاً واحداً يمكن أن يثار ضد تحليل
الأطفال . وبمكتنا أن نساءل ما إذا كان تقيص كبير جداً لقوة الأنا العليا ، تقيص
معضر إلى تحت مستوى معين ، بلانته ، يمكن أن يكون ذا نتيجة معاكسة ويقود إلى
إنهاء الحسن الأخلاقي والاجتماعي لدى الطفل . وأجيب أن تقيص كبير أينا الخدر
نير يحدث فقط حسب أعالم . أفيد أن ثمة أسس نظرية للاعتقاد أن ذلك لا يمكن أن

يحدث. أما عن التجربة المواقعية، فبنا تعلم أننا عاجزون، حين نحلل التثبيات الليبيدية قبل التناسلية، عن أن نمنح، ونوفي الظروف الأكثر ملاءمة. إلا في تحويل جزء معين من كليات ليبيدية منخرطة في اللبديو التناسلي، والباقي، باق كسبر حياً، يتابع عمله بوصفه ليبيديو قبل تناسلي وسادي؛ مع أن الأنا يمكنها، وقد برسخ الطور التناسلي عندئذ سيطرتها على نحو أكثر متانة، أن تقيم علاقات مع هذا الباقي أسهل، إما أن تمنحه إنسياً أو تدمعه، وإما بإحداث تعديل فيه أو تصعيده. وليس يوسع التحليل لئذا، على النحو نفسه، أن يزيل النواة السادية للأنا العليا المتكوثة في ظل أولية الأطوار قبل التناسلية، إزالة تامة؛ ولكن يوسعه تلخيصها إذ يزيد قوة المستوى التناسلي بحيث أن الأنا، الأكثر قوة، يمكنها أن يكون لها مع أنها العنيد، كما مع ميلها النافعية، اتجاه أكثر إرضاء للفرد نفسه وتلعالم الذي يحيط به معاً.

٩ - التأثير في الحياة الإنسانية بتحويل الأطفال

نحن بذلنا جهداً حتى هنا لترسخ واقعاً مضاده أن الجنس الاجساعي والأخلافي يسمو انطلاقاً من أنا علياً أكثر اعتدالاً، بسوسها مستوى تناملي. فلنتظر الآن في النتائج الناجمة عن ذلك. فكأما نفذ تحليل المستويات العميقة لفكر الطفل نفوذاً أعمق إليها، توصل على نحو المفضل إلى تنضيف قسوة الأنا العليا، إذ يتقلص تأثير عناصرها السادية، وتتبع مراحل أولي من النجور. وينجح التحليل، إذ نتجر ذلك، أن يكتسب الرائد وسائل التكيف مع الحياة الاجتماعية؛ ولكنه يتيح أيضاً نمو النماذج الأخلاقية والاجتماعية لدى الرائد، ذلك أن هذا النمو غير ممكن إلا إذا بلغت الأنا العنيد والجنسية كلاهما، في مهارة نمنح للحياة الجنسية لدى الطفل (١٥)، مستوى تسلياً دون عائق، وتتكون الأنا العنيد، في هذه الحالة، قد اكتسبت السعة والوظيفة اللتين نشأ منهما عطفة الإثنية بحيث تكون لها قيمة اجتماعية. أي الضمير

ويثبت التجربة، منذ بعض الزمن، أن التحليل النفسي للأمراض النفسية يبلغ، مع أن فرويد تصرّفه في انبذه طريقة علاجية، هذا آخر إنه يصحح اضطرابات تكوين الطبع، لاسيما لدى الأطفال والمراهقين، حيث وسائل إنجاز تحولات كبيرة موجودة لديه. وبوسعنا أن نقول في الواقع إن طفلاً يتبع ظهور تغيرات جذرية في طبعه، بعد أن يكون قد خصص للتحليل؛ ولا ينكس إلا أن نكون مقتنعين، بفعل ملاحظة الوقائع، أن تحليل الطبع بوصفه إجراء علاجياً ليس أصلاً أهمية من علاج الأعصاب

وليس بوسعنا، أمام هذه الوقائع، أن نتجنب التساؤل عما إذا كان حفل تأثير التحليل النفسي غير صائر إلى أن يتجاوز الفرد ليؤثر على الحياة الإنسانية بمجموعها. والمحاولات المنذولة في سبيل إصلاح الإنسانية، لجعلها أكثر وداعة على وجه الخصوص، أخفقت لأن أي شخص لم يفهم عمق الدوافع العدوانية لدى كل فرد، ولا قوتها. ومثل هذه الجهود لا تسعى إلى أن تفعل أكثر من تشجيع الميول الإيجابية، الرحيمية، لدى كل إنسان، إذ ترفض أو تزيل ميوله العدوانية؛ أيها جهود محكوم عليها إذ بالإنفاق منذ البدء. ولكن للتحليل النفسي مهمة من هذا النوع، ووسائل أخرى تحت تصرفه. صحيح أنه ليس بوسعنا أن نزيل الدوافع العدوانية بوصفها كذلك إزالة تامة. ولكنه يمكنه، إذ يقلص الحصر الذي يبرز هذه الدوافع، أن يعظم حركة الدعم المتناوبة التي يسهم الحقد والخوف بها إسهاماً مستمراً. وعندما سرى، في عملنا التحليلي؛ أن إلغاء الحصر لدى الطفل الصغير لا يقلص ويعيدك بالتأكيد ميوله العدوانية فحسب، ولكنه يتيح أيضاً إشباعها وأفضل استخدام لها من وجهة النظر الاجتماعية؛ وأن الطفل يظهر رغبة منحدرة بعضى ومتنامية باستمرار في أن يكون محبوباً وأن يحب ويكون في سلام مع العالم الذي يحيط به؛ وأن إنجاز هذه الرغبة يؤمن اللذة والمنفعة تأميناً واسعاً، ويتيح أن يفتقر الحصر تغلباً كبيراً. وعندما نرى كل ذلك، نكون مستعدين

للاعتقاد أن ما يبدو الآن ضرباً من الطوباوية يمكنه تماماً أن يتحقق في هذه الأيام البعيدة حيث التحليل الذي يُمارس خلالها سيكون، وأنا أمل ذلك، جزءاً من التربية له القدر من الأهمية الذي للتعليم المدرسي في الوقت الراهن. وهذا الاتجاه العدائي، المنتقل من الخوف إلى الخذر، اتجاه يحتجب احتجاباً قوياً قليلاً أو كثيراً في أعماق كل موجود إنساني وبضاعف مئة مرة كل ميوله المدمرة، ربما يتخلى عندئذ عن مكانه لمواطن أرحم وأكثر ثقة إزاء الناس الآخرين، وربما يتمكن للناس أن يسكنوا العالم معاً، في سلام أعظم وإرادة أفضل مما يوجد في الوقت الراهن.

مهلاني كلاين

الفصل الثالث

كيف تُبنى الأنا العليا حجراً بعد حجر

مقدمة

روث أ. سبيتزر، من أصل هنغاري، يمارس التحليل النفسي في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يُنهي أيامه في سويسرا. وطريقته في العمل، كما سنرى هنا، مبنية على نحو رئيس، على الملاحظة المباشرة للأطفال ويدرّس هنا «نشوء مكونات الأنا العليا» في نصوص مكتوب عام ١٩٥٨، ويميّز عدة أنسجة جنينية أو أحجار بناء الأنا العليا: التوحد بالمعتدي، اللا لفظية أو الإشارة للألم، الخ. وانطلاقاً من التبادلات الجسمية واللفظية بين الأم وطفلها إنما تُبنى، حجراً بعد حجر، تلك الأنا العليا.

النص

رسم فرويد المفهوم انبئوني للتنظيم النفسي، بشكله النهائي، في محاولته الأنا والهو (١٩٢٣). وكان إرصان هذا المفهوم يتلاحق منذ عام ١٩١٤، تأريخ أدخل خلاله للمرة الأولى مفهوم «شأن الأنا»، ووصف وظيفته ذات الملاحظة الذاتية في مقاله الترجيحية «مدخل واستمراري أن يدرس جزءاً استقدياً دائماً للأنا، المشطورة»، في المقالة المعنون «الخداد والسوداوية» (١٩١٧) وفي محاولته «البيكولوجيا الجماعية وتحليل النصوص» (١٩٢١)، كان فرويد قد حدد الأنا العلي

للمرة الأولى بوصفها درجة من نمو الأنا. فصبغة المفاهيم مستمدة في أعماله، عن وجه العموم، من الملاحظة العبادية لظواهر مرضية، وليست ناجمة عن دراسة تكوينية. ويستثنى من ذلك تلك الصبغة الأخيرة التي نجدها في الأنا والهيو (١٩٢٢)، صبغة تستعيد القضايا البدئية المنصبة على أصل مثال الأنا، كما هي ماثلة في مقاله عن الرجسية.

فالعلاقة الوثيقة بين ظهور هذه الدرجة من الأنا، وبين مصير العلاقات بالوضوع، هي التي وجّهت انتباهنا إلى المراحل البدئية لتنظيم الشخصية. وتكون هذه المراحل ما يمكننا أن نسميه الأنسجة الجنينية^(١) التي ستشكل الأنا العليا انطلاقاً منها في نهاية المطاف.

وأقترح، فيما يلي، أن نحصن انبعاث بعض من ظواهر السلوك خلال السنتين الأولى والثانية من الحياة. وظهورها يبدو أنه يدلّ على تكوّن بنات نوعية مناسبة. وتظهر هذه البنات في البداية بوصفها رسوماً أولية جسيمة وسيكولوجية للسلوك. وهي مدعّوه، بعد بضع سنين، لتُسهم في تكوّن الأنا العليا وتصبح أجزاءً مكوّنة لهذا التنظيم.

١ - أحجار بناء الأنا العليا

سبدأ، بهدف الوضوح، في تحديد المصطلحات التي نستخدمها ونحن نسميها دون أن نوسّع في أدب التحليل النفسي (فعلّ فينبل ذلك، على طريفته الدقيقة المألوفة، في مقاله «التوحيد» ١٩٢٦^(٢))، نطوّل من المقاربة إزاء مشكل ابتكوّن للأنا العليا.

(١) الأنسجة الجنينية (Primordiq). هذا المصطلح مشتق من ضمير الأنا. إذ أنه سيرمان (المؤلف النفسي والأستاذ، بروفير، ١٩٢٨) عدلّ عنه لتصبح الجنيني الذي يتعداه إليه تيمز أي تيمز. والتدبير الوحيد الموجود في وضع مجرمات الخلايا بالمدسة للمحور الطبي للجنين. وفي هذه انكسلة الخاتمة عند المسيرة، يكون مصدري بعض المحرمات النوعية مع ذلك أن تشكل أعضا، نوعية خلاص فل مجموعة أخرى

(٢) ص ٢٦٥ في كتاب التوحيد: الآخر إنما هو أنا، في المجموعة نفسها

ونفترض المقاربة الأولى حضور الأنا العليا على شكل عتيق وأوكي منذ البداية. ويظهر عملها الوظيفي الآن بوضوح في الأشهر الأولى أو في السنة الأولى من الحياة. والمؤلمون بقيمون الدور والأهمية اللذين يولونهما هذه الأنا العليا العتيقة تقييماً على نحو مختلف جداً. وليسوا متفقين كذلك على مظاهر الطفولة الأولى، التي يرونها مؤشر العمل الوظيفي للأنا العليا العتيقة، ولا على العمر الذي يكتسبها الطفل خلاله.

والتمط الثاني من المقاربة كان غلوفر قد صاغه صياغة واضحة جداً وأوجزه في مقاله مفهوم الضمك (١٩٤٣). ونقول قولاً موجزاً إنه يرى أن بنية الأنا البدئية بنية متعددة النوى وأن تكون الأنا سيكون ناجماً عن توحيد هذه النوى. وهذه السيرة تولدها وظيفة تأليف الحياة النفسية، ووظيفة تعمل دائماً بقوة متنامية دائماً. وفي رأيه أن الانقسام الأوكي يحدث بالتمدد في النوى الفردية للأنا. نوى لن تنصهر إلا عندما سيكون تأليف الأنا نفسها تافهاً. إنه يميز تمييزاً بارزاً بين التكوّنات الأولية في الحياة النفسية وبين المرجع النفسي المنظم بصورة عالية، أي الأنا العليا. وهذه الأنا العليا لا يمكنها أن تظهر بوصفها تمايزاً في الأنا الكلية إلا عندما تبلغ غريزة الطفولة نحوها النهائي أضف أن غلوفر يعزو استقلالاً ذاتياً جزئياً إلى هذه النوى، نوى الأنا، وكما افترض، إلى الانقسام الأوكي الذي يجري في كنف هذه النوى.

وتوصلت، أنا نفسي، إلى نتائج مماثلة جداً في مقارنتي المبنية على الملاحظة المباشرة للطفل الصغير. وفحصت، في دراسات متتى، تكون هذه النوى المتخصصة لأن تصبح الأجزاء المتكونة للأنا. بفعل استخدام وظيفة التأليف وفي هذا المقال نفسه، سنصب أنبهاً على صروب النمو والتسايرات التي مصيرها أن تصبح الأجزاء المتكونة للأنا العليا. وسنسميها أنسجة جينية أو أحجار بناء الأنا العليا. وهذه الأنا العليا ستكون قد تكونت كاملاً حينما تحل عقدة أوديب مكانها.

٢ - التوحد اللفظي واكتساب اللغة

محصنت خلال مطبوعة (١٩٥٧) من مطبوعاتي سيرورات التوحد اللفظية التي تقود إلى اكتساب اللغة، أعني التوصل اللفظي ودرست السيرورات اللفظية والاقتصادة على وجه الخصوص، التي تدعم أصل هذه الحركات اللفظية - بشارت كسبات حقيقية. فاللغة زاجمة عن كسبات تعبر عن الحاجات. وسميت هذه الكلمات تسميات مختلفة: الكلمة الإجمالية، الكلمة الجملة أو الكلمة الخاجة فكلمة الطفل الأولى، مثل «ماما» تعبر، وفق الوضع، عن «أشعر بالم» أو، في ظروف أخرى عن «تسرتي رؤيتك» أو «إنني شبعان» أو «اجائع»، أو «أشعر أنني متضايق»، إلخ.

وتظهر هذه الكلمات الحاجات بين الشهرين الثامن والثاني عشر. وتكثر هذه الكلمات الخافات ببطء حتى الشهر الثامن عشر من الحياة. وقد تحدث مدة زمنية يكون لدى الطفل خلالها خمس عشرة كلمة إلى عشرين تحت تصرفه بل يبدأ في جمعها اثنين اثنين. ويحدث نحو الشهر الثامن عشر تغير ذو أهمية. فتحل الرموز اللفظية محل الكلمات الخافات. إنها كلمات فردية، نوعية، هي التي تستخدم لموضوعات نوعية، فردية

وخلال السنة إلى العشرة أشهر التي تمضي بين ازدهار الكلمات الخافات وبداية الرموز اللفظية، أي نحو الشهر الخامس عشر من الحياة تقريباً، يمكننا أن نلاحظ حركة تستخدم. في حضارت العربية. لعيان دلالية وتعبّر عن رسالة دلالية نوعية. وهذه الحركة هي علامة الرأس «أ»، حركة التنفي. وستكون بعد بضعة أشهر مقترنة بالكلمة «أ».

وعرضت في الدراسة الأحادية المذكورة فيما سبق جوانب من دلالة هذه الحركة ويزعمي إذن أن أمتنع عن تكرار هذه الأداة هنا. وحسبي أن أذكر أن النبي بالنسبة لعروين (١٩٢٥)، وفق مفاته عن سيرورة «التنفي»، حكم وأنه يتكلم منذ

البدء على «درجة نمو الأنا» بوصفها البنية التي يقع عنى عائقها النقد الذاتي وينجم عن ذلك أن وظيفة النقد الذاتي تستخدم وظيفته الحكم حتى تبلغ أهدافها؛ وهذا يمكنه أن يعبر عن نفسه بالنفي، الذي يكون تعبيره الدلالي هو علامة الرفض أو الكلمة «لا» أو الاثنتين معاً.

وليس من الضروري أن نطبق الكلام بالتفصيل عنى تاريخ مفهوم الأنا العليا في فكر فرويد، ولا على القصص الخاصة بتكوّنها. وحسبنا أن نقول إن الأنا العليا تتكوّن بمساعدة التوحّدات بالموضوعات الأيوية. وعنّى الطريق الذي يقود إلى هذه التوحّدات، يدمج الطفل في أثناء ما يُسَمَّى «أفعل هذا»، وما لا يُسَمَّى «لا تفعل ذلك»، الصادرين عن الأبوين. ويمكن أن يكون على الأب، خلال هذه المبرورات، لاسيّما خلال المرحلة المسماة مرحلة «العناد»، أن يواجه مواقف ذات اتجاهات سلبية مصمّمة لدى الطفل. فتحة صراع بين المباح «أفعل هذا» وغير المباح «لا تفعل ذلك»، الصادرين عن الأبوين، وبين رغبات الطفل. فهناك معركة، في اللغة اليومية، بين التحريمات والأوامر الأيوية وبين مقاومة الطفل.

٣ - التحريمات والأوامر: عون الفعل المتعكس الشرطي

بداية مرحلة العناد يعلنها واقع مفاده أن الطفل يفهم للمرة الأولى دلالة المنوعات والأوامر. ويبدأ هذا الفهم بين الشهرين التاسع والثاني عشر من الحياة فإدا عارضنا في هذه المرحلة فاعلية طفل فائلين له «لا، لا» وهزنا الرأس في الوقت نفسه بحركة من الإنكار، فإن الطفل يتوقّف على وجه العموم عن فعل ما يفعل. ومن الواضح أن هذه الملاحظة لا تنطبق إلا على ثقافتنا الغربية. وذلك يمكنه أن يتخذ أشكالاً مختلفة في الثقافات الأخرى، ولكن الجوهر يظل واحداً.

وسيفي أن نبيّر نبيراً صريحاً بين فهم الأوامر والمنوعات (وطاعتها) وبين الامتثال لوصايا الأنا العليا. فطاعة الأوامر والمنوعات إنما هي الخضوع لفرد جراً، إدراك شيء خارجي بالنسبة للذات. والامتثال إلى أوامر الأنا العليا أمر مختلف

حداً . فهذه الإيعازات نفسها صادرة عن الداخل لا عن الخارج . ولا تمثل التفرّد إليها استجابة لإدراك بدني مادي خارحي بل استجابة لإدراك بدني داخلي من النسق الوجداني : إثمية ، حصر ، إلخ .

ورما يكون فهم التحركات والأوامر مكتسباً في المستوى الأول بعون الفعل المتعكس الشرطي وإسهامه . وأعمال الطفل الصغير غير المرغوبة تُردع بوسائل مادية . وهذا التدخل تراخيه الكلمات المناسبة من الأم ينهجه مناسبة ، مع التعبير الوجهي والحركات التي تناسب الموقف . وأية ظاهرة من الظواهر الملحقة المرافقة للمنع ، أو مجموعها ، تنتهي بالتالي إلى أن تمثل التدخل نفسه والارتكاس سيكون مماثلاً . وستكون إذن مفهومة بوصفها مجموعات وسيطعها الطفل . ولا جدوى من التذكير أن هذا النمو مواز لتفتح العلاقات بالموضوعات ، أعني أنه مواز لسيرورات داخل نفسية يرتبط بها ارتباطاً لا يتنصم .

وتتقى الطفل نواصلاً في سيرورة هذا التبادل^١ إن إشارة كان من ينعقد أعطاها وفهم الغفل هذه الإشارة . وليس الطفل قادراً مع ذلك على أن يغفل رفضه إلى الراشد بأسلوب واحد ؛ ولا يمكنه أن يعبر عن رفضه في هذا العمر - بين الشهرين التاسع والثاني عشر - بهز الرأس ولا بقوله على وجه الخصوص لا ، لا . ويلزمه أيضاً ستة أشهر حتى يكتسب هذه الحركة ، وهذه الكلمة ، ويمتصها دلالة . فالمحاكاة والتوحد سيؤديان دوراً سائداً في هذه السيرورة .

٤ - من المحاكاة إلى المبادرة

يكون التوحد والمحاكاة واحداً من إسهامات الطفل الرئيسة في تكوين العلاقات بالموضوعات . والواقع أن احتيز الموضوع يتحقق ، وفق فرض فرويد ، بعون التوحد والتوحد هو الأنية الأولى من أليات الحياة النفسية . وتتيح لنا الملاحظة الباردة أن يؤكد أن المحاكاة تظهر في الشهر الرابع من الحياة . ويظهر جزء من رصع ليرحوا ، فلدته بنحو من عشرة بالمئة منهم ، قبل أن يمحكاة الحركات الوجهية الأكثر بروزاً . وكما يمكننا أن نتوقع ، تكون المحاكاة حتى في هذه الحالات من سبق

تشكل إجمالي للكلية، كما يحدث الإدراك بلغة الكلية وتظهر المحاكاة الخفية لحركات الأم نحو نهاية النصف الثاني من السنة الأولى وإعادة إنتاجها شبيهة بصدى حركة الراشد. إنها تحدث خلال تفتح العلاقات بالموضوعات وتتخذ عنى وجه الخصوص شكل ألعاب بين الراشد والطفل الصغير. إنها ارتكابات مباشرة وتنعكس حركة نغدها الراشد.

ويبادر الطفل بعد عدة أشهر، في بداية السنة الثانية من حياته، إنه يستخدم في ألعابه السلوك الملاحظ لدى الموضوع التسبدي. فأعماله اللغائية مليئة بالحركات التي يقتبسها من الراشد وبوسعنا أن نراه يجرب تجريباً واسعاً هذه الرسوم الأولية من السلوك.

ومن الواضح أن التوحد بالمعنى الحقيقي للكلمة عامل في هذا التصرف. إن الطفل دمج الإدراك البدني للأعمال للملاحظة لدى الموضوع التسبدي إذ أودع الآثار التذكيرية لملاحظاته في «منظومات الذكرى» لأنه، وينجم عن ذلك تعديل في بنية الأنا.

وتكون الطفل يعكس حركة الراشد أمر هو ضرب من التوحد البدني بالحركة التي تسمى في المرحلة التي يكون خلالها فهم المنوعات والأوامر مكتسباً، بين الشهرين التاسع والثاني عشر من الحياة.

ومن طبيعة الأشياء أن التحريكات في هذا العمر تكون أكثر عدداً بكثير من الأوامر. فالراشدون يعثرون عن هذه التحريكات لفظياً ويؤكدونها بحركات مناسبة، إذ يهزون الرأس أو يصبح الإشارة علامة إنكار.

وفي العمر نفسه، يكتسب الانتقال على أربعة قوائم أولاً ثم الانتقال منتصب. ويتنامى بالتالي استقلال الطفل تنامياً سريعاً. ونصبح معاً تحريكات الراشد على شكل «لا، لا» أكثر تواتراً وأكثر في أوضاع ممضي تواترها وتوابعها على نحو متزايد.

ولا يفهم الطفل أول الأمر هذه المنوعات إلا بصوره غامضة بوصفها عوائق تعوق إنجاز رغباته. وتتكزز هذه المنوعات باستمرار، وتُعاش مجدداً في التبادلات بين الطفل الذي يكبر وموضوع الحب الراشد. ويتحول هذه المنوعات، بوصفها عوائق محص مادية، إلى جزء متمم من العلاقات الموضوعات خلال التبادلات. وتراكم آثارها التذكيرية بعدة متنام دائماً طوال الأشهر التي تلي.

وكل ممنوع من المنوعات التي يعبر عنها الراشد يتألف من جزأين: ١ - عمل انطفيء، أي العمل الممنوع؛ ٢ - السلوك المنطفي وغير المنطفي للراشد الذي يصدر عنه المنع.

١ - عمل الطفل متغير إلى أقصى درجة؛ والظروف المادية التي يحدث العمل فيها، ونوايا الطفل بزاء مكونات الوضع البسيطة تتغير من مرة إلى أخرى.

٢ - المنع الصادر عن الراشد ينطوي على صفة ثابتة، مهما كانت المناسبات غير متشابهة. إن صفة الإحباط، العائق، هي التي تظل ثابتة. وهذا الثبات يتجلى في الكلمة، في الحركة التي ينجزها الراشد، اللتين تتغلان كلاهما قصده.

٥ - تعلم ال، لا،

ثبات الحركة ال، لا، الكلمة ال، لا، للقصدي كنف تجرية متعددة الأشكال، يبدو كافياً ليؤمن أن التذكيراً دائماً بفعل التراكم الناجم عن مقول التكرار.

وكما لفت النظر إلى ذلك في مكان آخر (١٩٥٧)، ستجد هذه المقاربة نفسها وقد اغتنت غير كثيراً إذا عبقناها على كشوف سيكولوجيا التجريبية وملاحظات التحليل النفسي.

برهن عام ١٩٣٧ ريفارثيك، معائم نفس من مدرسة الغشطات، برهاناً تجريبياً أن الأعمال غير النامة يذكورها فاعنها أفضل مما يذكروا الأعمال النامة. ويصبح واضحاً، إذا طبقتنا هذا الاكتشاف على الذكرى التي يحتفظ بها الطفل من المنع الصادر عن الراشد، أن كل منع، سواء كان لفظياً، أو بالحركة، أو بالفترات

الحركة والكلام، يكف عملاً فقام بها الطفل. ويترك بالتالي كل تحريم في تلك
«عملًا» غير مكتمل. والعنصر المشترك، ثابت هذه الأعمال غير المكتملة، هو الـ
«لا»، أعني الحرمان أو الكلمة اللتين تحرمان. ونضيف هذه الملاحظة التي أبدأها
سيكولوجيا العشقالت إلى التراكيب الميكانيكية للعنصر الثابت ضرورياً من شرح
الدافعية، دافعية العمل غير المكتمل.

ونحن ميالون، من ناحية التحليل النفسي، إلى أن نرى ذلك قاعدة ضيقة
جداً لشرح الإقدام المدهش الذي ينحزه الطفل حينما يأخذ حركة «لا» من الراشد
ويرتد بها ضد نفسه. ومن الواضح أن السيرورات السيكلوجية العاملة في هذا
الارتداد انكامل لتوضع ينبغي أن تكون أكثر تعقيداً. وإذا لم يكن الأمر على هذا
النحو، فإننا سنجد على سبيل المثال حيوانات تستخدم حركات من هذا النوع علامة
على رفض رعبات أسيادها، ومع ذلك لم تفسد قط عن أي حيوان حركات من
هذا النوع فيما نعلم.

ويطوي كل تحريم، من وجهة نظر التحليل النفسي، على إحباط دوافع الهوى
لدى الطفل. فأن يجعل متحذراً عليه أن ينال ما يرغب فيه أو أن تكون غير موافقين
على الشكل الخاص الذي يمنحه علاقاته بالوضوع، فنحن نفرض عليه إحباطاً
دافعيًا في الحائزين. وستكون الآثار التذكيرية المرتبطة بهذه الممتوعات، والحركات
والكلمات التي تعبر عنها، مشحونة إذن بالتوظيف الوجداني النوعي للإحباط.
وستكون هذه الشحنة الوجدانية أول ضمان لدوام الآثار التذكيرية لهذه الـ «لا»
التي تمنع.

إنه شرح. لا يتجاوز كثيراً ذلك المثل الذي قدمته سيكولوجيا العشقالت على
المعسل غير المكتمل، على الرغم من أن ذلك يدخل العنصر الكيفي للحالة
الوجدانية والعنصر الكمي لشحنته مع ذلك.

أضف أن هذه المرحلة تكتمل، من وجهة نظر النمو، مرحلة الانتفال من
السنينة الظلمانية إلى الصاعية المفتحة للطفل الذي يبدأ المشي ويكون مفضوئاً
بإمكانات مكتسبه حديثاً. فهذه المشغولات توقيف هذه الدافعية وتدعو إلى العودة

بني عملية المرحلة السابقة. إنها تعزز أيضاً نكوحاً في درب التنظيم السببي، أو في درب النسبية المرجسية لأننا، في حين أن الطفل في هذه المرحلة يستمد ثلثه من علاقاته بالمرسوعات، علاقات موجبة وفق إرادته وهو الذي يؤسسها. ولأن يتسامح على نحو سهل بالعوائق الموضوعية في طريقه، التي ترغمه على العودة إلى النسبية في الحمل والعلاقة بالموضوع معاً، وسيحاول أن يتجاوز العوائق في تقدمه، إنه، بالنسبة، قانون عام في السلوك الحيواني، قانون صاغه إيثيل - لينسفيلد (١٩٥٧).

وبروحه الطفل توظيفاً عدوانياً ضد «تقديم» العائق في طريقه. وستعزز انشحنة الوجدانية، المرتبطة بالافتتان بالتجربة الإجابية، هذا التوظيف للعدوانية. وهذه الشحنة توظف الآثار التذكيرية للتحريم، وبالتالي تصحح «الحركة لا» قادرة على أن ترتد ضد الراشد الذي يمنع.

٦ - التوحد بالمعتدي ضرب من حجر بناء الأنا

في هذه المرحلة، يكون الطفل مستغولاً في نزاع بين الارتكاس المعادي، العدواني، على التحريم من جهة، وبين تعلقه اللببيدي بموضوع الحب من جهة أخرى. وعلى الأنا أن تواجه نزاعاً بين الدافعين. وثمة آلية دفاع توضع في العمل، هي، على وجه التحديد، تلك الآلية التي وصفها أنا فرويد عام ١٩٣٦ أنها «التوحد بالمعتدي». والنزاع المظاهر العامل يقوم على نحو أساسي بين الموضوع الخارجي والأنا. ولكن التوحد بالمعتدي يقود إلى استدخال النزاع.

والأمثلة التي ضربتها أنا فرويد تقع في مستوى من العمر يمكننا الظن أن الأنا انعمياً أو بشارها المباشرة بدأت عملها خلاله. ونبست هي الحائنة لدى الطفل في شهره الخامس عشر، الذي يكتبه «آخر ك» - «لا» الصادرة عن الراشد. وتُدبه أيضاً نزاع بين الأنا والموضوع الخارجي، ولكن الأنا العذبة ليست حاضرة في هذه المرحلة ولا بشارها. والموضوع الخارجي هو السلطة التي تمنع في الوقت نفسه. وليس إلا بعد بضع سنين إنما سيكون «صير الضرورة» الدامية المثالية المختلفة للموضوع اللببيدي

أن تحوكون إلى أنا عليا- ولا نشعنا حبال سيرورة تنطوي على الأنا العليا- نحن
منعالم سيرورة ديبانية من التوحّدات الثانوية المبكرة.

وأثبتت بفكرة معادها أن النمو الدينامية الفاعلة في هذه السيرورة تعمل كما
يلي: «الـ» الموضوع الليبدي تفرض إحباطاً على الطفل وتنت له اللالذة
(الانزعاج). وتودع الـ» الأنا» خلال رمنها، في «متظومات التذكري» لدى الأنا على
صورة أثر تذكري. وتشير الشحنة الوجودانية من اللالذة، المفصولة عن هذا التقديم،
توظيفاً عدوانياً في الجوهر، وهو ما يرتبط اقتراناً بالأثر التذكري في الأنا.

إن فرويد قال إن الطفل «يمضي من سلبية التجربة إلى فاعلة اللعب»^(٣١) عندما
يتوحد بالموضوع الليبدي». وذلك ما تصوغه أنا فرويد قائل: «إن هجوماً فاعلاً
موجهاً ضد العالم الخارجي هو الذي يلي التوحد بالمعتدي»^(٣٢).

ورابط التوحد بالموضوع الليبدي هو الـ» الأنا» بالحركة والتلفظ معاً. والتوظيف
العدواني الذي تكلمت به هذه الـ» الأنا» خلال تجارب عديدة من اللالذة، ذات العلاقة
بأثارها التذكيرية، جعل من هذه الـ» الأنا» ناقلاً خاصاً بالتعبير عن العدوان. وعلى
هذا النحو إنما أصبحت الـ» الأنا» وسيلة ذات أهمية على نحو خاص في التعبير عن
العدوان في آلية الدفاع للتوحد بالمعتدي. والمعتدي هو، في حالة طفل ذي خمسة
عشر شهراً من العمر، موضوع الحب الذي يحبطه وترتدّ فيه الـ» الأنا» الخاصة به.

٧ - عندما يتوحد الطفل بأمه

بيت أنا فرويد، عندما درست التوحد بالمعتدي، أن المقصود صور أوكي في
نحو الأنا العنينا. ويصبح ذلك واضحاً جداً خلال السنة الثانية من حياة الطفل الذي
اكتسب الـ» الأنا» الدلالية. ذلك أن الطفل يردّ ذلك أيضاً، في هذه المرحلة، ضد نفسه
في الألعاب حيث يمنح الطفل نفسه دور

(٣١) حملة فرويد ضد نيتش الأنا.

(٣٢) حملة أن فرويد ضد كينغ بالان.

ويعرف كل الملاحظين جيداً هذه الألعاب لدى الطفل الذي يبدأ في المشي ويعزو الطفل إلى نفسه مبكراً في السنة الثانية دور الراشد في اللعبة. مثال ذلك أن الطفل سيلعب بالهاتف صغير وسيتولى محادثة متخيلة. وسيعاكي الموضة ويهيئ الأسرة، ويقدم الطعام إلى دميته، إلخ. وكل ملاحظ يعرف أن الخيال يؤدي الدور الرئيس في هذه الألعاب. إن عصا ستكون الدمية، ودب من السجج الموتر سيصبح الأم أو الطفل بالتناوب، وعلبة تقوم مقام هاتف.

ولكننا بوسعنا الآن خلال النصف الأول من السنة الثانية أن نلاحظ الطفل الذي يقوم بالألعاب نفسها في الألعاب حيث ينجح نفسه دوراً، أو الذي يهز رأسه علامة إنكار لدوره بالنسبة لبعض فاعلياته الخاصة. ومن الواضح أنه يتخذ دور الأم. إنه مثل على ما وصفته آنا فرويد (١٩٥٢)، في سياق آخر، كما يلي: «يجتني الطفل دور أمه ويلعب بالتالي لعبة الأم والطفل على جسمه الخاص».

وأحب أن هذا الشكل من التوحد بالمعنى، حيث يؤدي الطفل دور الأم ويطلق على نفسه المنع، أحد الأنسجة الجنينية التي ستدخل في تكوين الأنا العليا اللاحق.

٩ - أصول التوحد

حين يفهم الطفل فهماً أفضل فأفضل معنى المنع إنما يصنع لنفسه آلية دفاع للتوحد بالمعنى. وبوسعنا أن نسأل لماذا سيتوحد بالراشد في أعقاب تجارب غير سارة. إن فرويد (١٩٢٠) درس هذه المسألة دراسة مطوّلة ويضرب مثال الطفل الذي فحصه الطبيب بدعومه أو أخضعه لعملية جراحية صغيرة، وسيجعل الطفل فيما بعد من هذه التجربة المزعجة موضوع ألعابه. وشرح فرويد أن التوحد بالطبيب يصدّم مكباً من اللذة. وبما أن الطفل يمتص من سلبية التجربة إلى فاعلية اللعب، فإنه يفرض على رقيقته في اللعب ذلك الانزعاج الذي استشعره، ويأخذ ثاره من تحصى هذا الذي ينوب عنه. ويؤكد فرويد أن كل ألعاب الطفل متأثرة بالرغبة في أن يكون راشداً، وأن يكون قادراً على أن يعمل ما يفعله الراشدون. وينضيف إلى

ذلك أن هذه الأتعاب محاولات للسيادة على التحرية الصدمية . فالطفل يضطجع بدور المعتدي عنه ويعرض على الآخرين ما فعله بعضهم به .

ويمكننا بحق أن نتساءل ما إذا كان الصبي الذي يرتدي قمعة باناء، وأثبتت أنني تكثرت أمام المرأة، والطفل الذي يلعب لعبة التروبية، إذ يحضّر الأسرة - ما إذا كان هؤلاء الأطفال جميعهم لا يفعلون الشيء نفسه . ومن الطبيعي أنهم اختاروا فاعليات تبدو غريبة عن التحرية الصدمية، والفاعليات التي اختاروها ليست عدوانية أو ليست عدائية على الأقل، ولكنها تتميز بأمر معاده أنها مقبلة من صلب الإحباط - المعتدي . وبوسعنا القول، ربما، إن هذه التصروب من محاكاة التوحيد صفة مشتركة هي السيادة .

وإرجاع هذه الفاعليات إلى قاسم مشترك هو «السيادة» يوضح أصلها قليلاً . فمصدرها يكمن في ثمره الطفل على عجزه الطفالي . وتمثل محاولات لتجاوز سلبية المرحلة الترجسية، هدفها التكتفل بوظائف الأنا الخارجية، الأم .

وسنصف حالتين يوجد ذلك فيهما جيداً الوضوح، اقتبسناهما من وثائقنا المنصورة فينيياً .

الحالة الأولى - تعطي الأم طفلها الحائس على ركبتها رضاعة وتدخل مصاصتها في فمه . ويقبلها الطفل، ويمص، ويضع في الوقت نفسه إصبعه في فم أمه . ونتيح له الأم الفهيمة أن يتعب هذا الدور المتبادل ونسبته له .

ونحن نلاحظ، في هذا المستوى من التعمر، ثبتاً قطياً من هذه التوحيّدات المتكررة . فالطفل لا يتوحد بالهدف الأساسي لعمل الأم، أي التعذية، إنه يتوحد بعنصر من هذه السيرة، أعني «الإدخال في الفم» . وذلك لأن مصدر الحمل النفسي أن هذا التوحد يحدث فقط في قطاع التفاعلية العموية .

الحالة الثانية - هذا الطفل أعيد من الطفل السابق بسنة أشهر . وهو أكثر تعذماً من كل وجبات النظر، وفيما يخص أيضاً ما يتوحد به . والطفل جالس على طاولة

صغيرة بجانب أمه. ويعاني هذا الطفل صعوبة صغيرة في التغذية. إنه يضع الوضع الغذائي في خدمة علاقته بالموصوع، لا سيما إذا قدم إليه طعام جامد. وليس ثمة مشكلات عندما يشرب الحليب في فنجان، ولكن عندما تُقترح عليه اخلوي، المعكرونة العريضة، الخبز، يفضل أن يقدمها إلى أمه بدلاً من أن يأكلها. ونراه أول الأمر يضع قطعة من اخلوي في فم أمه، ثم معكرونة عريضة. وتبدو أم الطفل فهيمة أيضاً وتلوك هذا الطفل.

ونلاحظ أن هذا الطفل أكبر عمراً وقادر الآن على أن يسهل الجزء من فاعنيته الذي لا يكون أساسياً. ولا يحاول أن يستخدم الملعقة، ولأن يضع أي شيء في فم الأم، سواء كان إصبعاً أو لعبة. ولا يتظاهر. إنه يختار من الغذاء ما هو الأساسي في الفاعلية: إنه أدرك معنى التغذية. وكون أمه تلوك الطعام، ان الذي قدمه إليها، يظهر من اترضسي، ذلك أمر يضاعف بوضوح رغبته في الأكل، وذلك ملاحظة مألوفة لدى كل أم.

٦٠ - تبادلات التأثير الجسمي بين الأم والطفل

نسيج جنيني لمثال الأنا

أرى في تبادلات التأثيرات الجسدية المستخدمة فصلاً والمشحونة بكل وضوح بالوجدانية، تلك الانسجة الخفية التي سيتكون منها مثال الأنا. وسيكون مثال الأنا بدور، في نهاية المطاف، جزءاً من الأنا العليا ويمثل تطلمات الفرد.

ويختلف مفهوم نوبسغ (١٩٥٥) الخاص بدور مثال الأنا في تكوين الأنا العليا عن مفهومي اختلافًا بسيطاً. إنه يرى مثني أن أصل مثال الأنا أسومي وقبل تناسلي، بصورة رئيسة. ويمكننا أن نرى، وفق ما لفت النظر إليه فيما سبق، أنني حددت موقع الأصول الأولى لمثال الأنا في النصف الأيمن من السنة الأولى على الوجه الأخص. وذلك لا يعني أن الجزء الأعظم من مثال الأنا لن يكون مكتسباً فيما بعد. ولكن ثمة مجالاً للافتراض أن السيرورة التي تحكم الأنماط الأكثر بكوناً من الخضوع نوعيات الأبوين يبرر خلال اكتساب السمات الأكلية تأخرًا من الناحية الوهمية، لمثال الأنا

والسيرورة التي أتكلّم عليها سيرورة جسمية. وإنقصود عمل الأم عندما تسرّ حرّكات الطفل أو تعوقها. ويمكننا أن نسأل أليس ذلك أحد مصادر مخالفة الإتياء. إنه فقط أحد المصادر. ونحن لانعتقد أنه الأهل الأساسي؛ ذلك أن المحاذاة تبدو راسخة رسوخاً على نحو كبير وأكثر فهدماً بكثير في تطور النبي.

وينجم عمّا سبق أننا لاتباع بالضرورة نونبرغ عندما بدني بقرض مفاده أن مثال الأنا يسكوّن فقط عندما يتخلّى الفرد عن المعجم العريضة خوفاً من فقدان الموضوع. فذلك يبدو لنا إضافة أكثر تأخراً في الزمن إلى السيرورة العتيقة الأصيلة.

ولسنا كذلك من رأي نونبرغ عندما يرى أن الأنا العليا ذات الغلبة الأبوية يمكن أن تلاحظ أول الأمر في المرحلة التماسلية. فأننا أرى، كما ما بين فيما بعد، أن رأي آنا فرويد، الذي مؤداه أن التوحيد بالمعتدي طور تمهيدي من أطوار الأنا العليا. رأي ذو أهمية كبيرة. ويمكننا أن نبرهن على أن هذه الآلية من آليات الدفاع أحد الأنسجة الجينية للأنا العليا في بداية السنة الثانية من الحياة. فإن تكون آلية الدفاع هذه، في هذه المرحلة نفسها، من أصل أبوي، أمر ضعيف الاحتمال جداً. ويمكننا أن نفرض، هنا أيضاً، أن إضافات ستقدم فيما بعد على توسيع هذا السيج الجيني وستجعله يؤدي دوراً ذا أهمية في التوضع الأوديسي.

١١ - الأنسجة الجينية الثلاثة الأولى للأنا العليا

الأنسجة الجينية الثلاثة التي نكلّم عليها تبدو من نسق مختلف جداً. ففرض عمل جسمي على الطفل، سواء كان (محاذاة صادرة أو تسيير جيده، بعيداً جداً عن السيكولوجي. وتكون ذلك بسببي أن يكون له مقابل في منظومة انطفل النفسية، كما توجد في هذه المرحلة. وذلك يشير حتماً إيجاباً أو منحة وسيغصي فيما بعد إلى نمو المتلازمات السيكولوجية المتضادة من جانب الطفل أو للمقاومة امدابة. وسترى محاولات السيادة لدى الطفل. في مرحلة أبعد، بواسطة التوحيد بالأحداث الأبوية. وبتردد المر؛ أن بسميتها توحدا بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ ونكلّم

بوتابور نشأتين على توحد بالإيماءات، وهو توحد يتصف بأنه دون شك مرحلة على درب التوحد الحقيقي. والنسيج الجيني الثالث هو الآن آية دفاع حقيقية، أي التوحد المعتدي. ويبدو كل الأنسجة الجينية الثلاثة، على الرغم من فرقتها الأساسية، مراحل تقود، بفعل درب المحاكاة، إلى الخضوع لرغبات الأبوين حتى الرغبة في التوحد بموضوع الحب.

يتناقص لتوحد ثلاثة أنسجة جينية ثلاثاً العليا. فالأبكر من الناحية الزمنية، والأقدم من الكل، إنما هو التدخل الجسدي تلام، عندما نوقف جسدياً فاعلية الطفل وعندما نفرض عليه عملاً جسدياً في أن واحد. والثاني فنتله أعمال الأبوين المشحونة بالدلالة الإيجابية بالنسبة للطفل، وبها يتوحد في محاولات السيادة لديه، وهي تكون الأنسجة الجينية ثلثاً الأنا. والثالث، الأكثر تطوراً، يستخدم التوحد المعتدي، وذلك أمر يفضي، إلى انجاز التواصل. وهذه الأنسجة الجينية الثلاثة كلها تشترك في الرغبة في التوحد بأي ثمن بالموضوع اللييدي.

١٢ - اصطفااء في الأنماط التي تقدمها البيئة

يبدو مستحباً مع ذلك أن نرى على النحو الأخص ما يجعله الطفل متخالفاً عندما يتوحد بالمعتدي. إنه يحاول أن يمتلك كل شيء من الموضوع اللييدي بواسطة توحدات أخرى لأخصى لا يكون فيها الموضوع اللييدي عدوانياً. ويجري كل طفل مع ذلك، بكل وضوح، اصطفااء خاصاً به بين عدد كبير من الأشياء التي يمكنه أن يختارها. ونم تكرر الشروط التي تحكم هذا الاصطفااء موضع دراسة أبدأ حينما أعلم. وينجم بوضوح أحد المبادئ الموجهة لهذا الاصطفااء عن التاريخ الوحداني الشخصي لكل طفل.

ولكنني أعتقد أيضاً أن ثمة مبادئ عامة أخرى تحكم هذه السيرة وأب بعضاً منها يبدو لدى أطفال الشهر الخامس عشر في المثل النوعي للتوحد بعلامة الرأس النسبية العائدة عن المعتدي. وأحد هذه المبادئ العامة ذات علاقة بالسؤال الثاني من المبدأي يكون طفل الشهر الخامس عشر قادراً على أن يأخذه من موضوع الحب

بمقتضى تحديدات نظريته النفسي الخامس ١ هذه التحديدات ستعني الأسلوب المادي
يمكنه به أن يسلك إزاء ما يقدمه له موضوع الحب

ويسمى للعناصر ، التي يمكن أن يتسلها طفل الشهر الخامس عشر بالتوحيد ،
أن يكون مناسبة لعمره ، فالصدر الذهنية لدى الطفل في عمر معين هي التي
تستخدم دزيته هي اصطفا ما به يتوحد .

ويؤدي مبدأ الاصطفاء دوراً مهماً جداً في اختيار عناصر الوسيط أو الخارجي
عناصر الموضوع الأبوي التي يمكنها في أية لحظة أن تنفذ إلى تجربة الطفل المعيشة .
ذلك أن هذه العناصر ستكون الرحم الذي ستكون الأنا العليا مقولبة فيه خلال
مرحلة لاحقة . إننا رأينا ، في المرحلة التي نتكلم عليها الآن ، أن إحدى المكونات
الأولى للأنا العليا اللاحقة ربما تصوغها الية التوحد بسبب الإحباط . وسنحصر
الآن لتقوم توسع الطفل أن يحوزه بواسطة هذا التوحد .

ويمكننا أن نميز ، بين المكونات السيكولوجية والنفسية المختلفة التي تؤلف
العقل المحيط للموضوع التليبيدي ، ثلاث مكونات ثابتة . إنها : ١ - سلوك
الموضوع ٢ - سيرورات الموضوع الذهنية (ذلك يشمل فحواها الذي يكون السلوك
هو التعبير عنه) ٣ - الحالات الوجدانية التي تدعم هذا السلوك وترافقه . ويعتبر
الطفل كلاً من هذه المكونات الثلاث على نحو مختلف .

١ - عدد طلع الشهر الخامس عشر النفسية تتيح له بسهولة أن يدرك ويميز
على نحو دقيق ذلك السلوك المادي لموضوع الحب ، العلامة السلبية للرأس .
ويعتاز بالنالي ، في توحد ، هذه المكونة احتيازاً صحيحاً إلى حد كاف .
ويصبح ، بعد الاحتياز والتوصل إلى أن يتوحد بالمعتدي ، قادر على أن يجعلها
معنى دلالي وأن يودها هذا تحصى الأم ، وصدفة أيضاً

٢ - سيرورات الراشد الذهنية والبواعث المعقونة المتكئة لذالاه التي تصدر
عنه ، من جهة أخرى ، تتجاوزان كلياً قدرة الفهم لدى طفل الشهر الخامس
عشر . فهو عاجز عن أن يفهم ما إذا كان الراشد يمنع شيئاً لأنه يعرف إلى الخطر من

انظفل أو لأن انظفل يفعل ثبت ثمة الأم. وهي هذا العسر، لايزال انظفل لايفكر
وفق الفئات العقلانية ويجهل قولين العلة والمعلول. ولهذا السبب، ولأن انظفل
أيضاً لايتهم السيرورات التي تجري في نفسه أو لدى الآخرين، إنما لا يكون قادراً
على التمسك الوجداني بالمعنى الشائع لتبسطح.

١٣ - من أجلي «و» ضدّي»

٣- التوضع الخاص بالملكوثة الثالثة، أعني الحالات الوجدانية التي تدعم
السلوك الذي سبب الإحباط، المصادر عن الراشد، مختلف أيضاً. ويجمع عن
ملاحظاتي انظفل، في السنة الثانية من عمره، أنه ما يزال ليس لديه سوى إدراك
إجمالي للحالات الوجدانية لدى شريكه. وهذا المستوى من إدراك الحالات
الوجدانية شبه بالإدراك الحسي الإجمالي لدى الرضيع في الشهر الثالث. فكما أن
هذا الرضيع لايفتح في تمييز دقيق لتفصيل الإدراكات البدئية الخبة إلا فيما بعد
خلال السنة الأولى، كذلك انظفل الأعمر يفتح على نحو بطيء جداً وخلال سنين
عديدة في تمييز بين الحالات الوجدانية المترعة لدى الغير وبين بواعنها.

وأميل إلى الاعتقاد، فيما يخص السنة الثانية من الحياة، أن انظفل لايميز لدى
الشريك الراشد سوى حالتين وجدانيتين. وأسميهما الحالة الوجدانية «من أجلي»
والحالة الوجدانية «ضدّي». وأقول عبارات شائعة تفصل الأمر قليلاً، إن انظفل
يشعر إما أن الموضوع الوجداني يحبه وإما أن الموضوع الوجداني يكرهه.

ويرى بوضوح في الأفلام هذا النقص في التمييز، (أفلام صورها كداتب
النصر). وتبين الحاتنة بآراء مقتنعة كيف أن انظفل يفهم فهماً ضعيفاً تلك الداعبة التي
تدعم أحمدال الراشد.

والملاحظ، في الحالة المذكورة، يلعب مع انظفل ويتدم له لعبة. وبعد أن
احتاز انظفل تلك اللعبة ولعب بها، يستعيد الملاحظ ويضعها في جيبه بحيث يظل
الجرء الأكبر من اللعبة مرنماً. وعندما يسعى انظفل إلى أن يأخذ اللعبة، يرسم
الملاحظ بإصبعه علامة الرفض، ويهز رأسه ويقول «لا، لا». ومعنى الرعم من

التجبير الياسم العطفوف الصادر عن الملاحظ ، يسحب الطفل يده بسرعة ونظراً
عبيته منفضتين ، مع تعبير يندأ على الارتباك والحجل كما لو أنه كان قد فعل
شيئاً عظيماً .

وهذا الطفل ذو الأحد عشر شهراً وعشراً يوماً من العمر يفهم المنع
فهماً واضحاً . ويفسر في الوقت نفسه تفسيراً مبيناً وعلى نحو إجماعي تلك
الحالة الوجدانية للوالد الذي يمنع : إنك لست إلى جالسي ، إذن أنت ضدي .
ويوسعنا أن نتوقع ، بعد ثلاثة أشهر أو أربعة . أن نراه قادراً على أن يقتبس حركات
المنع عن الراشد .

وثمة ، من وجهة نظر السيرورات الفكرية أيضاً ، نحو ذو أهمية بدأ عندما
يُظهر الطفل قرارةً بصورة رفض بواسطة علامة الرأس . واستخدام هذه الحركة دليل
واضح على حكم يتوصل إليه الطفل . وعندما يعبر الطفل عن هذا الحكم الخاص ،
يبين أيضاً أنه اكتسب القدرة على أن ينجر عملية النفي الذهنية . وتفقد هذه المرحلة
بدورها حتماً ، إلى تكون المفهوم المجرد الذي يدعم النفي ، وهو المفهوم المجرد
الأول الذي يظهر في حركة الفكر .

٤ - من العجز الأولي إلى استقلال ذاتي متنام

ولكننا نوجه اهتمامنا حالياً إلى التعديلات البيئية التي حدثت . فعندما يرد
الطفل حركة الرفض إلى أمه ، يخفي من السلبية ، إذ يطلع المنع ، إلى الإيجابية حين
يفرض ضرباً من السيرورة التي تنفي رغبته . وينفتح على هذا النحو درب جديد
لتفريغ الشحنة العدوانية الصادرة عن الهموم . وكانت إمكانات تفريغ العدوان
محدودة حتى هنا بالنصاع - أو بانفجاع على أفضل وجه . فالناقضة تدخل المسرح
انطلاقاً من الآن . وفتح التواصل باب تفريغ الشحنة العدوانية ، باب هو من الحدّة
بحيث يمثل منعطفاً رئيساً في تطور النوع . تلك هي أنسنة الإنسان .

فالتغيرات عديدة وواضحة من وجهة نظر الأنا . وكانت القوى التنموية
الملازمة لسيرورة التوحيد قد تحررت مضغوظ إحباط متكرر وبفعل الجهود التي بذلها

انظفرت لتتغلب على هذه القوى . ويفضل التعديلات في التوظيف التي ذكرتها سابقاً، اختست الأنا الآن طريقة لعلاقتها مع الوسط، مع اندفاع ومع الذات، طريقة لم تكن موجودة حتى هنا. وتأسست، في كنف منظومة الأنا، وظفتان تأسيساً على نحو سرني. إحدى هاتين الوظيفتين هي وظيفة التحريد، بكل نتائجها الملاحقة على سيروره حركة الفكر وعلى إنجاز التواصل اللفظي. والوظيفة الأخرى آلية دفاع جديدة. أية التوحد بالمعندي التي ستكون، في مرحلة نلي فيما بعد برمن ضوئاً، مستخدمة في تكون الأنا العليا.

إنها أيضاً مرحلة ذات أهمية رئيسة في تقدم النطق، الذي ينتقل من المعجز الأوكي والتبعية إلى الاستقلال الذاتي المتنامي دائماً. ويقود استخدام قدرة الحكم لدى الطفل في علاقاته بحيطه من جهة، وبنفسه من جهة أخرى، إلى ضروب من إضفاء الموضوعية التدريجي على السيرورات الذهنية. أضف أن شعاع العلاقات بالموضوع كان قد امتدّ بالمقاومة الجسمية كانت تُستخدم من قبل في أوضاع الملاذة. أما الآن فإن الرفض يمكن أن يعبر عنه الطفل دون أن ينطوي على عمل. وعندئذ ربما يمكن أن نبدأ، كما قلت آنفاً، مرحلة المناقشة ومرحلة العناد أيضاً.

وأخيراً، تأتي مرحلة الأنا العليا: من غير المعدي أن نقول إننا لانكتشف في كل ذلك أي أثر للأنا العليا أو أي شيء يكون مشابهاً لها. وأعتقد مع ذلك أن شرطاً مسبقاً لما سماه فرويد «درجة نمو الأنا» يكون قد تحقق عندما تندمج آلية التوحد بالمعندي في الأنا. وأعتقد أن بوسعنا أن نترضخ ونحن على صواب أن تأسس آلية التوحد الدفاعية بالمعندي، التي يدل عليها الاستخدام الدلالي لعلامة الرأس «ال» ، شرط مسبق ضروري لتكون الأنا العليا اللاحق، ولكنه شرط غير كاف.

١٥ - الأنسجة الجينية الثلاثة، أحجار بناء الأنا العليا

فحصنا ثلاثة من هذه الأنسجة اجنسية فحسباً بالترتيب الذي توالت فيه زياً. أول هذه الأنسجة الجينية هو التجزئة العنيفة جداً للعمل الجسمي المتكفوف أو المبرر وبلي ذلك دانسبته، لعدم وجود مصطلح أفضل. التوحد بالموضوع

الليبيدي. والسوابع أن للمحاضاة الجسمية نصيباً في تكوين هذه الأنماط من التوك بحدار نصيب التوحد. فكلها في تكوين في خدمة السيادة ويسهمات في تكوين مثال الأنا. وسيظهر فسا بعد قليل ثالث الأنسجة الجينية: التوحد بالمعتدي المذكور فيما تقدم.

وليس دور المسيح الجيني العتيق، الأبر في تكوين الأنا العليا، معهراً على نحو كاف حتى الآن. وأصبح منه دور التوحدات التي تدخل في تكوين مثال الأنا. والنموذجان الأصليان اللذان يُستق منهما مثال الأنا، الأبوان، موجودان دائماً مادياً في حياة الطفل الراحنة. وسيدخل مثال الأنا، في نهاية المطاف، في نزاع مع زوال الوهم في المرحلة الأودية وسيكون موضع التقييم مجدداً بقسوة في هذه المرحلة. ويبدأ ضرب من بحر قيمة النموذجين الأصليين الراضين خلال هذا التقييم الجديد. وتكون المثال الناجم عن ذلك سيُجف، إذ يكون جزءاً من الأنا العليا الذي يحدّد للفرد أهدافاً بعيدة الناز. ويستخدم بوصفه محرّضاً ولومياً. وسيواجهه الطفل بمعطيات الواقع التي ستكون بالضرورة دائماً دون متطلبات هذا المثال. ذلك أن هذا المثال إجمالي. منفصل عن ضروب القصور المادية والمعنوية لدى الوالد الذي يُخسب قيمته، ويظل معزولاً عن الواقع.

وأخر الأنسجة الجينية الثلاثة هي الترتيب الرمني. ألية التوحد بالمعتدي. سيقدّم مكونة من مكونات الأنا العليا، ذات أهمية على وجه الخصوص. وليس بوسع هذه المكونة أن ترتدّ صدّ الموضوع الليبيدي وتستخدمه لتفريغ شحنة العدوان فحسب، ولكن بوسعها أيضاً أن ترتدّ صدّ الذات، صدّ النهو والأنا. وذلك يجعل آخر الأنسجة الجينية الثلاثة حديراً يتكوين هذه الدرجة من نمو الأنا، الشرط الضروري للأنا العليا، إذ يقدّم حظ انفصل بين الأنا العليا والأنا. وإذا تقترن هذه المكونة بمثال الأنا، فإنها تعرض على الأنا، على صورته أحكام وعلى صورته منحوت وأوامر، تطلّعات مثال الأنا وما يتحنه معاً.

وفي معونتي في أصل الشراصل، درست أيضا أصل الإيجاب، العلامة
للدلالة للنعمة. إنه اكتساب يأتي بعد زمن طويل من اكتساب الألا، وإنما على
بقي أن يؤدي دوراً إذا الهسية في تكوين مثال الأنا وتنظيمه وفي تكوين الأنا العليا
بالتالي وتطوي دراسة هذا الدور على بعض الصعوبات ونحن لا نصحح، كما
لاحظت أنا فريد، شاعرين محدود الأنا العليا إلا عندما تكون متعارضة مع الأنا.
فالإيجاب لا يوفر سبيلاً يسيرة لدراسة الأنا العليا بقدر ما يوفرها السلب. وينبغي
إذن لدراسته أن تُترك إلى مابعد.

رونه سيتر

الفصل الرابع

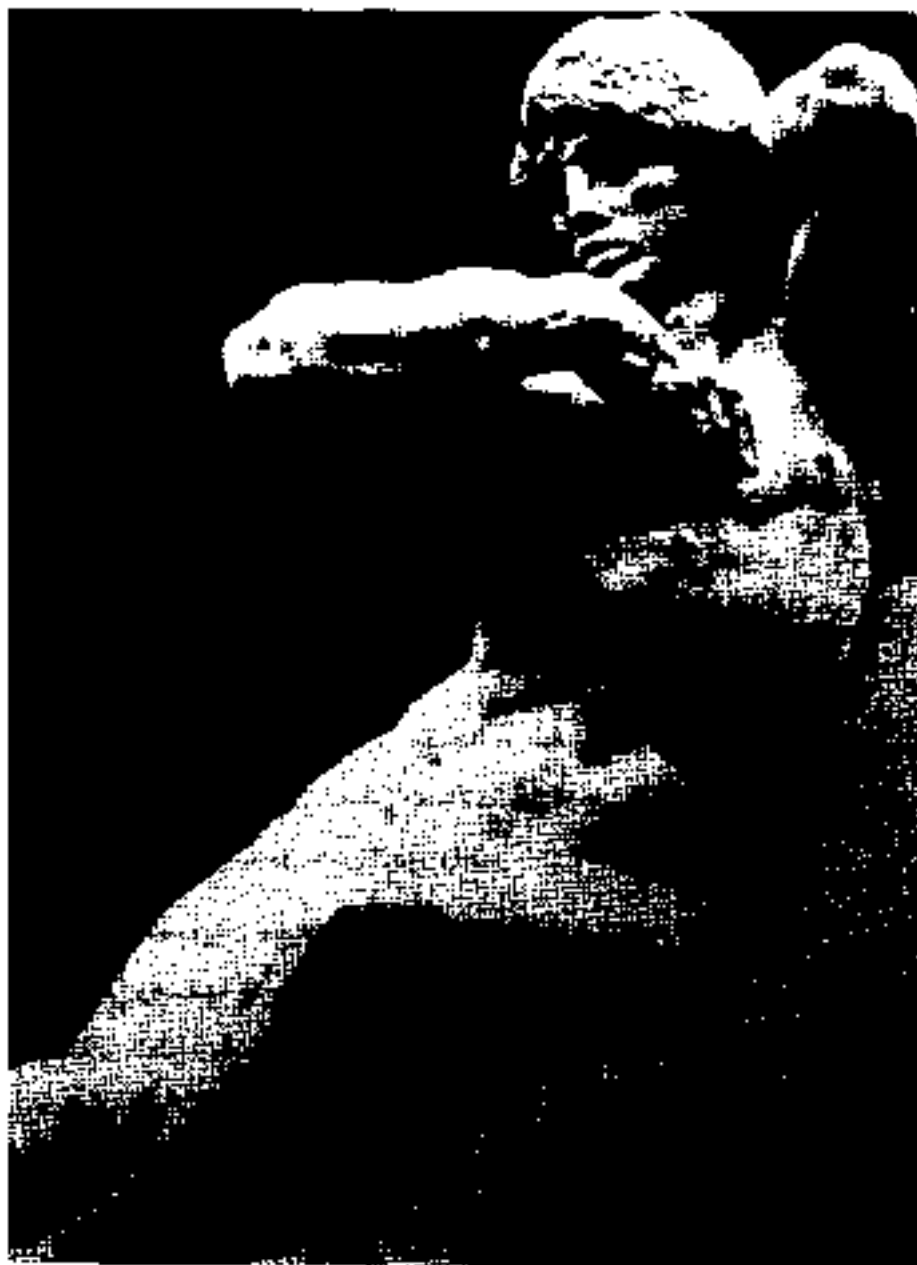
الأنا العليا، صديق الإنسان وعدوه

مقدمة

الإنجليزي إرنست جونز - أحد رفاق فرويد الأوائل - بحث أثر يشائر الأنا العليا، شأنه شأن ميلاني كلاين. إنه حرر أيضاً عام ١٩٤٧ هذا النص الذي يستعيد فيه ويعدل الفروض التي أدلى بها في الموضوع نفسه عام ١٩٢٦.

وفي رأيه أن الأنا العليا لا يمكنها أن تختلط بالأخلاق: إن توسع الأنا العليا على هذا النحو، في بعض الحالات، أن توجي بقتل. وأمرها المطلق هو «وجوب الفعل» الذي يسبق حسُّ الخير والشر.

فإلى تصورات ميلاني كلاين إنما يستند ليفترح إعادة النظر في الأنا العليا التي وصفها فرويد. إنه يطلب أن يكون مأخوذاً بالحسبان، في تعريف جديد للأنا العليا، مقتضيات «متخيلة» (الإسقاطات الاستيهامية لميلاني كلاين)، ويؤكد كذلك الضرورة بالقسمة للطفل، التي مفادها أن يبالح في الأخطار الخارجية - فسوة الأبوين - بغية تخفيف الأخطار الداخلية، تلك أن من الأسهل دائماً على المرء أن يقيس نفسه بموضوع خارجي يمكنه أن يهرب منه، على سبيل المثال، وثمة، بالمقابل، موضوعات وأخطار داخلية حاضرة على النوام.



يعتقد حورتر أن «العاوية» لانا العلية، إنما تدعى مائسة الهبة للأخلاق، والصبر، والعز،
والدين («بقعة الإنسانية»، لوحة عبد الحارث).

النص

عندما يعثر الطفل الموضوع اخذ جي بوصفه مهدداً إلى الحد الأقصى ،
بجنافة مع ذلك حتى يراقبه على نحو أفضل . واخطر انداخني سيدفع الطفل ،
بذوره ، إلى أن يسقطه مجدداً مع الموضوع المفترق به ، إذ يبذل جهداً بائساً في سبيل
تهديته حصره .

وليس مهدد الأنا العليا الأوكي للأنا عليك إلا تفعلني ذلك ، لأنني
سأعاقبك ، بل «ببني لك ألا تفعل به ، إنه محفوظ بالخطر » . فمن الأنا العليا الأكثر
قدماً ، الأنا العليا في المرحلة قبل الأحلايف ، حيث لا تكون إلا مجرد حجاجر ضد
دوافع الثبور ، إنى الأنا العليا المتطورة في المرحلة بعد الأوديبية ، إنما نحن نسلك على
هذا النحو عما تلت السيل كلها التي سلكها المرجع .

وكنت ، في مكان مشور منذ أكثر من عشرين عاماً^(١) ، قد شدت على طيعة
الإسهام الذي كنت قد حمته عندئذ إلى مفهوم حديد كل الجدة . وكان المقصود
بصورة أساسية صرباً من المحاولة . فكنت سعيداً إذ بسبب المناسبة التي أتحت لي
أن أعيد النظر ، بفضل التجربة المكتسبة منذئذ ، في بعض من محاولاتي في الشرح
أو أن أتوسع فيها على ضوء المعارف الجديدة . فالجزء الأكبر مما كنت قد كتبت فيما
يخص وظائف الأنا العليا وبنيتها ما يزال ذا أساس متين . على الرغم من أن يوسعي
أن أضيف إليه الآن كثيراً . ولهذا السبب إنما أتوي أن أقتصر هنا على المشكل الأكثر
عموماً ، مشكل أصول الأنا العليا

وليس لغة ، هي علم النفس أو الأثير وبنوحيها ، مشكل أكثر إثارة للاهتمام
من مشكل أصول الأنا العليا . واثواقع أن ثدياً أسباباً مناسبة لأن نترض أن لفاعلية
الأنا العليا إنما تدبر على وجه التحصر عن بالنية الجليلة للأحلاق ، والوجهات .

(١) - قبل الأنا ، تحت ريتو . الصحة العالمية لتعليق النص . ١٩٦٦

والفرد ، وأندين . ونقول باختصار ، بكل هذا التطلع الروحي لدى الإنسان ، نطلع بفصل بينه وبين البهيمية على النحو الأكثر إثارة للدهشة . فالاعتقاد الكلي على وجه التقريب بأن الإنسان يختلف نوعياً عن الحيوانات الأخرى ، يفعل حيلاته روحياً إلهية شائدة ، يصدر عن هذا المصدر . وكل ما يمكنه إذن أن ينير الجانب المارز من الإنسانية ، الوحيد في الواقع ، ينبغي أن يبين أنه ذو أهمية كبرى لمن يدرس الإنسان ومؤسسته .

أضف أن الأنا العليا تستوجب اهتمام نسبي آخر ذي أهمية أيضاً . إن لها قفا مظلماً وهي عدو الإنسان بقدر ما هي صديقه . وليست ذات علاقة فقط بارتقاء الهناء الروحي للإنسان ، إنها السبب أيضاً لجزء كبير من يؤسه الروحي ، وحتى سبب هذه التفاعليات الجهنمية التي تفسد طبيعة الإنسان وتسبب هذا اليأس . وتؤدي الأنا العليا ، في أعماق اللاشعور المظلمة ، دوراً حيوياً فيما يخص النزاعات والاضطرابات ، الخاصة بهذه المنطقة . ولا نبالغ حين نقول إن حياة الإنسان النفسية مصوغة أساساً من جهود عنيفة ، إما للإقلاق من سلطان الأنا العليا ، وإما لتحمّلها . ويبدو للوهلة الأولى أن اهتمام حياتنا ذو علاقة ، في جزء صغير منه ، بتأملات نظرية وخواطر مجردة قليلاً أو كثيراً ، وذو علاقة ، في جزء أكثر أهمية بكثير ، بمنافع وفاعليات مادية أكثر مباشرة . ولا يصعب كثيراً ، في هذا الجزء الأول ، إدراك العنصر الذاتي ، مع أنه يكون موضع النفي على العالِم . ولا يفهم المرء إلا نادراً مع ذلك أن عناصر ذاتية ، حتى في الجزء الآخر ، غير عقلانية على الأغلْب ، تؤدي دوراً كبيراً أيضاً . وتوَلَّم يكن عقننا معانها ، لما كان على وجه الاحتمال صعباً جداً أن نتصرف بحيث تؤمن لنا حياتنا ومؤسستنا سعادة ونجاحاً وأمناً أكبر بكثير مما هي عليه الآن . ولكن مقتضيات الأنا العليا التي لا ترحم ، المقتضيات اللاعقلانية كما هي في العادة ، أكثر إلحاحاً من اهتماماتنا الواقعية الخاصة نجا عاده . وعلى هذا النحو إنما ينبغي لنا أن نكثب الأهم .

١ - يعني لك أن تفعل ، أول أوامر الأنا العليا

من الضروري. قبل أن نقارب مشكلتنا، أن نوضح مسألة أو اثنين. فلأننا العليا عدة تفرعات شعورية، الضمير ومثال الأنا، على سبيل المثال، إنخ، يعني أن نغني بتسميزها وتشكل الأنا العليا، في ما عبتها، جزءاً من اللاشعور بحيث أن نوعية مريض بتاعبتها مهمة صعبة إلى الحد الأقصى.

ولهذا السبب إما ينبغي أن ننتبه على وجه الخصوص عندما نستخدم كلمة «أخلاق»، ذلك أن الأصل الأول لهذا المفهوم هو الذي يعنى على وجه أدق. فالضمير هو، على نحو واضح، حارس الأخلاق بالمعنى الأكمل للمصطلح: ما هو خير، من وجهة نظر المجتمع (أي العدد الأكبر)، ما هو جدير بالتناء من وجهة نظر المذاهب الأخلاقية. وبهذا المعنى، ليست الأنا العليا بالتأكيد أخلاقية (في حالات قصوى، على سبيل المثال، يمكننا أن نوحى بقتل، إذ يرى أنه مرغوب ومستحب)، وهي تحوز مع ذلك صفة ذات أهمية تجعلها ذات علاقة وثيقة بالأخلاق. وهذه العاطفة الملحة، عاطفة «واجب الفعل» هي التي تكون أمراً مطلقاً. والواقع أن هنا «الواجب الفعل» لأننا العليا، على الأقل الأقوى والأكثر إرغاماً من أي أمر من أوامر الوجدان، يمكن أن يقرن بتجاهات تكون، وفق عقلنا ووجداننا، أخلاقية أحياناً وغير أخلاقية أحياناً أخرى. ولهذا السبب فإن المقصود، إذا وصفناها أنها أخلاقية، لا يمكنه أن يكون سوى معنى مشتق للكلمة، لاعتقالي. أضف أنني استطعت أن اكتشف أثر هذه العاطفة المترعومة أنها أخلاقية لهذا «الواجب فعله» في مرحلة بدائية من النمو يسبق حسن الخير والشر، مرحلة سميتها مرحلة «الكف قبل انقاسي». ويبدو أن في هذه المنطقة المظلمة إذا يعني لنا أن نبحت عن أصول ما يصبح فيما بعد اتجاه أخلاقياً

والمفارقة التي نشعر بها تكمن في أننا لا يمكننا أن نصف الأنا العليا إلا إذا استخدمنا مصطلحين لا يبدو أن متوافقين، أحدهما سكوني والآخر دينامي. وتمة مماثل نبيه موجود في مازق الفيزياء الحديثة، التي يعني لها أن تصف كسوفها

الأخيرة أنها حزنات وموجات معاً، إذ لا يمكن تلاؤمي وللأخيرة، أو تعبير عن كل
 الفعليات. وربما كان ذلك، في علم النفس كما في الفيزياء، دليلاً على قصور
 معارفنا. ويبدو، من جهة، ضرورياً أن نصف الأنا العليا أنها موضوع، موضوع
 مختلف، كيئان ربما يفرض على انهو حتى يكون محبوباً، مكرهاً أو مرهوباً بدلاً
 من موضوع أبدي، واحد من الأبوين هي الأصل. ونحن نعلم، من جهة أخرى،
 أن هذا الموضوع استدخل نيس له وجود جسدي، ولكنه يصدر عن سيرورة من
 الأسباب ذات، هي نفسها التعبير عن ميل غريزي: ولهذا السبب لا يمكننا أن نصف
 الأنا العليا هنا إلا بمعبارات دينامية سيرورة، لميل ذي أهداف جنسية، عدوانية
 وأخلاقية. فإذا كانت شيئاً، فهي شيء حي جداً، مليء بالفاعلية، شيء يراقب،
 يقي، يحرس، يهدد، يعاقب، يدافع، يأمر، يشجع، إلخ...

٢ - نقب عن الأنا العليا أكثر كمالاً

الاهتمام الذي أولاه بعض المحللين النفسيين النشيين خلال السنين العشرين
 الأخيرة، وبخاصة ميلاني كلاين، أنهي الاجتياف والإسقاط في الطفولة، قاد إلى
 معرفة أكثر عمقاً بأصول الأنا العليا. فإزاء فرويد في هذا الموضوع، في ضوء هذه
 التجربة، تبدو لنا الآن حاجة التعديل على نحو كبير في مسألة وواجبة الإكمال في
 مسألتين أخريين.

والسائلة الأولى ذات علاقة بالوصف الذي وصف فرويد به الأنا العليا، فال
 عفة أوديب ويتوصل الطفل، أمام أميته الأوديبية دون أمل لأن إنجازها منعذر
 ولأنه يخاف العقاب، إلى أن يتحلى عنها شريطة أن يدمج في ذاته دمجاً دائماً جزئياً
 من الأبوين. وهذه الصورة من الحب والخشية، المشتقة من الأبوين، بل من الوالد
 من الخنس نفسه على وجه الخصوص، تكون إذن الأنا العليا التي تستمر في ممارسة
 وظائفها، وظائف المراقبة والشهيد، وعقاب الأنا يحدث عند الضرورة إذا كانت
 هذه الأنا تتوصل إلى أن تصغي إلى أميته الأوديبية، المنوعة الآن والمنكوبة
 ولهذا السبب سمى فرويد الأنا العليا وريثة عفة أوديب، وبدليها. وإذا كان هذا

المعريف، علاقة بالنتيجة الكاملة والنتهية، أي بالآنا العليا كما ستظل على وجه التقريب طوال الحياة، وإذا احتفظنا بهذا المصطلح، ومصطلح الآنا العليا، لنتيجة حصراً، فإن تعريف فرويد يكون عندهم ما يزال صحيحاً. وإذا كان يعني، على العكس، أن لا نستطيع أن نثير شيئاً من الآنا العليا إلى أن يكون الطفل قد تخلّى عن الأمنيات الأوديبية (نحو السنة الرابعة أو الخامسة من العمر، في رأي فرويد)، فيبني أن نعرف أن النتائج الجسيمة على التجارب اللاحقة تبعد كثيراً عن تعريف فرويد. والمقصود جزئياً مآلة، مصطلحات - ولكن جريباً فقط. وكان فرويد قد قصر مصطلح الآنا العليا على ما أسببه النتيجة النهائية وأولى أهمية كبرى أصلها في النزاعات الأوديبية بين عمر الثالثة والخامسة. وكان مع ذلك موافقاً أيضاً على أن ثمة ضرباً من قبل تاريخ، في وقت واحد لعقود أوديب نفسها (صعوبات قبل ناسلية، إلخ) وربما حتى لضروب الحصر وخشية العقاب اللتين تسبقان انوضع الأوديب الكلاسيكي وتحضران المجال للإثنية التي ترتبط بالآنا العليا.

وقبل أن أدرس التعديل الحديث الذي يجد فيه نفسه مرغماً على أن يدخله على هذا التعريف لفرويد، سأذكر المسألتين الأخرين اللتين أوردتهما فيما سبق ذكراً باختصار. فالمسألة الأولى ذات علاقة بتعيين تاريخ هذا الموضوع. ولدينا الآن أسباب عديدة للاعتقاد أن عمدة أوديب نفسها، بكل خصائصها (الرغبة الجنسية في الأم، الغيرة من الأب وكرهه، والخوف من الخصاص، إلخ)، وكذلك الآنا العليا على صورة مطوّرة إلى حدّ يكفي ليكون تعريفها ممكناً، تسبق كثيراً تلك المرحلة التي كان فرويد قد حدّدتها فيها وترجع بالتأكيد إلى السنة الثالثة من الحياة بل ربما ترجع إلى السنة الأولى. ثم إن خشية من العقاب ومصادر الحصر الأخرى التي تؤدي دوراً هاماً جداً في أصول الآنا العليا لا تصدر كلها من الوضع الأوديب نفسه، إن لها مصادر أعمق كثيراً. ونقول بعبارة أخرى إن للنفسى بواعث حصر أخرى. إلى جانب الخشية من العقاب التي تصدر عن خصمه الأبوي، تصدر بصورة أكثر مباشرة عن علاقته وحدهما بالأم.

٣ - محاولة يائسة لإيجاد تحويل للحصر

تصدره، كما قلت فيما سبق، سواعث هذا التوسع وهذه التعديلات لتعريف فرويد، عن دراسة أكثر تعمقاً لأتسبي الاحتياف والإسقاط. إننا أفلحنا، بفضل أعمال ميلاني كلاين على رجة الخصوص، في الأتعرف العسر المبكر الذي نعملان خلاله فحسب، ولكننا عرفنا أيضاً ذلك التفاعل الغريب والمستمر كلياً لهاتين الأليتين كنما احتاز الرضيع تجربته. فللاحتياف هي ما يكون الأنا العليا، ولكنها - وهذا أمر أساسي - ليست على الإطلاق مجرد اندماجات لتواقع الخارجي إنها أيضاً اندماجات الإسقاطات لدى الرضيع إني حدّ واسع. وعندما تكون هذه النقطة واضحة، نفهم أن إسهام الطفل في أثناء العناية المستقبلية يكون أكثر أهمية من الإسهامات التي يقدمها العالم الخارجي (الأبوان بصورة أساسية)، وتلك نتيجة ربما تروى فرويد أمانها.

وبوسعنا الآن أن نعود إلى تصور فرويد الخاص بالعلاقات بين عقدة أوديب والأنا العليا. وكان فرويد بالتأكيد موافقاً على هذا الأمر الذي مفاده أن الصورة التي يصنعها الطفل لتوائد الذي يدافع عنه وبهذه صورة مغالية أو مشوّهة. ومع أن الآباء يمكنهم أن يقتلوا أو يخلصوا أطفالهم من جنس الذكور، فإنهم يفعلون ذلك على نحو نادر جداً؛ ويعني كل صبي صغير تلك العاطفة التي مؤداها أن هذه الأشياء محببة ويرتعب منها. ولهذا السبب، بوسعنا أيضاً أن نضيف إلى ما يقوله فرويد عن أن الأنا العليا تستمد قدرتها على التأثير في الأنا من أنها تمثل مقتضيات الواقع^(١): «كما أنها تستمد هذه القدرة أيضاً من أنها تمثل المقتضيات المتحيلة» أو، على نحو أدق، مقتضيات الواقع النفسي ومقتضيات الواقع الجسدي على حدّ سواء. وفي رأبي أن هذه العلاقات التي يصنعها خيال الطفل على صورة الأب أهمية أكبر كثيراً ولها تاريخ أطول وأعمق مما كان يعتقد فرويد أنه ممكن. وتتمارس الاستهانات والتزاعن الأقدم، كما كتب أتول منذ زمن طويل، أهمية حاسمة في الشكل الذي تنحده عقده أوديب، وفي محرماها ونتيجتها.

(١) - فرويد، نوافل مجموعته، لحد الثاني من، ٢٥١ - ٢٥٣.

ونحن الآن نكلم عنى وفاق أن هذه العناصر الجديدة موجودة مع أن مشكل الأصل يظهر مباشرة ونقول بداية، وذلك مدعياً بنى حدكاف، نحن نتبين أن لدى الطفل باعتباراً يدفعه إلى أن يفهم في الأخطار الخارجية. أعني أن تخيل الأب أو الأم أكثر تشدداً أو أكثر خطراً مما هما في الواقع. فالسلوى التي تسهم بها معرفته أن الموضوع الخارجي (الوالد) يعتبر له بالأجمال عن الحب، وأن نعصب حدوداً، تجلب له التسمية على هذا النحو فيما يخص مخاوفه، الأصعب تحملاً، والأقل سهولة أن نبدأ، ذات العلاقة بالأخطار الداخلية، ومن الطبيعي أن الطفل يتوصل إلى ذلك بآلية الإسقاط المعروفة جيداً. وليست الأمور مع ذلك بسيطة بقدر ما تظهر، ذلك أن تقدير الأخطار الداخلية والأخطار الخارجية يصح على وجه الخصوص عندما تشمل هذه الأخطار الأخيرة تلك الأخطار المسقطها. فالغرامة الخارجية يمكنها أن تصبح مرعبة إلى درجة كبيرة بحيث يجتأها الطفل (في الأنا العليا) بهدف واضح مقاده أن يراقبها. ونصبح مجدداً مع ذلك، عندما يجتأها، محفوفة باخطار إلى حد لا يحتمل ويكون الطفل مرغماً على أن يبحث عن موضوع في العالم الخارجي يمكنه أن يسقطها عليه مرة أخرى. وهذه الآلية المزدوجة تتكرر باستمرار. ربما دون هدف، في محاولة مهادها أن يجد تسكيناً لحصره. وتبين هذه الحيل البائسة أن لدى الطفل في نفسه مصادر حصر مرهوبة إلى الحد الأقصى وأن تكوين الأنا العنكب يشكّل بهذا الصدد محاولة إنقاذ. وهذه التوضيعة الدفاعية للأنا العليا هي الموضوع الرئيس لهذا المقال.

٤ - مصدر الأخلاق البعيد: الخوف أمام خطر هادي

ما مصدر هذه الفراعات المرعبة، وكذلك الحاجة التي ترفضها إلى الدفاعات البائسة بهذا القدر؟ مصدرها، بين المصادر الأخرى، الأنا العليا التي هي بالتأكييد عامل شرس من عوامل الاضطهاد حيث أن لدى الأنا أساساً نسبة للخوف منه. وتدفعات والإدانات الخارجية، المفروضة على الطفل الذي يتراجع، لا تكون من هذه الأنا العليا إلا جزءاً صغيراً، والمطلوب هو الذي يندفع في اجزاء الأعظم منها

لماذا كان يسأني إني أن يسندع مؤسسة بهذا القدر من الإزعاج؟ ينبغي، حتى يدفع إلى التصرف على نحو بهذا القدر من العفوية، أن يكون لديه سبب مناسب وأقول، حتى أكون أكثر موضوعية، إن الأنا العليا ينبغي أن تؤدي وظيفة ذات أهمية كبرى تعكس ما يتحوز به من ضرور الغبن الواضحة.

ومن ثمة ريب في أن هذه العاطفة، عاضه «الموجب فعله»، التي تميز الأنا العليا وهي مصدر ما سيصبح فيما بعد أخلاقياً، راجحة عن عاطفة كون الطفل اسرعماً على أن يفعل ما يجب فعله؛ عاطفة تظهر مبكراً. ونقول بعبارة أخرى إن تهديد الأنا العليا للأنا «ينبغي ألا تفعل ذلك؛ شعاعون إن فعلته» محل محل تهديد سابق: «ينبغي ألا تفعل ذلك لأنه محفوف بالخطر». فكيف يحول هذا الخوف من الخطر ليكون أولى العناصر الأولى من الأخلاق، وما هي طبيعة هذا الخوف؟ أولى مخاوف الطفل الأولى مادبة أكثر مما هي روجبة. إنها مخاوف من ضرر يقع على ما يعنيه «خوف من الحرمان، من انتزاع ما يمتلكه، من ألم جسسي، إلخ) ولكن الخب والحاجة إني أن يكون محبوباً، في النسبة الأولى من الحياة، بيداً في أن يؤدب دوراً تنتمي أهميته، وذلك أمر يجلب إمكاناً جديداً هو الخوف من فقدان الحب إذا أساء إني الموضوع المحبوب والمحب أو أضر به، وهو الأم أول الأمر إنه اشغال هذه الشخبات من المستوى الجسدي إلى المستوى الروحي هو الذي يجري هذا التحول من كونه «مرغماً على الفعل» إلى «وجوب الفعل». فالتهرض إلى خطر الخضاء لا يزال وضعاً خارج الأخلاق، ولكن التعرض إلى خطر الإساءة إلى الأم وفقدان حبها يصبح شيئاً يجب الامتناع عن فعله. وإذا تصبح العلاقة فيما بعد بالوالدين أكثر تعقيداً، يصبح الامتناع عن فعل بعض الأشياء هاماً بقدر ما يكون هاماً تجنب فعل أشياء، محفوفة بالخطر. وربما تكون المدة الزمنية الأهم التي يحدث خلالها ذلك هي مدة رقابة الصغيرات، التعلم «الأخلاقي» الأول للرضيع، الذي يستقر قبل أن تندو غفنة أودب بزمن طويل، في رأي فرويد، أو عندما تكون قفط في بدايتها. ويكنتم فورزني على «أخلاق الصغيرات» كلاماً يدل على حدس عبقرى، إذ قلن أنه في ذلك بداية الاتجاهات الأخلاقية. ولكنه لم يكن يعرف الدلالات

العديدة التي يسببها الرضيع إلى أمه عندها أحوال العصابات لديه. إنها ليست فقط حاجات جسمية (مع أن طبيعتها العسرية يمكنها أن تنجم عن هذه الأمور في الأمر الأكبر منها)، ولا عناصر بسيطة من الفريضة الجنسية (غلبة وحذلية وشرجية). إنها أيضاً تافلات دوافعنا البعدية أتمه والندسرة. أضف أن لهذه التفاعليات علاقات بالاندسجات الاخراسية للأبوين التي تسبق هذه التفاعليات أو رافقتها. وعندما يعني نبييل الغفل غواشه توسيح الأم، تسميتها أو تدميرها، ويكتف في الوقت نفسه عن أنه أكل الأب وقتله، عندئذ بدأ نفهم بأي العبارات الثقيلة بالمعنى يمكن أن يفهم التعلّم الأخلاقي الذي تحقّق المربية

٥ - نقطة انطلاق الحصر الرئيسة: الخشية من أن يتفقد الليبدو

توسعت على نحو مشروع أن تعذ الأنا العليا مع حاجتها ضد هذه الدوافع المتنوعة والخطرة ووسيلة غير مباشرة للإفلات منها. ويمكننا أن نكتشف في فاعليتها، ولو أن الصفة الجنسية منزوعة عنها (على نحو غير تام)، آثار كل العناصر الجنسية. فإليل إلى التخصّص بين لدى الأنا العليا في موقف التواقية ينقظ، ويظهر العنصر الفلمي الشرجي: بفعل الأرتكس، في الحاجة إلى الطاء وفي، وذلك هو ذو أهمية كبيرة، معنى الواجب، في حين أن العنصر السادي يظهر غير نحو عظيم انوصوح في ضروب العذاب العنيفة التي يمكن للأنا العليا أن تعرضها على الأنا. ويبدو الأرتكس مبعبا بعد على المدافع التناسلي التام في حدا في لإدارة الأخلاقية نفسها المحارم، ولكن يوجد إلى جانب ذلك، الخب الأكبر إحصية للبدليل الأموي (مثال الأنا)، الخ.

إننا اكتشفنا الآن آثار الأنا العليا حتى في حالة قبل أخلاقية، مرحلة سميتها الفاعلية الكف قبل العنيف، حيث تبدو وضغتها وضعة محرومة حاجز ضد دوافع النهي أو، بالتحري، ضد الحصر الذي تولده هذه الدوافع في الأنا. ونصيح الأنا العليا، في هذه النقطة، دفاع فقط بين دوافع أخرى، تتعامل مع ذلك بأريخ منسحق، وخصائصه الخاصة بها. حسية عن كونها بواسطة امتيازات الموضوعات الأخرى.

ووسعت أيضاً أن تتساءل ما هي طبيعة هذا الحصر وطبيعة الخطر الناتج عن دواعي الهوى. إنني درست هذين المشكلين في مكان آخر، وسأرجع النتائج الرئيسة التي توصلت إليها فيما يخصهما.

فإن يكون ثمة غروره عددان منفصله لدى الإنسان أو أن لا يكون لها وجود، من المؤكد أن التقريرية الجنسية، في مرحلتها البدئية على وجه الخصوص، عدوانية على نحو أساسي في طبيعتها، أكثر مما كان المحللون النفسيون يعتقدون في الأصل. وفي رأبي أن ثمة أدلة مرضية على وجود عدوانية تظهر خارج الدافع انثبيدي، دافع يبدو دائماً أنه نقطة الانطلاق. وهناك أسباب مناسبة لافتراض أن هذه العناصر العدوانية يستشعرها الرضيع مباشرة في ذاتها أنها خطيرة، بمعزل عن نتائجها عليه أو على الموجود المحبوب. والاستجابة لذلك هي الحصر وهو ما يمكننا أول الأمر أن نسميه الحصر قبل تكوين الأفكار وتسلسلها، أي كما تكون مفهومة طبيعة الحصر. فنحن الذين ينبغي لنا، انطلاقاً من موارث مختلفة، أن نكتشف هذا الخطر. ونحن نعلم، من وجهة نظر الفيزيولوجيا وعلم النفس، أن توتراً ناجماً عن غياب السكينة أو نقص الإشباع له نتيجة هي الإنهاك، قسمة أبناء بفيديون من ذلك ليشاركوا الرضيع في حال من الغضب «بصرخ وحيناً إلى أن يهدأ من تلقاء ذاته» وذلك في رأبي أسلوب خطير جداً في هذا العمر. وهذه الخشية من الإنهاك الكلي تليدو، سميتها الخوف من الحفاء. وفي رأبي أن في ذلك إنما توجد نقطة انطلاق الحصر الرئيسة التي تتكون الأنا العليا قسداً كما تتكون دفاعات أخرى في الوقت نفسه.

إرنست جونز

الفصل الخامس ملخص للمسألة

مقدمة

ينتمي المحلل النفسي البريطاني جوزيف ساندر إلى جماعة أنا فرويد. إنه يعني، في هذا النص، بالانحلال الظاهر لمفهوم الأنا العليا ويبدو في الواقع أن هذه الأنا العليا فقدت بعد فرويد جزءاً من تماسكها واستقلالها الذاتي بوصفها مرجعاً من مراجع النفس.

ويقدر ما كان الاهتمام بها يتنامى، كما تبين فصول شتى من هذا المؤلف الحالي، تعقدت وهي تنفتت في الوقت نفسه، ولهذا السبب يبين المؤلف أن التحليل النفسي ينتهي، بقدر ما نقرب على نحو دقيق إلى الحد الأقصى من مصادرها في الهو والأنا والعالم الخارجي، إلى أن يسهو عن أن الأنا العليا تكوّنت على نحو الدقة، انطلاقاً من هذه المصادر، في كيان له وظائفه الخاصة. والحال أن كل شيء يحدث كما لو أنها كانت قد ذابت فيها مجدداً.. فدراسة العيادة التحليلية، ومفعولات التحويل والنكوص، أدت إلى هذه النتيجة.

ويعرض جوزيف ساندر هنا تصوراتَه الخاصة وهو يرسم رسماً مجدداً بالتفصيل تطور الأنا العليا لدى فرويد وخلفائه، ويوضح على وجه الخصوص ذلك النوعين النرجسي الذي يؤمنه للفرد كونه على وفاق مع إناه العليا

إسأ رأينا. في استعراضنا المشكلات المرتبطة بالآنا العليا، أنها يمكنها هي رأي فرويد أن تكون غير ذات قوام لدى عدد معين من الموجودات الإنسانية. وما يوجد فقط بالنسبة لهم إنما هو الحاجة إلى استحصان السلطة الخارجية والخوف من العقاب

وفي رأي جونز ، ونحن نعلم ذلك حائياً : أن الآنا العليا ، الموجودة لدى الطفل الصغير جداً قبل معنى الخير والشر، يمكنها أن تقود إلى اجريسة، وذلك أمر يثير بالنسبة لنا مسألة ذات علاقة مباشرة بالأحداث الراهنة، أي عقوبة الموت.

وكون المرء بصريح أنه يتناصر عقوبة الموت، هل يعني أنه يريد تطبيق العقوبة القصوى دفاعاً عن الأخلاق . أي العمل باسم الآنا العليا أو هل يعني شقّ معبراً تحت قناع الآنا العليا، لعدوانية عنيفة - ناشئة من الهوى وسيكون حسم المناظرة عسيراً، وذلك أن علينا دون ريب أن نأخذ بالحسبان نزاعات خاصة بكل منا

إن آنا عليا قاسية على نفسها يمكنها أن تعارض عملها بالقوة تارة، وعلى نحو متسامح مع الغير تارة أخرى وتسمتعير الغرائز الأكثر وحشية، في بعض الأحيان، وجه الآنا العليا لتعبّر عن نفسها عقاب المجرم يعادل عندئذ رغبة في الموت باسم الخير. والمتسامح مع القاتل (المعبر عنه أيضاً باسم الخير. «لن تقتل أبداً») يستر تواطؤاً لا شعورياً مع من يقوضه الفرد أن يحمل تعنياته الخاصة بالقتل وأن ينجز بدلاً عنه إذا صح القول.

فالاتجاهات المعلنة لا يمكنها إذن أن تفصل عن حوافزها العميقة (اللاشعورية)، والرأي المائل يمكن أن يكون له، كما نرى، جذور متعارضة في الأساس.

النص

على الرغم من أن من الممكن أن نكتشف - إن نتجده إلى المنحني - بدور مفهوم الأنا العليا في «المنحط الإجمالي»^{١١} (انظر فرويد، ١٨٨٧) وفي تفسير الأحلام (١٩٠٠)، يعرض فرويد مفهوم مثال للأنا، عرضاً للمرة الأولى، في مقال عنوانه «المدخل إلى الترجسية» (١٩١٤). ويعرض فرويد فكرة مرجع للنفس يحاكم الأنا ويقسها بعبارة مثالي - معيار مشتق من معايير السلوك التي يفرضها الأيوان.

ويقترح فرويد عندئذ، مطلقاً من الملاحظة التي معادها أن الدوافع البيبيدية تكبت حين تدخل في نزاع مع قناعات الفرد الأخلاقية، أن تكوين هذا المثال - الذي يقارن به الفرد نفسه - يؤلف شرطاً مسبقاً لمثل هذا الكبت. ويتكلم، في هذا السياق، على حب الذات لدى الأنا. ويتجسد في الصورة المثالية كل الكمالات التي شعر الطفل أنه امتلكها هو نفسه في طفولته الأولى. وفي حدود ما يفلح في الامثال إلى هذا المثال، يكتشف هذه الحائنة من الكمال الترجسي المبكر.

ويتكوّن الضمير بوصفه مرجعاً في كَفِّ النفس، إذ يفعل بحيث تستمد الأنا منحة ترجسية من مثال الأنا، الذي يحاكم الأنا الواقع ويقارنها بمقارنة مستمرة بمعيار مثالي.

١ «قائد» الجماعة، إخفاء المثالية على كل الصفات الفردية

كأن فرويد يعتقد أن انتقادات الأيوين تؤلف العنصر المحرك لتكوين المثال، انتقادات عرّتها لاحقاً إرشادات التربية. ويذكر أن ما كان يسمى «نوع الأمر» باسمه رقابة الأحلام يؤلف في الواقع مثال الأنا. ومن المناسب أن نشير إلى أن فرويد يستعين بالمصطلح نفسه ليدل على الصورة المثالية والجزء المنظم من الأنا الذي يراقب الأنا مراقبة مستمرة ويقبها بالمعيار المثالي.

^{١١} «منحط إجمالي» تعريب من «مبكر» كما نسميه من بلادنا العربي: نفسى (١٨٩٥)

وهي هذا المثال، يعالج فرويد دور اتجاه الملاحظة الذاتية وتقبّات الليبدو في تطور مثال الأنا. ويعتبر تطور الأنا صريحا من النمو انطلاقا من الترحسية الأولية ويعتقد أن هذا التطور يتيح المجال لمحاولة شديدة بحية اكتشاف هذه الحالة من الترحسية. ويضيف أن هذا النمو يحزه ضرب من الزياح الليبدو صوب مثال نلاما مفروض من الخارج. وأن إشباعا بأنه الفرد جواء تخفيق هذا المثال.

ويتوسّع فريد في هذا المفهوم يحض التوسّع في علم النفس الجماعي وتحليل الأنا. ويبراه أنه يشمل مجموع كل التحديدات التي ترى الأنا نفسها مرغمة على قولها، ويلاحظ أن كلية التفاعل بين الموضوع الخارجي والأنا في مجموعها ربما يمكنه أن يحدث مرة ثانية على هذا المسرح الجديد من العمليات في كنف الأنا. ويلجأ إيجابيا جديدا على الجانب الإيجابي التحزبي من العلاقة التي تقوم بين الأنا ومثالها. وعندما تتوافق أفكار الأنا أو فاعليتها مع معايير المثال، ينجم عن ذلك شعور بالنصر والسكينة... عودة إلى حالة الاتحاد الترحسي الأولي بالأبوين.

والفرد يمكنه، عندما يضم إلى جماعة، أن يتخلى عن مثال الأنا ويستبدل به مثال الجماعة كما يجسّد، قائدها. ويوجد القائد نفسه متقلداً كل الصفات الفردية التي أضفيت عليها الصفة المثالية، ويكون أعضاء الجماعة الآخرين يتصرفون على نحو واحد مفعول معاده أنه يكتف السبورة، إذ يتوحد أعضاء الجماعة بعضهم ببعض. والأنا يستشعر هذا الفرد بدور هذا بصفها موضوع مثال الأنا.

وبحس نكتشف في العوس، الذي يبلغ الحد الأقصى المرضي، عاطفة الاتحاد الترحسي بالأبوين، عاطفة لا تولف الأنا ومثالها، وغفيا، إلا واحدا، إذ يمكن عندئذ أن لا يباني الفرد، مبنها، بمواظف المسؤولية الاجتماعية وتكون عواطف الإلمة والديونية والعكس بالعكس. هي التعبير عن توتر بين الأنا والمثال وتبلغ الذروة في بؤس السوداوية الذي يضر التشفقة.

ويتميز فرويد بوضوح بين توحد الأنا بوضوح (إذ يتيح هذا التوحد مجالاً، على سبيل المثال، لمدة الانتساء إلى جماعة، إلى تنظيمات كالجلسة) وبين تجسيد مثال الأنا في شخص خارجي أو سلطة خارجية (كما في الكنيسة).

«فريد نيشه أن نغفل، إذ انقسم إلى جماعتين: من مائة الأنا لديه ويحل أسئلة مثل الآن
لنور طرماعة، كما يحلده لاندور». (عميد نازي في باريس، عدد ١٩٢٤)

٢ الأنا العليا انعكاس ما يوجد من الأفضل، لدى الإنسان

بعد سنتين، يعرف فريد وحينها التطور النسيجية في الأنا واليهو (١٩٢٣).
ويحل مصطلح الأنا العليا محل مصطلح مثل الأنا، ولكن فريد لا يفتح، بهذا
التعبير للمصطلح، إلى أنه يتعامل مع نظامين مستقلين أحدهما عن الآخر. ويرى
الأنا العليا - كما كان يرى مثل الآن سابقا - ضربا من تعديل الأنا والأنا العليا
واسب يسوى في كعب الأنا - نظير عند تحسار العقدة الأوديبية وتصبح، إذ

تتكوّن، هي المرجع الرئيس لتكثيف محلّ انتزاعات الأوديبية، الحيادة جداً خلال الطور القضيبى من النمو الغريزي. وهو يعتبرها ناقلاً للأخلاقية، إذ تحكس «الأفضل» لدى الإنسان وتكوّن، بوصفها كذلك، مثلاً لعلاقات الطفل بأبويه في المجتمع. إنها تدرس وطائفة التقدير الذاتي ويحتفظ، طوال حياة الفرد، ملكية الاتصال عن الأنا والسيطرة عليها، كما أن الطفل لم يكن بوسعه إلا أن يطبع أبويه، كذلك الأنا تخضع فيما بعد للمقتضيات الأمرة للأنا العليا التي تمارس رقابة أخلاقية، ويظهر التوتر بين الأنا العليا والأنا على صورة عاطفة من الإثمية وعدم الأهلية.

والأنا العليا لأشعورية في الجزء الأكبر منها. فوظائفها النقدية يمكنها، في إطار التحليل، أن تولد بعض أشكال المقاومة. ويمكنها أن تبدو أخلاقية على نحو مرعب وحتى مسندة بالأنا. ولكنها يمكنها أن تتعدّد بحيث تكون قادرة على أن تشرب المعايير والإيعازات الأخلاقية الصادرة عن سلطات خارجية كالمعلمين.

ويرى فرويد أن الأنا العليا تتكوّن على قاعدة التوحّدات بالأمير، وحلول توحّدات تمثّل جانباً هاماً من نمو الشخصية محلّ توظيفات الموضوعات - مع أن توحّدات الأنا العليا يمكنها أن تسمّى من التوحّدات التي تخفي الأنا. فالتوحّدات الخامسة للأنا العليا تلي الحاجة إلى مواجهة الحنين الإيجابي والسبي معاً من عقدة أوديب. والأنوان يُجنّان في الأنا العليا، على النحو الذي وصفه فرويد في «الحداد والسوداوية» (١٩١٧) ويعارض النطق بمظاهر الغريزة بالحجز في الأنا العليا، الذي كان موضوعاً في الخارج على صورة الأيوي. وتمثّل الأنا العليا مع ذلك بنية محدّدة جداً داخل الأنا، وهذا شيء مختلف عن مجرد مجموع من التوحّدات الأيوبية. فالنفس تظلم متماسك، مستقلّ عن المكونات الأخرى للأنا. وكلما كانت عقدة أوديب قوية - وكلما كانت مكتوبة تحت تأثير إجراءات خارجية - ستكون الأنا العليا قاسية

٣ - الأنا تخضع للهو بفعل الأنا العليا

أصبح فرويد غائباً على واقع مفاده أن الأنا العليا ليست فقط نتاج التوحّدات الأبوية، ولكنها تعمل أيضاً بوصفها مخبأ تعبيري عن دوافع الهو الأكثر قوة. فالأنا تخضع للهو حين تؤسس الأنا العليا. ومن المؤكد أن فرويد يصريح أن الأنا تكون أناها العليا إطلاقاً من الهو، وأن عياب العوائق للتواصل بين الهو والأنا العليا يشرح أن هذه الأنا العليا لاشجورية في الجزء الأكبر منها. وهكذا فكلنا ساد طفل من الأطفال دوافع العدوانية تجاه طفل آخر، ستكون الأنا العليا لاحقاً مسندة. وتفي الخشية من الأنا العليا حية بعد الخشية المبكرة من الخصاء، خشية تمرد نفسها تنفقم، كما نعلم، بفعل دوافع الطفل العدوانية الخاصة.

ويشقّ الهو على هذا النحو درياً نحو الأنا بطريقتين: مباشرة، من حيث أن دوافعه متناسبة مع الأنا، وبصورة غير مباشرة، بواسطة الأنا العليا.

فكل توحّد، كما أشار فرويد، يرافقه معاً ضرب من نزاع النصفة الجنسية وضرب من قلق الانحصار الغريزي الوثيق. وتم بعد التوظيف التبيدي يربط البيول المدقمة التي تعبّر عنها الآن قسوة الأنا العليا وقابليتها لعرض العفويات. وهذا الفك، فك التركيب الغريزي الوثيق، واضح في السوداوية على وجه الخصوص.

وتضم الأنا العليا أيضاً عناصر مثل زود فعل ضد الهو. وهي على هذا النحو تتضمّن، فضلاً عن الأمر، «كن كمايك» بعض المنوعات بالنظر إلى أن بعض الامتيازات وقف على الأب.

٤ - بعض التوضيحات التي قدّمها فرويد للأنا العليا

ينشر فرويد عام ١٩٢٦ كتابه الكف، العرض والحصر، حيث يعرض نظريته الجديدة في الحصر ويشجع الضروب العديدة من التقدّم التي سيظهر لاحقاً في مجال سكونزجيا لأنا. ولن يعدك بعد هذا التأييد مفهوم الأنا العليا، معترفاً في الوقت نفسه أن المفهوم انوماً إليه ليس على الإطلاق واضحاً وبسيطاً قدر ما يكسا

أن تتحدى . ولن يستشعر الحاجة أيضاً إلى إعادة النظر في نظرية البرجسية التي أدت دوراً هامياً كبيرة في المخططات الأولى مثالاً لأن:

وكان على فرويد مع ذلك أن يدني فيما بعد بعدد معين من التصريحات المثبتة لنفسنا الأنا العليا . ويومئذ في كتابه نفسه الكف ، العرض والخصر ، إلى الحالات العديدة التي تكون فيها الأنا والأنا العليا متشابهتين ويكون من المتعذر أن نيز بينهما . ويومئذ إلى الجماعة التي تظهرها الأنا للأنا العليا (مع أنه يتكلم في المحاضرات الجديدة في التحليل النفسي) (١٩٣٢) على كبت بوصفه عمل الأنا العليا ، الذي تقوم به مباشرة هذه الأنا العليا إلى النجاح أو تقوده الأنا ، وفق أوامرها ، إلى النجاح) . ويرى فرويد تهديد الأنا العليا استطلاعة للتهديد باختصاص الذي يكون بدوره ضرباً من التسو (بفعل الخطر من فقدان الموضوع) للخطر الأكبر والأكثر أوكية ، خطر أن نغمره الإنارة دون ملاذ . ويكتسي عضو ذكر الصبي الصغير توظيفاً ترحيبياً واسعاً ، وما يهدد عضوه الذكرى يهدد أيضاً ترحيبه .

ويكتلم فرويد في المحاضرات الجديدة في التحليل النفسي - كما كان قد فعل سابقاً - عن الأنا العليا بوصفها وظيفة داخل الأنا ، ويضيف مع ذلك أن الأنا العليا مستقلة ، في نطاق معين ، إذ تعمل على غاياتها الخاصة . ويلج فرويد على دور الأنا العليا بوصفها محلّ تسلطة الأبوية - وبوصفها عاملاً داخلياً يسود الأنا ، إذ تمنح أدلة على المحسة وتترك التهديدات بالعقوبة تخيماً ، تهديدات تمثل بدورها ضرباً من فقدان الحب . ويقابل بين قسوة الأنا العليا لدى عدد كبير من الأفراد وبين طيبة الأبوين الواقعيين ونظفهما ويعزو هذا التباين إلى التحول الغرائز الذي يحدث عند احراز العقدة الأوديبية .

٥ - الأنا العليا ، من الأسرة إلى الجماعة

يسترعي فرويد الانتماء في مستقبل وهم (١٩٢٧) إلى دور الأنا العليا في تأييد الثقافة ، ويساعدنا جزء كبير من ما عليه أن يقول ، بصدد نقل هذه الثقافة (لا سيما بعد الدين بوصفه وهماً ثقافياً) ، في أن يفهم الأنا العليا فوجماً أفضل ،

بوصفها، بعد كل شيء، عامل النقل التقني الأجمع. وفي رأي فرويد أن كل فرد عدو للثقافة في الواقع، وينبغي لهذه الثقافة أن تحمي الإنسان من دوافعه العدوانية الخاصة. ويضيف أن الإشباع الذي يؤمنه إنجاز مثل ثقافي هو من نسق مرجسي بصورة أساسية.

ويوسع فرويد، في عمر في الحضارة (١٩٣٠)، ارتباط الأنا العليا وغريزة العدوان. فخشية الطفل من أبويه، بعد أن ظهرت على صورة حصر اجتماعي - كما كان فرويد قد كذب يقول، يستشعره صرباً من عاطفة الإثمية منذ أن يحلّ الوجدان الأخلاقي محل الأبوين. ولكن هذه العدوانية التي تنصف بها الأنا العليا تتميز - بالإضافة إلى ذلك، كلما تخلى الطفل عن رغباته الخاصة في العدوان جراء مقتضيات المجتمع. والواقع أن الإحباط يفاقم العدوانية الملازمة لثنائية المشاعر لدى الطفل، وهذه العدوانية تتحرك نحو الأنا العليا التي ترى قوتها عندئذ مقياس عداوة الطفل نفسه للأب الذي يفرض تحديات وممنوعات. وبمكتنا عندئذ أن نرى السبوك المازوخي تابعاً لتعلق الأنا الغلمي بالأنا العليا السادية.

وكان فرويد قد أكد، وهو يعرض للمرة الأولى مفهوم مثال الأنا (١٩١٤)، أهمية الجوانب النيبيدية والغلمية للربطة التي توحّد الطفل بأبويه - لا سيما أنه - فيما يخص تكوين مثال الأنا. ويؤكد فيما بعد تأكيداً واضحاً إلى الحد الأقصى، في عمر في الحضارة، ذلك الجانب العدواني والسادي. ولا يفوته مع ذلك أن يشير إلى أن مؤسسة المثل والمعايير السامية وطبيعة من وظائف الأنا، كذلك العقوبة التي يفرضها الوجدان الأخلاقي على الأنا عندما لا تتحقّق هذه المثل.

ويلجّ فرويد، في تاريخ متأخر بقدر ما هو عام ١٩٣٨، وفي كتابه مختصر التحليل النفسي، على تصوّره الأنا العليا بوصفها مرحلاً خاصاً حيث التأثير الأبوي يجد استجابة. ويضيف أن تفضيلات العلاقة بين الأنا والأنا العليا تصبح مفهومة كل النهم إذا أرجعناها إلى موقف الطفل من أبويه، وأن تأثير الأبوين يصبّ أيضاً على موروثي الجماعة الموسعة والأسرة

٦ - علامة التوحدات والأوديب

ربط فرويد ربطاً نوعياً نحو الآن العالماً بحل النزاع الأوديبى ورأى هذا النسور محصنة عاملين . المرحلة الضويلة لعجر الإنسان الصغير وظهور عقدة أوديب .

فعلاقة الطفل المبكرة بأمه علاقة اعتمادية - أي مبنية على القدرة الفعلية لدى الأم على إشباع حاجات الطفل الصغير الغريزية . أما الأب ، فإن فرويد يحسبه وكأنه يكون موضوع صرب من التوحد - لا من نوع التوحد الذي يقود إلى تكوين الأنا العليا ، بل باحري توحد مباشر وفوري يحدث قبل كل توظيف للموضوعات .

ويدوم هذا الوضع المبكر حتى المدة الزمنية التي تولد خلالها رغبات قضيبية في الأم . فالأب يدرك عندئذ (نحن نتكلم على الصبي الصغير) بوصفه مانعاً لهذه الرغبات الجنسية ولعواطف الطفل لزاءه الموسومة بثانية المشاعر .

فينبغي إذن لتوظيف الأم بوصفها موضوعاً جنسياً أن يهمل أو أن يحل محله إما توحد بالأم ، وإما تعزيز التوحد بالأب ، وذلك أمر يدعم ويوسع ذكورة الصبي الصغير ويتيح له أن يقيم علاقة محبة بأمه . وغلبة هذين التوحدتين النسبية تتأثر أيضاً بعقدة أوديب السنية وجنسية الطفل الثانية الجلية .

وتتزامن هذه التوحدات مع عقدة أوديب وتكون عناصر أساسية منها . فالتوحد بالأب يصور العلاقة بالموضوع الأم ويحل محل العلاقة الجنسية بالأب التي كانت تنسى إلى عقدة أوديب السلبية . كذلك يصور التوحد بالأم تلك الرابطة بالموضوع الأب ويحل محل العلاقة الجنسية المثلية السوية بالأم . ويعارض الطفل في الأنا العليا ظهور الغيرة بالمانع نفسه الذي كان يوجد في الخارج على صورة الأبوين . إنه يتنيس لهذا الغرض ، كما يعمون فرويد ، من آية القوة الضرورية ، بواسطة واحد به سابق .

٧ - ضروب النمو اللاحقة: سيكولوجيا الأنا وتحليل الطفل

مع أن فرويد أشار إلى تعقد مفهوم الأنا العليا في عدة مناسبات، نيس ثمة شك في أن الصعوبات التي كان يلمحها كانت تقع في معظمها، على محيط المفهوم باخري لا في وسطه. وإذا بحثنا عن الإذاعات التي أبقاها فرويد إلى مثال الأنا والأنا العليا - لا سيما خلال الستين والخمس عشرة التي تلت ظهور محاولته المعنونة «الأنا والهيو» - فليس بوسعنا أن نفوتنا الدهشة من تماسك صيغه الداخلي

ونحن نعلم أن التحليل النفسي لم يتطور في كل الاتجاهات بالسرعة نفسها وأنه أحرز تقدماً على وجه الخصوص، على أثر ظهور «الأنا والهيو»، في بعض المجالات ذات العلاقة بهذه المحاولة: أود أن أتكمم بوجه خاص على سيكولوجيا الأنا وتحليل الأطفال.

فإعادة النظر في نظرية الخصر، عام ١٩٢٦ (في الكف، العرض والخصر)، إذ ألح على الأنا بوصفها مركزاً وحيداً للمحصر أتاحت المجال - كما بين هارتمان وكريس (١٩٤٥) - لضروب نظرية من النمو ذات أهمية كبيرة في مجال سيكولوجيا الأنا. ويقولان: «إذا نظرنا إلى الأنا جهازاً نفسياً يسود الإدراك، وينوصّل إلى حنون ويوجه العمل، فينبغي لنا أن نلح على تميزات لم تكن تبدو ملائمة في الزمن الذي صاع خلاله للمرة الأولى قضايا في مجال علم الوراثة. وعمق كتاب أنا فرويد، الأنا وآليات الدفاع، معرفتنا وأضفى المنظومية عليها، معرفتنا بدفاعات الأنا ووسع مفهوم الدفاع إلى حد ضمته فكرة دفاع ضد الألم» انصائر عن المعالم الخارجي. وأدخل كتاب هارتمان، سيكولوجيا الأنا ومشاكل التكيف (١٩٣٩)، مفهومي التطور غير المتمايز وعمد الأنا الحالية من النزاعات، وكذلك مفهومي الاستغلال الأوني والتأوني.

ونحة وظائف للأنا، كاختبار الراجع، والإدراك، واندكره، والسببه على قدره التحرك، ووظيفه التأنيف، تشكل موصغ انبئه متنام، وأدخل مفهوم الطاقة المحبذة (هارتمان، كريس ونوبشتاين، ١٩٤٩)، وينكب المحللون العسبون على

نحو أجهزة الأنا، وأسيت على تلك التي حوّاه بالفكر والوظيفة المعرفية (الضر
 ريلور، ١٩٥٧)، وتبدو نظرية التحميل النفسي أنها تنطلق انطلاقاً من سرعة إلى حد
 تصح علم نفس عام. ويرز معاميل تشرب وفقه التحميل النفسي كتصرف الخبير
 التي ينجرها علم النفس الأكاديمي.

٨ - الإضاءة التي تقدمها سيكولوجيا الأنا

أثناء تقدم سيكولوجيا الأنا بعض المناطق الهامة على نحو خاص فهو منا،
 مفهوم الأنا العليا. وبعض وظائف الأنا العيب تحد نفسها بالتدريج وقد امتصتها
 مثال الأنا تدبها. إنها استضافة مثل واضح لدى فرويد نفسه في كتاباته، ذلك أنه
 كان، عام ١٩١٤ (وعام ١٩٢٦ مجدداً)، يعزو وقيمة اختبار الواقع إلى مثال الأنا،
 ثم إلى الأنا على نحو واضح تماماً عام ١٩٢٣. ولم تكن وضيفه الملاحظة الذاتية
 للأنا العليا قد تركزت عن طيب خاطر إلى الأنا (انظر شرف، ١٩٣٢) وكان التقابل
 بينة / وظيفة قد تدرس دراسة مرضية (ألع فرويد، أكثر من مرة، إلى الأنا العليا
 بوصفها «وظيفة الأنا»).

واكتشفت صروب لتعود سيكولوجيا الأنا أيضاً منطقته نظرية واسعة،
 أساسية إذا أخذنا نشوء الأنا العليا بالحسبان، الذي ما يزال قليل التوضيح. ومع أن
 مفاهيم التوحيد والاجتفاف والاستدحان تكون ذات قيمة علمياً عديدة، فإن وضعها
 الميتسيكولوجي في الرمن الزاهي معتقد وغاضب على الغضب، مع أن محاولات
 عديدة كانت قد جرت لتمييز بعضها من بعض (انظر يونيل، ١٩٢٦، ١٩٤٤،
 فولكرز، ١٩٣٧، نانب، ١٩٤١، غلرغر، ١٩٤٩، هاندريك، ١٩٥١،
 جاكوبسون، ١٩٥٣، وغرينسون، ١٩٥٤). ويستخدم فرويد مصطلح «توحيد»
 في عدد كبير من المعاني، بغية نفسية فتوحات المنفعة في كنف الأنا والأنا العليا،
 وينكس على توحيد (بالأب) بسوا العلاقات بالتوضيح أصف أنا يسقي تأن
 تأخذ بحسبان ما معناه أن بعض التوحيدات تير عبر متناسبه مع الأنا (غرينون،
 ١٩٥٤) والتوحيد، بوصفه شعاع، غير متميز غالباً، فضلاً عن ذلك، من

وبعض المؤلفين أبرزوا التمايز المفاهيمي بين الحواسب الليبديية (مثال الآن) والعدواتية (الأنا العليا بالمعنى الحقيقي للمصطلح) لأننا انعلبا إلى حد ستسوار ضناً أو صراحة بوجوديتين متميزتين. ويبرز هذا الميل في أعمال عدة مؤلفين ويعبره سروز وسجر الإنجيه، في دراسة أحادية عنوانها «الحجل والإثية» (١٩٥٣)، إلى نوتريس الأنا والأنا العليا، والحجل إلى نوتريس الأنا العليا ومثال الأنا. ويتكلم نشرق (١٩٣٢) على مفهومين، ولكنه يقول فيما بعد إن من الصعب عملياً أن تفصل بدقة أحدهما عن الآخر

١٠ - إسهام كبير صادر عن المحللين النفسيين للأطفال

ربما يكون المثبه الأقوى في سبيل فهم أفضل للأنا العليا ناجماً عن التجربة ونفاذ البصيرة لدى أولئك الذين يمارسون تحليل الأطفال. وهذا الأمر صحيح على وجه الخصوص فيما يتعلق بيشائر الأنا العليا ومجموع مشكل التطور الفردي للأنا العليا البالغة. والحقيقة أن المنظور التكويني - كما يقترحه هارتمان وكريس (١٩٤٥) - يمكنه تماماً أن يبين أنه الأكثر إضاءة والأكثر فائدة للمنظر في مفهوم الأنا العليا الصعب من جانبه الوظيفي والبنوي.

وتدلي أن فرويد منذ عام ١٩٢٦، في مجموعة من المحاضرات ألقاها في معهد التحليل النفسي فيينا (مسورة لاحقاً في التحليل النفسي للأطفال)، بعدد معين من الملاحظات الخاصة بالأنا العليا تمثل إضافة في الوصف الذي قدمه فرويد في «الأنا والهوى». وتسرعني اتبها هنا إلى الأهمية النسبية لتأثير العائمه الخارجي - الأبوين على وجه الخصوص - في حياة الطفل المصغير النفسية. ففي حين أن الاعصار، في الأنا العليا البالغة، عن الأبوين وتوحد الأنا العليا مهذين الأبوين يتجانس نجاحاً لدرجة من الاستعمال الكبير، فإن الانفصال عن الأبوين لدى الطفل لا يكون كاملاً على الإطلاق. ومع أن أنا علياً موجوده حقاً عقب الطور الأوديبى - فإن أهيتها، بالنسبة للطفل، ما تزال تابعة لعلاقاته الواقعية بالأبوين الواقعيين. والرفقة التي يمارسها الطفل عمى فاعليته هي إخراج الاتصالات على سبيل المثال،

تابعة، مع أنها تعكس ميلاً داخلياً إلى النظافة، تبعية واسعة في السنين الأولى لحالة علاقته بهذين الموضوعين الواقعيين. ويكفي أن تكون العلاقة بالموضوع الأم مضطربة حتى يمكن أن يحدث بسهولة تكوّن إلى عدم إمسك الفضلات وثمة، حتى خلال تطور الكسبون، تغييرات في العلاقة بالموضوعين الواقعيين يمكنها أن تؤثر في الأنا العليا، القائمة ولكنها غير البالغة، لدى الطفل. وبين هذا الوابط بالأبوين نفسه في شط مزيج من الأخلاق؛ أحدهما مخصص للعلاقات بالراتدين والأخر للطفل نفسه وللأطفال الآخرين؛ وتنتهي فيما بعد أن فرويد إلى أن تقترح أن المحلل ينبغي له أن يضطلع بدور مثال الأنا لدى الطفل خلال التحليل. فالتعديل في الأنا يُعد على هذا النحو، بسبب تبعية الطفل لموضوعه الواقعيين، أسهل لديه مما هو لدى المريض الراشد^(١٣١).

١١ - رأي ميلاني كلاين: أنا علياً كاملة مبكرة جداً

تهاجم ميلاني كلاين هجوماً عنيفاً عام ١٩٢٧، خلال ندوة من ندوات التحليل النفسي للأطفال انعقدت في لندن، تلك الأفكار النظرية والتفسيرية التي عبرت عنها أنا فرويد، وأرغب في أن أعرض أفكارها من حيث أنها تجبل إلى تكوين الأنا العليا. فميلاني كلاين ترى أن الأنا العليا، حتى لدى الطفل الصغير جداً - تُشب كثيراً الأنا العليا لدى الراشد ولا تطرأ عليها تعديلات كبيرة خلال النمو اللاحق. وبمكس أن تكون الأنا العليا لدى الطفل قاسية إلى الحد الأقصى وهي من هذا الجانب مختلفة كلياً عن الأبوين الواقعيين؛ والواقع أن الموضوعات المختلفة لا يمكنها، على أي حال، أن تكون ماثلة للأبوين الواقعيين.

وفي رأي ميلاني كلاين أن عقده أوديب نظراً في نهاية السنة الأولى من الحياة، في أعقاب العظام، وتطورها مقترناً بداية تكوين الأنا العليا؛ وتلك سيروية تبلغ نهايتها مع بداية مرحلة الكسبون. والأنا العليا الناجمة عنها ليست في الأساس

(١٣١) لفتت أنا فرويد نظر يمد إلى أن هذه، ربما، محلاً لتخلفي عن نظريتي الراشد والمري التي تطوّر وأعدت من محيط الطفل. إذ يمكنه التعديل على هذا النحو إن كان يتمتع على المشروع التحليلي من الخلفي المتصالح.

قابلة للتفساد وتميَّز ميلاني كلاين أن عباداً داخلية حفيضة (مختلعة عن ضروب الأنا العليا الأخرى التي يؤسِّسها الطفل) مغيرةً لأننا العليا التي تصفها أنا فرويد بوصفها ما تزال تعمل في شحصر الأيوس الواقعيين .

وتكرَّر ميلاني كلاين بعد بضع سنين ، في مقال عنوانه «النمو المبكر للوجدان» ، أن ثمة لدى الطفل ، قبل انحسار العقدة الأوديبيَّة ، أنا علياٌ كاملة عنيفة وقاسية إلى الحدِّ الأقصى . فالخاوف التي يعرضها الطفل التصغير من العالم الخارجى نتيجة عن واقع مفاده أن لديه عمه رؤية استيهامية ، بتأثير الأنا العليا ، فالصور الذهنيَّة المثالية الأولى لدى الطفل تتسم بسادية مخيفة مصدرها غريزة الموت ، والخاوف من هذه الصور الذهنيَّة المثالية تكون مسقطه . وتكمن الوظيفة المتكررة للأنا العليا في إيقاظ الحصر ، في حين أن قسوتها تُجد نفسها وقد تقصت خلال الطور القضيبى بفعل الشغلق الإيجابي للطفل بأمه ، ويتحوك الحصر إلى إنعيميَّة ، وتنشأ عاطفة الإنعيميَّة عن أن لدى الطفل انطباعاً مفاده أنه يهاجم ، حين يهاجم جسم أمه سادياً ، أباه وأخوته وأخواته ، الذين يحتويهم جسم الأم . وتولد العواطف الاحساعية انطلاقاً من الحاجة الملحة إلى أن يعيد بناء جسم الأم المضرورة ويرتمة . ومن المثير لبعض من الاهتمام مع ذلك أن ميلاني كلاين تميَّز الوجدان الأخلاقي من الأنا العليا ، إذ أنه لا يتأسس إلا بعد انحسار عقدة أوديب القضيبية .

١٢ - بدايات الأنا العليا: الربع الثاني من السنة الأولى

تحدِّد ميلاني كلاين ، في مقال عنوانه «في نحو العمل الوظيفي النفسي» (١٩٥٨) ، بداية الأنا في الربع الثاني من السنة الأولى من الحياة ونصف تكوينها كما يلي : دوافع التدمير انذاني (غريزة الموت) لدى الطفل الصغير ينبغي إسقاطها إلى الخارج ، ذلك أنها ترهقه إذ لم يُسقطها . فلا يجتياح يُستعمل ، بوصفه بخدم غرائز الخبايا إلى حد واسع ، ليؤثِّق غريزة الموت ، وهذان العنصران من القوى برتبطان بتدنى الأم ، الذي يستلغره الطفل ، تارة حيناً وضوراً سيئاً . وتدين ، انطلاقاً من بناء الموضوع الأولي «الطبيب» والموضوع الأولي «السيب» ، مشطراً أحدهما عن الآخر

سبب الحاجة إلى انسداد على حصر الاضطهاد. فميلاني كلاين تربط الانقسام مجدداً بين الآن والآن العلب بقطبية مجسومة من الغرائز (غريزة الحياة وغريزة الموت). والموضوع الطيب يدعم الآن التي يعرّفها نوحاً بالموضوع الموصاً إليه. وجزء منشطر من غريزة الموت، مرتبط بجزء معين من غرائز الحياة، يؤلف عندئذ قاعدة الأنا العليا، وكتيب الأنا العليا، بسبب انصهارها بغرائز الحياة، حصانص الحماية على السواء. وتؤكد ميلاني كلاين مع ذلك أن كل الموضوعات المستخنة ليست مندمجة في الأنا العليا ولكنها يمكنها أن تنشطر خارج هذه الأنا العليا وتندفن في اللاشعور العميق. وهذه الموضوعات، التي لا تشكل جزءاً من الأنا العليا، تتميز بفك الانصهار الغريزي، هي حين أن سيطرة الانصهار الغريزي في الآن العليا هي التي تتيح للأنا أن تقبلها، لأن هذين المرجعين يشاسمان الآن حوائب من الموضوع نفسه. وعدد اقتراب مرحلة الكمون، ينزل الجزء المنظم من الأنا العليا انزواً أكبر عن الجزء اللاشعوري وغير المنظم.

٩٣ - أضواء جديدة على بشائر الأنا العليا

هذه الأفكار التي عرضتها ميلاني كلاين، على الرغم من المفارق الذي يمكن أن نعزوه إلى اختلافات دلالية (رابابور [١٩٥٩] يسميه باسم «ميتولوجيا الهوس») بعيدة جداً عما نعلمه من سيكولوجيا الأنا. فتأكيداً وجود منظومة نفسية معقدة، معدة بعد الولادة على الفور، قادرة على أن تقوم بفاعليات استهامية معقدة جداً، والمعادلة التي نضعها بين الصور التذكيرية، والاستيهامات اللاشعورية، والاجتياقات والموضوعات الداخلية، ونقص التمييز بين الحالات الوحداية وتكوين الأحكام، إلخ - كل ذلك يختلف عن نمط التفكير الميتاسيكولوجي. وليس نمة شك مع ذلك هي أن الاقتراحات القابلة للمناقشة، التي عرضتها ميلاني كلاين فيما يخص نمو الأنا والأنا العليا، كان لها ديمون محرض، بمعنى أن استيهاها كبيراً كان قد انصب على بشائر الأنا العليا في الأطوار قبل الأينية. وأكب عدة مؤلفين، خلال الثمنين الأخيرة، على بشائر الأنا العليا، بالإضافة إلى الأعمال

الأقدم التي تناولت هذه البشائر، كإعمال إيشور (١٩٢٥) - التي انصب اهتمامها بصورة خاصة على الأنا العليا لدى المدمنين - وأعمال فورد نزي (١٩٢٦) التي وصفت كيفية خضوع الطفل لشمسيتات الأبوية خلال الطور الشرطي بفعل نمو «أخلاق الصارات». ونبن على هذا النحو آني راين وجود التوحذات المبكرة في «خط الأنا العليا» إذ تمثل هذه التوحذات عناصر عتيقة في كنف الأنا العليا؛ ويستعرض دافيد بيرس، استعراضاً أكثر حداثة، مجموع انشكك في مقال ذي إضاءة على نحو خاص (١٩٥٨). وأعمال سبيتر هامة على نحو فريد (١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٥٠، ١٩٥٧)، وبمعالج في دراسة حررها عام ١٩٥٨، نمو الأنسجة الجينية للأنا العليا في أولى السنين الأولى من حياة الطفل.

إن أعمال أولئك الذين ندر وأنفسهم ملاحظة الأطفال الباشرة - الأموية والمضطربين - هي التي، على وجه الخصوص، ألقت الضوء على المراحل المبكرة من تكوين الأنا العليا، بانتظر إني أن نمو الحس الاجتماعي لدى الطفل وظهور ضرب من الأخلاق يمكننا النظر إليهما كما لو أن نهما ارتباطاً وثيقاً بحالة علاقته بالموضوعات في سنواته الأولى، وأمكن أن يكتشف بعض المحللين النفسيين أن اضطراب هذه العلاقات يدرس تأثيراً كبيراً في العلاقات بالموضوع اللاحق، كما في تطور الأنا والأنا العليا.

١٤ - نتائج ضروب التقدم في معرفة الأنا العليا

رأينا أن عملاً كبيراً كان قد أنجز فيما يخص مختلف جوانب مفهوم الأنا العليا، منذ أن رسم فرويد مخطط الأطروحات الأولى لهذا المفهوم. ومن المدهش مع ذلك أن هذا العمل كان تحليلياً إلى حد واسع جداً - تحليلياً بمعنى أن عناصر الأنا العليا كانت قد وضعت تحت المنهج بوضوح تقنون وجزئت إلى مكوناتها البنوية، الهندسية، الاقتصادية والوراثية؛ والتحليلي يعني عكس أثر كيمي.

وكان قسم كبير مما يمكن أن نسبه مجال الأنا العليا معزواً إلى الأنا خلال هذه السيرة. وأناحت دراسات أكثر تفصيلاً أن تكتشف أصول مناطق أخرى في النهو وكثير من القطاعات الأخرى كانت أيضاً قد ربطت بتجزر الطفل الواقعة في بداية

حياته. وحدثت هذه السيرة دون أن تكون هذه الأجزاء المتخذة قد تكاملت في إطار متماسك، مع أن جزءاً من سلطة الأنا العليا، من حيث هي بناء نظري موحد، كان قد ضاع. ودافع فحص الأنا العليا بالتفصيل، بغية توضيحها، جعلها أكثر ضبابية في الواقع. فيما يخص الوصوح والبساطة النظريين على الأقل. وبالنظر إلى أن توسعاً أن نرى الأنا العليا نتاج التفاعل بين الهو والأنا والعالم الواقعي، فإن تشرحها النظري - فيما يتعلق بأصولها على وجه الخصوص - قاد في حد ذاته، إلى تبسيطها المفاهيمي بين الأنا والهو والعالم الواقعي. فالأنا العليا فقدت على هذا النحو، بمعنى: جزءاً من وحدتها النظرية بوصفها تنظيمياً متماسكاً لا يتقسم، وبوصفها شيئاً في ذاتها ومرجعاً في إنتاج النزاع النفسي. وأتاح تطور سيكولوجيا الأنا، مضرب من التضاد اندهش، أن يغني معرفتنا بالأنا، ذلك أن فحص وظائفها لم يفتنا خارج الأنا (إلا إلى، ربما، فكرة حالة لامتميزة). وكما أن الاهتمام النظري المتنامي بالأنا العليا يميل إلى تعقيد مفهوم بسيط نسبياً هي الأنا، كذلك برزت سيرة موارد خاصة بالعمل العيادي التحليلي النفسي ونحت عن أن تعمل في التحليل، جزئياً على الأقل، على نتائج العقدة الأوديبية، ونكسر حل العقدة الأوديبية نفسه هو الذي يكمن في أصل الأنا العليا. وإذا حدثنا نزاع الأنا العليا، فإننا نلاحظ حدوث ما يمكننا أن نسميه انحلالاً ظاهراً مفاهيمياً، خلال التحليل. فالعلاقات بالوضوع والتزاحات، التي أسهمت في تكوين الأنا العليا، احتجبت إذ توفقت في شخص المحلل. وكان أصل دوافع الهو المشحولة - التي تولد جزءاً كبيراً جداً من الأنا العليا - قد اكتشفت في الرغبات والاستهامات الغريزية المباشرة، والسيرة ذاتية والاجتماعية التي أسهمت كثيراً في شوء الأنا العليا كانت قد عدت إليات دوافع لأننا نرأىيات نكف هذه الأنا، الأليات المستخدمة خلال الأطوار اخرجة من النمو الأوديبى وقبل الأوديبى. وهذه السيرة يمكنها أن شعلتنا نغفل واقعاً مفاده أن الأنا العليا تنظيم له خصائصه الخاصة.

١٥ - ضرب من تصور الأنا العليا

تشكل انصياعاً المعروضة هذا، المؤقتة وغير التكملة، محاولة في تحديد إطار نظري أكثر من تقديم اقتراح إجمالي.

ومحاولات الطفل المختلفة، الهادفة إلى أن يهتم نوجسينه الأصلية، تنجح نحو الأنا نعسة مماثلة ويكتب فرويد، عام ١٩١٤، أن نمو الأنا يكتمل في ضرب من مراقب النرجسية الأولية وينبع المجال إلى محاولة قوية تهدف إلى استعادة هذه الحالة.

ويحور الطفل نقيات عديدة ليعيد هذه الحالة من الهناء الأصلي وأرغب في أن لا أخذ بالحساب منها سوى نقيتين هامتين لحديثنا:

١ - الطاعة والخضوع إلى مقتضيات الأبوين.

٢ - التوحد بالأبوين ومحاكائهما.

ومصطلح التوحد - انذي يمثل السبورة ونماجها - كان المحللون النفسيون قد استخدموه على أنحاء مختلفة والمحاولات الهادفة إلى تمييز توحدات الأنا من توحدات الأنا العليا أتاحت المجال إلى التباس كبير. ونحن لا نستخدم في النص الحالي هذا المصطلح إلا للدلالة على التوحدات التي تعدل الأنا، ونحن نرى أن ما نسميه «توحدات الأنا العليا» ضرب من التركيب الذي يستعين، من جهة، بالاجتياز، ومن جهة ثانية بتوحد الأنا المقابل.

١٦ - التوحد: سرورة رئيسة بلوغ الهناء الداخلي

نعدنا ملاحظة الأطفال الصغار جداً أن التوحدات بالأبوين وبالأخوين تؤلف جانباً من انسوانسوي، وأن التوحد لا يمكنه أن يعد في الحالات جميعها علاقة بالموضوع. وأنه أيضاً غير مستخدم دائماً على نحو دفاعي فالتوحدات العسرة يمكنها أن تصبح فيما بعد سمة دائمة من سمات شخصية الطفل، ولكن سلوة التوحد في توحدات مؤقتة تبقى بعد الظمونة وتؤلف خاصة من خصائص المرافقة. وبوسعنا أن نحول عن التوحد إنه يمثل سرورة تعدل محطقات الذات، المبني على

دراك، حائلي أو حاضر، لموضوع، وإن مثل هذا التعديل يمكنه أن يكون مؤقتاً أو دائماً، جزئياً أو كلياً، بمعنى الأنا أو غيرها، وفي ما يتوحد به الفرد، ووفق مدة الحاجة إلى مثل هذا التوحد.

وفي حين أن الطفل، في التوحد الأوتوي، يدمج - أو يخلط - المحفظات الأوتوية للذات مع محفظات شخص آخر، بحيث يلغي التمييز بين الذات واللاذات، يعدد محفظ الذات، في التوحد الثانوي، حتى يصبح مثل محفظ الموضوع، وجزء من التوظيف اللسدي للموضوع يتزاح نحو الذات. وينمو التوحد الثانوي الأكثر بدئية، الاكتساب الأكثر تأخر من الناحية الوصية بالنسبة للطفل، أقول يبدو انطلاقاً من أية أكثر بدئية، دائمة، تحت الرقابة، في كنف الأما بوصفه مكونة من مكونات القدرة على المشاركة الوجدانية. أما التوحد الأولي، فإنه يظهر أيضاً ظهوراً جديداً بوصفه سمة من سمات العمل التوظفي للأنا لدى العصاميين الذين تلعب القدرة لديهم على تمييز الذات من اللاذات. وبوسعنا أن نقول إن التوحد الثانوي يمثل محاولة تهدف إلى خلق وهم التوحد الأوتوي ويختلف التوحد الثانوي قليلاً عن التحاكة لدى الطفل الصغير، عندما بأن القصد الشعوري أكثر بروزاً في التحاكة. وليس ثمة ضرورة، في نهايات هذا العمل الخالي، أن نقيم تيراً أساسياً بين هاتين السورتين.

والتوحد يمنع الانطباع بأن يكون الفرد كالموضوع المنظور إليه بإعجاب والمضغى عليه الصفة المثالية، ولا يكون إلا واحداً معه، إنه، كما يؤكد فرويد، يمكنه أن يوجد بالنوازي مع العلاقات بالموضوع. وإذا تذكرنا سرور الطفل الصغير جداً حين يقلد شعورياً أو لا شعورياً - أنا أو محبوباً، فإننا يمكننا أن نؤكد أن التوحد يمثل تقنية ذات أهمية، تتيح للطفل أن يشعر أنه محبوب وأن يبيع حالة من الهناء الداخلي. وبوسعنا أن نقول إن الاعتبار المنروح للموضوع ذي القوة الكلية وموضع الإعجاب يتصف بعشر مرات في الذات ويتبع المجال تعاطفة حب الذات. ولدى الطفل انطباع أنه لا يكون إلا واحداً مع الموضوع وأنه قريب جداً منه؛ ولهذا السبب يجد الشعور بالسعادة مؤقتاً من جديد. تلك السعادة التي أحس بها خلدان أولى الأنام الأوتوي من حياته. والتصرف التوحدية بقوله أحب أيضاً والإشباع والدمج،

انصدار عن الموضوع الواقعي؟ ومن المدهش تماماً أن يلاحظ المرء إلى أي حد تتقدم نريسة الطفل بفضل المكافأة التي لا تصدر فحسب عن الشعور بأنه ذو قوة كلية كالترالد الذي يضفي عليه النصفه الثانية، بل التي تصدر عن علامات إيجابية جداً، علامات الحب والرضى، التي يقدقها على الطفل أبواه ومرتبزه. ومنذ نع الشعور بأنه محبوب، وحب الذات هي الوجه الواقعي لمحيط الطفل؛ وتصرفه التوحدي، في السنين الأولى من حياته، مخصص لزيادة شعوره بالهنا الداخلي بواسطة هذه الوجوه الواقعية.

١٧ - كسب نزوج تحفته الطاعة والتوحد

التوحدات يمكنها أن تستخدم وسيلة دفاع، لا سيما عندما يتعثر الطفل بمشكل يتورده إلى حل نزاع بين الحاجة إلى أن يحب الموضوع وعداوته لهذا الموضوع.

في الحالة المعروفة جيداً، حالة التوحد بالمعتدي، يساق الطفل إلى أن يصارع اخوف الذي يوحى به له شخص مرعب إذ يقلده صفات القوة الكلية والقدرة المرعبة. ويمكن أن يستخدم هذا التوحد أيضاً ليحاول الطفل أن يحل مشكلاً يرتبط بخسارة موضوع حب أو تراجمه. ويرافق على وجه العموم، في هذه الحالة الأخيرة، بضرب من اجشبات الموضوع، وتلك سرورة سعالجها فيما بعد، وتكون التوحد غير شبيه بالاحتياط كما سنعرفه هنا، واتسمير بين الاثنين أساسياً، كما ستلاحظ لنا، إذا أردنا أن نفهم تكون الأنا العليا

فتفتيننا إعادة شعور الطفل بأنه محجوب (وربادة مسوى التوظيف التليدي للذات) هما التوحد والطاعة. وتكن أيتي لتوحد والطاعة لا تعسلان بصورة منزلة إحداهما عن الأخرى. وينال الطفل، في فاعليات عديدة، ربحاً مردوحاً إذ يتصرف على نحو يتوحد بالأبوين وهو يضيعهما في الوقت نفسه. وهكذا يربح الطفل التسفير، وهو يغسل يديه بعناية تيرة بعد أن وسحهما وهو يلعب، في تسفير، إذ يفعل ما يريد ما، و إذ يكون مثل ما.

١٨ - مخطط الأنا العليا قبل التمتع بالاستقلال الذاتي

سوف في أنا التفضل ، خلال السنوات قبل الأوديبية ، تنظيم يعكس من جهة صفات الأبوس ، التي أصبحت عليها الصفة المثالية وهي مرغوبة . ويدفع الطفل إلى أن يتبنى سلوكاً معيناً هي علاقته بالثوخيوع من جهة ثالثة (إنه سلوك يتبع نصفاً أن يكتب الشعور بأنه محسود) ، وذلك أمر يتضمن الاستحسان والإحازة كما يتضمن التمتع والتفضير أيضاً . وليس المقصود بعدد بنية بالمعنى الذي يطلقه فرويد على هذا المصطلح في الأنا واليهو ، وذلك أن اجتناب السلطة الأبوية الذي يعزو إليه وضع الأنا العليا المستقلة تم حصول بعد . إنه مخطط أنا عليا قبل التمتع بالاستقلال الذاتي . إنه ضارب من الأنا العليا التحتية التي لا تحفل إلا تحت رقابة الأبوين وتؤلف جزءاً متميزاً من «نواقيح» الخاص بالطفل ، الذي تؤثر فيه النواقيح التعريزية والاستيهامات - شأنه شأن كلية عالمة انداخلي . وما يزال الطفل لم يكتسب القدرة على العمل مستغلاً ، إذا صح القول ، ولن يفعل ذلك قبل تدخل الاحنيافات الخاسمة التي ترافق حل النزاع الأوديبى . وما يمكنه أن يبدو أنه يؤلف توازناً بين الأنا والأنا العليا في المراحل قبل الأوديبية مبني على تقديران الطفل - الخاطئة على الغالب - لارتكاسات الأبوين .

١٩ - هل الأنا العليا متكونة بوصفها : راسياً في كنف الأنا؟

نحن نعلم أن الرؤية التي توحد لدى الطفل لأبويه ليست موضوعية إلا في حدود ضعيفة . وستكون مخططاته الأبوية متأثرة بخيالات محيية الخافية - ولا سيما بإسقاط عيوبه الخاصة على الأبوين . فالتفضل يمكنه أن يكون عاجزاً عن أن يتحمل الجوانب العدوانية والسادية للذات ، ذاته الخاصة ، وأن يحوي هذه السمات جزئياً من عاقبة انداخلي إلى جزء آخر منه - من غطه لذاته الخاصة إلى غطه لأبويه . وبهذا المعنى يكون الإسقاط عكس الترخيد .

١٨١ - استحداث مصطلح «مخططات» غطه غير متفق لاجل أن يكون بديلاً عن كني «الذات» غير متفق من حدسي . المصطلح «الذات» غير متفق لاجل أنه «الذات» التي هي «الذات» التي هي «الذات» حرة - حسنة

وبشارة الاستعانة من قصاص ونيك الوقوع أو من فقدان الحب، الصادرة عن مخطط الأنا العليا قبل التمتع بالاستقلال الذاتي، ما تزال لا تستحق اسم الإثنية، مع أن الحالة الوجدانية التي تولدها في الأنا يمكنها أن تكون عاقبة للحالة الوجدانية التي تسميها باسم الإثنية في مرحلة لاحقة من شأنها أن تفضل.

ونحن نربط مجدداً مو الأنا المعنية - بالمعنى الحقيقي لمصطلح - بالحصار العقدة الأوديبية. وكان فرويد يرى أن هذا النموذج ناتج عن التوافق الأوديبى فحسب - ولكنه الوسيلة نفسها أيضاً، التي تتيح للطفل حل هذا النزاع وتكون الأنا العليا في رأي فرويد - بوصفها - سبباً في كنف الأنا ونكوبها مرتبط بتقليص حزني ونسي للاهتمام والتعبية اللذين يُظهرهما للأبوين الواقعيين. ولم يعد المصدر الرئيسي لحب الذات يكمن في الأبوين الواقعيين بل في الأنا المعنية. والاحتياف للأبوين قد حدث وكانت بنية غير موجودة من قبل على هذه الصورة قد تكونت.

ويصبح من الضروري، في هذه المرحلة، أن نذكر المعنى الذي أطلق على مصطلح «احتياف» في هذا السياق، ذلك أن الوظائف التي سميها أنا العليا لم تكن، بعد كل شيء، موجودة آنفاً في ذهن الطفل على صورة مخططات أبوية؟ فما يميز المحتاف من المخطط الداخلي إنما هو، على وجه الدقة، قدرته على أن ينوب عن مصدر موضوع الواقعي أو جزء منه، بوصفه مصدر إشباع نفسي. وذلك أمر يستلزم أن المحتاف ينبغي له، على نحو من الأنحاء، أن ينمو خارج المخطط، ويملأ ويتبين داخل الأنا، بغية إشباعه. وأن تستطعم الأنا بدلاً للموضوع كافيًا حينئذ محتاف هو على هذا النحو عاقبة صرب من الانحلال، التكاملي أو الحزني، للعلاقة بالموضوع الواقعي

٢٠ - أمثال مشوهة وشرس للأبوين الواقعيين

مخطط الأنا العيب التي تتبع الاستقلال الذاتي - وتبين بالمعنى الذي وصفه فرويد في «الأنا العيب» - ذلك ما كان محسوساً من قبل أنه خاليه من استهجان الأبوين، بصدق الإثنية، على الرغم من أن التجربة الوجدانية تكون على وجه

الاحتمال هي نفسها هي الخالين؟ ويؤلف الحساس حب الذات مكونة أساسية من مكونات هذه احائه الوجدانية. إن هذا ما يسمّر الاتنية من المحصر ويربطها مجدداً معاظمة من التدوية والقصور، وبالحوالات الوجدانية المحسوسة في الحالات المرصية الاكثائية أيضاً.

ونستشعر الأنا أيضاً حائه وجدانية عكسية ذات أهمة مكافئة عندما تعمل الأنا والأنا العليا عندهما الوطني معا على نحو متناغم: أي عندهم يكون شعور انطفل أنه غير محبوب قد زتمه استنحيان الأنا العلي. وقد يكون أكثر صحة أن تتكلم على حائه من الرفاه الذهني والهناء. والمقصود هو العوض عن حائه وجدانية يشعرها الطفل عندما يظهر أنواع رضاهما واستنحيانها أمام إنجازاته، وعندما تُستعد الحائه المبحرة التي يكون فيها الطفل لا يشكّل سوى واحد مع أمه، استعادة مؤقتة. نشمة روابط بين هذه الحائه والخلفية الوجدانية من الثقة بالذات والضعف. كذلك مع الحائه المرصية من أزمة النهوس.

وبين فرويد. كيف أن تكون الأنا العليا والتوحد مقترنان كلاهما ينزع الصفة الجنسية عن الأهداف اللبيدية للطفل وبفك الاستجابك التعريزي. وهذا الفك للاشهادك ينصح للطفل أن يصون عواطف الحان لديه نحو أبويه وأن يقني حاجاته المدمرة في مخططه متين الآن. من صفات الأبوين وساو كهما أي في أنه العليا. إنه الإجراء الذي لا يمكن أن تعر فيه غرائزه العدوانية عن نفسها في الأنا، التي تحدد درجة فسوه أناها العليا. وحتى شراسها. وذلك يمكنه أن يصل إلى نقطة حيث الأنا العليا تؤلف امتثالاً للأبوين الواقعيين في الطفولة مشوهاً إلى حد كبير. وهكذا إنما تكون الأنا العليا أيضاً، كما أكد فرويد بصورة متواترة، مثللاً للهو، وذات اتصال وثيق ودائم معه.

٢٦ - عندما ترفض الأنا اقتراحات الأنا العليا

ثمة ميل بارز، في الكتابات المتحللة النفسية، إلى تحب الخراب الإجابي حاداً من علامات انطفل بأنه العليا، علاقة مشددة على واقع متشابه أن الأنا العليا يمكنها أن تؤلف أيضاً مصدراً واقع للتحب والهناء. إيجابا تعين عملها التوضاعي

تسبحن وتدين على السواء؛ وإيمان المحللين النفسيين انسي جانب الأنا العليا الذي يستحسن ربما يكون ناجم عن أنهم كلهم معيّنون أول الأمر - بوصفهم معالجين نفسيين أكثر مما هم مربّون - بالتراعات وضروب عدم الانسجام الداخلية والتوحيد تقنية تتيح تعديل الذات بغية أن تتوافق قديماً أو كتبراً مع الموضوع كما تدركه الأنا. والشودج، بالنسبة للأنا، يمكنه أن يكون شخصاً واقعياً أو شيئاً مجتافاً. ويمكن أن تستخدم الأنا، في هذه الحالة من الأمور، قدرتها على التوحيد حتى تحصل على كسب نبيدي، إذ لا تشكل سوى واحد مع شخص آخر نفسي عليه الصفة المثالية أو نخشاه (أو الخائين معنا)، أو أنها تشعر أنه مختلط بالموضوع المتجفاف الذي يضم امتثالاً للتصرف، والمظهر والاتجاهات الأبوية. وبرسماً على هذا النحو أن نستبدل، في الأنا العليا، بمفهوم التوحيد بالموضوع المتجفاف، مفهوم التوحيد. وذلك أمر بعدك محتوى الذات دون أن يفرض لهذا السبب إلى تكوين بيئة نفسه. وعندما تعمل الأنا والأنا العليا معاً بصورة منسجمة، فإن هذا الانسجام ربما يبلغه مثل هذا التوحيد من جانب الأنا، وربما تبلغه الطاعة المباشرة أو الخضوع إلى أوامر الأنا العليا ومقتضياتها

وكون التبعة للأنا العليا تدوم طويلاً جداً وتكون سبب تغيرات، دائمة قليلاً أو كثيراً، في هذه الأنا العليا، بين إلى أي حد تكون تبعية الطفل لأبويه توافقيين مصدر أرماع نرجسة في أروني السنين الأولى من حياته. ولكن الأنا لا تقدم دعماً للأنا العليا إلا بمقدار ما تظل هذه الأنا العليا تعمل بحسبها الوظيفي، بدورها، بوصفه بدعم الأنا؛ ونمة أو صاع يمكن أن ترفض فيها الأنا. وهي ستفعل ذلك - فاذبح الآن العليا وأمرها عندما يمكنها أن تنال في مكان آخر دعماً نرجسماً كافيًا. ونحن نشهد هذه الظاهرة المؤثرة خلال التغيرات، التي نشه الأهتمام، في المثلث، والفضح، والأخلاق، تغيرات يمكنها أن تنجم عن ارتداء البرية النظامية وعن الشعور بالتمسك مع جسدنا. وإذا كان الحصول على دعم نرجسي كافٍ، بواسطة التوحيد مثل جسدنا أو زعيم، يمكن، فإن الأنا العليا يمكن أن تجد نفسها عندئذ محترقة كنياً، وتستعيد مثل أحداً، وتعالجها، وسلوكها. وقد تفعل، وإذا أمانت مثل

الجماعة محالاً لإشباع الرغبات الغريزية المباشرة، فإن تحولاً قلبياً في الصبح يمكنه أن يتدخل، وميأس هذا المتخلى عن الأنا العليا بوضوح بانتقال تلك القطاعات المروعة التي ارتكبها النازيون قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. ونشهد أيضاً تغيرات أخلاقية عندما يكون شخص محبوباً جداً من آخر، وتصبح الأنا العليا عندئذ أقل انشغافاً بأنها صرورية، بوصفها مصدر حب وحنان.

٢٢ - حلول تبيح الإفلات من الأنا العليا... أو التفاهم معها

تعدّم الحياة العادية أمثلة عديدة لتدخّر الذي يمكن عليه أن تحلّ الأخلاقيّة ومثل الجماعة محلّ أخلاق شخصية، بما في ذلك الهداية الدنيوية، وتكوين العصابات، وعبادة الأبطال في المراهقة. ودور دعم التحلّل - الذي يمكنه أن يُقدّم السلطة الأبوية - يمكنه، في العلاج النفسي والتحليل، أن يتيح تقليصاً في تبعية الأنا للأنا العليا، قافياً حتى ينفذ الوعي إلى تلك المادة المنوَّحة والمكبوتة وحتى يكون امتصاص النزاع الداخلي أمراً ممكناً.

وتطراً ظاهرات مشابهة عندما يمكن أن تحصل على الشعور بالهنا في الذات بواسطة المخدر؟ والإدمان على الكحول يمكنه عندئذ أن يحل محل ما يمكنه تسيته باسم «هوس الأنا العليا العادي». والواقع أن مزاجاً استطاع أن يعرّف الأنا العليا بوصفها هذا الجزء، من الجهاز النفسي الذي ينحلّ في الكحول.

وأكدت إنا فرويد أن تأسيس الأنا العليا لا يقضي إقصاء تاماً تبعية الطفل لأبويه الواقعيين والتوجه الأبوية بوصفهم مصدر الحب، وعندما نتكلم عن استقلال الطفل خلال مرحلة الكمون، يكون المقصود استقلالاً نسبياً تاماً. وهذه التبعية للأخريين، بوصفهم مصدر حب الذات، تدوم، إلى حدّ من الحدود، طوال الحياة ونحن نعلم جميعاً كيف أن دعم صديق ومواساته يمكنها تخفيف شعور بحس داخلي.

والأنا يمكنها أيضاً أن تشوِّك الأخريين في علاقتها مع أباها العليا، ومثال ذلك إذا كانت بحاجة إلى أن يرعمهم على دعم أباها العليا وهي تحت على

الاستحسان والعقور أو الغفاس . ونحن نشهد ، فيما نسميه إسقاط الأنا العليا (أو إضعاف الصفة الخارجية عليها) ، صريحا من محاولة تفهم بي الأنا، تهدف إلى أن تعيد موضوعات الأنا العليا إلى العالم الخارجي والمقصود، بمعنى من المعاني ، محاولة تكوّن سطر إلى أن هذه الآلية تشجعها التوضع التحليلي حيث نلتم على صورته تحليل للأنا العليا . وبظهر أيضا إدخال الآخرين في نزاع الأنا العليا ، هي الماروخية المعنوية (كون الأنا تنبئ اتجاهها مازوخيا إزاء الأنا العليا يحل إلى رباط بالأبوين سابق) .

٢٣ - من السعادة المفقودة إلى الفردوس المكتشف

مصدر الأفكار القاعدية التي عبرت عنها هنا مقال فرويد المعنون «إدخال الرجسية» . ودور الرجسية في النمو وفي وظيفة الأنا العليا هو الذي يقتضي ، على وجه الدقة ، أن نسرع الانتباه إليه . فتوظيف الذات الرجسية مهددة منذ الولادة ، حرآ تشابه الحياة الغريزية لدى الطفل - بجوانبها اللسانية والهدوانة - وجراء مقتضيات العالم الواقعي وإحباطاته . وتعمل منذ البداية تلك العوامل التي ستكون ، في نهاية المطاف ، محددة بالنسبة للأنا العليا ؛ وما نسميه بشائر الأنا ستكون ، مع ذلك ، جزءا مكتملا من نمو الأنا نفسها ؛ ولا تولد الأنا العليا ، بوصفها بنية ، إلا حينما تحل العقدة الأوديبية . ويبدو وجودها ، على الرغم من أنها تكون على العالء عامل أتم وتدمير ، أنه مرتبط بمحاولات الطفل الهادفة إلى جعل الفردوس المفقود فردوسا مكتشفا .

جوريف ساندلر

ترجمة المقال عن الإنغليزية

جانين شاسفة سميرجل

وس . م . أيليرا

BIBLIOGRAPHIE

- ABRAHAM K. • Examen de l'étape pré-génitale la plus précoce du développement de la libido ». in *Développement de la libido*. Œuvres complètes, t. 2. Payot, Paris, 1966.
- BARRY M. J. Jr. • The Incest Barrier » in *The Psychoanalytic Quarterly*, vol. 27, 1958. Extraits in revue française de Psychanalyse, vol. 23, 1959.
- BLINASSE M. • Théorie de l'instinct ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 17, n° 1-2, 1953 ; • Fantasmie et réalité dans le transfert ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 21, n° 3, p. 1-78, 1959 ; • Les théories du Moi en psychanalyse ». in *Bulletin de Psychologie* (Paris), vol. 16, 1963.
- ARLOW J. et BRENNER C. • *Psychoanalytic Concepts and the Structural Theory*. International University Press, New York, 1964.
- ARLOW J. • Conflit, régression et formation des symptômes ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 27, n° 1, 1963.
- BERES D. • Viscissitudes of Superego Functions and Superego Precursors in Childhood ». in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 13, 1958 ; • Current Status of the Theory of the Superego ». *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 13, n° 1, 1965.
- BERGLER Ed. • Das Rätsel der Bewusstheit des "Oedipus-Komplexes" » (Congrès international de psychanalyse, Marienhad, Altmühl, 1936). *La névrose de base*. Payot, Paris, 1963. *The Superego : Unconscious Conscience*. Grune and Stratton, New York, 1952.
- BINFEL P. et FOLCH MATEU P. • Problèmes cliniques et techniques du contre-transfert ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 27, numéro spécial, 1963.
- BOUYER M. • Le Moi dans la névrose obsessionnelle ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 17, n° 1-2, 1953.
- CAS A. • The presuperego "turning-inward" of aggression ». *The Psychoanalytic Quarterly*, vol. 30, 1961.
- CHASSEIGNE-SMIRGOL J. • *La culpabilité féminine. Recherches psychanalytiques nouvelles sur la sexualité féminine*. Payot, Paris, 1964. *L'Idéal du Moi. Essai psychanalytique sur la « maladie d'idéalité »*. Tchou, Paris, 1975. Colloque de la Société Psychanalytique de Paris (Artigny, 7-8 mars 1964). • Le Narcissisme », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 26, n° 3-6, 1963.
- ÉBERT A. • Le Surmoi, son origine, sa nature et sa relation avec la conscience morale ». in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 33, 1967.
- DASSON Max. *Das Ich, der Trieb, der Tod*. Stuttgart, Enke, 1947.
- DE VRIES R. • Agressivité et fantasme d'agression » (25^e Congrès des Psychanalystes de langues romanes, Milan, 1964). in *Revue française de Psychanalyse*, t. 30, 1964.
- (1) • « Complexes Nicholas N. » Schéma psychanalytique de l'appareil psychique et de ses processus ». in *Évolution psychiatrique*, vol. 1, 1951. • La fixation surmoïque et le Moi revotique ». in *Acta Psychotherapeutica, Psychosomanea et Orthopaedagogica*, vol. 1, 1953-54. • La préoccupation psychanalytique pour l'adaptation du Moi à la réalité extérieure », in *Journal du Congrès mondial de Psychiatrie*, sept. 1950, n° 3.
- (2) GALTIER M. • De la fonction du Surmoi ». in *Revue française de Psychanalyse*, t. 12, n° 4, 1948.
- (3) KE Dieter. • Das Gewissen und das Über-Ich », in *Wege zum Menschen*, vol. 16, 1954.

- ELLSLER Kurt Robert. « On the metapsychology of the preconscious: a tentative contribution to psychoanalytic morphology. » « The psychoanalytic study of the Child ». Int. Univ. Press, vol. 17, New York, 1962. « The effect of the structure of the Ego on psychoanalytic technique ». J. Amer. Psychoanalytic Association, vol. 1, 1953.
- FEDERN P. « Narcissismus im Ichgefüge », in Int. Z. für Psychoanalyse, vol. 13, 1927. « Zur Unterscheidung des Gesunden und Krankhaften Narcissismus », in Imago, vol. 22, 1936. « Das Erwackende Ich im Traume », Int. Z. für Psychoanalyse, vol. 20, 1934.
- FENICHEL Otto. « The Ego and the Affects », The Psychoanalytical Review, vol. 28, 1941. « Spezialformen des Ödipuskomplexes », Int. Z. für Psychoanalyse, vol. 18, 1931. « The Means of Education », in Psychoanalytic Study of the Child, vol. 1, 1943. *Théorie psychanalytique des névroses* (trad. M. SCHLUMBERGER, C. PIPOUX, M. CAHEN et M. FAIN), Presses Universitaires de France, Paris, 1953.
- FREUD S., *Further Contributions to the Theory and Technique of Psychoanalysis*, Hogarth Press, Londres, 1926.
- FISHER Charles, « Dream, images and perception. A study of unconscious-preconscious relationships », in J. Amer. Psychoanalytic Association, vol. 2, 1954.
- FORNARI Franco. « Sentiments de culpabilité et structuration du Surmoi », in Revue française de Psychanalyse, vol. 31, 1967. *Psychanalyse de la guerre*, 25^e Congrès des Psychanalystes de langues romanes, Milan, 1964. Presses Universitaires de France, Paris, 1964. « Surmoi comme élaboration normale du deuil », *Psicanalisi della guerra*, Milan, 1966.
- FREUD Anna. *Le Moi et les mécanismes de défense* (trad. BERMAN), Presses Universitaires de France, Paris, 1949. « Psychoanalysis and Education », in Psychoanalytic Study of the Child, vol. 9, 1954.
- FREUD Sigmund. *Totem et tabou* (trad. JANKÉLÉVITCH), Payot, Paris, 1924. *On Narcissism: an Introduction* Standard Edition, Hogarth Press, Londres, vol. 14, 1961. *Métapsychologie* (trad. BONAPARTE et BERMAN), Gallimard, N.R.F., Paris, 8^e éd., 1940. « Psychologie collective et analyse du moi », in *Essais de psychanalyse* (trad. JANKÉLÉVITCH), Payot, Paris, 1951. *The Ego and the Id*, Standard Edition, Hogarth Press, Londres, 1961. « Le Moi et le Ça », in *Essais de psychanalyse* (trad. JANKÉLÉVITCH), Payot, Paris, 1951. *Inhibition, symptômes etangoisse* (trad. JURY et FRAENKEL), Presses Universitaires de France, Paris, 1951. *Humour* Standard Edition, Hogarth Press, vol. 21, Londres, 1961. « Malaise dans la civilisation » (trad. ODIER), in *Revue française de Psychanalyse*, t. 7, n^o 4, 1934. *Nouvelles Conférences sur la psychanalyse* (trad. BERMAN), Gallimard, N.R.F., Paris, 10^e éd., 1936. *Abrégé de psychanalyse*, Presses Universitaires de France, Paris, 1951. « Analyse terminée et analyse interminable » (trad. BERMAN), in *Revue française de Psychanalyse*, t. 11, n^o 1, 1939. *Œdipe et le monothéisme* (trad. BERMAN), Gallimard, N.R.F., Paris, 1955.
- FURER M., « Current status of the theory of the Superego », in J. Amer. Psychoanalytic Association, vol. 13, n^o 1, 1965.
- GLOVER Edward, « The concept of dissociation », in Int. J. Psychoanalysis, vol. 24, 1943. *Technics of psychoanalysis (1938-1940)* (*Technique de la psychanalyse*), Presses Universitaires de France, Paris, 1958. « Basic mental concepts, their clinical and theoretical value », in *The Psychoanalytic Quarterly*, vol. 16, 1947. « Examination of the Klein System of child psychology », in *psychoanalytic Study of the Child*, vol. 1, 1945. *Functional aspects of the mental apparatus. On the early development of mind*, Int. Univ. Press, New York, 1936.

- GLOVER James. « Der Begriff des Ichs », in *Int. Z. für ärztliche Psychoanalyse* : *Int. Z. für Psychoanalyse*, vol. 12, 1962.
- GOODMAN S. « Current status of the theory of the Superego », *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 13, 1965.
- GROSSOT Michel. « L'interdit de l'inceste précurseur et noyau du Surmoi œdipien organisent la différenciation individuoso-ciale en garantissant la dualité des sexes », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 31, 1967.
- GRÜNDECK Georg W. « Wege zum Es », in *Psychoanalytische Bewegung*, vol. 4, 1922. « Die Psychoanalyse und das Es », in *Int. Z. für ärztliche Psychoanalyse*, *Int. Z. für Psychoanalyse*, vol. 11, 1925. *Le livre du Ça*, Gallimard, Paris, 1973. *Ça et Moi*, Gallimard, Paris, 1978.
- GUILBERGER B. « Étude sur la relation objectale anale », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 24, n° 2, 1960. « L'antisémitisme devant l'Œdipe », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 26, n° 6, 1962. « Considérations sur le clivage entre le narcissisme et la maturation pulsionnelle », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 26, n° 2, 1962. « De l'imago phallique », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 28, n° 2, 1964. « Étude sur la dépression », *Revue française de Psychanalyse*, t. 29, n° 3, 1965.
- GUICH G. « Les conditions intellectuelles et affectives de l'Œdipe », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 12, n° 2, 1949.
- HARTMANN Heinz. « Commentaires sur la théorie psychanalytique du Moi », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 31, 1967. *La psychologie du Moi et le problème de l'adaptation*, P.U.F. Paris, 1968. *Essays on Ego Psychology and Selected Problems in Psychoanalytic Theory*, Int. Univ. Press, New York, 1964. « Notes sur le principe de réalité », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 31, 1967. « Les influences réciproques du Moi et du Ça dans le développement », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 31, 1967. « Notes on the theory of sublimation », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 10, 1955. « Current status of the theory of the Superego », in *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 13, n° 1, 1965.
- HARTMANN H. et KRIS E. « The genetic approach in Psychoanalysis », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 1, 1945.
- HARTMANN H., KRIS E. et LOEWENSTEIN R. « Comments on the formation of psychic structure », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 2, 1946. « Notes on the theory of aggression », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 3-4, 1949. « Notes sur le Surmoi » (trad. MASSOUBRE), in *Revue française de Psychanalyse*, t. 28, n° 3-6, 1964.
- HERMANN Imré. « Zur Triebbesetzung von Ich und Über Ich », in *Int. Z. für ärztliche Psychoanalyse*, *Int. Z. für Psychoanalyse*, vol. 25, 1940.
- HESS-VEB Angela Louis Marie. « Évolution de la notion de Surmoi dans la théorie de la psychanalyse », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 15, 1951. « Moi et l'Autre », in *Psyché*, vol. 9, Paris, 1954. « Critique des notions de SurÇa et de pseudo morale », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 1, pp. 73-75, 1927 (voir dernière conférence des Psychoanalystes de langue française).
- JACOBSON E. « Depression. The Œdipus conflict in the development of depressive mechanism », in *Psychoanalytic Quarterly*, vol. 12, 1943. « Development of the wish for a child in boys », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 5, 1950. « The self and the object world », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 9, 1954. « Problems of identifications », in *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 1, 1953. « On normal and pathological moods », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 12, 1957.

- JONES E., « La conception du Surmoi », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 1, n° 2, 1927. « Phallische Phase », in *Int. Z. für Psychoanalyse*, vol. 13, 1932.
- JUNG Carl Gustav, *Dialectique du Moi et de l'inconscient*, Gallimard, Paris, 1964.
- KAUFMAN J., « Relationship between therapy of children and Superego development », in *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 8, 1960.
- KESTEMBERG E. et KESTEMBERG J., *Contribution à la psychanalyse génétique*. Presses Universitaires de France, Paris, 1965.
- KLEIN Mélanie, « Les premiers stades du conflit œdipien et la formation du Surmoi », in *Psychanalyse des enfants* (trad. J. P. BOLLANDEUR), Presses Universitaires de France, Paris, 1959. « The Œdipus Complex in the light of Early Anxieties », in *Int. J. Psychoanalysis*, vol. 26, 1945. « Les premiers stades du conflit œdipien et la formation du Surmoi. » « Le rôle des premières situations anxiogènes dans la formation du Moi. » « Le retentissement des premières situations anxiogènes sur le développement sexuel de la fille. » « Le retentissement des premières situations anxiogènes sur le développement sexuel du garçon » in *La psychanalyse des enfants*. P.U.F., Paris, 1955.
- LACAN Jacques, « Some reflection on the Ego », Conférence à la British Psychoanalytic Society, 2 mai 1951. *The Psychoanalytic Quarterly*, vol. 23, 1954. *Le séminaire*, livre I « Écrits techniques de Freud », Seuil, Paris, 1975. *Le séminaire*, livre II « Le Moi dans la théorie de Freud et dans la technique de la psychanalyse », Seuil, Paris, 1978.
- LAFORGUE R., « A propos du Surmoi », in *Revue française de psychanalyse*, t. 1, 1927.
- LAGACHE D., « Le problème du transfert », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 16, n° 1-2, pp. 5-74, 1952. « Fascination de la conscience pour le moi », in *Psychanalyse*, vol. 3, 1957. « La psychanalyse et la structure de la personnalité », in *Psychanalyse* (P.U.F.), vol. 6, 1961.
- LANDE DE GROOT J., « Idéal du Moi et Surmoi », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 27, 1963.
- LAUFER M., « Ego Ideal and pseudo Ego Ideal in adolescence », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 19, 1964.
- LAUGHLIN Henry P., *The Ego defenses*, Appleton Century, New York, 1969.
- LEBOVICI S., « La relation objective chez l'enfant », in *Psychiatrie de l'enfant*, Presses Universitaires de France, vol. 3, n° 1, 1960. « A propos de la lecture de textes freudiens sur le narcissisme », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 29, 1965.
- LECHAT F., « Angoisse et résistances - contribution à l'étude phénoménologique du Moi », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 12, 1948. « Importance de l'Idéal du Moi », in *Bul. Association des Psychanalystes belges*, vol. 4, 1949. « Du Surmoi », *Ibidem*, vol. 12. « Autour du principe de plaisir », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 21, 1957.
- LICHTENSTEIN H., « Current status of the theory of the Superego », in *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 13, n° 1, pp. 172-180, 1965.
- LOEWALD H.W., « Internalization, separation, mourning and the Superego », in *Psychoanalytic Quarterly*, vol. 31, 1962. « The Superego and the Ego Ideal, Superego and Time », in *Int. J. of Psychoanalysis*, vol. 43, n° 4-5, 1962. « Le Surmoi et le temps », *Revue française de Psychanalyse*, vol. 27, 1963. « Ego and Reality », in *Int. J. of Psychoanalysis*, vol. 32, 1951.
- LOEWENSTEIN R., « L'origine du masochisme et la théorie des pulsions », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 13, 1949. « Conflict and autonomous ego development during phallic phase », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 5, 1950.

- « Current status of the theory of the Superego », *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 13, n° 1, pp. 172-180, 1965. « On the theory of the Superego: a discussion. *Psychoanalysis. A general psychology. Essays in honor of Heinz Hartmann*, Int. Univ. Press, New York, 1966.
- LOWENFELD Henry et Yella, « On permissive society and the Superego. Some current thoughts about Freud's cultural concepts. » (*J. Psychoanalytic Quarterly*, vol. 39, 1970).
- LUQUET P., « Les identifications précoces dans la structuration et la restructuration du Moi », in *Revue de Psychanalyse*, t. 26, 1962. « Introduction à la discussion sur le narcissisme secondaire », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 29, n° 5-6, 1965. « Intervention sur agressivité et fantasmes d'agression » (R. DIATKINE, 1964), in *Revue française de Psychanalyse*, t. 30, numéro spécial, 1966. « Processus analytique et intégration du Moi », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 33, 1969.
- LUQUET PARRAZ C., *Les deux stades du changement d'objet. Recherches psychanalytiques nouvelles sur la sexualité féminine*. Payot, Paris, 1964.
- MENAKER Esther et William, *Ego in evolution*, Grove Press, New York, 1965.
- MISES R., « L'intégration du père dans les conflits précoces », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 28, 1964.
- MOORE A.H., « On having the right to a life: aspect of the Superego's development », in *Int. J. of Psychoanalysis*, vol. 46, n° 3, 1965.
- MORANBY J.C., « Mother, God and Superego », *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 2, 1954.
- NACHT S., *Le masochisme*. 10^e Conférence des Psychanalystes de langue française, Paris, 21-22 février 1938, Denoël, Paris, 1938. « Du Moi et de son rôle dans la thérapeutique », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 12, n° 1, 1948. *De la pratique à la théorie psychanalytique*. Presses Universitaires de France, Paris, 1950. « Les facteurs de guérison dans le traitement psychanalytique », 23^e Congrès Int. Psychanalyse (Edimbourg, 30 juillet-3 août 1961), *Revue française de Psychanalyse*, t. 27, n° 4-5, 1963. « Du Moi et de son rôle dans la thérapeutique psychanalytique », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 24, 1948. « Les nouvelles théories psychanalytiques sur le Moi et leurs répercussions sur l'orientation méthodologique », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 15, 1951.
- NIGHT S. et RACAMER P.C., « Les états dépressifs: étude psychanalytique », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 23, n° 5, 1959.
- NAYH Martine L., « The Superego and moral development in the theories of Freud and Piaget », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 21, 1966.
- NOVAK S., « The role of Superego and Ego ideal in character formation », in *Int. J. Psychoanalysis*, vol. 36, 1955.
- OLIVE Ch., « Contribution à l'étude du Surmoi et du phénomène moral », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 1, 1927. « Une névrose sans complexe d'Édipe », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 6, n° 3-4, 1933.
- OSROW Mortimer, « The structural model: Ego, Id and Superego », in *Conceptual and Methodological problems in Psychoanalysis*, *Annuary of New York Academy of Science*, vol. 76, 1959.
- PACELLA B., « Early Ego development and the "déjà vu" », in *J. Amer. Psychoanalytic Association*, vol. 23, n° 2, 1915.
- PASCHE F., « Régression, perversion, névrose », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 26, n° 2-3, 1962. « De la dépression », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 21, n° 2-3, 1963.

- PIAGET J. *Le jugement et le raisonnement chez l'enfant*. Librairie Félix Alcan, 1932. *La naissance de l'intelligence chez l'enfant*. Delachaux et Niestlé, Paris, 1936. *La construction du réel chez l'enfant*. Delachaux et Niestlé, 1937. « The Affective unconscious and the cognitive unconscious » in vol. 21, n° 2, 1973.
- RACAMIER P.C., « Le Moi, le Soi, la personne et la psychose (Essai sur la personnalisation) », in *L'évolution psychiatrique*, t. 28, n° 4. Privat-Didier, Paris, 1963.
- RADO S., « Das Ökonomische Prinzip in Psychoanalytische Technik », in *Int. Z. für Psychoanalyse*, t. 6, 1925.
- RANGELE L., « Nouvel essai pour résoudre le problème de l'angoisse », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 35, 1971. « Choice conflict and the decision-making function of the Ego, a psychoanalytic contribution to decision theory », in *Int. J. Psychoanalysis*, vol. 50, 1969.
- RAPAPORT David, « L'autonomie du Moi », in *Psyche* (Paris), 1954.
- REICH Wilhelm, « Der Triebhafte Charakter ; eine psychoanalytische Studie zur Pathologie des Ich », in *Neue Arbeiten zur ärztlichen Psychoanalyse*, 4, Leipzig Internationaler Psychoanalytische Verlag, 1925.
- RITVO S. et SOLNET A.J., « Rapport entre le début des identifications du Moi et la formation du Surmoi », in *Revue française de Psychanalyse*, t. 25, 1961.
- ROSENFELD Herbert A., « Le Surmoi et l'Idéal du Moi », in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 27, 1963.
- SANDLER J., HOLDER A. et MEERS D., « The Ego ideal and the ideal self », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 18, 1963.
- SANDS William L., « Discussion of M. Ostow : "The structural model : Ego, Id and Superego" in *Annuary of New York Acad. Science*, vol. 76, 1959.
- SCHAFFER R., « The loving and beloved Superego in Freud's structural theory », in *Psychoanalytic Study of the Child*, vol. 15, 1960.
- SCHLESSINGER N. et ROBBINS F.F., « The psychoanalytic process : recurrent patterns of conflict and changes in Ego function », in *Journal*, vol. 23, n° 4, 1975.
- SCHUR Max, *The Id and the Regulatory Principles of Mental Functioning*. New York, International University Press, 1966. London, Hogarth Press, 1967. « The Ego and the Id in anxiety », in *Psychoanalytic Study of the Child*, Int. Univ. Press, New York, vol. 13, 1958.
- SPIEGEL Leo Angelo, « Superego and the function of anticipation in comments on anticipatory anxiety », in Loewenstein K.M. et coll., *Psychoanalysis - A general Psychology. Essays in Honor of Heinz Hartmann*, Int. Univ. Press, New York, 1966.
- SPITZ R. A., *Le non et le oui. La genèse de la communication humaine*, Presses Universitaires de France, Paris, 1962.
- STEINEL Wilhelm « Das liebe Ich, Grundriss einer neuen Diätetik der Seele », in Sattel, Berlin 1913-1927-1930.
- WEIGERT Edith Younckel, « Idéal du Moi et Surmoi » in *Revue française de Psychanalyse*, vol. 27, 1963.
- WHITE Robert W., *Ego and reality in psychoanalytic theory. A proposal regarding independent Ego energies*, Int. Univ. Press, New York, 1963.

الفهرس

مقدمة الأستاذ سيرج لوبوفيشي ٣

الجزء الأول: محالات الشخصية: مقاربات أولى

الفصل الأول - أماكن تفكير (س. فرويد) ٢٧

الفصل الثاني - نبي فرارديعس الإنسان (ج. غروديت) ٤٤

الفصل الثالث - حركس القانون (س. غرويد) ٦٤

الجزء الثاني: الأنا، انيو، الأنا العليا: الموقعية الثانية

الفصل الأول - الأنا، انيو، الأنا العليا. الامبراطوريات الثلاث (س. فرويد) ٩١

الفصل الثاني - مراجع الشخصية (س. فرويد) ١٠٩

الفصل الثالث - من خوف من الدركي إلى حب السيد (س. فرويد) ١٢٣

الفصل الرابع - عضمة الأنا وعبوديتها (س. فرويد) ١٣٧

الجزء الثالث: الأنا، ما يقوله الآخرون عنها

الفصل الأول - حس التواضع (ساندور هورنزي) ١٤٩

الفصل الثاني - في نوى الأنا (يدوار غسومر) ١٦١

الفصل الثالث - ثلوث الأنا (روماند فريرن) ١٨٥

الفصل الرابع - الأنا، ناس، الاستقلال الذاتي (جانر جارتان) ٢١١

الفصل الخامس - الأنا، عمال مسدي (زيمه هسريك) ٢٣١

الجزء الرابع : الأنا العليا هل هي وريثة عقدة أوديب؟

الفصل الأول	أخلاق نصارات. رحمة لأنا العليا (سندور غوريزي) ٢٥٣
الفصل الثاني	لأنا العليا العنيفة والضمير المتكبر (مبلاي كلابير) ٢٦٦
الفصل الثالث	لأنا العليا، حجر بعد حجر (رونه سير) ٢٨٣.....
الفصل الرابع	- الأنا العليا، عاذر الإنعام وحديثه (إرنست جونز) ٣٠٥.....
الفصل الخامس	- منخص المسألة (جوزيف ساندلر) ٣١٧.....
انصادر	٣٤٥.....

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

عدد النسخ ٢٥٠٠ نسخة



في الأقطار العربية ما يعادل ٣٢٠ ل.س

سعر النسخة داخل القطر ١٦٠ ل.س

علي مولا